عشــرون محاضـــرة
في شــرح
رســائل يوحنا الرسول

وليـم كيلي

All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة

أخذت بإذن رسمي من صفحة بيت الله. جميع الحقوق محفوظة لمكتبة الأخوة ولا يجوز إعادة نشر أو طباعة إي من الكتب أو المقالات بأي طريقة طباعية أو إليكترونية أو وضعها على الإنترنت إلا بإذن خاص ومكتوب من الأخوة وصفحة بيت الله. يمكنك أن تحتفظ بالكتب أو المقالات للاستخدام الشخصي فقط وليس بهدف بيعها أو المتاجرة بها بأي طريقة كانت ومهما كانت الأسباب.

محتويات الكتاب

تقديم الناشر	٢
مقدمة الرسالة الأولى	٥
الرسالة الأولى: الخطاب الأول	٩
الرسالة الأولى: الخطاب الثاني	٢٥
الرسالة الأولى: الخطاب الثالث	٤٤
الرسالة الأولى: الخطاب الرابع	٦٢
الرسالة الأولى: الخطاب الخامس	٧٨
الرسالة الأولى: الخطاب السادس	٩٣
الرسالة الأولى: الخطاب السابع	١١٠
الرسالة الأولى: الخطاب الثامن	١٢٩
الرسالة الأولى: الخطاب التاسع	١٨٤
الرسالة الأولى: الخطاب العاشر	١٦٥
الرسالة الأولى: الخطاب الحادي عشر	١٨٢
الرسالة الأولى: الخطاب الثاني عشر	١٩٨
الرسالة الأولى: الخطاب الثالث عشر	٢١٧
الرسالة الأولى: الخطاب الرابع عشر	٢٣٧
الرسالة الأولى: الخطاب الخامس عشر	٢٥٦
الرسالة الأولى: الخطاب السادس عشر	٢٧٧
الرسالة الأولى: الخطاب السابع عشر	٢٨٩
الرسالة الأولى: الخطاب الثامن عشر	٣٠٣
الرسالة الثانية: الخطاب التاسع عشر	٣١٤
الرسالة الثالثة: الخطاب الخطاب العشرون	٣٢٤

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA
All rights reserved © 2008-2018
info@arabicbible.com

تقديم الناشر

إن جل غرضنا من إعادة نشر هذا المصنف هو تمجيد الله أبينا وتعظيم ربنا يسوع المسيح، المعلن لنا كالحياة الأبدية التي أظهرت لنا من عند الآب. ولا جدال في عظم الفائدة التي يتحصل عليها القديسون أولاد الله الأعزاء والمحببون من تعلم هذا الحق الرسولي الثمين كما نطق به يوحنا، والذي يستعرضه الشارح هنا بشكل تفصيلي ودقيق جداً.

وهذا المصنف يتضمن عشرين محاضرة ألقاها المرحوم وليم كيلي في شرح الرسائل الثلاث ليوحنا الرسول. هذه الرسائل التي اتخذت طابعاً خاصاً بين كتابات أسفار العهد الجديد. وقد رأى الروح القدس الذي أوحى للرسول بهذه الأقوال أن يستعرض أمام عائلة الله بجملتها، الحياة الأبدية كما أعلنت لنا في ابن الله المتجسد، من جهة طبيعتها وخصائصها في الله نفسه وبالتالي في أولاد الله الذين صار لهم أيضاً التمتع والشركة بتلك الطبيعة والصفات "الأبدية" مما يجعلنا أن نقول أن لنا شركة مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح.

لقد تناول الرسول بولس موضوع "الحياة الأبدية" ولكن من منطلق آخر، وكما هو متبع عند بولس إذ يأتي بالخاطئ من تحت دينونة الله وهو ميتاً بذنوبه وخطاياه ليدخل به أولاً إلى مذبح المحرقة – أي الصليب، حيث الدم والموت ليجد التبرير والحياة وبذلك يمكنه أن يقترب إلى حضرة الله عينها. وهكذا ينال الميت الحياة الأبدية. أما يوحنا فيتتبع أسلوباً آخر ليرينا الله – تبارك اسمه - في نشاط محبته المطلق وهو يتحرك نحو الإنسان وفي اتجاهه ليهبه الحياة الأبدية.

والموضوع الذي يتناوله يوحنا جد خطير، فهو رسول عاين وشهد، رأى وسمع ولمس ولذلك تكلم عن الحياة الأبدية "التي كانت عند الآب وأظهرت لنا". هذه الحياة التي رآها الرسول في أكمل وأعمق وأقوى صورة لها، وهي بعينها ممنوحة لكل واحد من أولاد الله لكي يمتلكها. هذه الحياة هي التي تتيح لنا أن ندخل في الشركة مع الآب ومع ابنه وكذلك مع بعضنا البعض، ونتيجة لذلك نتمتع بالفرح الكامل.

نقول إن المسيحية اليوم لم تترك فقط تعليم بولس أي تعليم الجسد الواحد، ولكنها تركت أيضاً تعليم يوحنا المختص بالحياة الأبدية. واكتفت في أحسن حالاتها أن تنادي بالتجديد أو الولادة الثانية وأعطت للحياة الأبدية معنى دخول السماء فقط. وتهاون المؤمنون في معرفة الحق المختص بالحياة الأبدية سواء كان في استعلانه في المسيح أو سواء في امتلاكهم لتلك الحياة وإظهارهم لها. فأين تمتع المؤمنون بالمسيح كالحياة الأبدية؟ ثم أين قوة هذه الحياة فيهم وطبيعتها وصفاتها؟. إننا نحتاج إلى إدراك هذا التعليم وقوة تطبيقه للشركة مع الآب والابن والشركة بعضنا مع بعض.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وينتقل الرسول من الامتياز إلى المسئولية الملقاة على المؤمنين، من الآب كامتياز لنا إلى الله كدائرة مسئولية أمامه باعتباره النور الكامل والقداسة "فالله نور وليس فيه ظلمة البتة" ويستعرض الخطية وعدم اتفاقها مع النور الذي دعينا إليه. غير أننا لا نستطيع أن ندعي بأننا لم نخطئ، فالطبيعة الساقطة في داخلنا، أما إذا أخطأنا فدم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية وهذه فاعلية الدم للتطهير لاستحضارنا أمامه، كما أن الرب يسوع شفيع لنا لاسترداد شركتنا معه، إذ هو كفارة لأجلنا ولأجل العالم كله على وجه الإجمال.

لا أستطيع أن أتناول كل النقاط التي أوضحها الرسول في رسائله، وأترك للقارئ العزيز أن يقرأ بنفسه ما قاله الشارح المدقق في هذه النقط جميعها.

ما أجمل وأبرك تلك الحقائق الثمينة التي نطق بها الروح القدس لتعليمنا. ونحن في أمس الاحتياج إلى تعلم هذه المبادئ الإلهية خاصة في أزمنة خراب المسيحية والتي تصيّر للنفس كالبلسم الشافي لها إزاء الأيام الصعبة والقاسية التي تتحدى إيماننا ورجاءنا.

والواقع أن هذه المصنف الذي ألقاه "وليم كيلي" كمحاضرات وهو من روائع الأدب المسيحي الراقي الذي حوى من بلاغة الخطاب وقوة البيان وعمق المعنى وسهولة الألفاظ مع ما فيه من حق راسخ جميل. ولاشك أن صاحبه معروف بكتاباته ومؤلفاته الكثيرة التي تعلمنا بواسطتها حقائق مجيدة. فهو عطية من عطايا الله لكنيسته في القرن الماضي. كما تميز بمهارة واضحة في تركيبه اللغوي للجمل التي كانت تنساب من فمه وكأنها عقد لؤلؤ جميل متراصة البنيان.

إننا نشجع الأحداث والشباب على قراءة هذا المصنف الجميل الذي يضم هذه الكنوز الثمينة. وألا يستثقلون هضم حقائق المكتوب بحجة المشغولية وضيق الوقت، بل لتكن لهم الأسنان القادرة على تعاطي الحق بإدراك واضح لكي يجتر عليها كلما خلدنا إلى الراحة.

إننا نثق في أبي ربنا يسوع المسيح الذي يصاحب هذه الكلمات بتأثيرات عميقة في قلوب القديسين فتصبح قوة روحية أدبية تؤازر شعب الله وهو يترنح في طريق البرية قاصداً المجد الأبدي في المسيح يسوع. له المجد في كنيسته في المسيح يسوع. آمين.

ثروت فؤاد

 All rights reserved © 2008-2018

كلمة افتتاحية للمؤلف

ليعذرني القارئ المسيحي إن افتتحت هذا الكتاب بكلمة قد تكون شخصية، فإني أشعر في قرارة نفسي بأنه لا يوجد على وجه البسيطة من يدين بالشكر العميق لله والحمد المستديم لاسمه الكريم من أجل هذه الرسائل الإلهية المباركة أكثر من عبده الذي يتشرف بتقديم هذه الخطابات التفسيرية لها، فإن الرسالة الأولى منها كانت سبب بركة عظمى لنفسي منذ أكثر من ستين سنة خلت. كنت قد تجددت ورجعت لله قبل ذلك بدون أي واسطة بشرية ولكنني كنت لا أزال أرزح تحت عبء ثقيل من الشعور بالخطية الساكنة فيّ، وإذا بصديق مسيحي يقدم لي شهادة الله الواردة في ١ يوحنا ٥: ٩و ١٠ باعتبارها جواب الله الشافي على جميع الأسئلة التي كانت ترهقني آنئذ وقد استخدمها الروح القدس لإعطائي منذ تلك اللحظة الراحة الكاملة في ابن الله وعمله الكفاري.

ومن ذلك الوقت وأنا أجد مسرة عظمى أولاً في التعلم ثم بعد ذلك، كمعلم، في تعليم المسيحيين الآخرين بحسب مقياسي الضعيف. فإن الغالبية العظمى من المؤمنين الذين أعرفهم يجدون مشقة خاصة في استيعاب هذا الجزء الثمين من كلمة الله والتمتع به التمتع الواجب كما هو حقهم في طريق تغربهم عن الرب، ولم يكن السبب في ذلك أية صعوبة في اللغة، لأن لغتها من أبسط ما يكون، ولكن لقصر إدراكهم الروحي من جهة ولعمق الحق المتكلم عن جلال المخلص الشخصي وملء نعمته تجاه أولاد الله من الجهة الأخرى. ومن هنا كان بطؤهم في إدراك ما تطالعنا به هذه الرسائل من حق جليل وبالتالي في التمتع بالشركة السامية العجيبة مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح التي يدعو إليها الرسول.

وبعد سنوات عديدة قضيتها في التجول في الخدمة وفي أسفار كثيرة في معظم أنحاء بريطانيا وفي الخارج أيضاً محاولاً بنعمة الله مساعدة النفوس في البحث بصفة خاصة في هذه الرسائل بنعمة الروح القدس وإرشاده، قد شاء الرب الآن، وهذا يملأ قلبي بفيض من الشكر، أن أبعث بهذا الكتاب لإخوتي المسيحيين رغم الشعور بما فيه من عجز وقصور ولكن الذي يفرح ويشجع ويعزى هو أن ذاك الذي أوحى بكلمته المكتوبة قادر أن يرشد إلى الحق جميع الذين يتوكلون عليه ويلتمسونه من بين يديه. فيا ليت القارئ العزيز يعتمد على المحبة الإلهية في المسيح وبذلك يكون فرحة كاملاً لأن هذا بالذات هو الغرض مما كتبه يوحنا.

لندن في ٢٠ أبريل سنة ١٩٠٥

وليم كيلي

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مقدمة الرسالة الأولى

إن تركيب هذه الرسالة القصيرة في مبناها، العظيمة في معناها، تركيب بسيط للغاية. وهي تستمد أساسها من الأربع آيات الأولى من الإصحاح الأول التي تطالعنا بكلمة الحياة المتجسد. فإن الحياة الأبدية التي كانت عند الآب قد أظهرت لشهود مختارين في أكمل صورة ممكنة، وما رآه وما سمعه هؤلاء الشهود قد اخبروه بدورهم للمؤمنين لكي تكون لهم نفس الشركة التي كانت للرسل (أع ٢: ٤٢) والواقع أن تلك الشركة لم يكن لها مثيل فهي شركة مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح وفي التخبير عنها يقول الرسول "تكتب إليكم (كما لو كان يكتب باسم الجميع) لكي يكون فرحكم كاملاً".

وبهذا الظهور، ظهور الله في المسيح، تقترن رسالة المسؤولية المسيحية في الأعداد ٥ – ١٠ التي تستحضر صفة الله في النور ليكون لها تأثيرها في سلوك جميع الذين يدعون باسم الرب وتكشف حالة يكتفون بالأقوال دون الأعمال.

ثم يلي ذلك كلمة تكميلية في العديدين الأولين من الإصحاح الثاني حيث يعود اسم الآب فيظهر من جديد بعد أن خلا منه الجزء السابق الفاحص من الإصحاح الأول، لأنه وإن كانت الوصية للجميع أن لا يخطئوا، فإنه إن أخطأ أحد فهناك المحبة الإلهية التي تعمل لرد النفس حيث لنا شفيع عند الأب يسوع المسيح البار، وليس البار فقط بل الكفارة لخطايانا وبصفة عامة لكل العالم أيضاً.

فما السبيل إذن للبرهنة على الحيلة الحقيقية في المسيحي؟ ذلك ما نراه في الأعداد من ٣ – ١١، أولاً بالطاعة (٣ - ٦) ثم المحبة (٧ - ١١) فهذان الأمران يدلان إيجابياً على ما هو حقيقي وسلبياً على ما هو صوري.

بعد ذلك نجد تصويراً لدرجات النضج المختلفة بين أفراد عائلة الله في الأعداد ١٢ – ٢٨. فهم جميعاً أولاد الله المحبوبون كما في ٢: ١ و١٢ و٢٨، ٣: ٧ و١٨، ٥: ٢١، الذين يكتب إليهم الرسول لأن خطاياهم قد غفرت من اجل اسم المسيح. ولكن في هذا الجزء المعترض، المليء بالتعليم، نجد عائلة الله تتكون من (١) "آباء" لأنهم قد عرفوا الذي من البدء، الكلمة الأزلي ظاهراً في الجسد، (٢) "الأحداث" لأنهم أقوياء بكلمة الله الثابتة فيهم وقد غلبوا الشرير، (٣) "الأولاد" لأنهم قد عرفوا الآب. ثم يعود الرسول مستعرضاً نفس المشهد الجميل مرة أخرى فلا يجد ما يقوله للآباء المحنكين أروع مما قاله لهم سابقاً وهو أنهم عرفوا الذي في البدء، (أليس هو الكل في الكل، الألف والياء، الأول والآخر، البداية والنهاية؟) ولكنه يتوسع أكثر في حديثه للأحداث وأكثر منه في حديثه للأولاد الصغار كمن هم بصفة خاصة أهداف أضداد المسيح الذين يحاولون تضليلهم ولكنهم لهذا السبب محروسون بحراسة خاصة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ثم من (٢: ٢٨) يستأنف الرسول خطابه العام لجميع "الأولاد" المحبوبين محرضاً إياهم كمجموع أن يثبتوا في المسيح حتى إذا أظهر يكون للفعلة الذين يضع الرسول نفسه معهم ثقة ولا يخجلون منه في مجيئه بسبب نقصهم. فالبر العملي إذن هو الدليل على الولادة من الله (٢: ٢٩). وهنا أيضاً يورد الرسول عبارة معترضة قصيرة ولكن في محلها في (ص ٣: ١ – ٣) متحدثاً عن محبة الآب باعتبارها الباعث والقوة اللازمة لتشجيع وتعزية النفس في طريق البر العملي الضيق. ثم يلي ذلك وفي تمام المناسبة الأعداد ٤ – ٧ عن شخص المسيح وعمله بالانفصال المطلق عن الخطية وكفايته الكاملة لرفع خطايانا وذلك للتأكيد بأن كل من يثبت فيه لا يخطئ وإن كل من يخطئ لم يبصره ولا عرفه. أما بقية الإصحاح فتناول المباينة بين أولاد الله وأولاد إبليس، أولاً من جهة بر أولاد الله من حيث المبدأ والسلوك. وثانياً من عدد ١١ من حيث محبتهم المتبادلة على نقيض قايين والعالم حيث تملك البغضة. إن الله ينظر إلى الحق في الإنسان الباطن ولا يرضي بأقل منه سواء في الأمور الصغيرة أو الكبيرة. ونحن كأولاد لا نحب بالكلام ولا اللسان بل بالعمل والحق ومن واجبنا أن نسكن قلوبنا قدامه حتى إذا كانت لا تلومنا تكون لنا ثقة من نحوه وهذا لن يأتي إلا بالطاعة والإيمان باسم ابنه يسوع المسيح. وكل من يثبت هكذا في الطاعة فإنه يثبت في الله والله فيه وذلك بقوة الروح الذي أعطانا.

ولكن هنا تبرز الحاجة لقوة التمييز وضرورة إدراك الحق حتى لا نكون عرضة للتهاون والاغترار بالظواهر. وهذا ما نجده في الأعداد ١ – ٦ من الإصحاح الرابع فالمحك الأول لتمييز الضلال هو الحق الخاص بيسوع المسيح آتياً في الجسد، لأن غرض الروح القدس الأول هو تمجيد المسيح وعلى ذلك فكل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فهو ليس من الله بل هو روح ضد المسيح. والمحك الثاني الذي نمتحن به الأرواح ليس هو الناموس والأنبياء (مع اعترافنا بأنهم كانوا آنية الوحي الإلهي) بل شهادة المسيح لنا، ومن ليس من الله لا يسمع لنا. فالعهد الجديد أيضاً لا بد منه لوقايتنا من روح الضلال.

ثم من ص ٤: ٧ يستأنف الرسول موضوع المحبة المتبادلة في أكمل صورة وأروع فيضان باعتبارها صادرة من الله وغير منفصلة عن محبته ومعرفته كمن أظهر محبته من نحونا إذ أرسل ابنه الوحيد لكي نحيا به إذ كنا أمواتاً، بل أكثر من أكثر من ذلك، لكي يموت كفارة لخطايانا لأننا كنا أثمة مذنبين. فمادام الحال كذلك ومادام الله قد أحبنا هكذا فمن الواجب علينا أن نحب بعضنا بعضاً، وإن فعلنا هذا فالله يثبت فينا ومحبته قد تكملت فينا. فكما المسيح في البداءة قد أعلن الله الذي لم يره أحد هكذا هو واجبنا الآن، وفي هذا لا تعوزنا القوة لأنه له المجد أعطانا من روحه، وهذا نصيب كل معترف أن يسوع هو ابن الله بحسب الشهادة أن الآب أرسل الابن مخلصاً للعالم. هذه هي محبته فينا ليكون لنا ثقة في يوم الدين لأنه كما هو هكذا نحن أيضاً في هذا العالم. وهذه حقيقة مدهشة وعجيبة ولاسيما

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إذا قورنت بالعدد الثاني من الإصحاح الثالث. هذه هي المحبة الكاملة التي تطرح الخوف إلى الخارج، وهكذا نستطيع أن نقول بملء الفم نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولاً. وينتهي الإصحاح بفضح الادعاء الكاذب إذ يقول أحد بأنه يحب الله وهو يبغض أخاه لأن الأمرين مرتبطان معاً تمام الارتباط ولا يمكن أن يوجد أحدهما بدون الآخر.

والإصحاح (٥: ١ – ٥) يفترض السؤال "من هو أخي" ويجيب عليه. "كل من يؤمن أن يسوع هو المسيح فقد ولد من الله" وهكذا يشير الرسول إلى الجانب الأسمى من هذه العلاقة العائلية ولكنه يبين أيضاً بنفس الوضوح أن محبة الآب تتضمن بالضرورة محبة المولود منه والبرهان على أننا نحب أولاد الله هو أننا نحب الله ونحفظ وصاياه فإن محبة الله تظهر في طاعته. وإذ نطيعه بدافع المحبة فإن وصاياه لا تكون ثقيلة بل صالحة ومليئة بالبركة والتعزية. ولا عجب فإن كل من ولد من الله يغلب العالم. والإيمان هو الذي حاز هذه الغلبة. وإن شئت تحديداً أدق فها هو الوحي يقدمه لك على الفور "من هو الذي يغلب العالم إلا الذي يؤمن أن يسوع هو ابن الله".

وفي الأعداد (٦ – ١٢) لنا الثلاثة شهود وشهادتهم الواحدة الموحدة ليسوع والحق الذي فيه: الروح والماء والدم – ليس التطهير والكفارة فقط بل الروح القدس كالقوة على تحقيق ذلك. في الإنسان الأول كانت الخطية والموت. أما الحياة الأبدية ففي الإنسان الثاني بحيث نستطيع بالروح أن نتمتع بالآب والابن. ولا يمكن أن يكون غير ذلك لأن الله قد أعطانا الحياة الأبدية وهذه الحياة هي في ابنه دون سواه.

ثم تأتي الخاتمة من عدد ١٣. فكما بدأ الرسول بالابن المتجسد موضوع الإيمان ووسيلة هذه الشركة العجيبة للفرح الكامل هكذا هو يختم بالقول أنه كتب لنا هذه الأمور لكي نعلم في قرارة نفوسنا أن لنا حياة أبدية كمؤمنين، ثم يكرر الإشارة إلى الثقة التي توحي بها إلينا هذه النعمة وهي أننا إن طلبنا شيئاً حسب مشيئة الله يسمع لنا. وإنما هو يستثني حالة واحدة وهي حالة الأخ الذي يكون واقعاً تحت التأديب بسبب ارتكابه الخطية في ظروف خاصة ولذلك لا يتركه الله على الأرض فيما بعد. ثم في هذه الكلمات الختامية من العدد ١٨ يواجه الرسول روح اللأدرية، روح المتفلسفين الأغنسطيين، الذين يدعون بأنهم ينشدون العلم والمعرفة فيتعلمون دائماً ولكنهم لا يصلون أبداً إلى معرفة الحق بالمقابلة مع العلم اليقين والاقتناع العميق الداخلي البهيج الذي يتمتع به القديسون أولاً في صورته المعنوية من حيث الحفظ والصيانة ضد الخطية والشيطان التي هي نصيب كل من ولد من الله وثانياً في علمنا الشخصي بأننا من الله وبالمقابلة مع كل العالم الذي هو في قبضة الشرير وثالثا في نفس هذا العلم الشخصي بموضوع الإيمان الأعظم الذي هو ابن الله، فضلاً عن البصيرة التي أعطاها لنا لنعرف الحق ونكون فيه، في ابنه يسوع المسيح، الذي هو الإله الحق والحياة الأبدية، كما هو الحصن الحصين ضد الأصنام.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مقدمة الرسالتان الثانية والثالثة

هاتان الرسالتان رغم أهميتهما القصوى للحق ومحبيه، هما في غاية البساطة من حيث موضوعهما وتركيبهما بحيث لا يحتاجان لكثير من الشرح والإيضاح، فالرسالة الثانية تحذر الأخت المختارة تحذيراً خطيراً ضد قبول أي شخص غير متمسك بتعليم المسيح، أي بالتعليم الخاص بشخصه، الذي هو أساس الحق وجوهره. والرسالة الثالثة تحرض الأخ الحبيب غايس وسط تيارات المقاومة الشخصية أو التحزبية أن يثابر على المحبة التي ميزته إلى الآن وأن يقبل الإخوة الأمناء ولو كانوا غرباء، الذين خرجوا من أجل الاسم الكريم. والحكمة في هاتين الرسالتين وكذلك قيمتهما عظيمة للغاية. فالنساء بصفة خاصة قد يجدن صعوبة ليست بقليلة في رفض أشخاص لا غبار عليهم بحسب الظاهر ويبدو أنهم غيورون في عمل الرب. فقد يكون القادم مبشراً سبق أن استخدمه الرب لربح النفوس، أو قد يكون شيخاً كالبعض في أفسس ممن كتب عنهم الرسول أنم ضلوا. ولكن عندما تنتشر روح الضلال فإن الحق وحده هو الحكم وهو الفيصل الذي يقرر موقفنا وليست الوظيفة مهما كانت. ومن الجهة الأخرى فليس من لأخ الحبيب أن ينزعج من غضب شخص مثل ديوتريفس بل عليه أن يقبل ويرحب بالإخوة الأمناء الذين خرجوا حقاً من أجل اسم الرب وبذلك يشجع شخصاً مثل ديمتريوس الذي قد يضعف بسبب هذه المقاومة. حقاً ما أعجب الروح القدس الذي قاد إلى هذه النصائح لإرشادنا في اليوم الشرير!

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الرسالة الأولى: الخطاب الأول

١ يو ١: ١ – ٤

"الذي كان من البدء الذي سمعناه. الذي رأيناه بعيوننا، الذي شاهدناه ولمسته أيدينا، من جهة كلمة الحياة. فإن الحياة أظهرت وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأظهرت لنا. الذي رأيناه وسمعناه نخبركم به لكي يكون لكم أيضاً شركة معنا. وأما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح. ونكتب إليكم هذا لكي يكون فرحكم كاملاً".

هذه براعة استهلال قد بلغت الذروة في الروعة والسمو والجلال. وهي افتتاحية لا مثيل لها في كل الرسائل ولو أن افتتاحية العبرانيين قد تدانيها في روعتها وعظمتها وإن اختلفت الافتتاحيتان في أسلوبهما عن باقي الرسائل لأسباب وجيهة معروفة. فالرسالتان، في غير ما مقدمة أو تمهيد، يقدمان لنا على الفور ابن الله المتجسد، الكلمة الذي صار جسداً. وهل في الوجود موضوع يأخذ بمجامع القلوب والألباب أكثر من هذا الموضوع. فالرسالة الأولى، أي رسالة العبرانيين، تأخذ بأبصار اليهود الذين اعترفوا بأن يسوع هو المسيح وتثبت عيون إيمانهم في شخصه المرتفع الممجد وفي وظيفته الآن في السماء المؤسسة على عمله الكامل في الفداء. والثانية، وهي التي نحن بصددها، تحرس المؤمنين في كل مكان وتحصنهم ضد كل اختراع أو تجديد أو ابتداع في التعليم أو السلوك بتذكيرهم وتوجيه أنظارهم إلى "الذي كان من البدء" في كامل نعمته غير المتغيرة وفي مجد شخصه المبارك كما أعلن ذاته هنا على الأرض وكما هو بالحق والحقيقة الله وإنسان متحدين في شخصه الواحد العجيب إلى أبد الآبدين. فالإنسان مرتفع إلى السماء هو طابع الأولى. والله متنازل إلى الأرض في المسيح وواهب الحياة الأبدية للناس هو طابع الثانية. ولئن اختصت رسالة العبرانيين بالكلام عن عمله الكفاري واختصت رسالة يوحنا بالكلام عن شخصه المجيد فإن رسالة العبرانيين هي أيضاً غنية بإعلاناتها عن شخصه المبارك كما أن رسالة يوحنا تطلعنا في كل صفحة من صفحاتها بصورة كاملة عن عمله الكفاري العظيم.

يلاحظ أيضاً أن الرسالتين خاليتان من اسم الكاتب وأسماء الأشخاص المخاطبين، والسبب في ذلك هو لكي يقف المسيح وحده عالياً مرتفعاً فريداً أمام عيونهم وقلوبهم،لا يزاحمه في المشهد، كما هي دائماً مشيئة الله الآب، موسى أو إيليا، بولس أو يوحنا. ذلك سبب من الأسباب ولو أن هناك أسباباً أخرى تشترك فيها الرسالتان. فلم يفت رسول الأمم العظيم، حتى وهو في دائرة خدمته المباشرة بين الأمم، أن يقول، وأن يعمل بما يقول، إن الإنجيل هو قوة الله للخلاص لكل من يؤمن، لليهودي أولاً ثم لليوناني. وهنا في رسالة العبرانيين، وهو على وشك الرحيل من هذا العالم، يبعث برسالته الأخيرة لمن آمن منهم في شيء كثير

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

من الاختفاء والتواضع وإنكار الذات لأنه وهو يقدم الرب كرسول الاعتراف المسيحي ورئيس كهنته (جامعاً بين موسى وهرون كرمزين وإن فاقهما بمراحل) لا يتكلم عن الاثني عشر أو عن نفسه بهذه الصفة الرسولية وإنما يكتب الرسالة كلها كما لو كان مجرد معلم مسيحي يشرح العهد القديم (ولو أن أحداً لا يستطيع أن يفعل ذلك ما لم يكن موحى له) وليس كمن يعلن حقائق وتعاليم جديدة بسلطانه كرسول أو نبي.

هناك أيضاً سبب آخر كان يدعو الرسول، ولو على الأقل في البداءة ومستهل الرسالة، أن يستبعد اسمه وينكر ذاته، وهو محبته لإخوته بحسب الجسد الذين يعرف تعصبهم ضد شخص يغير غيرة بولس ضد أي إخلال بحرية الأمم، بينما إشارته إلى تيموثاوس في ختام الرسالة فيها إشارة ضمنية إلى صديق تيموثاوس العظيم الذي كتبها، وهي إشارة تنم عن شخصه لا محالة ولكنها جاءت في مكانها المناسب بعد أن اطمأن قلبه وانتفى كل خوف من نفورهم أو تعصبهم لأن الرسالة قد مهدت الطريق وأعدت الأذهان وقد ملأ الحق قلوبهم بذلك الذي كلن يتكلم إليهم من السماء.

اعتبار آخر لا شك كان له تأثيره ونفوذه وهو وصية الرب (ليس للإثني عشر في لوقا ٩ بل للسبعين في لوقا ١٠: ٤) – "لا تسلموا على أحد في الطريق". تلك كانت بعثة ختامية ورسالة نهائية.وأوقات الخطر الداهم تدعو للعجلة والسرعة ولا بد لمجاملات السلام والتحيات في الطريق أن تفسح مجالاً لمثل هذه الرسالة الخطيرة التي تنذر بأوخم العواقب وأروع الويلات لمن يحتقرها أو يزدريها. هذا أيضاً كان أمراً له قيمته ووزنه عند ذينك الرسولين الكريمين وعبدي الله الأمينين، فإن أحدهما كان يبعث بصيحته الأخيرة لإخوته اليهود في وقت كان خراب المدينة والهيكل على قاب قوسين أو أدنى، لكي يرفع أبصارهم إلى القدس السماوي فيضعون عليه قلوبهم من الآن فصاعداً، ولكي يقودهم بيد المحبة والحنان إلى شخص الرب الممجد فيخرجون إليه خارج المحلة حاملين عاره قبل أن يرغمهم على ذلك وقوع الصاعقة وحلول الكارثة تنفيذاً لقضاء الله المحتوم. بينما الثاني كان يكتب لعائلة الله المحبوبة بنفس العجلة والإلحاح ليس في مواجهة طغيان الشر فحسب بل إزاء ما هو أروع وأرهب وهو مجيء "الساعة الأخيرة" للمسيحيين وظهور "أضداد للمسيح كثيرين" ممن خرجوا ينفثون سمومهم ويعلنون مقاوماتهم جهاراً، أولئك الذين كانوا مرة بينهم ولكنهم "لم يكونوا منا لأنهم لو كانوا منا لبقوا معنا".

ومهما كان الأمر، وسواء كان هذا أو ذاك، فإن شيئاً واحداً مؤكد لدى كل مؤمن وهو أن الروح القدس كانت له أوجه الأسباب وأكملها لإرشاد كل من الكاتبين الفاضلين لسلوك هذا المسلك الغير العادي في عدم ذكر اسميهما في هاتين الرسالتين. والآن عنا نرجع إلى افتتاحية الرسالة موضوع تأملنا.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يدل العدد الأول على أن إنجيل يوحنا كان مكتوباً ومعروفاً لدى القراء وقت كتابة الرسالة. وإلا فكيف كان يمكن فهم كلمة الحياة؟ إن لغة كهذه ما كان ممكناً أن تكون مفهومة لو لم يكن لدينا الإصحاح الأول من إنجيل يوحنا الذي يعلن لنا الشيء الكثير عن شخص الكلمة المبارك. ولكن إن كان الإنجيل وحده يمهد الطريق للكلمة الافتتاحية من الرسالة فنهاك أيضاً فارق ملحوظ بين الاثنين وهو فارق ليس من الأهمية بمكان فحسب ولكنه فارق له قيمته العظمى فيما يتعلق بالشهادة للحق.

ففي الإنجيل نقرأ "في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله". هذا الإعلان الفذ الفريد للنعمة والحق كان يليق دون سواه بذاك الذي لم يسبق لمجده أن أعلن بمثل هذه البساطة والجلال والعمق. والحق إنه ما من إنجيل له من المقدمة ما يضارع الثماني عشرة آية الأولى من إنجيل يوحنا. فإن لقب المسيح الأول فيها هو "الكلمة" بينما عبارة "في البدء" (في العددين ١ و ٢) تعني ما قبل الخليقة. وهذا الارتباط بين الكلمة وما قبل الخليقة يؤيد بوضوح العدد الثالث الذي ينسب للكلمة إيجاد وخلق الكون بأسره. فهو الذي أعطى لكل شيء وجوده، وهذا بصفة مطلقة كاملة وبصورة جامعة مانعة بحيث أنه بغيره لم يكن شيء مما كان. ارجع بفكرك كما تشاء في أغوار الأزلية اللانهائية، وعلى قدر ما ترجع بفكرك وتصورك وخيالك، فهناك كان الكلمة عند الله، ولكنه كان عند الله بكيانه الشخصي الكامل كالله "وكان الكلمة الله" بالمباينة مع كل مخلوق. فليس هناك حقبة يمكنك أن تأخذها في الأزلية، أو نقطة يمكنك أن ترجع إليها بفكرك وخيالك قبل عمل الخليقة، إلا وكان هو هناك "في البدء". ابدأ حيث شئت، وارجع بفكرك حيث شئت وشاء خيالك، واعلم أنه هناك كان الكلمة. وهنا ملاحظة دقيقة وخطيرة يجب مراعاتها وتذكرها وهي أن الكلمة الأصلية اليونانية "في البدء"المستعملة في إنجيل يوحنا خالية من "ال" التعريف وخلوها هذا لم يكن اعتباطاً بل مقصوداً، وهي صيغة فذة وفريدة تحمل إلى ذهن القارئ حقاً لا تستطيع لغتنا التعبير عنه إلا إذا استطعنا أن نقول "في بدء". فلو أن "ال" التعريف وضعت في الأصل اليوناني لكان معناها توجيه الانتباه إلى نقطة معروفة معينة بينما الغرض الهام من حذفها هو استبعاد كل فكر كهذا، ولذلك فقد وصف الوحي كيان الكلمة الأزلي غير المخلوق بعبارة عجيبة قد انفرد بها دون سواه ومعناها الأزلية اللانهائية التي لا حد لها. فعبارة "في البدء خلق الله" في مستهل سفر التكوين تبدأ الزمن بينما "في البدء كان الكلمة" في الإنجيل تترك الباب مفتوحاً لما هو أزلي. ولهذا فقد أجاد من قال أن يوحنا ١: ١ سابق لتكوين ١: ١. ولكن إن كان يوحنا ١: ١يقول لنا أنه "في البدء كان الكلمة" أي في الأزل فإن عدد ١٤ من نفس الإصحاح يخبرنا أن "الكلمة صار جسداً" في عرض الزمن. والرسالة الأولى تبدأ بهذه الحقيقة الثانية، حقيقة التجسد، الحقيقة العجيبة من جهة الله والمليئة بالغنى والبركة من جهة القديسين، بل من جهة الخطاة الذين كنا كلنا منهم مرة. فليس الأمر قاصراً على أن الكلمة كانت في الأزل بل أن الكلمة صارت جسداً في الوقت المعين. ولهذا فإن الرسالة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الأولى لا تحدثنا عما هو "في البدء" بل عما هو "من البدء".وهذا هو الفارق بين الرسالة الإنجيل، وهو بالحقيقة هو فارق عظيم، ملئ بالإرشاد والتعليم.

ويستخدم البشير لوقا بالوحي نفس العبارة "من البدء" أو منذ البدء وهي التي منها يستمد إنجيله طابعه الخاص في استعراض حياة الرب هنا على الأرض. فهو لا يبدأ كمرقس بخدمته المتصلة بالإنجيل إذ يقول "بدء إنجيل يسوع المسيح ابن الله" بل رجع إلى ما هو أبعد من ذلك كمن قد تتبع كل شيء من الأول بتدقيق، ولذلك فهو الذي يحدثنا أكثر من غيره عن حياة الرب في أيام تجسده الأولى. وهو الذي يحدثنا عن ناسوته المقدس وعن الحبل به من الروح القدس، وهو الذي يرينا الطفل العجيب في المذود ثم في الهيكل محاطا جلال وتعظيم وخضوع سمعان الشيخ وحنة النبية، شهادة لجميع الذين كانوا ينتظرون فداء في أورشليم. ثم ما أروعها إشارة إلى نموه في البيت قبل وبعد ذلك المشهد المؤثر الذي نراه فيه وهو بعد صبي جالساً في الهيكل وسط المعلمين يسمعهم ويسألهم حتى أن جميع سامعيه بهتوا من فهمه وأجوبته. وهكذا بالاختصار يقدم لنا لوقا الرب "منذ البدء" أو من الأول كإنسان هنا على الأرض بكيفية أكمل مما فعل غيره.؟ حتى عند كلامه عن الآخرين الذين سلموا إلينا الأمور المتيقنة عندنا نراه يصفهم كمن كانوا "منذ البدء" معاينين وخدماً للكلمة.

كذلك نلاحظ بعد هذا تعبيراً آخر له معناه الفريد وهو "كلمة الحياة" صحيح أنه تعبير يتصل اتصالاً وثيقاً بموضوع الرسالة الرئيسي ولكنه إذ يذكر لأول مرة، وهذا هو وجه العجب، لا نجد له أقل تمهيد أو إعداد سوى ما جاء في الإصحاح الأول من إنجيل يوحنا. إذن فالرسالة تدخل بنا على الفور وفي غير استئذان أو إبطاء إلى الموضوع الإلهي الجليل الذي شاء الروح القدس أن يحبونا به ويعطينا إياه. وألسنا نستطيع أن نرى في هذا شهادة عظمى للرب، أن يبدأ الكلام هناك، في الإنجيل، بذكر الكلمة، الاسم الأزلي، ويبدأ هنا بالناسوت وقد اقترن بشخصه العزيز المبارك باعتباره الكلمة؟ إن جميع الأولاد، بل الرسول يوحنا نفسه، يجب أن يتواروا من المشهد ليخلو المكان لذاك الذي وحده موضوع إيمان البشرية. وهكذا كان. فها هو الكلمة، كلمة الحياة، يوضع على الفور أمام عين المؤمن. وهل من شيء كان يستطيع أكثر من ذلك أن يبين عظم الإجلال والاحترام الذي كان يملأ قلب الرسول وهو يكتب عن هذا الموضوع الجليل الخطير، وهل من موضوع يستحق أن يملأ قلوبنا نحن أيضاً ونحن نقرأ ونستمع بما كتب؟ ولكننا هنا نبدأ، ويا له من أمر عجيب، بكلمة حياة الإنسان، بل قل أكثر من ذلك، كشيء آخر له أهميته، كلمة حياة الإنسان ليس في السماء بل هنا على الأرض. إن الإنسان الممجد على عرش الله في الأعالي له أهميته العظمى عند الرسول بولس. أما هنا، من لجهة الأخرى، فإن الوحي يحرص غاية الحرص لأنه يرينا أولاً وقبل كل شيء الكلمة وهو سائر هنا على الأرض، ليس قبل أن يصير جسداً

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كما في العدد الثاني، ولا بعد أن مات وقام ثانية،كما في مكان آخر من الرسالة. هذه وتلك من حالات سيدنا له المجد تظهران في مكانهما الخاص. ولكن الموضوع هنا هو الحياة الأبدية ظاهرة ومستعلنة على الأرض بأدلتها وبراهينها الكاملة وبأهميتها الكلية لمنح الشركة مع الآب والابن، لفرح جميع الذين لهم نصيب فيها بنعمة الله فرحاً كاملاً. ومن أجل ذلك هو يقودنا على الفور لأن يسمع خبر كلمة الحياة كما رآه التلاميذ وسمعوه على الأرض.

"الذي كان من البدء" – هذا ما كان قبل أن يراه أحد. "الذي سمعناه" – هذه كانت الطريقة التي بها وصلت أخبار الرب يسوع إلى مسامعهم. لقد كان أوائل الرسل تلاميذ للمعمدان، وكان من امتياز يوحنا (ولو أن ذلك لا يذكر هنا صراحة) أنه كان من أوائل الرسل الذين تبعوا الرب يسوع، الذين – كآخرين غيرهم – سمعوا عنه من يوحنا المعمدان قبل أن يروا شخصا المجيد رؤى العميان. والواقع أن شهادة المعمدان للرب هي التي قادت اثنين من تلاميذه لأن يتركاه، فيما بعد على الأقل، ويتبع المسيح. أحدهما لم يكن سمعان بطرس بل اندراوس أخا سمعان. أما ثانيهما، التلميذ الآخر، فلعلنا لا نجد صعوبة في التعرف عليه – فهو بلا شك كاتب الإنجيل والرسائل الثلاث. وإنه لأمر ملذ حقاً وشيق للغاية أن نعرف أن يوحنا كان في الميدان هكذا مبكراً مع اندراوس. ولهذا، ولأسباب أخرى لا تقل عن هذا السبب وجاهة، كان يوحنا أليق الجميع لأن يحدثا عن كلمة الحياة. غير أن الروح القدس قاده لأن يشرك معه زملاءه الشهود المختارين إذ يقول بلسان الجميع "الذي رأيناه بعيوننا". وهو عين ما سبق أن سمعوه "هوذا حمل الله". لقد رنت هذه الشهادة النبيلة في آذانهما أولاً، ثم لم يلبثا أن رأيا بعيونهما ذلك الشخص المجيد المبارك إذ "تبعا يسوع..... ومكثا عنده ذلك اليوم". هكذا كانت بداية تلك العلاقة الإلهية بين الرب يسوع وتلاميذه. ولو أضفنا إلى هذا ما كان ليوحنا حتى من بين الاثني عشر من مكانة خاصة في عواطف السيد، فمن ذا الذي كان أكثر أهلية لأن يحدثنا عن هذه الأمور كلها في قوة الروح القدس كما يحدثنا يوحنا بأسلوبه الفذ العجيب؟

ومن عجب أن حديثه متأخراً. فقد كنا نظن أن أفضل وقت لتزويد القديسين بهذه الذكريات الشخصية العميقة هو يوم أن كانت في جدتها في قلبه وذاكرته. ولكن هكذا شاء الله في حكمته أن يبقى الحق، لا نقول مخبوءاً في قلبه، بل محجوزاً عن قلمه خمسين سنة على الأقل. ولاشك أن سبيل الله هو دائماً أحكم السبل وأنفعها ولو أن الإنسان في قصر نظره وذهنه الباطل قد يفضل طريقه هو. ولكن الروح القدس كان هنا، كما في كل زمان ومكان، يعطي الرسول المحبوب نوراً وصبراً وانتظاراً لله حتى تتم مشيئته تعالى في وقتها المعين. وقد قضت مشيئة الله ووقته المعين أن يبقى يوحنا الذي كان أول شهود العيان ليكون آخرهم. فقد كان من نصيبه أن يكتب إلى ملاك كنيسة أفسس (تلك الكنيسة التي كانت في

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لمعانها يوم أن كتب لها الرسول بولس مؤخراً في يومه) حاملاً غليه دعوة الرب لأن يتوب ويعمل الأعمال الأولى وإلا فإنه يزحزح منارته إن لم يتب. وكان من نصيبه أيضاً أن يحمل ملاك كنيسة اللاودكيين تهديد الرب بأن يتقيأه من فمه بدون شرط التوبة ولو أنه يدعوه إليها. ثم كان من نصيبه، قبل أن يرسل الرب رسائله إلى الكنائس السبع التي في آسيا، أن يكتب باعتباره آخر الرسل عن الشر القتال الذي كان آخذاً في الظهور يومئذ وعن "الساعة الأخيرة" الآتية بما من "أضداد للمسيح كثيرين".

وهذا ما يعطي لرسالة يوحنا موضوع تأملنا طابعها الخاص الذي يميزها عن رسائل بطرس أو يعقوب. صحيح أننا نجد في إحدى رسائل بولس الباكرة وصفاً لضد المسيح ولو أنه لا يشار إليه هناك بهذا اللقب بل كإنسان الخطية، ابن الهلاك والأثيم. أما الرسول يوحنا فهو الوحيد الذي يكتب عن "ضد المسيح" بهذا اللقب المحدد وعن أضداد للمسيح كثيرين كمن خرجوا كطلائع يمهدون الطريق لزعيمهم الأكبر الذي يبرز في رؤ ١٣: ١١ – ١٨ ...الخ كالوحش الطالع من الأرض وله قرنان شبه خروف، الذي هو النبي الكذاب. وما أجما أن نلاحظ أن الشخص الذي أعطي أن يقدم المسيح في جلاله الإلهي بمثل هذا الأسلوب الحي لرائع قد أعطي أيضاً أن يصور خصمه الإنساني مملوءاً ومقاداً بعدوه الروحي الشيطان، وتحت لقب ضد المسيح. ولا عجب، فإنه إن وجد على الأرض إنسان واحد كان يرتجف قلبه ويفزع ناهضاً لمقاومة أية ضربة توجه إلى الرب يسوع، فلذلك الإنسان هو رسولنا الذي تمتع بمحبة سيده أكثر من الآخرين والذي أحبه ربما أكثر من جميعهم. فالقاعدة العامة أنه بمقدار شعور الخاطئ لخطاياه، بهذا المقدار يكون حبه للمخلص كما اثبت سيدنا لذلك الشخص الفريسي الذي كان مجرداً من التقدير الصحيح لكلتا العاطفتين. فالذي غفر له كثيراً يحب كثيراً. ومن ذا الذي يرتاب البتة في أن التلميذ المحبوب كان يحس إحساساً لا مثيل له بمحبة سيده له شخصياً وأنه كان يحس أيضاً إحساساً مماثلاً بالخطية وشناعتها؟ إن الرسولين بطرس وبولس كانا يقدران محبة الرب ويشعران بها بكيفية أخرى ولكنها لم تكن، مع عمقها، نفس كيفية يوحنا. فلا عجب أن يقع الاختيار على يوحنا ليكتب لنا كلمات محبة حارة وحقائق كثيرة، كلمات نعمة وحق قصد بها أولاً وقبل كل سيء وقاية المؤمن من أقصى المخاطر التي يتعرض لها المسيحيون على الأرض أعني بها تلك الجهود، بل أخبث وأمكر الجهود، التي يبذرها العدو لتقويض ونكران اسم يسوع. وهذا وهو بالضبط ما نتأمل فيه في هذه الرسائل ولاسيما في الرسالة الأولى.

بهذه الصورة إذاً يقدم لنا شخص الرب يسوع، وذلك كما هو الآن في المجد بل كما كان على الأرض. لاشك أن الإنسان الممجد في الأعالي هو الموضوع العجيب الذي يرفع المؤمن فوق مجد هذا العالم الزائف، كما أن قوة قيامته كفيلة بأن تخلع قلوبنا من الأرضيات

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وتمنحنا ثباتاً ضد الادعاءات الأرضية في الدين. فهذا شاول الطرسوسي يتجدد برؤية المسيح في المجد بقوة الروح. وقد كان هذا المنظر المجيد موضوع خدمته البارز ليس فقط في الإنجيل بل في إعلان المسيح كرأس الكنيسة، ذلك الحق العظيم الذي نجده في رسائله أكثر مما نجده في أقوال أي كتاب آخر من كتاب الوحي. ولكن، ولسباب وجيهة وحكيمة لدى واهي كل عطية صالحة، كان من نصيب يوحنا أن يرجع إلى المسيح هنا على الأرض كإنسان حقيقي كما هو الإله الحق. فلم يكن غرضه إظهار المسيح بحسب مركزه الآن كالإنسان السماوي بقدر ما كان غرضه أن يثبت أنه وهو إنسان حقيقي هو أيضاً أقنوم إلهي. وهذه نقطة هامة وخطيرة. فنحن بفضل "الإنسان السماوي" قد حصلنا بنعمة الله على امتيازات مجيدة ولكن السماوي يجب على كل حال أن يعطي مكاناً للإلهي. إن الله يستخدم العلاقات السماوية لكي يخلص القديسين من الميل للتفكير في الأرضيات. ولكن الحياة الإلهية العاملة بالقوة لا تخلص من الاهتمامات الأرضية فقط بل تستأصل كبرياء الإنسان وشهواته وإرادته في رفع ذاته وبالتالي سقوطه تحت سيطرة الشيطان ضد الآب والابن. واهتمام الجسد ليس فقط يقاوم ربوبية المسيح أو سيادته بل هو يتعامى أيضاً عن مجد شخصه الأعمق المؤسس على حقه الخاص الأزلي الذي هو أسمى بكثير من مجده المكتسب. إن الرسول بولس يتكلم بأكثر إفاضة عن المجد الذي اكتسبه تبارك اسمه، أما يوحنا فإنه يتجه بصفة خاصة إلى المجد الذي له أزليا، ليس كالبكر من الأموات بل كالابن الوحيد. وفي هذا يتفرد وحده له المجد.كذلك يتكلم بولس عن وحدة أعضاء جسده بشخصه، بينما يتكلم يوحنا عن محبة الآب التي لأولئك الذين هم من الآن أولاد الله فلا عجب أن تكون الساعة الآن لترك الخدمة الأرضية وحتى ولو كانت في مقادس أورشليم، وكساجدين حقيقيين نسجد للآب بالروح والحق لأن الآب أيضاً طالب مثل هؤلاء الساجدين.

فلنجتهد إذاً لنكون أمناء للرب ولنحفظ كلمته ولا ننكر اسمه. فمما لا نزاع فيه أن الحق الذي تدور حوله هذه الرسالة قد قصد به نظراً لارتباطه بمجد الرب الشخصي، إبراز الناحية الايجابية من الحياة في الذين له في هذا العالم كما هي فيه. أو على حد تعبير في مكان آخر "لأنه كما هو في هذا العالم هكذا نحن أيضاً" ولست أعتقد أن أي شخص روحي له إلمام بالضلالة التي ظهرت في أيامنا الأخيرة (والتي تفرق بين الحياة في الابن والحياة في المؤمن) يفوته أن يلاحظ كيف أن الحق في إنجيل يوحنا ورسالته لا يترك أقل عذر لمثل هذه الضلالة بل يستبعدها بكل شدة وحزم. وأنه لمن المؤسف حقاً أن يقع في القرن التاسع عشر وفي فترة حياة البعض منا هجومان على شخص سيدنا المعبود أحدهما في الحلقة الرابعة من القرن المذكور وثانيهما في الحلقة التاسعة منه، في وقت نحن فيه ننتظر الرجاء المبارك وظهوره إلهنا ومخلصنا العظيم يسوع المسيح.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وكما كان الحاجة ماسة قديماً هكذا هي ماسة الآن لأن يثبت أولاد الله في الرب بعزم القلب وأن يتعمقوا في شعورهم واختبارهم بالحياة الأبدية فيه حتى يتسنى لهم بقوة أعظم مساعدة أبسط المؤمنين لأن يعرفوا أن هذه الحياة هم لهم. وهكذا تتحول مكيدة الشيطان للخير للذين يحبونه الذين هم مدعوون حسب قصده. ولا يخدعك ما تراه أو تسمعه من البعض الذي يحاولون أن يقنعوا أنفسهم وآخرين معهم إن ما هو في الحقيقة واضح كل الوضوح قد أخطأته الإفهام فلم تدرك تماماً ماهيته أو معناه. فهذه هي دائماً صيحة الهرطقة وحجتها عندما ينفضح سترها وينكشف أمرها، فيحاول أصحابها أن يزينوا دعواهم ببريق خلاب أو يستروا شرهم ببرقع جذاب إن لم يستطيعوا إنكاره كلياً وبذلك يتجنبون اكتشاف أمرهم والابتعاد عنهم. ولو كانت هناك أمانة قلبية أمام الله لما كان الأمر كذلك. فلو أن قديساً صادق القلب انزلق إلى الخطأ وانخدع به لكان يسره كل السرور أن ينكشه له خطأه فيرفضه بحزن وتذلل.أما تغطية مثل هذه الضلالة الخطيرة والتصغير من شأنها والتماس المعاذير لها فأمر لا يليق بمن ارتضوا مرة أن يخسروا الكثير في هذا العالم من أجل خاطر الحق له والشهادة له، فضلاً عن أن تصرفهم هذا يعرضهم هم أنسهم لخطر الوقوع فيما يعبثون به أو لفقدان التمييز الروحي. وأليس هذا هو عمل روح الضلال؟

إن العدد الأول يصف ربنا يسوع وهو على الأرض كموضوع تأمل ومعاينة كل من يريد أن يدنو منه، مع أوثق الصلات وأقربها بتلاميذه. فقد كان سبيله أبعد ما يكون عن سبيل حكام الشرق بصفة خاصة الذين كانوا يرون العظمة والمجد في الابتعاد حتى عن أشرف بلادهم. فقد كان الموت كما نعلم نصيب كل من يجرؤ على أن يدنو من "الملك العظيم" دون أن يدعى، وعلى قضيب الذهب الذي كان يمده بيمينه كانت تتوقف الحياة. فمن لمسه عاش وإلا فنصيبه الموت المحقق. ولكن ها هو الأعلى فوق كل عال ينزل في اتضاع النعمة العجيب إلى أقل الناس وأدناهم، وما من خاطئ أقبل إليه ورفضه قط. لمس الأبرص وشفاه، وبكى على قبر من أقامه من مثواه. من مثله كان في متناول الجميع وعلى استعداد دائم أتن يقبل الجميع وعلى استعداد كامل أن يقبل الجميع؟ وما أكرمها من فرص تلك التي أتاحها لأولئك الذين اختارهم خصيصاً "ليكونوا معه" لأن يروه بعيونهم ويشاهدوه بل ويلمسوه بأيديهم! حقاً إنه لمحال أن يشك أحد في أن قدوس الله كان إنساناً حقيقياً.

وإنه لجميل مع ذلك أن نلاحظ القول "الذي رأيناه وسمعناه" في عدد ٣. فإن "الذي سمعناه" في عدد ١ يسبق "الذي رأيناه" وهذا طبيعي لأن الحق يصل دائماً عن طريق الأذن أولاً وليس عن طريق العين. وهكذا هم "سمعوا" وآمنوا. فالإيمان لنفوسهم كان بالسمع وليس بالرؤية. ومع ذلك فقد كان من قرعتهم أن يروا المسيح بعيونهم وأن يتأملوه أيضاً ليكونوا شهوداً للآخرين، وذلك ليس مرة وبطريقة عابرة بل كما هو مكتوب "الذي شاهدناه ولمسته أيدينا". ويا له من حق عجيب أن خالق السماوات والأرض يصير إنساناً ويتنازل للتدليل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

على ناسوته إلى حد أن يسمح بأنه تلمسه أيديهم! ولقد فعل هذا أيضاً بعد قيامته من الأموات – ليس لمريم المجدلية لأسباب خاصة – بل لنساء الجليل ثم للرسول توما المرتاب "هات إصبعك إلى هنا... وهات يدك... إلخ". وهذا حدث يوم أن كان سيدنا هنا على الأرض لأنه عرف جيداً ورأى مقدماً الضلالة العتيدة فأعد لها العدة وأعطى البرهان القاطع لمواجهتها، تلك الضلالة الخبيثة التي تجرؤ على إنكار حقيقة طبيعته الناسوتية مع أنه في هذا كانت نعمته حتى إلى الموت من أجلنا.

ومن الجهة الأخرى يفند يوحنا الشكل المضاد الآخر من الضلالة، وهو يفعل ذلك بنفس الحزم والشدة مزوداً بقوة فريدة لا مثيل لها ولكنها تستبعد لاهوته. أما الحقيقة فهي أنه الله وإنسان في شخص واحد. لهذا هو يدعى هنا "كلمة الحياة". فالعبارات المختلفة المتتابعة في العدد الأول هي كلها "من جهة كلمة الحياة". فإن الحياة – وفي هذه الحالة الروحية الأسمى – هي ملك الله وحده. وهي متميزة عن القوة المبدعة الخالقة وأسمى منها، كما نتعلم من المقارنة في العددين الثالث والرابع من (يو ١). فإن لقبه له المجد هنا يجمع بين "الكلمة" و "الحياة" تحديداً لموضوع الرسالة. "فإن الحياة أظهرت" – هذه هي الحقيقة التي قصد الوحي أن يقررها هنا. وهو لا يقول لمن أظهرت، وإنما هو يقرر الحقيقة البسيطة العامة بدون أي تحديد. والواقع أنها أظهرت لكل ذي عينين، لكل من رأوا المسيح ربنا – ليس للمؤمنين فقط بل لغير المؤمنين أيضاً. هؤلاء رأوها فمروا بها مروراً ولم تترك في حياهم أثراً فعالاً لأنهم لم يتعلموا من الله عن طريق شعورهم بالحاجة إليه. فلكي نتبارك يجب أن نأتي شاعرين بحقيقة خطايانا. ولكن أولئك قد استطاعوا مع ذلك أن يروا كم كان الرب عجيباً إن لم يكن في ذاته، ففي معاملته لكل رجل أو امرأة أو طفل اقترب إليه. ولكنه لعيونهم العمياء لم يكشف ذاته والله، كما كشف للمرأة الخاطئة في بيت سمعان الفريسي، أو للسامرية، أو للص التائب فوق الصليب. فهؤلاء جميعاً لم يفتهم أن يروا فيه له المجد شيئاً أكثر من مجرد إنسان ولذلك أتيح لكل واحد منهم في فترة الحرج من حياته أن يسمع كلمة الحياة سمعاً فعالاً. وإذا قيل أن امرأة بيت سمعان كانت مؤمنة وتائبة من قبل وإنما تمتعت بالغفران والسلام في تلك اللحظة، فمما لا نزاع فيه أن كلمات المخلص هي التي جددت السامرية كما جددت اللص المصلوب الذي ميز نعمة الرب يسوع وعظمته التي لا حد لها في ساعة عاره واحتقاره الأعظم.

"فإن الحياة أظهرت" – ذلك هو مفتاح الرسالة. أظهرت هنا "وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأظهرت لنا" (عدد ٢). لا نقرأ شيئاً في هذا العدد عن "السمع" ومعنى ذلك أنهم كانوا قد أصبحوا في ألفة مع الرب ولذلك يقول "قد رأينا ونشهد". ليس كالأول سمع ورؤيا، بل الآن رؤيا وشهادة وتخبير للقديسين عن الحياة الأبدية التي

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كان لها صفة الوجود عند الآب (أي في الأزل) وأظهرت لنا في الزمان يوم عاش على أرضنا.

كثيرون منا يعرفون أمر تلك المحاولة الغريبة التي يقوم بها أناس مخدوعون للتفرقة حتى في العهد الجديد بين "الحياة" و "الحياة الأبدية" وأليست هذه المحاولة منقوضة هنا من أساسها؟ فبينما نقرأ "كلمة الحياة" في العدد الأول ونسمع عن "الحياة" ليس إلا في العدد الثاني سرعان ما نجد في نفس العدد "الحياة الأبدية". وما معنى هذا؟ معناه بكل يقين أن "الحياة" "والحياة الأبدية" هما شيء واحد منظور إليه من ناحيتين مختلفتين اختلافاً طفيفاً. وهذا الشيء الواحد المرتبط بشخص الكلمة وقد أظهر في الرب يسوع المسيح. هل يمكن أن يكون هناك ما هو أوضح من ذلك، ثم أن الجملة اعتراضية في العدد الثاني تخبرنا عن الحقيقة العظمى الأخرى وهي أن الحياة الأبدية كان عند الآب قبل ظهوره في الجسد على الأرض. فهو لم يكن الكلمة والابن الوحيد فقط بل "الحياة الأبدية" أيضاً. وهو كان الحياة الأبدية في الأزل بقدر ما كأنها بعد ذلك تماماً عندما تنازل، لمجد الله وفداء وبركة الإنسان، ليولد من امرأة وبذلك يظهر ما هو مزمع أن يمنحه للمؤمن.

ومما هو جدير بالملاحظة أن الحياة الأبدية هنا هي بصريح العبارة صفة الكلمة الأزلي، ابن الله، قبل أن يأتي إلى العالم. ولكنه لم يعرف أبداً أنها نصيب المؤمن إلا بعد ظهور المسيح. فعندما صعد إلى السماء لم يكن هذا ظهوراً بل بالعكس استتاراً في الله. أي نعم، إن الحياة الأبدية أظهرت هنا في عالم الخطية الحزن والشقاء. وهنا حيث سقط الإنسان الأول سقوطاً كاملاً حتى الموت، أظهر الإنسان الثاني الحياة الأبدية طائعاً لله طاعة كاملة حتى الموت، وبموته دحر الشيطان ووجد فداءاً أبدياً لكل من يؤمن. والذين يؤمنون لهم فيه حياة أبدية، لكي يحيوا الآن بحياته وليس بحياتهم الساقطة.

إن ظهور الحياة هي بالضبط في هذا العالم وليس في مكان آخر. فالسماء ليست هي مشهد ظهورها. كما لا يمكن أن يقال عنها أنها أظهرت عندما كانت عند الآب. ولكن المحقق فيما يتعلق بالناس. هو أن الظهور حدث عندما صار ابن الله إنساناً ورآه الناس وسمعوه كالشاهد الأمين الصادق الله الآب. فعندما صار ابن الله إنساناً عندئذ – عندئذ فقط – أظهرت الحياة الأبدية التي كانت إلى ذلك الوقت عند الآب. فالحياة كانت في شخصه المحسوس الظاهر هنا على الأرض، كما كانت فيه قبل ذلك وهو هناك في الأعالي. وقد أتيح لعدد مختار من التلاميذ الذين سمعوه أن يروا هذه الحياة فيه بكل وسائل التحقيق الممكنة وأن يخبروا الآخرين عن الله المتأنس مع حياة المسيح الأبدية ظاهرة بين الناس على الأرض في ملء كمالها وبهائها.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وكم هو مبارك لنا – حتى مع شعورنا العميق بالضعف – ولكن بالاعتماد على نعمة ربنا، أن نباشر المهمة الخطيرة، مهمة التأمل في موضوع هذه الرسالة العظيمة. إن حقنا في ذلك هو المسيح نفسه، وهو تبارك اسمه لنا الآن في ذات الحقوق وذات الكمال كما كان لأولئك الذين كتبت إليهم الرسالة. فالرسول هنا يكتب إلى "أولاده الأحباء" الذين هم عائلة الله الآن كما في ذلك الحين تماماً. أليست هذه العلاقة عينها باقية ما بقيت الساعة الأخيرة؟ فمهما يكون قصورنا اليوم فإننا بكل تواضع نقبل كلام الرسول ونؤمن بمحبة الآب ونعترف بنعمة ومجد ابنه، الرب يسوع، ونعتمد على سكنى روح الله فينا، لنحصد الآن فائدة مما أبلغه الرسول لأولاد الله يوم بدأت تلك الساعة. فنحن نقر ونعترف بحاجتنا العميقة وبصلاح ذاك الذي أرشدهم قديماً كما يرشدون الآن لنجد في المسيح ذخيرة الإيمان التي لا تنضب والإجابة الكاملة على كل حاجة. ولاد الله أ

"الذي رأيناه وسمعناه نخبركم به لكي يكون لكم أيضاً شركة معنا". أليست هذه تركة ثمينة خلفتها لنا المحبة الإلهية وسط مثل هذا الانحطاط والخطر؟ وأليست شركة الرسل شركة مباركة يعتز بها في مثل هذه الظروف (قارن اع ٢: ٤٢)؟ "وأما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح" (عدد ٣). لقد كانت اليد الرسولية الأخيرة وشيكة الانتهاء يومئذ. ولكن لو أن يوحنا بقي إلى الآن، فما الذي كان يمكن أن يكتبه أكثر تعزية وتطميناً من أن شركة الرسل الخمسينية باقة لنا بل وإن الشركة مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح باقية كذلك لنتمتع بها اليوم بالإيمان بفضل الحياة الأبدية في الابن، لهم ولنا على السواء؟ إذاً فالغرض البين من هذا الخبر الإلهي هو أن تكون لنا نفس الشركة التي كانت للرسل مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح، والقصد الكريم من هذا هو لكي يكون فرحنا كاملاً. وإذا لم يكن لمثل هذه البركة أثرها فليس شيء آخر على الإطلاق يمكن أن يوصل إلى تلك النتيجة. أليس لنا في هذه الشركة مع الآب ومع ابنه ما يملأ قلوبنا بالفرح أكثر مما لا يقاس من أية هبة أخرى كان يمكن أن تعطى لنا؟ نعم ما أعظم هذا وما أسماه أن تكون لنا الحياة الأبدية التي أظهرت في ربنا يسوع كالطبيعة الجديدة الإلهية فينا نحن المؤمنين للشركة مع الآب ومع ابنه معطاة لنا خصيصاً لتملأ قلوبنا بفرح ينطق عن نفسه بأنه إلهي في مصدره ونوعه! فلنتأمل إذا – بالاهتمام اللائق – في النعمة والحق المعروضين أمامنا في المسيح في تلك الكلمات الافتتاحية من الرسالة. فهذا هو موضوعها وهدفها الرئيسي.

إن حق المسيحية مدون هنا بكل إيجاز واختصار، والغرض المقصود منه في أشد الساعات ظلاماً هو أن يملأ القديسين بفرح الله نفسه، في الوقت الذي كان فيه الشيطان يعمل جاهداً أكثر من أي وقت مضى محاولاً هدم تعليم المسيح. فهذه الأقوال ليست نداءاً لوقاية القديسين بشرح الهرطقات المختلفة وآثارها المؤذية. ولا هي توجيهاً لنشاط خدام الله للكرازة بالإنجيل لجميع الأمم. ولا هي إعلانا لويلات مزمعة أن تنصب على المسيحية الاسمية

 All rights reserved © 2008-2018

وعلى العالم أجمع كما جاء أخيراً في سفر الرؤيا في الأمجاد التي بعدها، أي ليس "ما هو كائن" بل الدينونات التالية. لقد كان لأنبياء العهد القديم أمور أخبروا بها كانوا قد علموا أنها ليست لأنفسهم بل لنا (١ بط ١: ١٢). وهكذا سيكون للقديسين الذين سيأتوا بعد الكنيسة روح النبوة كشهادة يسوع لهم، وهو تعبير عجيب يقصد به الروح ليس كقوة الشركة الحاضرة بل كروح "النبوة" الذي يدفع القديسين – كما كان الحال في العهد القديم – لأن يلقوا رجاءهم على المستقبل حين يأتي الرب يسوع بالقوة والمجد.

أما عمل الروح القدس الآن فيختلف عن ذلك تماماً. فالأمور التي أعلنت قد أعلنت لنا، لكي نعرف الله في الروح ونتمتع بالشركة مع الآب ومع الابن. وهذه الشركة هي لأولاد الله ليس فقط لكي يعرفوها أو يدخلوا إلى رحابها مجرد دخول بل لكي يتمتعوا بها كامل التمتع حتى في اليوم الشرير. إن كل شيء أعلن لنا قصد به أن يتهاطل بفيض مستديم من البركة على قلوبنا. فالولادة الثانية نوال الغفران بواسطة المسيح وعمله هي دون سواها الخطوة الأولى الصحيحة، لأننا في هذا نعرف الله بالروح موقظاً للضمير. ولكن وقوفنا عند هذه النقطة، مهما كان تكريسنا لنشر البشارة المفرحة، يقصر تماماً عن فكر الله من جهتنا. فليس هكذا يقودنا المسيح، عند امتلاكنا الحياة الأبدية، إلى رحاب الشركة التي يقال هنا عنها بغاية الوضوح أنها تملأنا بالفرح. فبحسب الطبيعة نحن لسنا إلا خلائق خاطئة تنحدر إلى الدينونة انحداراً أعمى، ولكن بقبولنا الرب يسوع نولد من الله وباعتمادنا على الفداء نقبل عطية الروح القدس، وهكذا نمسح ونختم. وبهذه الكيفية نصبح كفاة بتلك الحياة ومؤهلين بقوة الروح، كمعترفين بالابن، لأنه يكون لنا الآب أيضاً. أي نعم، إنه لمن امتيازنا المبهج أن تكن لنا هذه الشركة كملكنا مع اليقين لمطلق المفرح بأنه هذه هي مشيئة الله من جهتنا وطبقاً لكلمته.

فلا تصغين لأولئك الذين يحسبون هذه البركة أسمى من متناولك الآن وأنت على الأرض. إن صاحب الحلة الأولى التي كان مجهزاً إياها بالابن التائب الراجع، يريدك كأحد أولاده أن تتمتع بالشركة معه ومع ابنه. إنها فوق طبيعة الإنسان بالكلية ما في ذلك شك. وهي لشركاء الطبيعة الإلهية دون سواهم. ومصدرها محبة الآب والابن عامة بالروح القدس المرسل ليكون فينا ومعنا إلى الأبد كقوة هذه الشركة. فهي إذاً مصير المسيحي الخاص ولاسيما حين تمتلئ المسيحية الاسمية بروح البطل والشر. ولاشك أن من ينكر الآب والابن لا يعتبرها إلا أسطورة أو وهماً. ولكن لماذا، وأنت مسيحي، تقتصر عن إدراك نصيبك الخاص والتمتع به؟

إن هذه البركة – أي بركة الشركة – تضم جميع أفراد بيت الله حتى الأولاد منهم أو الأطفال فكل منهم بحسب مقياسه له نفس الحق الذي لأقواهم وأعظمهم بلوغاً. ومن هنا رأينا الأولاد أو الأطفال يدعون للدخول فيها والتمتع بها تمتعاً كاملاً وعلى أي أساس؟ على

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أساس الحياة الأبدية في المسيح. لاشك أن التبرير بالإيمان أمر ثمين وله قيمته، وكذلك اليقين القلبي بالخلاص وتسوية مسألة الخطايا والخطية مع الله إلى الأبد ولكن الجانب الإيجابي من الحياة الأبدية هو الحق المشدد عليه هنا. لقد شرح الرسول بولس أكثر من غيره ليس فقط تبرير كل مؤمن فردياً بل أيضا عضوية جسد المسيح الواحد أكثر وامتيازا ته السماوية. أما الرسول يوحنا فقد كان من نصيبه في أيام التدهور والانحطاط أن يشرح الحياة الأبدية بصورة أتم وأكمل حتى مما فعله رسول الغرلة العظيم.

فما هو مصدر الفرح الذي يوصي به لنا روح الله هنا؟ ما هو أساس وجوهر تلك الشركة مع الآب ومع ابنه التي نحن مدعون إليها؟ وما هو نبع هذه المتعة الإلهية؟ ما الذي يجعل المسيحي يبغض الشر ويحب الخير بحسب الله، وما الذي يجعله يطرد الشكوك والمخاوف إلى الأبد، يقترب إلى الآب بكامل الثقة ويفرح ويبتهج في الابن؟ لا يمكن أن يكون ذلك أو شيء منه بدون الإيمان في كفارة المخلص، ولكن القدرة لاقتباله والتمتع به كامنة في الحياة، الحياة الأبدية، حياة المسيح.

ومع ذلك فإننا لو تطلعنا إلى أولاد الله لوجدناهم مختلفي المقاييس. ولو أتيح لنا أن نقيس حالة جميع أولاد الله لوجدنا أن لكل منهم مقياساً مختلفاً. فنحن نختلف في إظهار حياتنا الروحية، فيما يتعلق بممارستها، كما نختلف في مظاهر الحياة الطبيعية. لا شك أن الحياة الجديدة هي في جميعنا، غير أن الحياة القديمة تتداخل (وكان ينبغي ألا تتداخل) فتنشئ هذه الاختلافات. ولهذا من المحال أن نجد حالة ترضينا في مشهد متقلب كهذا. قد نجد في أحد القديسين قدراً من مظاهر الحياة الجديدة أكثر نسبياً مما نجده في قديس آخر. ولكننا إذا شئنا أن نعرف الحياة في كامل حقيقتها فلنرجع إلى المسيح كالحياة الأبدية ذاتها بلا أدنى خلط أو غموض. هناك فقط نشاهد الحياة الأبدية في كل كمالها ونحن نتتبع الرب يسوع كما تقدمه لنا الأناجيل. ألسنا نجد هناك البر والنعمة، الجلال والخضوع، الهيبة واللطف، الغيرة المتقدمة ووداعة القلب، الطهارة في نفسه والعطف على الآخرين، المحبة لأبيه، والمحبة للقديسين، والمحبة للخطاة، وفي الوقت نفسه الإنسان المطيع حالة كونه الكلمة الإلهي والابن؟ هذا كله أضاء من خلال حجاب الجسد، في ذاك الذي هو الحياة الأبدية. ولن نجد في غيره هذه الحياة بكمالها.

وأي شيء ألزم وأهم - إذا كانت لنا الحياة في الابن - من أن نعرف بوضوح في مختلف الظروف ما هي حقيقة هذه الحياة؟ إنها حياتنا، ودستور حياتنا، وقد أخبرنا بها الروح القدس بتخصيص لا مثيل له في كل الكتاب المقدس. لقد كان سروره (ولازال) أن يعطينا في كلمة الله أعمق النظرات في موضوع مسرة الأب، لكي يكون لنا في الشركة فرح معرفة أنها حياتنا الجديدة وأنها أيضاً مقياسنا الدائم للحكم على الذات ومثالنا الأسمى للسلوك. بهذا يصير فرحنا كاملاً، ونصبح لا شيء في نظر أنفسنا من فرط شعورنا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بتقصيرنا. هذا في الواقع ما يحتاجه المسيحي من الله، وهذا هو بذاته ما أعداه لنا أبونا في المسيح.

و يا له من درس خطير نتعلمه من احتفاظ سيدنا بصفة العبد! وكم كانت هذه الصفة مبعث رائحة زكية متصاعدة إلى الآب باستمرار لسروره ورضاه! وإذا كان في سيدنا شيء واحد لم يتعطل أبداً، فهذا الشيء هو الطاعة. طاعة بيه مهما كانت الكلفة. طاعة في كل كلمة وفي كل عمل، في أصغر الأشياء وأعظمها. "غيرة بيتك أكلتني". لقد اشترك آخرون في أمر القوة. ولكن من غيره لم يعمل أبداً إرادة نفسه بل إرادة الآب؟ وهكذا في الآلام، والهوان، والتعييرات، والشتم والافتراء وأمثالها من الأمور التي تمتحن القلب – في هذه كلها اتضع رب المجد الوديع إلى أقصى حدود الاتضاع. ومع أنه كان يشعر شعوراً عميقاً بهول الويلات التي يجلبها مثل عدم الإيمان هذا على أصحابه الكورزيين وأمثالهم المستكبرين فإنه في تلك الساعة عينها (ساعة احتقاره ورفضه) يتحول إلى أبيه بالشكر والخضوع المطلق. وإذا كان الشعب المحظوظ ولكنه المتكبر قد رفضه رفضاً أعمى، فإن النعمة تعلن للأطفال ما كان مخفياً عن الحكماء والفهماء في عيني أنفسهم. تلك هي أعمال وإعلانات الحياة الأبدية. لو أنها كتبت جميعاً واحدة فواحدة كما تستحق فإن العالم نفسه لا يسع الكتب المكتوبة كما يقول رسولنا في ختام إنجيله. فالكتاب المقدس إنما يضم بين دفتيه مختارات انتقاها روح الله. ومن هو كفء لهذه الأمور غيرة؟ فقد أعطانا في الكتاب طعام الله كطعامنا لأن لنا فيه الشركة ما للآب في الابن وما للابن في الآب. وهذا ليس نصيب الرسل فقط بل نصيب كل مسيحي بالحق، نصيب عائلة الله.

انظر إلى موسى الذي كانت له مكانته الفذة في علاقته بفداء إسرائيل والناموس والاشتراع.، باعتباره كاتب الأسفار الخمسة. ومع ذلك ما أقل ما نعرفه عن موسى شخصياً! لقد أخفى نفسه، أحلم جميع الناس، إلى أن جاء المسيح. ولكن من هو موسى بالمقارنة مع سيدنا؟

ثم انظر إلى بولس الذي يشغل حيزاً لا مثيل له بين الرسل وفي العهد الجديد. ومع ذلك فليس لدينا عنه سوى لمحات خاطفة، وكم ود الكثيرون لو كانت لديهم معلومات أكثر عنه.ولكن شخصيته القوية، وكذلك شخصية بطرس ويوحنا – بين المشهورين – تفصلهم بمراحل عن ذاك الذي كانت كل صفاته ومميزاته في انسجام تام. لقد برزت فيهم بعض الأشياء دون غيرها، بخلاف سيدنا الذي كان الإنسان الكامل لله والإله الكامل للإنسان فضلاً عن مركزه كالابن في دائرة أقانيم اللاهوت الذي لا يوصف.

فالحياة الأبدية إذن ليست هي مجرد المسيا في كمال الناسوت، بل هي الكلمة وابن الله في جسد تهيأ له ولو أنه ابن العذراء. إن اتحاد اللاهوت بناسوت ربنا يسوع هو سر العجب في

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

شخصيته هنا على الأرض، وسر بركة ظهور الحياة الأبدية فيه. وهذه هي الحياة الجديدة للذين يؤمنون، لك ولي. فعندما تقرأ عن شخصه المحبوب في أسفار الحق، مكرمين إياه كما نكرم الآب، وواجدين فيه بواعث عجيبة على المحبة التي يحس بها كل مسيحي، هل يقول كل واحد منا، ونعمته وحقه يضيئان في قلوبنا – هذه هي حياتي، وهذه ي حياتك أيها الأخ؟ أليس لنا بها شركة مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح؟ و أليست هذه البركة العديمة النظير تملأ قلوبنا بفرح لا ينطق به ومجيد؟

لقد صرنا جميعاً بالإيمان بالمسيح شركاء بفضل الحياة الأبدية. وأول نواحي البركة أن لنا شركة مع الآب. وكيف لنا هذه الشركة؟ لأن لنا ابنه يسوع المسيح؟. إن سرور الآب في الابن، وهكذا سرورك وسروري. فالآب وأولاده لهم سرورهم العميق، سرورهم الواحد المشترك، في الابن. الآب أرسل الابن وأعطاه لنا، ونحن لنا هذه الحياة العجيبة لأن لنا الابن، وهو بكل ما حوى من صفات ومشتهيات لا بد وأن يكون موضوع مسرة من لهم الحياة الأبدية. غير أن الآب وحده هو الذي عرف الابن معرفة كاملة. وهو لذلك يقدر الابن تقديره الصحيح الجدير به وهذا ما لا نجرؤ أن نقوله عن أنفسنا، ولو أننا نملك الابن ونحبه ونسر به – وهذا كله بروح الله وعلى قدر طاقتنا وقياسنا. وهذه هي الشركة مع الآب في الابن يسوع المسيح.

ولكن كيف لنا شركة مع ابنه؟ لنا شركة معه في الآب الذي هو أبوه وأبونا. لقد كان الابن في علاقة أزلية مع الآب. وقد شاءت مسرته بالاشتراك مع مشيئة أبيه ونعمته أن يعلنه لنا كأبينا (قارن يو ٢٠: ١٧). فلم يكن كافياً أن يرينا الآب. هذا كان يكفي الرسول فيلبس، كما قال أرنا الآب وكفانا، ولكنه لم يكن المحبة الإلهية. لقد كان شوق الآب أن يكون لنا بمعنى الكلمة وأن نكون نحن أولاداً له. ولذلك فنحن الآن أولاد الله وبالتبعية لنا شركة مع الابن بالنعمة، كما أن الآب له الابن في حقوق اللاهوت.

وهكذا لنا شركة مع الآب لأن لنا الابن، ولنا شركة مع الابن لأن لنا الآب. وهل يمكن إلا أن يكون فرحنا كاملاً؟ إن السماء نفسها والمجد الأبدي يتضاءلان أمام هذه البركة العظمى، مع أن لنا كليهما أيضاً فلو كنا عرفنا عن هذه الشركة دون أن تكون لنا، هل كان يمكن أن يكون فرحنا كاملاً كما هو؟ إننا لا ننتظر لحين ما ننطلق ونكون مع المسيح لتكون لنا هذه الشركة، ولا حتى إلى أن تتغير أجسادنا على صورة جسد مجده عند مجيئه. فهي لنا من الآن وليس سوى عدم الإيمان هو الذي يحرم أي واحد من أولاد الله من التمتع بها الآن وعلى الأرض. وفضلاً عن ذلك فقد أعطينا الروح القدس شخصياً كالقوة الإلهية للاستمتاع بهذه الشركة. فالابن قد جاء هنا على الأرض ولولا مجيئه لما كان ممكناً لنا الحصول على هذه الشركة أو على شيء منها على الإطلاق. ولذلك فبحضوره على الأرض لتحقيق هذه الغاية (لكي يكون لكم أيضاً معنا) يبدأ الرسول تعليمه هنا واضعاً أساس الشركة الإلهية في

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الحياة الأبدية التي هي الوسيلة الوحيدة للتمتع بهذه الشركة كنصيبنا. فبدون الحياة الأبدية ما كان ممكناً أن تكون لنا شركة، لأنه لا يكون هناك إلا الجسد الذي لا يمكن أن تكون شركة معه. ولذلك رأينا الرب يعلن مراراً وتكراراً أن معرفة امتلاك الحياة الأبدية من الآن هي أمر جوهري للمسيحية ولهذه الشركة التي هي أغنى وأفخر هبات المسيحية وذلك بفضل الحياة الأبدية التي فيه – في ذلك الذي أوصلها إلينا.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الرسالة الأولى: الخطاب الثاني

١ يو ١: ٥ – ١٠

"وهذا هو الخبر الذي سمعناه منه ونخبركم به، أن الله نور وليس فه ظلمة البتة، إن قلنا أن لنا شركة معه وسلكنا في الظلمة نكذب ولسنا نعمل الحق. ولكن إن سلكنا في النور كما هو في النور فلنا شركة بعضنا مع بعض ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية. إن قلنا أنه ليس لنا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا. إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم. إن قلنا أننا لم نخطئ نجعله كاذباً وكلمته ليس فينا".

لقد رأينا أن الأربعة الأعداد الأولى تحدثنا عن ظهور الله في ابنه الإنسان يسوع المسيح، كلمة الحياة. ذلك لأنه مع الإقرار تلميحاً وتصريحاً بأنه الله فإن الوحي يحرص كل الحرص على أن يبرهن ويؤكد بكل أنواع البرهنة والتأكيد (بالسمع والمشاهدة واللمس) الحقيقة الأخرى الكلية الأهمية وهي اتخاذه الناسوت في وحدة مقدسة مع شخصه العجيب له المجد.والواقع أنه كان لابد من ذلك لإعلان نعمته ووضع الأساس الكامل الضروري لكل ما نفتخر به في المسيح الرب. وهذه في الحقيقة هي المسيحية من ناحيتها الإيجابية لأن يوحنا لم يقل لنا شيئاً بعد عن ضرورة حمل الرب لخطايانا وإدانة الخطية في الجسد لأجلنا. ولا شك أن الفرق بين الأمرين جد عظيم.

أو ليس يحق للمرء أن يفترض أنه لو طلب إلى أي مسيحي في العالم أن يكتب عن المسيحية، أفما كان يبدأ بنقطة الخطاة الهالكين وحاجتهم إلى الخلاص؟ ولكن كم هو أمجد وأبرك أن يبدأ بالمسيح في ملء نعمته؟ وهذا هو عين ما يفعله روح الله هنا. فهو لا يكتب لكي يعرف الخطاة الهالكين كيف يتبررون أمام الله، ولكنه يكتب الرسالة لأولاد الله لكي يكون فرحهم كاملاً. وأي شيء في السماء أو الأرض يمكن أن يملأ النفس بفرح كهذا كما يملأها الله في المسيح؟

من الواضح أن المسيح مقدم في هذه الأعداد العجيبة كإعلان الحياة الأبدية أو ظهورها مدعواً هو نفسه شخصياً "الحياة الأبدية التي كانت عند الآب" وأيضاً "كلمة الحياة" باعتبار أنه هو الذي عبر عن هذه الحياة لخاصته لكي يكون لهم هم أيضاً حياة فيه.

ذلك هو أساس الامتياز العجيب الذي يتكلم عنه الرسول "شركة مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح". فمن المستحيل أن يكون لنا هذا الامتياز ما لم يكن لنا المسيح كحياتنا. ومن هنا كانت أهمية وخطورة هذا الحق الأساسي وهو التأكيد من امتلاك الحياة الأبدية بالإيمان في الوقت الحاضر. لا شك أن هذه الحياة هي في المسيح، ولكنها ممنوحة لنا من الآن، وكل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إنكار أو إضعاف لهذه الحقيقة الجوهرية إنما هو في الواقع من عمل العدو ومساهمة معه في عمله القتال بطريقة ماكرة فعالة.

ولكن النعمة، مهما كانت لفرحنا، ليست الكل. ومن الأهمية القصوى لنا أن نحمل في بالنا وأن نعرف من بادئ الأمر أن أبانا (وهو الوارد ذكره بصريح العبارة في الأربعة الأعداد الأولى) هو أيضاً الله (وهو موضوع الفصل الذي أمامنا الآن وإنه مهما كان فيضان النعمة فإن حقيقة طبيعته القدوسة لها ارتباطها المباشر وبنفوسنا. وإلا فماذا نحن؟ لسنا أكثر من نحاس يطن أو صنج يرن في أحسن حالاتنا. ولكن هذا هو "الخبر" الذي لا يمكن فصله عن - "الظهور" – ظهور الله في الناسوت في شخص المسيح آتياً بنا إلى الشركة مع الآب ومع ابنه. وما كان لنا بكل يقين أن نتمتع بالفرح النابع من تلك الشركة أو بالحياة الأبدية التي هي أساسها ما لم يكن لنا شركة في طبيعة الله الأدبية. إن النعمة والحق قد صارا بالمسيح. والحق الذي أعلنه هو أنه إله يكره الخطية، وبالأكثر كثيراً الآن بعد أن صار الله معروفاً كالآب، أكثر بما لا يقاس مما أعلن عندما كان يعبده شعبه قديماً كالرب أو الرب-الكائن.

فقديماً كان يسكن الضباب، ولو أن ذلك كان مرتبطاً بنتائج عظيمة وغنية تتعلق بحياة الشعب وممارستهم كالتمتع بصلاحه وبره وقوته في الحكم وعطفه وطول أناته ومواعيده، مع نبوات مباركة تتعلق بالمستقبل وآمال مجيدة سيتممها بكل تأكيد في الوقت المعين لأن الرب هو الإله السرمدي ولا بد أنه سيحقق للأبناء مواعيده للآباء. ولكن قبل أن يطلع فجر ذلك اليوم على الأرض لا بد أن يجيء خراب اليهود والعالم بأسره بسبب رفضهم للمسيح. والمسيحية نفسها تفترض هذا وتدل عليه لأنه أي برهان على الخراب أقوى من أن اليهود والأمم قتلوا الرب يسوع؟ فبهذا العمل قد طرد الإنسان الله في شخص المسيح من عالمه، وقد فعل ذلك في كراهة وامتهان لا حد لهما يوم أن بصقوا على وجهه وسمروه على الخشبة. أليس هذا هو العالم في مجموعه، بل العالم في أحسن حالاته؟ ليس فقط روما أو بابل مدينة الكلدانيين الذهبية – بل أورشليم. آه يا أورشليم يا أورشليم، يا قاتلة الأنبياء، والصالبة الآن مسيحك، مسيح الرب!!

ومع ذلك وفي مواجهة ذلك البرهان القاطع والدليل الساطع على أنه ليس في الإنسان شيء صالح وأن أعظم الأجناس ذنباً هم الذين كانت لهم أحسن الامتيازات الدينية التي يمكن أن يعطيها الإنسان في الجسد ولكنهم استخدموها شر استخدام بسبب عدم إيمانهم – نقول أنه رغماً عن هذا كله فإن النعمة قد دبرت أن يكرز لجميع الأمم باسم الرب يسوع للتوبة ومغفرة الخطايا "مبتدئاً من أورشليم". يا لها من نعمة غافرة لأناس لم يستحقوا سوى الدينونة الغامرة! وهي نعمة لن تنحصر داخل حدود إسرائيل الضيقة بل تخطتها وتفجرت ينابيعها من كل جانب متجهة إلى كل أمة وأرض ولسان. فقد قصد الله أن يملأ بيته في

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الأعالي بالمدعوين بفضل ظهور الحياة الأبدية التي كان لا بد من إعلانها لكل العالم من ذلك الوقت فصاعداً. نعم إن الحياة الأبدية ظهرت بيننا، ولكن ما أقل الذين عرفوها. والذين عرفوها، ما أقل ما أدركوها. ولكن ها هو الروح القدس (بقلم حنا الحبيب) يعلن هذه الحياة الأبدية بكل وضوح يوم أن ظهر بكل أسف خراب الكنيسة الاسمية كما ظهر خراب العالم من قبل ولو أن خراب المسيحية وقتذاك لم يكن في شناعته كما هو الآن وإن لم يكن يقل عنه مكراً وخديعة، فإن جميع الشرور التعليمية، بل أفظعها، بدأت تنبت في ذلك الوقت، حتى انه ما من شر ظهر وترعرع بعد ذلك إلا وكانت جرثومته موجودة قبل أن يرقد الرسل. ولهذا السبب جاءت هذه الرسالة المباركة لكي تثبت قلوب جميع المؤمنين في النعمة والحق وتعرفهم أنه مهما كان الفشل في المسئولية ومهما كان الانحراف الآخذ في الانتشار فإن المسيح باق هو هو لا يتغير ولا يمكن أن يتغير "الذي كان من البدء" لن يخذل الإيمان مهما كان الخزى الذي يلحق المستهينين باسمه ومهما كانت الخسارة المميتة التي تصيب المرتدين. حقاً أنه لأمر غريب ورهيب أن يستخف الإنسان بالمسيح، وكم هو مؤلم ومحزن أن يصل الأمر بأحد إلى مثل هذا التهاون والاستخفاف ولكن كم هو أشد إيلاماً وحزناً أن يصل مسيحي إلى هذا الدرك من الانقياد الأعمى فيصبح آلة في يد العدو وأداة شرك كهذا الشر القاتل المريع.

غير أن ظهور النعمة الكاملة (الفصل الأول من إصحاحنا) يسير معه جنباً إلى جنب خبر القداسة (الفصل الثاني). والقداسة كالنعمة تماماً هي أيضاً شيء جدير بالله ولازم للقديسين. فما هو إذن مضمون هذا الخبر؟ "وهذا هو الخبر الذي سمعناه منه". إذن فهو خبر سمعوه منه وليس عنه، وهذا مما يزيده خطورة. سمعوه م المسيح ومن ثم أخبرونا به "ونخبركم به أن الله نور وليس فيه ظلمة البتة" هنا نرى شيئاً جديداً غير الظهور. كان الظهور "من جهة كلمة الحياة" – أي ظهور نعمة الله المطلقة في المسيح. أما الخبر الذي نحن بصدده فليس "من جهته" أي عنه بل "منه" – ليس ظهوراً للمحبة بل خبراً أو رسالة ضد الخطية. إن من عادة يوحنا أن لا يفرق في التعبير بين الله والمسيح وذلك لأن المسيح هو الله. وهنا نراه يستخدم هذه العادة لأول مرة فينقل إلينا خبراً "منه" والضمير هنا قد يقصد به الله ولكن رسول كان يتكلم تواً عن المسيح، وهذا التحول أو الانتقال التعبيري كان مثار حيرة لدى بعض المفسرين، ولكنه في الواقع جمال وليس نقصاً أو عيباً. وهذا الخبر من يرينا أن الله نور بالنسبة لمقامنا وحالتنا (وهذا النور هو أيضاً فيه أي في المسيح).

لقد كان طبيعياً أن يتخذ الوثنيون من الغموض والظلام (كايوس) أباً لآلهتهم (آريوس) و (نكس)[١] فقد كان الظلام جوهر البعض منهم، وكانت الظلمة الأدبية ميزة جميع من أسموهم إلهتهم، إذ كانوا جميعاً آلهة ظلمة وشهوة وكذب. ولكن ليس هكذا إلهنا. ففيه لا توجد ظلمة البتة. والمسيحية هي التي تبرز هذه الحقيقة بغاية الوضوح من حيث الجوهر

 All rights reserved © 2008-2018

والمبدأ والواقع في حين أن اليهودية لا تفعل ذلك إلا جزئياً لأن الله في اليهودية كان باعترافها الصحيح يسكن الضباب ومن هناك كان يصدر تهديده بالموت لكل من تحدثه نفسه بالدنو منه أو مخالفة ناموسه بأية صورة كانت. إذ الناموس لم يكمل شيئاً (عب ٧: ١٩). أما نحن فنستطيع أن نقول بلا أقل تحفظ أن الله نور. لقد برهن على محبته برهاناً كاملاً، وما من شيء يمكن أن يقارن بنعمته في المسيح كما تطالعنا بها الأعداد الافتتاحية، ولكنه نور أيضاً. كلنا نعرف كم هو شائع بين الناس أن يتغنوا بالله كمحبة، وهم في الواقع يذهبون في هذا إلى حد الإفراط حتى قالوا ليس فقط أن الله محبة بل أن المحبة هي الله. وذلك لا شك منتهى غباوة العقل البشري الذي يريد أن يجعل وثناً من الله. أما عن الخبر أنه نور فما أقل حديثهم. ولكن إن كان حقاً أن الله محبة، وهو حق لا ريبة فيه، فإنه تبارك اسمه أكثر من مجرد كونه محبة. أن "النور" كلمة متقدة تعبر عن طهارة طبيعته الذاتية المطلقة بينما "المحبة" تعبر عن نشاط طبيعته المطلق نحو الآخرين وفي ذاته له المجد. فلا يمكن أن تكون هناك تضحية لنوره على حساب محبته. والحق أنه لو كان الأمر هكذا لكان في ذلك خسارة كبرى لأولاده. أما الواقع فإنها فكرة مغلوطة بقدر ما هي مستحيلة. "الله نور وليس فيه ظلمة البتة" ولهذا هو لا يحتمل أي ظلمة في خاصته الذين جعلهم أحراراً في حضرته، وصارت لهم شركة معه. وكل ما يقال غير ذلك إنما يناقض المسيح بالمسيحية. إننا نقرأ في مكان آخر أننا كنا قبلاً ظلمة نحن الذين الآن أبناء نور. ولكن هذا لم يكن من اختصاص يوحنا إذ سبق فأنبأنا به الرسول بولس.

ولكن ما يقوله يوحنا هنا هو أيضاً من أهم وأخطر الحقائق لأنه يتناول بالإنكار والتفنيد أموراً أقل ما يقال عنها أنها بعض متناقضات النصرانية التي تتعارض تماماً مع المسيحية. ففي الأعداد من ٦ – ١٠ نجد عبارة "إن قلنا" تتكرر ثلاث مرات، ولكل مرة خطورتها وأهميتها القصوى. أولاً "إن قلنا أن لنا شركة معه وسلكنا في الظلمة نكذب ولسنا نعمل الحق" وهل من برهان أو دليل أقوى من هذا على الانحراف عن صميم طبيعة المسيحية؟ إن القوم يقولون ولا يفعلون. لقد كانت هذه الظاهرة مرذولة للغاية في إسرائيل، فكم هي محزنة لنا نحن الذين ولدنا بكلمة الحق وبعد أن جاء النور والمحبة في أبدع وأكمل صورهما !! مع ملاحظة أن ضمير المتكلم الوارد بصيغة الجمع هنا "إن قلنا أن لنا شركة معه" (وفي الموضوعين الآخرين) يقصد به معترفون بصفة عامة بينما في أماكن كثيرة من الكتاب يقصد به المؤمنين سواهم.

ومن هذا نتعلم أنه من الخطأ أن نؤسس قاعدة الانتقاد من الاستخدام الجزئي لكلمة ما، فقد سمعت الكثيرين بأذني يأخذونها قضية مسلمة أن الضمير "نحن" يقصد به دائماً عائلة الله. صحيح أن هذا هو الغالب. ولكن الأمر ليس كذلك لكل حالة. فالرسول بولس مثلاً إذ يقول "الذي به نحيا ونتحرك ونوجد" كان يقصد البشرية بصفة عامة ولو أنه كان يوجه كلامه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إلى الأثينيين من عباد الأصنام. ثم أن هناك مبدأ تعامل الله مع الأشخاص طبقاً لاعترافهم، وهنا يتكلم الرسول يوحنا عن الانحرافات عن الحق التي بدأت في يومه وانتشرت في العالم المسيحي في يومنا. ولا تنسى أن مجال الاعتراف الكلامي في المسيحية أوسع بكثير مما كانت تسمح به اليهودية لأن الإنسان كان لا بد أن يثبت أنه يهودي الجنس قبل أن يعترف به كذلك لأن المسألة كانت تتعلق بالعلامات الخارجية في حين أن أي إنسان غير مسيحي يمكن أن يدعي أنه مسيحي ويظل معترفاً به كذلك وقتاً طويلاً. وبدون أن يكون مخادعاً للآخرين فإنه قد يخدع نفسه ويظن أنه مسيحي. ولذلك فإن الغرض الذي يهدف إليه الخبر المذكور هنا هو امتحان الاعتراف الشفوي بالمسيحية. ونظراً لأن المعترفين كانوا يسمون اسم الرب فإن الرسول لا يستبعد ضمير المتكلم الجمع "إن قلنا" ولو أن حالة الكثيرين كانت تستوجب أخطر التشكك في حقيقتهم أمام الله.

فلكي يتسنى لنا والحالة هذه أن نفصل الكلمة باستقامة ونفهمها على حقيقتها نحتاج إلى إرشاد الروح القدس. ومن المهم أيضاً أن ندرس القرينة التي تعين على الوصول إلى المعنى. وهذا النوع من الدرس والتأمل الذي يتيحه لنا الروح القدس هو بلا نزاع أفضل لنفوسنا ولمجد الله مما لو كان كل شيء سهل المأخذ ومحدد القصد والتعريف تحديداً صناعياً. ولا ننسى أيضاً أن الله يتعامل معنا كأبناء، وأننا قد وصلنا إلى البلوغ طالما كنا في المركز الصحيح كمسيحيين فلسنا بعد أطفالاً يتعلمون ألف باء المسيحية، ولسنا فقط نتهجى الكلمات بل نقرأها ونفهمها بالنعمة طالما نكون قد تقدمنا بعض الشيء في معرفة الله وتقدمه. والله ينتظر منا نمواً حقيقياً. وهنا يحق لنا أن نتساءل أليس من المحزن إزاء هذا أن نجد كثيرين من المسيحيين يرضون بأن يبقوا طوال حياتهم عند الأركان الأولية، قانعين كل القناعة بالرجاء أن خطاياهم مغفورة أو أنها سوف تغفر؟

والذي نخشاه فضلاً عن ذلك هو أن الأشخاص الذين يقنعون بالامتياز الأول من امتيازات نعمة الله قد يكونون خادعين نفوسهم خداعاً خطيراً. إن الإنجيل يعلن غفران الخطايا والإيمان يتقبل هذا عن كلمة الله. وإذ تستريح النفس على فداء المسيح فإنها تعطى الحياة الأبدية والروح القدس للتمتع بمحبة الآب لنا. وإن كنا نحيا الحياة التي هي المسيح، ألا ينبغي أن يكون هناك نمو في الإنسان الباطن يظهر ليس فقط في الخدمة الخارجية الملحوظة بل في النعمة وفي معرفة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح؟ من الواضح أ، الرسائل الأخيرة عنيت بصفة خاصة بالتحذير ضد هذا الشر بالذات – وشر الاكتفاء بالاعتراف الكلامي – ولكني، على قدر ما يسوغ لي أن أحكم، لست أظن أن أحداً تناول هذا الموضوع بأسلوب عميق نظير الرسول يوحنا وبخاصة في رسالته الأولى التي نحن بصددها.

"إن قلنا" – وما اكثر القول المجرد – "إن قلنا أن لنا شركة معه" فهذا معناه أننا حصلنا على ثمرة قبولنا المسيح ونوالنا هبة الحياة فيه. لأن الحياة الأبدية هي أساس الشركة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الصحيحة مع الآب ومع ابنه، تلك الشركة التي من شأن التمتع بها يقودنا إلى تقدير فضائلها ليس فقط فيما يتعلق بالسلوك المسيحي، بل كذلك في السجود المسيحي وفي مناجاتنا المسيحية مع الإله الحي كأبينا ومع ابنه. فقول "أن لنا شركة معه" يفترض دخولنا في علاقة جديدة مع الله بالنعمة، ومشاركتنا إياه في طبيعته وفي فكره وعواطفه. وهذا شيء خطير وعظيم للغاية حيث تعوزنا نعمة الله الحقيقية للثبات في نوره كما في محبته. إن الكلام هنا عن "الله". أما "الآب" فقد ورد ذكره في الفصل الافتتاحي الذي يحدثنا عن النعمة وظهورها في أكمل وأتم صورها. ولكن هنا نرى شيئاً يتعارض على خط مستقيم من مقتضيات النعمة الحقيقة "إن قلنا أن لنا شركة معه وسلكنا في الظلمة". ما هذا؟ إن السلوك في الظلمة هو ما يفعله إنسان العالم، وهو يصف الإنسان الذي لم يتجدد قط. وهو يعني أكثر جداً من مجرد السقوط في خطية أو الانحدار في حالة روحية واطئة. هذا المعنى الضيق هو ما فهمه من هذه العبارة جماعة البيورتان[٢] ومع أنهم كان أناساً أتقياء حقاً وجديرين بكل احترام إلا أنهم كانوا ضيقي الفكر وأقرب إلى العهد القديم منهم إلى العهد الجديد. كانوا بروحهم تحت الناموس وهو وضع يقود دائماً إلى إظلام البصيرة وإفساد التمييز الروحي فإن النعمة وحدها هي التي توسع القلب وتقود الذهن بإرشاد الروح القدس إلى إدراك مشورات الله السماوية وطرقه المتعلقة بالأرض. أما هم فكانوا قصيري الإدراك من هذه الناحية الهامة فانحدروا إلى هوة المشغولية بالذات التي هي النتيجة الحتمية لوضع القديس تحت الناموس.

أما القوم المشار إليهم هنا فلم يكونوا مشغولين هذه المشغولية ولم يحكموا على أنفسهم قط أمام الله. لا شك أنه كانوا معمدين وقد ضموا إلى شركة الكنيسة، ولكن يظهر أنهم لم يفكروا في أكثر من ذلك. فالنقص لم يكن في الزرع الجيد بل في التربة وحتى إذا كانوا قد قبلوا الكلمة بفرح وفي الحال فإنه لم يكن لهم "أصل" في ذواتهم كما يقول السيد لأنه لم يكن فيهم عمل إلهي على الضمير. هؤلاء وأمثالهم قد يؤمنون بطريقة بشرية إلى حين ولكن في وقت التجربة والامتحان يرتدون ويرجعون، أو إن استمروا وقتاً كما هو الحال هنا، فهم أموات بينما لهم اسم أنهم أحياء. أما وقد اعترفوا باسم الرب بصورة ما فإنهم قد اعتمدوا بالماء وانضموا إلى شركائهم المسيحيين. ألم يتمموا كل الشروط؟ أما كل تدريب نفسي بعد ذلك فلم يدخل في حسابهم ولذلك لا نقرأ عنهم شيئاً صالحاً. ومن أسف أنه حتى في أيام يوحنا وجد الفريق من الناس! نعم حتى في ذلك الوقت وجد أناس يسلكون في الظلمة ومع ذلك يدعون أن لهم شركة مع الله، حيث أن هذا هو حال المسيحي الحقيقي، وقد فاتهم أن الاعتراف المسيحي الصحيح معناه أننا تحررنا من الخطايا ومن الذات ومن سلطان الشيطان، وأننا تركنا الظلمة وراءنا، وأننا مدعوون حتى ونحن هنا على الأرض إلى نوره العجيب، وأننا في ذلك النور نسلك. أما هؤلاء الأشخاص غير المتجددين فكانوا يدعون أن لهم شركة مع الله، فيجابههم الرسول قائلاً "إن قلنا أن لنا شركة معه وسلكنا في الظلمة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

نكذب ولسنا نعمل الحق" وهذه حالة لا يمكن أن تعالجها المعمودية أو الأفخارستيا بحال من الأحوال. هي حال قوم لم يكونوا متجددين مطلقاً، ولم يتقابلوا قط مع الله في المسيح بخصوص خطاياهم، وإيمانهم كان إيماناً جسدياً كتوبتهم. فلا الضمير تدرب قدام الله ولا هم أحسوا إحساساً صادقاً بحاجتهم إلى نعمته التي منحها الإيمان.

إن كل امتياز يقابله واجب، وكل مقام تقابله مسئولية. وهؤلاء القوالون غير الفعالين لم يكونوا مسئولين كمجرد بشر فحسب، وهي المسئولية التي تنتهي بالخطية والموت والدينونة، بل إن مسئوليتهم كانت أعظم من ذلك بكثير كأناس يسمون اسم الرب. فبسلوكهم في الظلمة كانوا ينكرون عملياً المسئولية الجديدة التي ينطوي عليها الاعتراف عملاً وقولاً بالإنسان الثاني، آدم الأخير، المسيح نفسه، وما كان ممكناً أن تكون لهم شركة مع الله كالله، فضلاً عن الشركة مع الآب ومع ابنه التي هي تعبير المسيحية السامي عن الشركة. فهم في الواقع كانوا يسلكون في الظلمة، كأن المسيحية في نظرهم لا تعدو مجرد مذهب أو عقيدة يستطيع العقل البشري أن يعترف بها ويفهمها بطريقة خارجية طبيعية. ولكن هذا منتهى العمى عن كلمة الله. وهل للظلمة أي اتفاق مع الحياة الأبدية؟ كلا على الإطلاق. إن الحياة الأبدية، كما وصفها الرب نفسه، هي معرفة الآب، الإله الحقيقي وحده، وابنه يسوع المسيح الذي أرسله. فإن كنت أنت، بواسطة تعليم الله، وتعرفه، فمعنى ذلك أن المحبة الإلهية قد أتت بك إلى الشركة مع كليهما، مع الآب ومع الابن.

تلك كانت صورة الأدعياء الذين كانوا يقولون أن لهم شركة معه دون أن يكون لها أي تأثير حتى على سلوكهم اليومي وأغراضهم وطرقهم وأهدافهم على الأرض. هل رأيت مسيحيين من هذا النوع؟ أما رأيت الكثيرين منهم؟ وأليست هذه حقيقة خطيرة لضمير كل معترف؟ وهل واجهت أنت نفسك هذا الحق مواجهة جدية؟ إن النفس عندما تربحها نعمة الله، تحب الحق وترحب به. حيثما قادها ومهما كلفها داخلاً وخارجاً. والسلوك في النور معناه أنك تسلك من الآن فصاعداً في حضرة الله المعلن إعلاناً كاملاً،وهكذا هو أمرك معه على الدوام وفي كل الأوقات – في النور. لا شك أن هناك خطر التناقض والتقلب. من ذا الذي لا يعترف بأننا جميعاً معرضون للفشل في دوام السلوك طبقاً لالتزاماتنا الجديدة؟ ولكن هذا أمر آخر، إذ يجب أن نلاحظ هنا أن الكتاب لا يقول كما يفهم الكثيرون خطأ "إن سلكنا بحسب النور" فإن واحداً فقط دون سواه هو الذي فعل ذلك وبصورة كاملة. هو وحده الذي حين سئل "من أنت؟" أجاب "أنا من البدء ما أكلمكم أيضاً به" (يو ٨: ٢٥). هو المخلص، ابن الله، ومع ذلك هو الإنسان. هو وحده سلك بحسب النور، كما كان بالحقيقة هو النور، النور الحقيقي، الحياة الأبدية.

لكن نحن المؤمنين أيضاً قد دعينا من الظلمة إلى ذلك النور العجيب. ألا يقال هذا عن كل مسيحي حقيقي؟ فإذا كنت قد دعيت إلى ذلك النور العجيب، هل يحرمك الله من النور لأنك

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

تفشل؟ كلا البتة. ففي النور نحن نسلك. ومنذ الآن قد صار لنا نور الحياة ولا نسلك في الظلمة. قد تتصرف بسبب عدم الانتباه والسهر تصرفاً غير جدير بالله. وقد تنزلق وقتاً ما إلى مبدأ مغلوط أو تصرف خاطئ، ولكن لا هذا ولا ذاك يقودك إلى الظلمة أو يأخذ منك النور. إن كنت مسيحياً حقيقياً وقد دعيت من الظلمة، فأنت في النور تسلك، وكل ما هناك أنك تفقد التمتع بالشركة إلى حين وتحتاج إلى رد نفسك كما سنرى بعد قليل كيف يتم ذلك، ولكن هنا قوم مسيحيون بالاسم يدعون من حيث المبدأ أن لهم شركة مع الآب والابن، مع الله نفسه، ومع ذلك يسلكون في الظلمة بلا مبالاة كأي إنسان غير متجدد.قد توجد بين بعضهم البعض فروق عظيمة سطحية: فترى البعض مؤدبين محترمين، والبعض الآخر على عكس ذلك على خط مستقيم. وقد يدعي البعض بأنهم متمسكون بحذافير الدين نظير الفريسي في الهيكل الذي كان يحتقر الآخرين ولاسيما "هذا العشار". ولكن ماذا كان فكر الله عن الاثنين؟ وماذا كان حكم الرب عن كل منهما؟ وأليس هذا لتعليمنا الآن؟ قد لا نكون عشارين بمعنى الكلمة، ولكن لا بد لنا أن ندخل بالإيمان إلى قدس الأقداس إن أردنا حقاً أن نقترب إلى الله، فإني لست أشك أن فكرة الهيكل الأرضي فكرة لا أساس لها من الحق بعد إذ مضى المسيح إلى الأعالي وفتح لنا القدس السماوي.

ولكننا من ذلك نتعامل مع نفس الإله الذي تعامل ذلك الشعب القديم وإياه، مع هذا الفارق وهو أن الله قد صار الآن معلناً إعلاناً كاملاً . الأمر الذي لم يكن ممكناً حينذاك، وإلى أن انشق الحجاب. ولكن منذ موت المسيح قد ظهرت محبته وأشرق نوره بصورة كاملة لخلاص النفس – ليس لخلاص العالم بعد، ولا لخلاص إسرائيل كأمة، ولكن لخلاص المسيحي. وهنا نجد قوماً يسمون أنفسهم مسيحيين، يسلكون في الظلمة بينما يدعون بأن لهم امتياز الشركة السامي المقدس مع الله وفي الوقت نفسه ينكرون مسئوليتهم في صنع مشتئه. وماذا يقول الله عنهم وعنا؟ يقول إن فعلنا هذا "نكذب ولسنا نعمل الحق". أي نعم، الحياة كلها تكون أكذوبة لأنها تنكر المبدأ الجوهري والصفة الضرورية للمسيحي الذي هو ليس فقط غرض النعمة الإلهية ولكنه أيضاً يسلك في نور الله. فأنت لن تخرج فعلاً من ذلك النور ولا تستطيع الخروج منه كما لا يستطيع أن يخرج من النور الطبيعي إنسان يمشي في ساعات النهار حيث تضيء الشمس. هذا ما تعنيه المسيحية الحقيقية.

ثم بعد ذلك نرى الجانب الآخر المبارك في عدد ٧ – حيث يقرر الرسول مركز المسيحي الصحيح بصورة مؤثرة للغاية. فكما أنه يوجد ثلاث طرق بها يناقض النصاري بالاسم المسيحية ويكذبونها (لأن هذا في الواقع هو ما يقوله الرسول في الأعداد الأخيرة وهو عين ما ظهر الآن وقارب الحصاد بعد أن كان يومئذ مجرد زرع زرعه العدو) هناك أيضاً ثلاث علامات عظيمة جوهرية تدل على المسيحي الحقيقي. العلامة الأولى السلوك في النور، "ولكن إن سلكنا في النور" ونستطيع أن نفسر هذه الحقيقة بالتشبيه الآتي: تصور إنساناً في

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

غرفة حالكة الظلام، كيف يتخبط هنا وهناك، ويفشل في العثور على ما يريد، ويؤذي نفسه والأشياء التي يصطدم بها. ولكن دع نوراً كاملاً يسطع في الغرفة فسرعان ما تنتهي الحيرة وإذا بالرجل يمشي مرتاحاً مطمئناً واثقاً. هكذا الحال بالنسبة للنور الروحي الذي يسطع على سلوك المسيحي، وفي المسيح يضيء ويشرق. فالمسألة هنا ليست "كيف" يسلك الإنسان بل "أين" يسلك، وكل مسيحي حقيقي بالنعمة يسلك في النور. فمن المهم جداً والحالة هذه أن يعرف جميع المسيحيين الحقيقيين أنهم يفعلون هذا (بغض النظر عما يظنه الكثيرون). إنه امتياز مسيحي عظيم مشترك. ليس مجرد عاطفة أو فكرة، بل حقيقة ممنوحة لنا من الله، حقيقة عملية يريد الله من كل مسيحي أن يخصصها لنفسه ويتمتع بها، ولو أنه قد يكون هناك، بل هناك فعلاً بعض التقصير في التفاصيل كما سبق القول، ونحن مطالبون أن نشعر بتقصيراتنا ونعترف بها وبالأكثر لأننا نسلك في النور.

"ولكن إن سلكنا في النور كما هو في النور(أي كما أن الله في النور) فلنا شركة بعضنا مع بعض". هنا العلامة الثانية المميزة. فلسنا فقط نسلك في النور، بل لهذا السبب عينه، أي لأننا نسلك في النور، لنا شركة بعضنا مع بعض في الدائرة المسيحية. فلو أننا التقينا بأحد أولاد النور، بل لو أننا فقط سمعنا منه ونحن في الشارع (رجلاً كان أو امرأة) كلمات قليلة تدل على أن الله قد أشرق بنوره على تلك النفس، وأن المسألة ليست مجرد وهم أو نظرية عقلية بل شخص سالك فعلاً في النور كمسيحي حقيقي، فإن قلوبنا تتجه إليه على الفور فنحن ننجذب بعضنا إلى بعض أكثر جداً مما ننجذب نحو إخوتنا وإخوتنا الأشقاء الذين لا يسلكون في النور. ولعل الكثيرين منا يختبرون هذه الحقيقة المرة، حيث يرون أقرب الناس إليهم يبغضون النور، وذاك الذي هو النور، عوض أن يسلكوا فيه بالنعمة.

هذا هو الامتياز المسيحي الثاني الذي يميزنا – شركة القديسين المتبادلة. لاحظ هنا أنها ليست الشركة مع الآب ومع الابن ولا هي ما يعبرون عنه بشركة الكنيسة. قد تكون الواحدة أساس الكل والأخرى نتيجة مؤدية للأخيرة (أي لشركة القديسين المتبادلة) ولكن ليس لنا أن نتعسف في التفسير ونعتصر المعاني اعتصاراً. فالرسالة لم تتعرض للمسائل الكنسية على الإطلاق وإنما موضوعها شخصي عميق وحق أبدي، وهو النعمة والحق اللذين بيسوع المسيح صارا. والشركة هنا مبعثها إدراكنا لهذه الحقيقة في هذا الأخ أو ذاك. قد لا أعرف أسماء جميع إخوتي الذين أكون بينهم ومع ذلك فلي شركة معهم "لنا شركة بعضنا مع بعض" أي أننا نتمتع جميعاً بنفس بركة النعمة. في أمور العالم، إن حصلت أنا على جائزة فهي ليست لك، وإن حصلت أنت عليها فهي ليست لي. ولكن الأمر على خلاف ذلك تماماً نتشارك فيها جميعاً اشتراكاً كاملاً وامتلاكك إياها وجميع القديسين الآخرين كامتلاك إياها أنا نفسي إنما يزيد بالأكثر في فرح المحبة الذي يملأ قلوبنا جميعاً.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إن الامتيازات العنصرية أو القومية التي يتكلم الناس عنها كثيراً، هي امتيازات وقتية وضئيلة. أما هنا فنبدأ بالشركة مع الآب ومع ابنه والروح القدس وحده هو الذي يستطيع أن يحفظنا في التمتع بتلك الشركة، كما أنه هو الذي يعطينا بالإيمان أن نخصصها لأنفسنا. إننا لم نصل بعد هذه الرسالة إلى الكلام عن عمل هذا الأقنوم الإلهي، ولكننا متى وصلنا سنسمع عنه الكثير في مناسبته. ولكننا هنا نجد تأثير نعمته في المؤمن عندما يتلقى عرضاً بأخ مؤمن آخر "لنا شركة بعضنا مع بعض" أليست هذه نصرة مباركة على قوة الذات الفاصلة المشتتة؟ وأليست هذه حقيقة واقعة حتى في يومنا الحاضر حيث عوامل التشتيت تعمل بقوة ربما أكثر مما كانت تعمل بين اليهود الذين كان معظمهم أشخاصاً جسديين ومع ذلك فإن منازعاتهم وأحزابهم لا يمكن أن تقارن بما نراه اليوم حولنا بين المسيحيين؟

آه، أيها الإخوة المحببون، إنه من واجبنا أن نحس ونتألم إليه حالة المسيحية الاسمية. ولكن هنا ما هو أكثر إيلاماً وهو حالة المسيحيين الحقيقيين وكيف أن كثرتهم لا تقدر التقدير الصحيح ذلك الحق الخطير وهو أن لنا شركة بعضنا مع بعض. لا شك أن كل مسيحي حقيقي يدرك في نفسه هذا الحق على نوع ما، وعلى قدر إدراكه للنعمة الإلهية يستجيب لنداء هذا الحق، ولكن هذه الاستجابة تكون ضعيفة ما لم تكن مصحوبة بفهم روحي عميق للنعمة والحق اللذين أعلنا في المسيح لهذا الغرض بالذات وهو الإيتان بنا جميعاً إلى حالة علنية من المحبة المتبادلة الآن – "لنا شركة بعضنا مع بعض" – لأن كلاً منا يرى المسيح الذي في الآخر وذلك لفرحنا العميق وبهجتنا المشتركة.

ثم هناك الامتياز الثالث، الذي بدونه لا يمكن امتلاك أي شيء صالح امتلاكاً دائماً، ولا أية قوة للتغلب على الصعاب ورفعها من طريقنا. والخطايا هي هذه الصعاب التي لا يمكن التغلب عليها بدون ذلك "ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية" – نعم من كل خطية، وعلى طول الخط، أيها القارئ العزيز إنه من الخطأ التقليل من قوة هذه الكلمة بقصرها على وقت معين. إن الرسول يقدم لنا الحق المجرد بأسلوبه المعهود الشامل الذي تتميز به كتابته، فلا يشير إلى زمن خاص فيما يتعلق بفاعلية دم المسيح للتطهير من كل خطية، وإنما هو يسجل عزاء المسيحي العظيم الدائم. صحيح أن أحداً لم يعرف، وما كان ممكناً له أن يعرف، فاعلية وكفاية ذلك الدم إلا عند الصليب. ولكن هذا الدم هو أيضاً لك من ذلك الحين فصاعداً. وعلى قدر ما يزداد النور إشراقاً في الطريق على قدر ما تتجلى قوة الدم المطهرة. فإذا نسلك في النور (ونحن كذلك منذ أن قبلنا المسيح) لنا شركة متبادلة ونعرف قيمة ذبيحة المسيح. فهو النور، ونحن إذ صارت لنا الحياة الأبدية نتمتع بالشركة مع الآب ومع الابن. وفضلاً عن ذلك لنا شركة بعضنا مع بعض. ولا يمكن أن تكون هناك شركة صحيحة في السماء أو على الأرض بدون امتلاك المسيح يثبتنا ليس فقط فيما هو

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

حقيقي بل فيما هو إلهي أيضاً، حتى ونحن على الأرض وبرغم الفوضى الدينية الضاربة أطنانها حولنا.

إن الشيء العظيم الذي يعطل الشركة هو الذات، هو الأنانية الخاطئة التي تتحكم في كل رجل وامرأة وطفل في العالم لأنهم جميعاً ساقطون. أليس الناس يتمسكون بغرائزهم بكل ما يرجون أنه يشبع رغباتهم فيما يتعلق بأنفسهم أو بمن يحبون أو بالأسف لا يحبون؟ هذه ليس شركة بل عكسها في الطبيعة الخاطئة الساقطة. ومع ذلك فإلى هذا العالم الأثيم، عالم الخطية الشقي المائت المنتظر الدينونة، جاء ذاك الذي خلقه، الذي كانت محبته قبل الخليقة، والذي ظهرت محبته وبانت بأكثر وضوح عندما قامت كل الخليقة ضده وأخرجته خارجاً. أي نعم، إن محبته، محبة الله قد أتت بنا إلى مشاركته في كل ماله. ما عدا ما هو إلهي مطلق ولهذا غير قابل للتوصيل. ولكن في محبته المطلقة الخالية من كل غيرة أو أنانية ارتضى أن يشارك المسيحي في كل ما يستطيع توصيله. وحيث أن كل ما للآب هو له، ففي ذلك أيضاً لنا معه شركة. وإذا كانت لنا شركة مع الآب والابن فبالتبعية لنا أيضاً شركة بعضنا مع بعض. لقد أظهرت الحياة الأبدية في المسيح الذي أعطانا نحن أيضاً نفس الحياة لتكون حياتنا. وتلك كانت البركة العظمى التي أهلتنا للشركة، محفوظة ومصونة بدمه الذي يطهر من كل خطية. وليس معنى هذا انعدام المسئولية المسيحية هنا على الأرض في الذين نالوا هذه البركة. كلا، ولأجل ذلك هم بحاجة دائمة إلى الاعتماد الكلي المستمر على موارد النعمة، حتى إن كنا نحيا بالروح نسلك أيضاً بحسب الروح، لأن الروح قد أعطى ليمجد المسيح في كل شيء، وما من شيء يمجد المسيح مثل سلوكنا. هنا أيضاً مسئوليتنا الجديدة العظمى "أن علمتم هذا فطوباكم إن علمتموه".

لكن هنا مقامنا بالنعمة. وهنا يقدم لنا الوحي البركة المسيحية المثلثة – ذلك الحبل المثلوث الذي لا ينقطع وهو السلوك في النور والشركة بعضنا مع بعض ودم يسوع المسيح الذي يطهر من كل خطية. إننا نتعلم من مواضع كتابية أخرى أنه ليس للمسيحي سوى تقدمة واحدة، ذبيحة واحدة، سفك دم واحد، ورش دم واحد. أما الخطأ الذي يقع فيه الناس فهو عدم رؤيتهم الفرق بين الغسل بالماء والاغتسال بالدم. فالغسل بالماء عملية تتكرر بغير عدد، بينما دم المسيح كان مرة واحدة وإلى الأبد. فإن جردت فاعلية الدم منصفة الدوام فأنت واقع لا محالة في لجة الشك وعدم اليقين. ولن تستطيع بغير هذا الإيمان أن يكون لك السلام الدائم المؤسس على العلم اليقيني بأن خطاياك مغفورة وأنها قد محيت تماماً من أمام الله.

لقد عنى الوحي. وبخاصة وهو يكتب للقديسين العبرانيين، أن يبرز هذا الحق العظيم الخاص بوحدة التقدمة والذبيحة بالمقابلة مع ديانة اليهود الذين كان الكاهن في عهدهم يقف دائماً ليقدم تقدمة جديدة يوماً فيوماً. أما بالنسبة إلينا فقد جلس المسيح ليس فقط إلى الأبد بل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بدون انقطاع، فإن الكلمة المترجمة "إلى الأبد" في (عب ١٠: ١٢ و ١٤) معناها "باستمرار" أو بلا انقطاع، وهو تعبير ينتفي معه كل تأويل بأن جلوس الرب أو كمال المقدسين وإن كان أبدياً إلا أنه قد يتعطل أو يتوقف أحياناً. هذا بالأسف ما ذهب إليه البعض في تفسير هذا العدد المبارك فقالوا إن دوام فاعلية الدم هو أنه يطهرنا كلما التجأنا إليه كمؤمنين. وهذا ليس تعليم الكتاب، وأقل ما يقال فيه أنه يقلل من قيمة دم المسيح ويجعله مساوياً للذبيحة اللاوية التي كان يقدمها اليهودي كلما أخطأ.

إن الرسول يوحنا يتكلم عن امتيازاتنا بصفة مطلقة، وقد سيق أكثر من غيره لأن يعبر عن الحق في صورته المجردة، أي بدون قيد أو حد. فإذا طبقنا هذه الحقيقة على العدد الذي أمامنا لكان معناه أن السلوك في النور هو صفة المسيحي الثابتة حتى ولو بدا منه أحياناً ما يتعارض مع هذه الحقيقة. وكذلك الحقيقة الأخرى "لنا شركة بعضنا البعض" تبقى ثابتة لا تتغير حتى ولو فشلنا أحياناً في ميدان الشركة الأخوية لأن هذا هو المبدأ الثابت الذي نحن مدعوون لأن نمارسه ونتصرف بمقتضاه، وقد صرنا مهيئين له بفضل نصيبنا الواحد المشترك ليس في العالميات بل في البركات الأبدية وهكذا الأمر تماماً فيما يتعلق بدم ربنا يسوع المسيح. فالتطهير من الخطية هو عمله. والعدد الذي أمامنا لا يقول لنا شيئاً عن زمن تطهير كل خطية. فلا يقول لنا متى فعل المسيح هذا. ولا أنه سيفعله، ولا حتى أن يفعله دائماً. ليس عن هذا أو ذاك يتكلم الإعلان بل عن أثر الدم الثابت الكامل لأنه بقربان واحد قد أكمل إلى الأبد المقدسين. أما فيما يتعلق بغسل الماء بالكلمة فنحن بحاجة إليه كلما فشلنا، وما أكثر ما نفشل بكل أسف! وهذه هي عملية غسل الأرجل التي قام بها سيدنا في يوحنا ١٣ والتي ترمز إلى خدمته الشفاعية التي سيأتي الكلام عنها قريباً. فلسنا في حاجة للدخول في تفاصيلها الآن لأننا سنتأمل فيها تأملاً كاملاً في مكانها وإنما أشرنا إليها هنا مجرد إشارة لنصحح خطأ واضحاً وتفسيراً سيئاً لكلمة الله.

و لا ننسى أيضاً أن لشركة الكنيسة مع مالها من أهمية ليست هي المقصودة هنا. فالرسول، وهو يواجه فوضى الاعتراف الخارجي يتكلم عن الشركة الروحية التي للمسيحيين الحقيقيين بعضهم مع بعض – تلك الشركة التي ينبغي أن تبقى رغم كل فشل، وهي باقية فعلاً بمقياس سلوكنا في الشركة مع الله. وهذا أيضاً حق مطلق ومن واجبنا ممارسته والسير فيه عملياً.

والآن نأتي إلى الادعاء الثاني من ادعاءات الاعتراف المسيحي. "إن قلنا أنه ليس لنا خطية". هذه لغة يستغرب جداً صدورها من مسيحي، ومع ذلك فهناك من يقولونها ممن يؤسفنا حقاً أن يضعوا أنفسهم هذا الوضع الغريب، وضع التشكيك في مسيحيتهم. أننا نشكر الله لأن العبارة هنا لا تجردهم من مسيحيتهم تجريداً مطلقاً، فقد يكونون مسيحيين فعلاً ولكنهم يضلون أنفسهم. "إن قلنا أنه ليس لنا خطية نضل أنفسنا" آه، إنه من السهل أن نفعل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

هذا. من السهل أن نضل أنفسنا. فإذا نحن فكرنا هذا التفكير نخطئ حقاً – وليس الحق فينا. فكيف نأتي للذين لهم حياة أبدية في المسيح أن يخدعوا أنفسهم فيقولون أن ليس لهم خطية؟ لو قالوا أن المسيح قد حمل خطاياهم لكان قولهم حقاً لأن هذا صحيح. أو لو قالوا أن الإنسان العتيق قد صلب فهذا أيضاً صحيح. أو أن الله دان الخطية في الجسد فهو حق لا ريب فيه. أما أن يقولوا أن ليس لهم خطية، وأن يفحصوا قلوبهم ثم يرفعوا عيونهم إلى السماء قائلين: "لقد امتحنت نفسي وأستطيع أن أقول أنه ليس لي خطية" فهو ضلال غريب في قديس الله. لو صدر هذا القول من وثني لكان قولاً مفهوماً لأنه وإلهه عميان على السواء. أما أنه يقول مسيحي فلا. إن الأفكار الواطئة عن المسيح تمشي جنباً إلى جنب مع الأفكار السامية عن نفوسنا. وهذا ما تورطت فيه بعض الطوائف التي ظهرت أخيراً من أتباع (بيلاجيوس)[٣].

دعنا ندرس العدد باتزان وإمعان. إن الموضوع هنا ليست الخطية الفعلية بل الخطية الموروثة الساكنة فينا والتي يجب الحذر منها كميل جامح دائم الاستعداد لأن ينفجر، ومتى كان القديس غير ساهر لا بد وأن يظهر. فمع أن لنا حياة جديدة في المسيح لنا أيضاً طبيعتنا العتيقة الشريرة ومن واجبنا أن نكون يقظين لنقضي على أثمارها أولاً بأول، ولنا التشجيع المبارك أن إنساننا العتيق قد صلب مع المسيح ليبطل جسد الخطية كي لا نعود نستعبد أيضاً للخطية. ومع ذلك فنحن مطالبون أن نميت بالروح أعمال الجسد. والله يكون معنا ليقوينا ويشددنا وهذا ما يفعله لنا دائماً تبارك اسمه طالما كنا في حالة اتكال والخضوع القلبي. أما أن نقول أنه ليس لنا خطية فهذه نظرية البر الذاتي. وهي نظرية خبيثة تتمثل قوتها في أنها تجعل من الخطية شيئاً غامضاً والأصل فيها خداع الذات والجهل بالحق. وكم من نفوس عزيزة سقطت في هذه الضلالة فراحت فريسة الأوهام والشكوك ونال منها عدو الخير منالاً. فإن كنا نرثي لهم كثيراً، فإنه ينبغي علينا أن نذكر أن مرجع هذه النظرية وسيطرتها على الأفكار إنما هو الاستخفاف بالخطية والقداسة والحق جميعاً.

واحد فقط هو الذي أمكن أن يقال عنه بحق "وليس فيه خطية" لكنها موجودة في كل عداه – لا يستثنى من ذلك قديس واحد عاش على الأرض. إن الطبيعة القديمة لا زالت موجودة ولا ينكرها إلا كل مكابر. وهذه الطبيعة لا بد وأن تظهر آثارها ما لم نضعها باستمرار تحت قوة موت المسيح بواسطة روح الله. أما الادعاء الذي نقرأ عنه هنا فهو ادعاء جسداني وتفاخر باطل. وما هذا العديد المتتابع من "إن قلنا" إلا صورة للشر المتزايد بين المسيحيين بالاسم، وما هو إلا ضلال منظم يقوم به أناس خياليون. "إن قلنا أنه ليس لنا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا". هذه عبارة قوية تجعلنا نرتاب في حقيقة الأشخاص الذي يضلون أنفسهم بهذه الصورة وهل هم مسيحيون حقاً أم لا . غير أن القول "وليس الحق فينا" يعني شيئاً آخر يختلف كل الاختلاف عن كوننا نجهل الحق. فلا شك أن كل مسيحي مفروض فيه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أنه يعرف الحق بواسطة تعليم الله. إذن فالمقصود من هذه العبارة هو أن تضليل أنفسنا معناه عدم امتلاك الحق في الداخل أو في الباطن. فالحق يجب أن يكون "فينا" وليس فقط كعقيدة نصدقها ونعترف بها. فمن ذا الذي يشك في أنه يوجد أشخاص غير قليلين يتمسكون بهذه النظريات، ومن الخطأ أن نظن أنهم ليسوا مسيحيين؟ فالمرجح أنهم يقصدون بهذا القول أنهم لا يستسلمون للخطية قط، ولو أن هذا أيضاً قول جرئ من جانبهم لأنه على أحسن الفروض يدل على حسن ظنهم بأنفسهم، الأمر الذي بعيد كل البعد عما أحسه أو نطق به القديسون الأكثر روحانية في كل العصور والأجيال.

أما في العدد التاسع فإن الرسول بإرشاد روح الله يضع المؤمن على أساس يختلف عن ذاك كل الاختلاف. "إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا". فلو قال واحد "ليس فيّ خطية" فكيف ننتظر منه الحكم على الذات أو الاعتراف؟ بطبيعة الحال لا تكون هناك حاجة ولا محل لمثل هذا الحكم أو الاعتراف. والحلم بالكمال هو داء له تأثير سيء على النفس المصابة به. أما هنا فعلى العكس لا نجد عبارة "إن قلنا" بل على الفور "إن اعترفنا". فالاعتراف بالخطايا في حالة المسيحي هو حقيقة حية، تماماً كالسلوك في النور والشركة بعضنا مع بعض والدم الذي يطهر من كل خطية – تلك السلسلة الذهبية المثلثة الحلقات. فليست المسألة "إن قلنا". إن المسيحيين الحقيقيين لا يستعرضون نصيبهم مجرد استعراض كلامي بل يتمتعون به تمتعاً فعلياً. فالمسيح يحيا فيهم، وكما ولدوا بكلمة الحق يفعلون الحق. الحق فيهم. وأليس هذا هو ما قد دعينا إليه جميعاً، نحن الذين امتلكناه (له المجد) كنورنا وحياتنا والحق؟

هنا يتميز المسيحي بروح يختلف كل الاختلاف من الأول إلى الآخر. "إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم". فإذا انخدعنا بخطية ما، ماذا نفعل حينئذ؟ نعترف. هذا ما فعلناه عند التجديد. وهو عين ما نفعله كلما دعت الحاجة على طول الطريق. فإن إلهنا لا يطيق الخطايا. ونحن من جانبنا لا نخفيها بل نعترف بها أمام الله، وأمام الإنسان أيضاً إن كان ذلك لازماً أو للبنيان. وهكذا تذل وتكسر كبرياء الإرادة الذاتية، وبالنعمة يتخلى الإنسان عن صيته الشخصي التافه. فنحن نحرص على كرامة المسيح الذي نحمل صفاته. والمسألة تتعلق باسمه من الآن فصاعداً، وما هو اسمنا بالمقابلة مع اسمه العظيم؟ إذن فإن اعترافنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر. يا لها من كلمة مشجعة وصادقة منذ اللحظة التي فيها رجعنا إلى الله! وهي هنا أيضاً حق. وهو حق مطلق لا علاقة له بأي زمن محدد، كسائر الحقائق الأخرى التي تطالعنا بها هذه الرسالة. هو المبدأ الأول للمسيحي، وهو المبدأ الذي يلازمه كل الطريق، والمقصود به أن يسيطر على مسلكه الجديد من البداية إلى النهاية. وبالإجمال هو حقيقة حية دائمة الوجود في المسيحي.

 All rights reserved © 2008-2018

لقد لاق بنا أن نذهب إلى الله بخصوص شرنا حينما كان كل شيء شراً وحينما كنا في التراب كقوم هالكين، ووجدنا عنده النعمة والغفران. وهو إله كل نعمة، مهما كانت الحاجة وعلى طول الخط. "إن اعترافنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهر" ليس فقط من كل خطية بل "من كل إثم" ذلك لأن الدنس هو الأثر التاعس للخطية، وهو العامل في عدم أمانة النفس، ومن المحقق أن يفعل فعله إن حاول الإنسان إخفاءه كما فعل آدم. لأن إخفاء الخطية في الحضن يبعد الإنسان شيئاً فشيئاً عن الله. والمسلك الصحيح الوحيد هو أن يلقى الإنسان بنفسه على الله ويعترف بخطاياه عند قدميه. وهذا المبدأ صحيح في كل وقت وبعد أن عرفناه كأبينا، لأن سياسة أبينا حق وجديرة بثقة القديس كرحمته تماماً عندما عرفنا لأول مرة غفران خطايانا. وهذا هو المقصود م الطلبة التي علمها الرب لتلاميذه ي الصلاة المعروفة "اغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا". فالإشارة هنا ليست إلى الفاجر عند تجديده، بل إلى حاجة التلميذ اليومية نظير حاجاته الأخرى التي شرحها الرب على الجبل. ومن المهم هنا أن نلاحظ أن سيدنا لم يكن في تلك المناسبة يكرز بالإنجيل ليربح الخطاة لنعمة الله. ولكن إذا أخطأ المؤمن (يو ١٥: ١ – ١٠، بط ١: ١٤ - ١٧) فإن الآب يتناول هذا الأمر وفقاً لسياسته الأدبية مع نفوسنا. وهو يلاحظ علينا كل شيء لأننا أولاده وتلاميذ المسيح. ومحبته وكرامته ونعمته وحقه مرتبطة جميعاً بهذا الأمر. والكلمة طهرتنا وتطهرنا. ولكن ليس المقصود بهذا التطهير تطهيرنا من خطايانا فقط بل أيضاً من أثر الخطية – من كل إثم أو عدم بر، أو بعبارة أخرى عدم الاستقامة التي هي من نتائج الخطية وأثمارها الطبيعية.

وأخيراً تأتي الحلقة الثالثة والأخيرة من هذه الادعاءات القولية "إن قلنا أننا لم نخطئ نجعله كاذباً وكلمته ليست فينا". وهنا يتجلى التبجع بأبشع صورة. ويظهر أنه يصف فريقاً من الناس انحط بهم المستوى حتى قاموا يواجهون الله بنظرية كلها جرأة ووقاحة. ومن الأسف أن مثل هذه العقائد الغريبة ليست منتشرة بين لناس قاطبة كانتشارها بين المسيحيين بالاسم. ولا عجب فإن فساد أفضل الأشياء هو شر أنواع الفساد. وحتى بين اليهود لم توجد مثل هذه البدع مع أنهم أفرطوا في تقاليدهم المؤذية التي دنستهم وأهانت اسم الله. أما العالم المسيحي فهو سوق مليء بأكوام الخرافات المتراكمة بعضها فوق بعض، أكوام تكبر وتتزايد وتستثير غضب الله.

وهذا الادعاء الأخير هو أحد الأحلام القذرة التي ولدتها الفلسفة الأغنسطية التي طالما أشار إليها يوحنا في رسالته هذه، وليس يوحنا فقط، بل بولس من قبله. وهي فلسفة كانت عندئذ لا تزال في بدء طريقها الأثيم وسرعان ما تطورت وانتشرت بعد رقاد الرسل. غير أن هذه الخزعبلات الدنسة والمماحكات العقلية الباطلة التي لا أساس لها من الصحة والتي يقحمها الذهن البشري في أمور الله إنما تعبث في الواقع بأسس الأخلاق العظمى، وهناك يفتضح

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أمرها شأنها كل تعليم فاسد. فهي ليست تضعف من مصدر المسئولية المسيحية فقط بل تنكرها وتهدمها من أساسها.

وهنا قد نلاحظ أن نظريات الفلسفة الأخلاقية، الحديث منها والقديم، لا تستطيع أن تستقر على حال ثابت. ذلك أنه قد فاتها جميعاً أن تدرك الحق الخطير وهو أن الواجبات تصدر ع العلاقات وفوق الكل عن العلاقة بالله. وإذ تورط أصحابها في هذا النقص المعيب راحوا يندفعون كالعميان وراء الوثنيين الذين إذ لم يعرفوا الله تجاهلوا كل علاقة معه ومع ابنه. وهنا يتعاظم ذنب أولئك المسيحيين بالاسم الذين أنكروا حتى إيمانهم الماضي. فإن نظريتهم هذه لا تترك في الواقع مجالاً على الإطلاق لنعمة الله في المسيح. "إن قلنا أننا لم نخطئ". هذا قول يدل على مقدار الظلمة الحالكة التي كانت تكتنف نفوس هؤلاء الناس. ويا له من أمر مؤسف أن النور الذي كان فيهم قد صار ظلاماً. وأي ظلام يمكن أن يكون أقسى من هذا وأشد؟ هذا ظلام يصعب تبديده وهو بالأسف لازال يخيم على أفكار الكثيرين ويطمس قلوبهم.

وأنت لاشك تذكر أن أردأ وأشر هؤلاء الهراطقة، أي أضداد المسيح، كان لهم مكانهم في الكنيسة وكان معترفاً بهم بين عائلة الله حتى في حياة الرسول، وهو القائل عنهم "منا خرجوا، لكنهم لم يكونوا منا، لأنهم لو كانوا منا لبقوا معنا، لكن ليظهروا أنهم ليسوا جميعهم منا". وإذا لم يكن الأشخاص المشار إليهم في العدد العاشر من إصحاحنا أضداداً للمسيح، فقد كانوا مقاومين للحق، ضالين نفوسهم ومخدوعين كما كانوا أشر من الأولين لأن دعواهم بأنهم لم يخطئوا إنما هي رفض صريح لكلمة الله. لقد كان أمراً ردياً أن يقال أنه ليس لنا خطية لاسيما بعد أن صرنا مسيحيين ولكن أن يقال أننا لم نخطئ فهذه مناقضة صريحة لكل شهادة من جانب الله سواء في العهد القديم أو العهد الجديد. وهذا ما يستنكره الرسول هنا. فمن العار أن نكذب الله. ولئن كان يؤسفنا أن نجد أمثال هؤلاء في العالم المسيحي من وقت لآخر ولكن شكراً لله لأنهم قلة نادرة. ولكن يوجد فعلاً من ينكرون أن هناك شيئاً اسمه خطية، كما يفعل أصحاب عقيدة تأليه الكون تماماً، فهم يزعمون أنهم جزء من الله، فكيف يخطئ الله؟

هذه بلا شك فلسفة زائفة مجنونة. غير أن الشيء المفزع للقلب المسيحي، الشيء المرعب في نظر الله، إن قوماً بدأوا طريقهم مع ابنه المخلص، وعرفوا أن غفران الخطايا هو بدمه الكريم، ينحدرون إلى مثل هذه الهاوية السحيقة فينكرون أنهم أخطأوا مطلقاً. "إن قلنا أننا لم نطئ نجعله كاذباً وكلمته ليست فينا". هل نسوا اعترافهم يوم رجعوا من اليهودية العاقرة، أو من الأممية الكافرة، وآلهتها الذين ليسوا آلهة؟ ولكن هذا لم يكن الكل، بل هناك ما هو شر وأنكى. تصور إنساناً يجعل الله كاذباً. يا للهول! إنه لأمر رديء أن نضل أنفسنا، مع وجود النور الذي كان يجب أن يضيئنا ويظهرنا، ولكن هذا شيء تافه بالمقارنة مع الكارثة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الكبرى وهي تكذيب الله. فهنا يجرؤ الناس فيجدفون. وهنا يهاجمون الله بطياشة وتهور في أسمى مواضع كرامته. إذ أي شيء أغلى عند الله من صدقه أو قداسته؟ "إن قلنا أننا لم نخطئ نجعله كاذباً وليست كلمته فينا".

إن الضربة التي يوجهها هذا الفريق من الناس ليست موجهة فقط إلى "الحق" الذي يمكن القول أنه ذات الشيء وإنما بتعبير أعم، بل إلى "كلمته" الواضحة الصريحة التي لم يكن ممكناً أن يكون لها مكان في مثل هذه النفوس. فمتى كانت كلمته فينا، فنحن بكل سرور واتضاع نعترف بأننا أخطأنا. هذا ما سيقوله إسرائيل في يوم قادم، أي نعم جميع إسرائيل الذي سيخلص في ذلك اليوم الذي يدنو سراعاً لفرح كل الأرض. ونحن الذين للمسيح في الأعالي، ماذا نقول؟ ما الذي قلناه يوم أن عبرنا من الظلمة إلى النور؟ ألم نبدأ بهذا؟ نعم، بدأنا بما لا ننساه قط. فكل النفوس المتجددة تجديداً حقيقياً تقول: "قد أخطأنا". ولكن ها هو الرسول وهو يكتب رسالته هذه بعد سنين عديدة من مجيء النعمة والحق بيسوع المسيح، وبعد أن شهد للاعتراف المسيحي زماناً طويلاً، يخبرنا عن هذه الضلالة الشنيعة.وقائلوها ليسوا يهودا ولا أمماً بل مسيحيين معترفين من مسيحيي ذلك اليوم أو من أي يوم آخر، ومن المحقق أنهم ليسوا مسيحيين حقيقيين، إن لم يكونوا مرتدين "إن قلنا أننا لم نخطئ نجعله كاذباً وليست كلمته فينا".

وهنا أود أصحح خطأ وقع فيه جماعة البيورتان بتطبيقهم أشعياء ٥٠: ١٠ على المسيحي، لأن هذا التطبيق يتعارض تماماً مع أقوال الرسول في العددين السادس والسابع من إصحاحنا، أي السلوك في الظلمة، لاسيما وأن الخطأ لازال منتشراً بين من يسمون بخلفاء الكلفينيين، إن لم نذكر غيرهم، كما جاء في كتاب "ابن النور سالك في الظلمة" بقلم أحد اللاهوتيين الشيوخ المشهورين، وإن كنت لا أعتقد أن هذا اللاهوتي قصد أن يستخدم إشعياء ليعارض به يوحنا، بل إني لا أذكر أنه أشار إلى الرسول يوحنا إطلاقاً، وكل ما هنالك أنه ربما لم يدرك مدى التشويش والارتباك الذي يسببه هذا التطبيق الخاطئ.
والحقيقة أن البيورتان كانوا يستندون إلى بعض حالات فردية من الحالات الشائعة كثيراً في أيام انحطاط المسيحية الاسمية حيث قد تجد حتى من بين المسيحيين الحقيقيين بعضاً ممن لا يمتلكون السلام الثابت التام وقد فقدوا ذلك القدر من السلام الذي كانوا يتمتعون به مرة سواء كان كثيراً أو قليلاً، وذلك لأسباب مختلفة أهمها وأكثرها شيوعاً تطلعهم إلى دواخلهم لعلهم يجدون من هناك تلك الراحة التي لا توجد إلا في المسيح فقط وفي عمله لأجلنا. وإلى هذه الحالات من عدم اليقين المؤلم يشير أصحاب هذه العقدية في قولهم "ابن النور سالك في الظلمة" وهو نوع ثالث من استخدام لفظتي النور والظلمة يختلف عن استخدام كل من النبي والرسول لهما. فلا الرسول ولا النبي قصدا إلى الحالة التي يصفها هؤلاء المفسرون وهي حالة الكثيرة الشيوع قديماً وحديثاً بالأسف وأعنى بها حالة مؤمن (على حسب ظنهم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يستسلم إلى عدم الإيمان بدلاً من الحكم عليه كخطية ضد شهادة روح الله وعمل المخلص ومشيئة الآب. وفاتهم أن أمثال هؤلاء لم يكونوا يوماً من أبناء النور ولم يقبلوا قط كلمة الحق أو الإنجيل وأنهم في حاجة أن يرجعوا إلى الصليب ويبدأوا من هناك بغض النظر عن أي شيء آخر يستوجب حكمهم على ذواتهم من أجله. ولو أنهم تقدموا إلى الله في حقيقة خطاياهم لوجدوه يقابلهم في حقيقة نعمته وذلك لخلاصهم وعتقهم.

لقد تكلم النبي لا عن المسيحي بل عن البقية التقية في المستقبل بالمباينة مع جمهرة المرتدين للهلاك الموصوفين في العدد الحادي عشر من نفس الإصحاح. "من منكم خائف الرب. سامع لصوت عبده. من الذي يسلك في الظلمات ولا نور له؟ فليتكل على اسم الرب ويتند إلى إلهه". ومن الواضح لكل متأمل أن النبي اليهودي والرسول المسيحي لا يقصدان باصطلاحي النور والظلمة إلى نفس المعنى.

فالنبي يستعمل الكلمتين بالإشارة إلى الظروف المرعبة المقترنة بتلك الساعة الاستثنائية القادمة، ساعة قصاص اليهود على خطاياهم القومية، ليس فقط لوثنيتهم بل لما هو أشر وأردأ وهو رفضهم المسيا. ففي هذه الظروف يتألم الأتقياء سواء المستشهدون منهم أو المحفوظون ولا نور لهم، ولكنهم ينتظرون منقذهم الذي يبيد خصومهم في الداخل والخارج. أما الرسول فيتناول الحق المسيحي الذي يتفق مع طبيعة الله الأدبية في أولاده متسامياً في ذلك فوق كل أزمة نبوية أو ظروف تدبيرية فيقول أن المسيحي يسلك دائماً في النور كما أن الله في النور معلناً بالمسيح، ولو أنه ليس من الواقع المحتم أنه يسلك دائماً بحسب النور إذ قد تزل به القدم فتتعطل شركته. فالمقصود هنا هو المبدأ الأدبي اللائق بالطبيعة الجديدة، طبيعة الله، الذي نور وليس فيه ظلمة البتة. صحيح أن الطبيعة القديمة لا تزال موجودة في المسيحي، لكنه تحرر منها كمن مات في المسيح فلا يعود يجاري أهواءها فيما بعد بل يدين ما دانه الله في صليب المسيح مهما كانت الكلفة على نفسه. ذلك لأننا قد نلنا حقاً خلاصاً كاملاً وعتقاً أكيداً ليس فقط من الخطايا بل أيضاً من الخطية، متبررين من الثمرة الردية (رو ٥: ١) ومن الشجرة الردية (رو ٦: ٧).

لقد كان نصيب الرسول بولس أن يتناول قضية هذا التبرير المزدوج، التي يجهلها بالأسف جماعة من اللاهوتيين من كل مدرسة. ولكن الرسول يوحنا يتكلم أكثر من غيره عن الحياة الأبدية، وعن طبيعتها الجديدة الإلهية، مقارناً حقيقتها في المسيحيين الحقيقيين بصورتها الزائفة في أولئك الذين بسلوكهم ينكرون تلك الحياة والحق. فالكلام عن الشركة مع الله بينما يكون الإنسان سالكاً في ظلمة الطبيعة الساقطة، هو أكذوبة حية أو بالأحرى أكذوبة الموت . فإن المسيحي من أول طريقه يترك الظلمة ويسلك في النور. وهذا ليس تفاخراً أو ادعاء بل إيمان. "أنا هو نور العالم (لم يقل إسرائيل هذا ولم يكن ممكناً أن يقوله). من يتبعني لا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة" (يو ٨: ١٢). قد ينزلق المؤمن بسبب

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إهماله، وقد يستسلم لإرادته الذاتية،و أو قد يحمل بشهوات الجسد أو الفكر – وكل ذلك خطأ ولا يتفق مع النور. ومع ما في ذلك من الخطورة فإن المحبة الإلهية في المسيح التي سامحته وهو عدو وخلصته وهو هالك، قد أعدت له نعمة رد النفس كما سنرى في الفصل التالي ولا تدعو أبداً شيئاً من هذا الفشل المحزن "سلوكاً في الظلمة". إن علاقتنا بأولادنا تظل ثابتة كما هي برغم أغلاطهم، فكم بالحري علاقة الله بأولاده. أما الذين يسلكون في الظلمة فبحسب تعبير الرسول يكذبون ولا يفعلون الحق. لا حياة لهم ولا نور ويحتاجون إلى الإحياء والتجديد، في حين أن المسيحي الساقط لا يعوزه إلا أن يتوب فترد إليه الشركة التي كانت قد تعطلت. وعوض أن يفقد حقه في النور فإنه في ذات النور يتذلل بسبب خطأه.

والعدد السابع يوضح هذا كله، لأنه يعطينا نظرة شاملة للأساس الجديد الذي عليه تضع النعمة كل مسيحي حقيقي فنرى هناك أن "السلوك في النور كما هو في النور" هو بداية وطريق كل من دعي من الظلمة. وبالإدراك الصحيح لطبيعة الله التي صار لنا شركة فيها يصير لنا أيضاً "شركة بعضنا مع بعض" وهذا هو عمل الحياة الإلهية تجاه إخوتنا كما أن العمل الأول هو تجاه إلهنا. وبعد ذلك يأتي الأساس الثمين والدعامة العظمى لكلا العملين وهو "دم يسوع المسيح ابنه الذي يطهرنا من كل خطية" والذي بدونه لم يكن ممكناً لنا أن ننال أو أن نحفظ ففي نصيب المسيحيين العجيب... ولكن هذه الامتيازات الثلاثة مجتمعة ومترابطة هي نصيب وحالة مقام كل مسيحي بالحق.

أما اعتبار الفقرة الأخيرة مجرد علاج معد لمواجهة حالات الفشل والسقوط كما يظن الكثيرون فأقل ما يقال فيه أنه تجاهل لمكانها الحقيقي في القرينة وسوء فهم لمعناها الأساسي وخلط بينهما وبين العلاج الإلهي المقدم في العددين الأول والثاني من الإصحاح الثاني في هذه الرسالة عينها. وهو خلط وسوء استعمال ضار من كل الوجوه. إن العدد السابع هو عبارة عن ملخص موجز لحالة المسيحي العامة، وإن حاولنا أن نأخذ على أساس أنه علاج لحالات الفشل والسقوط فإنه يؤدي بنا إلى عكس المراد. فلكي نصل إلى هذا الغرض ينبغي أن نقرأ العدد هكذا: إن كنا لا نسلك في النور وإن لم تكن لنا شركة بعضنا مع بعض فإن دم يسوع المسيح يطهرنا من خطيتنا الخاصة. إن كانت هذه الصيغة تعبر كما أعتقد تعبيراً عادلاً عن الفكرة القائلة بأن مضمون هذا العدد هو إعداد العلاج لحالات الفشل والسقوط فمن الواضح أنه يتعارض تماماً مع حقيقة بيان الامتياز المسيحي العام وهو المعنى الحقيقي المقصود فهذا المعنى وحده هو الذي يطابق القرينة وينسجم معها، وهي التي تبين لنا تلك المجموعة الكاملة المبهجة من الامتيازات المسيحية الجوهرية بالمقابلة مع الأشكال المنوعة من الاعتراف الكلامي الشرير (إن قلنا. إن قلنا. إن قلنا) التي تهين اسم الرب وتنحرف عن الحق وتؤدي إلى الدمار الأبدي. أما العلاج المعد لحالات الفشل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

والسقوط فله مكانه الخاص ويختلف عن ذلك كل الاختلاف وهو ما سنتناوله في الخطاب التالي.

الرسالة الأولى: الخطاب الثالث

١يو ٢: ١ و ٢

"يا أولادي أكتب إليكم هذا لكي لا تخطئوا. وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار. وهو كفارة لخطايانا ليس لخطايانا فقط بل (لخطايا) كل العالم أيضاً"

هذان العددان يتبعان الإصحاح الأول ويخصانه، وهما تتمة لازمة له. ومع أن العدد الثالث يبدأ بأداة العطف على ما قبله إلا أنه في الواقع يقود إلى موضوع وهو تطبيق الحق الذي يتضمنه الإصحاح الأول، بطرق غاية في الأهمية والخطورة لوقاية النفوس من الخداع والضلال. ولكننا نترك الكلام عن هذا الموضوع الآن، لأن غرضنا التأمل في العددين الأول والثاني ولنا فيهما مجال متسع لدراسة كلمة الله والبحث فيها لخير نفوسنا وشبعها.

رأينا الإصحاح الأول يتكون من قسمين. أولهما يحدثنا عن فيض محبة الآب في الابن المتجسد، نابعاً من النعمة الإلهية بلا أي مسبب خارجي – إلا خطايانا! فالمحبة هي نشاط طبيعته. ويحدثنا ثانيهما عن طهارة طبيعته معبراً عنها بالكلمة الرمزية الدقيقة التعبير "نور". وأية كلمة كان يمكن أن تتفق مع غرضه أحسن من هذه؟ وهكذا كتب لأجل تعليمنا ولكي يكون الأمر في متناول إدراكنا بمعونة الروح القدس فإنه لا يوجد عنصر يرفض الفساد ويأباه أكثر من النور كما أنه في ذاته طاهراً طهارة مطلقة. وعلى أية حال فإن نور طبيعة الله هو هكذا، ونصيبنا في نعمة الله أننا حصلنا على طبيعة من طبيعة كمسيحيين، وهذا ما يخبرهم به الرسول بإرشاد الروح القدس يوم أن كانت الكنيسة بحسب الظاهر تكاد تصبح حطيماً. وها نحن نرى أن الحالة كانت كذلك يومئذ كما يستدل من هذه الرسالة ذاتها، فإن شر أنواع الضلال التي يمكن تصورها في العالم المسيحي هو ما يسمى "ضد المسيح" وقد كان في ذلك الوقت "أضداد للمسيح كثيرون" والآن هم أكثر. وقد شاء الله في حكمته وعنايته أن يجعل جرثومة أشر الضلالات تظهر جلية قبل أن يكتب آخر الرسل كتاباته حتى يبلغنا بواسطة الحكم الإلهي على تلك الضلالة وشرها وخطرها. فلم يتركها لفطنة التمييز الروحي وحده مع أن هذا لازم جداً للإفادة من كلمة الله ولكنه أعطانا في كلمته سلطانه الإلهي للحكم على هذه الضلالة وأمثالها. فليس على أساس الاستنتاج أو حجج الناس أو خلاصة اختبار القديسين، بل كل ما من شأنه أن يؤثر بسلطان الله على ضمير وقلب كل ولد من أولاده. ولذلك فقد رأى في فائق حكمته، طالما أن هذه الشرور كلها كان مآلها للظهور، أن يسمح بظهور أردأها في ذلك الحين لكي يحدده ويدينه أمام قديسيه.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ومن هنا كان لهذه الرسالة طابعها الفريد الخاص. فهي ليست كالرسالة الثانية إلى التسالونيكيين التي تتطلع إلى فترة أخرى من الزمن ليست موجودة الآن، فترة لم تكن قد جاءت بعد ولكنها ستجيء حتماً قبيل يوم الرب – وأعني بها فترة "الارتداد"آت لاشك فيه فإن أحد العوامل التي يمهد لظهوره هو هذا الشيء الغريب الذي يسمونه "النقد الأعلى"، أو بعبارة أخرى إعداد الناس وتهيئتهم لذلك النوع من عدم الإيمان الذي سيكون شاملاً وكاملاً وعلنياً. وأين يا ترى أمانة أولئك الموظفين من رجال الدين يجنون الجاه الأرضي والكسب المادي من ذات الشيء الذي يعملون على تقويضه، والذي كان ينبغي أن يعملوا – إن لم يكونوا يعلمون فعلاً – أنهم عاملون على تقويضه وهدمه؟ ولكن ذلك الارتداد مستقبل، بينما أضداد المسيح كانوا قد جاءوا فعلاً فقد كانت "الساعة الأخيرة" ومن علامات الساعة الأخيرة وجود "أضداد للمسيح كثيرين" وها هم أمام عيوننا فليس المقصود الشر المستقبل فقط أي ضد المسيح الأكبر، بل أضداد للمسيح كثيرون الذين هم طلائع ضد المسيح الآتي والممهدون لطريقه.

على أن العددين الذين أمامنا يتناولان شراً عاماً – شراً يجب أن يحسب حسابه كل مسيحي معترف. فالجسد عداوة لله، وهو خطر قريب ودائم، لأنه على استعداد أن يزود العدو بمادة للعمل ليس فقط في الذين ليس لهم سوى الجسد بل في أولئك الذين وإن كانوا هم أنفسهم في الروح إلا أن الجسد فيهم – الذين يقال عنهم بصراحة أنهم ليسوا في الجسد بمعنى أنهم بالإيمان قد عتقوا في المسيح من الجسد وقد حصلوا على طبيعة جديدة كل الجدة ولم يتركوا في الطبيعة القديمة بلا حول ولا قوة. ففي الروح القدس القوة الكافية لحفظ كل قديس لله من الخطأ.

نعلم بالاختبار أننا قد نخطئ وأننا جميعاً نعثر. لكن الذنب ذنباً.ولذلك فإن المؤمن هو الشخص الذي يجب أن يكون على استعداد – بل وبسرور – أن يبرر الله ويدين نفسه. طبيعي أن هذا أمر مذلل ولكن ألم نحصد بركة أيها الأخ العزيز بل وبركة عظيمة من ذات الشيء الذي يذلنا؟ فما من تجربة على الإطلاق، مهما كانت متعبة ومؤلمة وقاسية أحياناً، إلا وتحولت بنعمة الله إلى الخير طالما كنا قد قبلناها من يد الله، فإن "كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله الذين هم مدعوون حسب قصده". وحيث أننا نعلم أن كل عطية صالحة وكل موهبة تامة هي من عند أبي الأنوار فنحن بلا عذر إن كنا نسيء الظن فيه، لأننا أولاد وعلينا أن نحافظ على الصفة العائلية.

ولذلك ينبغي أن لا نسيء فهم ما يقصده الرسول حينما يرينا في الجزء الثاني من الإصحاح الأول نقطة الابتداء للمؤمن. لأن العدد السابع الذي طالما أسيء فهمه يشير في الحقيقة إلى مقام المؤمن. وكثيراً ما يرينا بعض الناس يأخذون هذا العدد على أنه يشير إلى أخلاق المؤمن وتصرفاته التي قد يخالطها النقص، في حين أن الإشارة منصرفة إلى نوع مسلكنا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

من حيث المبدأ لأن لنا حياة أبدية، ولأن هذه الحياة الأبدية لها حراسة قوية وأساس راسخ للتعزية في ذبيحة المسيح. فالقول "إن سلكنا في النور" هو تقرير حقيقة مجردة تنطبق على كل مسيحي بالحق. وهذا يكفي لتبيان وجه الخطأ والانحراف في تفسيره ذلك التفسير المقلوب. فلا علاقة هنا بأي زمن أو تصرف معين في مسلك المؤمن بل الإشارة إلى طابع سلوكه العام بحسب الله.

وهذا بالضبط ما قصده رسولنا أن يعلنه بسرور ويطبقه علينا باستمرار. فالقول "إن سلكنا في النور" معناه في الواقع إن كنا مسيحيين، إن كنا قد رأينا نور الحياة، إن كنا تابعين للمسيح. والرب القائل "من يتبعني لا يمشي في الظلمة" فهل يقصد بذلك جانباً من القديسين دون غيرهم، إنه له المجد يؤكد هذه الحقيقة المبهجة لكل من يتبعه "لا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة" ومع ما لهذا الامتياز من عظمة فهو من فضل النعمة الخالصة وليس بحال من الأحوال غاية نصل إليها بفضل أمانتنا الشخصية، بل أنه من ثمرة صلاح الله الذي لا عديل له أنه صار لنا من الآن كمؤمنين أن نتعامل مباشرة مع الله كما هو. وأين يعرف الله كما هو؟ طبعاً ليس في الظلمة بل في النور. فنحن ليس لنا فقط حياة أبدية بل لنا مع الحياة الأبدية امتياز السلوك في النور عوض أن نسلك في الظلمة كما يفعل عابد الوثن. إن الإنسان الساقط يسلك بالضرورة في الظلمة لأنه لا يعرف الله. أما المؤمن فإنه يسلك في النور لأنه يعرف الله إذ قد رأى المسيح نور الحياة. ونور الحياة هذا ليس مجرد شعاع صغير سرعان ما يتلاشى، بل هو نور كامل دائم. فالنور الحقيقي الآن يضيء ولكن أين يضيء؟ يضيء على المسيحي وفي ذات قلبه. إن الرسول بولس يذهب إلى أبعد من هذا فيتكلم عن "نور المجد" لأنه مشغول بالمسيح في الأعالي، ولكن الكلام هنا هو عن نور الحياة في المسيح، نور الطبيعة الإلهية الحقيقي. فنحن حينما نتجدد ونستريح على أساس الفداء، إلى أين يؤتى بنا؟ ليس بعد إلى السماء، بل "إلى الله" (١ بط ٣: ١٨) وهل الله ظلمة؟ حاشا "الله نور وليس فيه ظلمة البتة". وهناك نحن نسلك.

يخلط الناس بين السلوك في النور والسلوك بحسب النور من أن الأمر الثاني شيء آخر على الإطلاق. فالقول "نسلك بحسب النور" معناه السلوك العملي ولكن الرسول يقول "نسلك في النور" وهذا معناه السلوك في الدائرة التي أتى بنا إليها ربنا يسوع المسيح، أي إلى الله، وهي الدائرة التي نسلك فيها من تلك اللحظة إلى أن نصل ونكون معه حيث لا يوجد ما يعطل ذلك النور على الإطلاق. فهنا نحن محاطون بكل أنواع المعطلات والعراقيل والمخاطر من الجسد والعالم وإبليس ومع ذلك فإننا من الآن نسلك بالإيمان في نور محضر الله.

إن قلب العدو حقداً شخصياً ضد الابن، الرب يسوع، بصفة خاصة. وكذلك نعلم أن الشيطان منذ البدء يحقد على الإنسان بينما الله يعطف عليه ويحنو. ولا عجب في ذلك حيث

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أن قصد اللاهوت الأزلي أن يصير الابن إنساناً فضلاً عن أن الإنسان في حد ذاته كان موضع اهتمام الله. لقد كان الإنسان مجرد حفنة من تراب إلى أن نفخ الله في أنفه نسمة الحياة – في الإنسان وحده دون أية خليقة أخرى على الأرض. فليس سوى الرأس الأرضي نال بهذه الطريقة المباشرة نسمة الله. أما سائر المخلوقات الأخرى فبدأت حياتها بغير هذه الوسيلة ولذلك فإنها تبيد وتهلك بالموت. ولكن ليس هكذا الإنسان. صحيح إنه إذ يموت يعود إلى التراب، ولكن ما هو مصير نسمة الله؟ هنا أساس خلود النفس. إننا لا نتكلم الآن عن حياة المؤمنين الجديدة بل عن أنفس الناس. إن كان هناك من ينكر خلود النفس أفلا يكون بهذا الإنكار وحده كافراً ملحداً لأنه يسوى من هذه الناحية بين نفس الإنسان ونفس الكلب؟ وهل يمكن أن يكون هناك تبجحاً أعظم من هذا وعدم إيمان حتى في مواجهة ما عمله الله للإنسان ولأجل الإنسان؟ فما من حيوان آخر جعل على صورة الله أو شبهه. ومما يزيد في شناعة عدم إيمان الإنسان وجحوده غير الشاكر أنه يزدري بالله وبكلمته – الله الذي أظهر مثل هذا اللطف والصلاح من نحوه الذي أضفى مثل هذه الكرامة العجيبة الممتازة على الجنس كله ممثلاً في رأسه، إذ جعله سيداً على كل شيء. إن مركزاً كهذا لم يسمح به الله حتى لملاك من الملائكة لأنهم جميعاً خدام. وما من ملاك سيلبس تاجاً أو يجلس على عرش يوم من الأيام مهما كانت أحلام الشعراء أو اللاهوتيين. أما المؤمنون فبكل يقين ستكلل تيجان المجد هامتهم وسيجلسون على عروش ويملكون مع المسيح.

فها أنت ترى أن هناك شيئاً خطيراً ذا مغزى هام حتى في طريقة خلق الإنسان. ولكن الشيطان عدو الإنسان يحاول جاهداً أن يجعل منه مجرد مخلوق للأمور الحاضرة، مغلقاً عينيه عن كل ما هو آت، ومنكراً بذلك كلمة الله والدينونة العتيدة. لا شك أن درجات الإلحاد منوعة وكثيرة وبخاصة في يومنا الحاضر، ولكننا نعتقد أن أول درجات الإلحاد هي نكران الكتاب بوصفه كلمة الله إن لم يكن رفض شهادته للمسيح في الإنجيل المكروز. ثم يضاف إلى ذلك الحط من قدر نفسه الخالدة والنزول بها إلى مستوى البهائم متجاهلاً جهنم والسماء. وهكذا قل عن باقي درجات الإلحاد وغيومها المتكاثفة وظلماتها المتزايدة. ولكن هنا يوجد أيضاً خطر الادعاء والكبرياء لأن الجسد ميال دائماً لأن يفسد كل شيء وأي شيء، وهو يحاول أن يسيء استعمال النعمة ويروقه أن يفعل ذلك ما لم تحصل النفس على طبيعة جديدة. وحتى مع وجود هذه الطبيعة لا سبيل لحفظ المؤمن مستقيماً إلا بالاعتماد على الله في الإيمان بعمل المسيح.

ومن جهة أخرى هناك عمل الله الدائم. فإذا كان النور هو طبيعة الله الأدبية فإن المحبة هي نشاط طبيعته العاملة دائماً بكل ما فيه من صلاح وعطف ورعاية. والواقع أن المسألة كلها مصدرها المحبة. لا ريب أنه يسير على الإنسان أن يسيء استخدام المحبة، وهو لا يقف عند حد الإساءة إليها في فترات متقطعة بل قد يتقدم من رديء إلى أردأ لولا أن الله في

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المسيح ليس فقط حياة ونوراً بل محبة. أجل، وبالمحبة مات المخلص لأجلنا وسفك دمه لكي يجعلنا أبيض من الثلج في نظر الله، كما هو شفيعنا عند الآب القدوس البار.

قد يلاحظ القارئ أن الرسول لا يتكلم الآن عن طبيعة الله كما في الجزء الأخير من الصحاح الأول. بل يعود بنا إلى صفته كالآب (كما في الجزء الأول من ذلك الإصحاح) ذلك الاسم الكريم الذي يعبر عما للمسيحي من شركة مع الله. ولا عجب فإن النعمة التي أظهرت للمسيحي هي أسمة نعمة أظهرها الله أو سيظهرها. وبذلك قد تمت كلمة الله، فلم يوجد بعد عند الله أي إعلان آخر يعلنه وليس للإنسان أن يظفر من الله بأي إعلان أكثر من ذلك. لقد أخرج الله الحلة الأولى ولم يبق بعد ما هو أفخر منها. فالله لم يعطنا فقط آخر وأعمق كلمة في المسيح ابنه، بل أعطانا أيضاً الروح القدس الذي هو معنا الآن ليزودنا بما نحتاجه من قوة. فلسنا في حاجة إلى أن نذهب إلى أورشليم أو السامرة أو روما أو كنتربري أو غيرها لكي نعرف كلمة الله ومرادها. فكما أن الكتاب هو دستور الحق الوحيد، كذلك الروح القدس ساكن في كل مسيحي لهذا الغرض بالذات – ليرشده إلى كل الحق.

غير أن هذا أيضاً يفترض وجود النفس في حالة لائقة. فالحالة السامية المباركة التي تأملنا فيها في مطلع الإصحاح الأول هي الشركة. والشركة المسيحية معناها مشاركة الآب في فكره وعواطفه وعمله ومقاصده مهما يكن مداها ومهما تكن حدودها وآفاقها كما هي مركزة في غرض الإيمان الموضوع أمامنا وهي جميعاً موجودة في شخص الكلمة الحي المتجسد وفي الكلمة الحية المكتوبة، وهي هناك لتأملنا وفهمنا وإدراكنا. وبهذه الكيفية ندرك ونفهم أن ما صنعه الله لأجلنا في المسيح هو عين ما كان في قلبه قبل أن يعمل أي شيء آخر، وذلك كما هو معلن في ابنه وكما هو محقق فينا بعمل الروح القدس وحده. لقد حصلنا على أفضل ما كان ممكناً لله أن يمنحه لنا وهو اشتراكنا معه في مسرته الأزلية بابنه، وهي المسرة التي يوصلها إلينا الآن الروح القدس. فعندما قال الآب "هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت" ألم يكن هذا القول (كما لاحظ آخر) أعجب بكثير مما لو قال "الذي به ينبغي أن تسروا"؟ وحتى لو قال هذا لكان فضلاً عظيماً من الآب، ولكنه أراد بالقول "الذي به سررت" أن يشركنا معه في بهجة قلبه الأعظم، فإن سرور الله كله يتركز في الرب يسوع، وبالأكثر لأن الابن رضى بأن يولد من امرأة، ولأنه تنازل ليصير إنساناً – الأمر الذي كان لازماً لبركتنا كلزوم كونه الله منذ الأزل. فما كان ممكنا أن تكون هناك أية حلقة تربط الله بالإنسان لولا تجسد الله الابن. وكم كان هذا التجسد لازم أيضاً لمجد الله.

إن الرب يسوع لم يأت فقط ليموت. لاشك أن خذا ما فتح لنا الباب وشق لنا الحجاب وأدخلنا إلى محضر الله متحررين من جميع نقائض خطايانا ونتائج طبيعتنا الساقطة. ولكن الأهم من هذا كله تمتعنا بالله كما هو وشركتنا مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح وهو

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بالأسف ما ينساه ويتغاضى عنه المسيحيون العصريون. لكن أليس هو افخر جزء في نصيب المسيحي بالحق؟ وأليس هو بالأسف ما يقصر دونه المؤمنون في الوقت الحاضر؟ أهم يظنون أنه يكفيهم أن يكونوا مخلصين أو أن يكون لهم على الأقل رجاء متواضع أن يكونوا كذلك في آخر حياتهم. وهنا تبدو أنانية المبادئ الكلفينية وقسوتها. فالناس فيها يقولون "إذا كنت قد خلصت فهذا هو المهم، وأن أكون مختاراً أو غير مختار هو أولى المسائل التي يجب الاهتمام بها والبث فيها". مشغولية تدور كلها حول الذات. أما السؤال الأول عند الله فهو أن أؤمن بالرب يسوع وعندئذ ينطلق القلب يملأ الحرية متجهاً بالطبيعة إلى الآب والابن في قوة الروح، وليس فقط إلى جميع القديسين بل لجميع الخطاة لكي يؤمنوا هم أيضاً ويخلصوا.

أي نعم يا أخي. ليست المسألة الأولى مسألة سلامتي. فو إن كان خلاصي أمراً مباركاً، فإن سلامتي جزء صغير في كيان المسيحية الحقيقية وجزء أصغر في المجد الإلهي. لا شك أنه أمر جوهري أن يبدأ المؤمن بيقين الخلاص حينما يقبل المسيح. وهذه البداية برهان كاف على عدم استحقاقه في ذاته لأية بركة لأن الله يمنحها له كاملة ومجاناً. غير أن التمتع بمحبته ومسرته بابن محبته شيء آخر يفوق كثيراً مجرد الخلاص وينشئ فرحاً أكمل وأسمى بكثير مما يمكن أن ينشئه أي شيء آخر. وأي شيء في السماء أعظم من ذلك؟ هناك سيغيب كل شر ولا يكون سوى المجد، ولكن ليس في السماء ما يسمو على الشركة مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح. والأمر العجيب أن تتاح لنا هذه الشركة مع الآب والابن ونحن هنا على الأرض، وأنه لمن أفضال الله ومراحمه العظمى حقاً أنه يؤهلنا من الآن للتمتع بهذه الشركة في الروح.

ولكن مهما تكن الشركة مع الآب والابن مباركة فإنها تتعطل بسهولة. فكر واحد غبي أو كلمة واحدة غبية تكفي لتعطيلها، إذ كيف يمكن أن يكون للآب والابن شركة مع الخطية؟ وهنا نحتاج لرد النفس ومن ثم كان لنا القول الكريم "يا أولادي أكتب إليكم هذا لكي لا تخطئوا" وليس معنى هذا أن الرسول كان يخشى عليهم أن يهلكوا. ومن هذا الوجه نرى المبدأ الكلفيني رغم صرامته وضيقه صحيحاً غاية الصحة. فالحياة الأبدية معناها الحياة الأبدية ولا شيء أقل من ذلك، ولو أنها تعني أيضاً شيئاً أكثر مما يستخلصه الكثيرون من هاتين الكلمتين الموضوعتين هكذا معاً. ولعل أول ما نفهمه منهما سطحياً أن الأمر ليس قاصراً على مجرد الخلاص والسلامة. وحتى من هذه الناحية البسيطة هناك من المسيحيين من يظنون أ "الحياة الأبدية" تعني أقل من السلامة! ونحن لا يسعنا إلا أن نحزن من أجلهم كثيراً. ولكن إن كانت هناك أشياء غبية أخرى مخالفة لكلمة الله يحتمل أن يلهو البعض بها بين المسيحيين فإنه لا يجوز لأحد قط أن يلهو بهذا الحق الأساسي الذي يرتبط بشخص المسيح نفسه. وشكراً لله لأنه يراقب قلوب أولاده وأفكارهم وألسنتهم من جهة هذا الأمر

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الخطير فلا يسيئون استخدام نعمته التي لا مثيل لها ولا يستهينون بشخص ربنا المعبود الذي هو حياتنا الأبدية.

فالشركة مع الآب ومع ابنه القائمة على الحياة الأبدية في المسيح تؤهلنا للنور وتجعلنا أكفاء للسلوك في النور، والله في صلاحه لا يزودنا فقط بالفطنة والفهم الروحي بل يملأنا أيضاً بالسلام والفرح. وهل تظن أيها القارئ العزيز أن معظم أولاد الله يؤمنون فعلاً بأن هذا هو نصيبهم الآن، وإن هذا هو فكر أبيهم من جهتهم؟ وهل مسيحيتهم العملية تبلغ إطلاقاً إلى هذا المستوى مستوى "الفرح الكامل"؟ إن رسالة يوحنا الأولى ليست وحدها هي التي تكلمنا عن فرح المسيحي الكامل بل هناك أيضاً بولس الرسول واختياره وشهادته في هذا الشأن.

انظر إلى تلك الرسالة الاختبارية المكتوبة للفيلبيين، فمع أنها رسالة آلام واختبار لكن لا يوجد بين رسائل بولس ما يعدلها في فيض الفرح من كل جانب. فالرسول كان له هذا الفرح في قلبه وكان يرجوه ويتطلع إليه في قلوب أولئك القديسين الذين كان يحبهم كما أحبوه. صحيح أنه بدأ خدمته في فيلبي في سجن في نصف الليل، حيث أحاطت به كل أنواع القسوة والإساءة من الناس ووقع عليه وعلى زميله "سيلا" كثير من الآلام والعار ولكن لا نقرأ عن مكان آخر نظير فيلبي بدأت في خدمة الإنجيل بأغاني النصرة وأناشيد التسبيح والحمد لله وسط الحزن والآلام والأوجاع. أناشيد سمعها الله وليس فقط المسجونون، وقد أجابهم عليها بزلزلة عظيمة يمكن أن يقال عن يقين أنه لم يحدث نظيرها في أي مكان منذ ابتداء العالم بدليل الآثار التي تخلفت عنها والتي لم يسبق لها مثيل على الإطلاق، فقد حلت قيود جميع المسجونين ومع ذلك لم يهرب منهم سجين واحد ولم يمت أحد أو يجرح أحد.

وقد استيقظ السجان ليس فقط لكي يعلم أن جميع من كانوا بعهدته موجودون وسالمون بل لكي يعرف ما هو أفضل من ذلك بكثير – لكي يعرف المخلص العجيب وليتأكد خلاص نفسه بالنعمة السامية المطلقة. واضح أنه كان رجلاً قاسياً فظاً عديم المبالاة كسائر السجانين ولاسيما في تلك الأيام. ولكن ها هو بين غمضة عين وانتباهتها يصبح نصباً تذكارياً هائلاً لعمل الرحمة الإلهية وشهادة خالدة لإجابة الله ليس فقط على سوء استخدام السلطان بل على صبر إيمان عبديه اللذين كانا يسبحانه ويترنمان بحمده في أعماق السجن، ومن هناك وقعت في سمعه موقع الرضاء والقبول وأناشيد فرحهم التي زادت أنغامها عذوبة وحلوة تلك الضربات الكثيرة الغاشمة التي وقعت عليهما. حقاً أنه أولى بنا في الظروف العادية وفي وسط كل تمتعاتنا الهادئة بالنعمة والحق الإلهيين أن تنطلق ألسنتنا وتمتلئ أفواهنا بأغاني التسابيح القلبية لحمد إلهنا في كل حين. ليس المقصود أن يكون كل مسيحي دائماً مرتلاً بل المقصود هو أن يتصاعد الحمد والتسبيح من قلوب المسيحيين في جميع الظروف

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

والأحوال. ولا شك أن يكون الحال كذلك لو عرف القديسين المسيحية الصحيحة كما سلمت مرة لإيمانهم ولو تمتعوا بها منفصلين عن كعطلات عدم الإيمان المظلمة.

يبدأ العددان اللذان أمامنا بالنداء المؤثر لثقة محبة الذين يدعوهم الرسول أخيراً "يا أولادي". لقد امتنع حتى الآن عن استعمال أي تعبير حبي من هذا القبيل، أما الآن فيستعمله. "أكتب إليكم هذا" – وهنا أيضاً لا يستخدم ضمير الجمع الدال على الشهادة المشتركة التي كانت لازمة ومناسبة في مكانها حينما قال "نكتب إليكم هذا" (عدد ٤) بل هو الآن يوجه إليهم خطاباً شخصياً. لقد كان يكتب لكل واحد وللجميع مسوقاً من الله ولكن من أعماق نفسه الشخصية لا شك أنه كان ملهماً حين قال "نكتب" في الإصحاح الأول كان خاصاً بقرار شهود مختارين وشهدوا بالنعمة الإلهية عن أمور قصد أن يتمتع بها جميع القديسين تمتعاً كاملاً. فإذا كانوا قد استطاعوا أن يتحدثوا إليه بأناشيد الحمد والتسبيح في نصف الليل فبكل يقين كان لهم أن ينشدوا ترانيمهم الروحية في نور نصف النهار أيضاً.

أما هنا فإنه يوجه إليهم إنذاراً خطيراً "أكتب إليكم هذا لكي لا تخطئوا". من منا يعجب لأن يجيء هذا نداء شخصياً وبداعي الحاجة. لماذا؟ إن الخطية تكسر القلب وتمسه في الصميم وبخاصة إذا وقعت من أحد قديسي الله الذين دعي عليهم اسمه. إذاً كنا قد عرفنا الإنجيل فإننا نؤمن حقاً أن الحياة الأبدية تستمر إلى حيث لا يكون زمان، والمسيحي له هذه الحياة الأبدية أي حياة المسيح المعطاة له من الآن، كما أن له فداء المسيح الأبدي (عب ٩: ١٢) ليس فداء وقتياً زمنياً كالفداء الذي جاء بواسطة موسى في الخروج من مصر، بل فداء أبدياً كسائر امتيازاتنا المسيحية. ففي العدد الأول من هذا الإصحاح لا نشتم أثراً للخوف من الهلاك نظير الإسرائيلي، ولكن كل ما هنالك أننا كأحياء بحياة المسيح وصفاته قد صرنا بالنعمة نشعر ونتأثر بكل ما يحط من قدر اسم المسيح ويحزن روح الله القدوس الذي به ختمنا ليوم فداء المقتنى وأكثر من ذلك أن لنا "الآب" كما يحرص الوحي على أن يذكرنا هنا، فلسنا فقط شركاء الطبيعة الإلهية بل لنا شركة الأولاد مع الآب.

لو تخيلت ولداً يتيماً مسكيناً لم يعرف أباه أو أمه ولكنه أخذ في يوم من الأيام يستشعر بألم فقدانه هذه الرابطة التي تربط الآخرين معاً، فعندئذ تستطيع أن تدرك معنى الفراغ العظيم الذي يحس به الإنسان في هذه الحالة. أما نحن فقد جنبتنا النعمة كل إحساس من هذا القبل. فلم نحصل فقط على طبيعة إلهية أعطيت لنا بالنعمة لتدوم فينا على الزمن ورغم كل تصاريفه وصعبان، بل قد أصبح لنا كمن قبلنا المسيح سلطان أن نصير أولاد أبيه وأبينا، وهذه نسبة وعلاقة لا تتغير قط. وما هي الخطية في نظر الآب؟ ليست شيئاً أقل من طعنة مباشرة ضد طبيعة الله. وعلاقتنا الوثيقة بالله ونسبتنا إليه كأولاد إنما تتضاعف من الإهانة التي نلحقها بالله. فالخطية معناها فعل الإنسان لمشيئة الذاتية ضد مشيئة الله. هذه هي صفتها الحقيقية وليست كسر الناموس أو التعدي عليه كما قد يتبادر إلى الذهن من الترجمة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الرسمية[٤] ليوحنا الأولى ٣: ٤. هكذا ظن بعض اللاهوتيين فترجمتها كذلك لأن الطبيعة البشرية ميالة دائماً للتفكير بالروح الناموسية. أما ما كتبه الرسول في ذلك العدد فهو أن الخطية هي التمرد (Lawlessness) أي صنع الإرادة الذاتية وعدم التقيد بأي ناموس وهذا المعنى أوسع وأعمق من مجرد مخالفة الناموس. فإن مخالفة الناموس قد تقع من يهودي تحت تأثير الإهمال أو الاستفزاز دون أن ينتبه ويفطن إلى سلطان الله فيه. بينما التمرد أو عدم التقيد بأي ناموس شيء خطير للغاية ومن هنا كانت وصمة الأمم الذين لا يعرفون الناموس وذنبهم الخاص حتى أن الرسول يستخدم عبارة "بلا ناموس" (Lawless) وصفاً لهم. وهذا هو تعريف الخطية المعلن للمسيحي – "الخطية هي التمرد". صحيح أن تعدي الناموس خطية، لكن ليس صحيحاً أن الخطية هي تعدي الناموس لأن الخطية لها معنى أوسع – هي التمرد أو الإرادة الذاتية الجامحة غير المروضة.

ولذلك وبعد أن شرح الرسول الشركة الإلهية والطبيعة الإلهية، بدأ يكتب مناشداً أولاده الأحباء لكي لا يخطئوا. فإذا كنت أخطئ متجاوزاً ممارسة الحياة الأبدية التي لي في المسيح فإني بذلك أهين إهانة عظيمة محبة الآب والابن، بل إني أخدش طبيعة الله نفسه – طبيعته الأدبية. لأن خطية المسيحي ليست مجرد نقض للناموس الذي أعطاه موسى لإسرائيل مع خطورة هذا في حد ذاته ومع قيمته العظيمة لكل من عرفه إذ الوصية مقدسة وعادلة وصالحة، ولكننا نحن المسيحيين، حتى وإن كنا يهوداً مسيحيين، قد متنا مع المسيح للناموس ودخلنا في نسبة جديدة ومقام آخر يختلف كل الاختلاف عن مقام اليهود، لأننا لسنا تحت الناموس بل تحت النعمة. هذا هو مركز المؤمن منذ مات سيدنا وقام. ولذلك، ولأن الشيطان على استعداد دائم أن يوقع المسيحي في مصيدة الخطية لإهانة سيده، نقرأ القول "اكتب إليكم هذا لكي لا تخطئوا". كلمات قليلة لكن ما اخطر ما تنطوي عليه! ومما يزيد في وزنها ويعظم في قدرها تلك البساطة المحسوسة والعاطفة الرقيقة التي بها يقدمها إلينا الرسول. "وإن أخطأ أحد" – وهنا لا يقول إن أخطأ "إنسان" فليس المقصود أي إنسان على الإطلاق بل إن أخطأ أحد من المؤمنين. إن أخطأ أحد ممن لهم هذه العلاقة المقدسة وهذه الطبيعة الإلهية....

مفروض أن هذه الخطية وقعت من قديس وليست خطية مستمرة إذ لا يمكن أن يقال أن المسيحي يعيش في الخطية عامداً، والكتاب لا يقدم سبباً أو عذراً لمثل هذا التساهل أو التراخي. قد تكون لدى بعض الناس نظرية خاطئة فاسدة تقوم على نكران وجود الخطية فينا، ولكننا قد رأينا حكم الكتاب على أمثال هؤلاء على أنهم يضلون أنفسهم وليس الحق فيهم. أما نكران وقوع الخطأ منا، أي الادعاء بأننا لم نخطئ أعمق غوراً وأكثر خطراً لأنه يدل على ضمير موسوم متحجر وعلى تجرد كلي من ذلك النور الإلهي الذي يكشف دقائق حياتنا الذاتية بأجمعها. والواقع أنه لا توجد نظرية تعارض كلمة الله من نحونا أكثر من

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

هذه. فلنسمع ماذا يقول الكتاب "إن أخطأ أحد فلنا شفيع". أليس القول "فلنا شفيع" تعبيراً غاية في الجمال يكشف عن حقيقة مشجعة؟ فالرسول لا يقول "إن أخطأ أحد فله شفيع" بل يقول "فلنا شفيع" ذلك لأنه مهما يكن سمو هذه الهبة فليس معناها الترخيص لنا بقصر شفاعة المسيح على علاج الوقوع في الخطأ وعلى إلغاء حزن وخجل المؤمن بسبب خطيته.

إن كلمة "شفيع" أوسع أفقاً وأوسع قدراً من مجرد مواجهة أو علاج خطية معينة ولو أن هذه هي القضية التي يناقشها الرسول هنا. وباعتبار هذه الخطية صادرة من مسيحي فإنها تجلب إهانة عظمى لله وهذا مما يزيد في مهمة الشفيع وخطورتها، وما الذي لم يتكلفه المسيح في حمل الخطية والخطايا؟ فإنه حينما "جعل خطية" نزل إلى أعمق الأعماق محتملاً دينونتها من يد الله لكي يعفينا نحن من احتمالها. إن أخطأ أحد فلنا (أي المجموعة المسيحية كلها، جميع الذين هم موضوع النعمة الإلهية) شفيع". وهو هناك في الأعالي لمواجهة هذه الحاجة فكما هو هناك دائماً لأجلنا وبكل كمالاته هكذا هو أيضاً لنا. كما لنا الفداء بدمه، وغفران الخطايا، وكما لنا الحياة الأبدية فيه، هكذا تماماً هو لنا كشفيع عند الآب. يا له من تدبير عجيب هيأته لنا النعمة. ثم أن كلمة "معزين" الواردة في (أيوب ١٦: ٢) فإن كلمة "شفيع" الواردة في الإنجيل والرسالة، وما تحمله من معنى خاص في تطبيقها الكتابي، تعني شخصاً يتبرع لأجلنا ويدافع عنا وفي استطاعته أن يؤدي لنا بصورة كاملة ما نعجز عن القيام به. وهذا وحده يدل على أنه من الخطأ تضييق خدمة شفيعنا وقصرها على مواجهة الخطية فقط، فهو أيضاً معزينا الذي يهتم بسداد كل حاجة من حاجاتنا.

على أن التعزية، ولو أنها النتيجة النهائية التي نحصل عليها بالنعمة، ولا يمكن بطبيعة الحال أن تكون الطريقة الصحيحة لمواجهة خطية المسيحي وعلاجها. قد تسمع عن هذا الأسلوب البشري المبتكر، وهي طريقة يرتضيها الجسد ويرتاح لها، حيث يقال "قلل في الكلام ما أمكن عن الخطية. لا تجرح الأخ كثيراً في الكلام عنها، وأشفق على عواطف أخينا المسكين العاثر الذي لم يكن له حيلة في الأمر" هذا أسلوب مغلوط وليس بحسب الحق، فإن الشخص المستقيم يود بالعكس أن يتغلغل مبضع الجراح في الدمل، ويرجو غربلة خطيته حتى الأعماق، وهكذا يحكم على ذاته قدام الله لأنه انزلق في خطأ لا يليق بالآب والابن ويحزن الروح القدس: على أنه قبل الاستسلام للخطية، ولتحويل هذا العارض السيء المحزن إلى أحسن النتائج، لنا شفيع عند "الآب" يسوع المسيح البار. نعم هو شفيعنا عند الآب في صفته هذه وليس في صفته كالله. كان يجوز أن يقال عند "الله" لو أننا قد فقدنا مركزنا كمسيحيين، ولكن وإن كانت الخطية سيئة ومحزنها فإنها لا تفقد علاقة النعمة، فلا يزال من حقنا التمسك بها باعتبارها ملكاً لنا. والواقع أنه لا يوجد وقت يعوزنا فيه أن نتذكر مركزنا كمسيحيين أكثر من الوقت الذي فيه تدهمنا الخطية فنسقط فيها بسبب غباوتنا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وإلا فكيف يتسنى لنا أن نخجل من أنفسنا خجلاً عميقاً دون أن يتسرب إلينا اليأس؟ فما أبلغ الحزن الذي يغمرنا. وإننا وقد حصلنا على رحمة الله وبركته، نعود فنبعث بالإثم متجاهلين محبة أبينا وطبيعته القدوسة، وناسين الخطية التي انغمسنا فيها – الإنسان العتيق!

أليست الخطية الساكنة فينا كوحش بري جاثم في الداخل ينبغي تقييده وحبسه بقفل وسلسلة حتى لا ينطلق ثائراً؟ حقاً إنها عدو قتال ومع ذلك فمن حقنا وسلطاننا أن نبقيه تحت الموت – الموت الوحيد الفعال – موت المسيح وموتنا معه. فالذي يعرضنا للسقوط إذن ليس فقط عدم سهرنا على أنفسنا، لأن موته لم يكن فقط لإزالة الخطايا بل أيضاً لإدانة الخطية في الجسد – في ذاك الذي كان جسده مقدساً قداسة مطلقة. هناك دان الله الخطية، وهذا هو مصيرها بالنعمة بالنسبة لنا، أن تدان لا أن تغفر. إن الخطايا تحتاج إلى غفران أما الخطية فقد دانها الله في المسيح الذي جعله خطية لأجلنا. لقد تنفذ الحكم على الخطية في المسيح مصلوباً لكي نتبرأ نحن فيه ونصير أحراراً. هذا ما كنا نحتاجه وقد نلناه بالنعمة (رو ٣: ٨) لذلك وجب علينا أن نكون دائماً على حذر وفي حالة اليقظة والسهر المستمر لطلب القوة لإدانة الجسد كلما حاول الظهور أو مجرد العمل في دائرة الشعور حتى ولو لم يظهر للآخرين.

ولكن القضية هنا قضية مؤمن وقع في الخطأ. قديس، أحد أولاد الله، قد أكون أنا وأنت أو أي شخص آخر من المؤمنين – قد أخطأ. فماذا بعد ذلك؟ من طبيعة الخطية أنها تتطور من ردئ إلى أردأ وتقود إلى شر أعظم. وهي لا بد فاعلة ذلك لو لم يكن لنا شفيع كهذا. غير أن الشفيع يعمل، ونتيجة عمله أننا نشعر بالخطية ونديناها بالتذلل أمام إلهنا وأبينا. قد يراه الكثيرون أمراً عجيباً أن يقال "إن أخطأ أحد فلنا شفيع". لا شك أن الوضع الأخير هو ما ترسمه الأقلام الناموسية التي لا تؤمن بالنعمة. أفليس صحيحاً في شرعتها أن يقال "إن تاب أحد فلنا شفيع"؟ غير أن كلمة الله تقول "إن أخطأ أحد". يقيناً أن الله يبغض الخطية بغضاً لا حد له لكنه يحب القديس. كآب يحب أولاده بمحبة تسمو فوق كل صعوبة. وفضلاً عن ذلك أن غرضه هو أن يدخل ذلك القديس في أفكاره وفي بغضه لتلك الخطية عينها. ولذلك لنا شفيع ليس فقد عند "الله" كما لو كنا سنبدأ من جديد وقد فقدنا كل شيء بتلك الخطية. كلا. ولكني أدينها وأحكم على ذاتي بمقدار ما سببت من إهانة وعار. ومن ذا الذي يوصلني إلى هذه النتيجة الطيبة الرحيمة؟ هو الشفيع في الأعالي. وهو يعمل فينا أيضاً بشفيع آخر على الأرض هو الروح القدس.

ومن هنا يتضح للقارئ السبب في تشديدنا على التمسك بكلمة "شفيع" فيما يختص بأقنوم الروح القدس في إنجيل يوحنا لأن خدمة سيدنا عند الآب في الأعالي وعمل الروح القدس فينا على الأرض هي خدمة الشفاعة التي تعني القيام بكل ما نعجز عن عمله بأنفسنا حتى في الحالة القصوى، يوم كانت الدولة الرومانية لا تزال تحمل بعض شعور العطف الأدبي

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

في أخريات أيامها ولم تنغمس بعد في الأنانية ومظاهر الأبهة والفساد كما حدث في أخريات أيامها. فكان لكل قبيلة رئيس أو "نصير" (Patron) وكان من حق كل فرد في القبيلة أن يلجأ إلى النصير الذي كان عليه بحكم مركزه كرئيس للقبيلة وحاميها أن يهتم اهتماماً شخصياً بتقديم المعونة التي يطلبها كل فرد من أفاد العشيرة التابع له. على كل حال هذه كانت النظرية التي قامت عليها وظيفة الباترون يومئذ، ومن المحقق أننا لا نتوقع الكمال من ذلك الرئيس أو النصير لأن القول والعمل شيئان مختلفان في الإنسان في هذا العالم. ولكن الشفاعة كانت الفكرة المقصودة على كل حال. أما الكمال المنشود، وما كان مجرد فكرة فاشلة بين الناس، فيجده المسيحي الآن في الرب يسوع.

ولسنا نجده فقط في الشفيع عند الآب بل كذلك في الروح القدس الذي جاء من الآب ومن الابن ليكون الشفيع فينا. فمن ضمن عمله أنه يشفع في القديسين بحسب مشيئة الله. وشفاعته ليست من نفس النوع بالضبط ولكنها على كل حال شفاعة مستمرة كما تقرأ في رو ٨: ٢٦ و ٢٧ نظير شفاعة المسيح في الأعالي تماماً في عدد ٢٤ من نفس الإصحاح. وهاتان الشفاعتان الإلهيتان، أو بالحري هذه الشفاعة الإلهية المزدوجة تضمن تسديد كل أعوازنا تسديداً فعالاً. فحيثما واجهتنا صعوبة أو تجربة أو حزن فإنه الروح القدس لا يتخلى عنا بل هو هناك لمعونتنا وحيثما شعرنا بالضعف أو الجهل يتقدم الروح لإغاثتنا والأخذ بيدنا، عاملاً بكيفية أو أخرى، ليس دائماً بطريقة مباشرة في نفوسنا بل بواسطة بعضنا البعض. وأليست هذه طريقة مباركة ومغبوطة؟ نعم فإنه حاشا لنا أن يستقل أحدنا عن الآخر. فكما أننا أعضاء جسد المسيح الواحد هكذا قد جعلنا الآن بقوة الروح أعضاء بعضنا لبعض أيضاً. ومشيئة الله هي أننا ننفذ هذا عملياً في حياتنا هنا على الأرض. فماذا نحن فاعلون؟ هنا نشعر بخزي الوجوه، ولكننا نعلم على الأقل أن شفيعنا في الأعالي لا يفشل قط، كما لن يفشل قط شفيعنا الذي على الأرض. وهكذا لنا في نعمة الله العجيبة التعضيد المزدوج والغاية المضاعفة لكي نكون أمناء مهما كنا ضعفاء. وهاتان الخدمتان نجد إحداهما في إنجيل يوحنا والأخرى في رسالته هذه. حقاً إننا دينون يدناً مضاعفاً لله من أجل هذه المعونة المزدوجة التي زودنا بها في طريق غربتنا.

إن الرسول بولس لم يزودنا بكل شيء من هذه الناحية مع أنه لم يوجد أعظم منه وكيلاً لسرائر الله، ولم يقم من بين جميع الذين عملوا وعاشوا وتألموا من أجل اسم ربنا يسوع من هو أقوى منه عاملاً مقتدراً في الإنجيل وفي الكنيسة غير أن الرسول يوحنا كان له مركزاً لم يستطع أن يملأه سواه بإرشاد الروح القدس. ولا غرابة فإنه لم يتكئ في حضن الرب عبثاً. لقد كانت هنالك أسباب ودواعي لانفراد بمثل هذا الامتياز المبارك، وها نحن أولاء نحصد البركة عن طريق التلميذ الذي كان يسوع يحبه، والذي صاغته النعمة الإلهية هكذا وهيأته للعمل الذي أعطي لعمله بعد ذلك الوقت. وما هو الحال الآن؟ ألم تتضاعف

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

هذه الظروف قسوة وعنفاً وعلواً وعمقاً وتمدداً بعد ذلك التاريخ؟ على أن شفيعنا في الأعالي باق وشفيعنا الآخر على الأرض ماكث فينا ومعنا، فهل نؤمن بكليهما إيماناً بسيطاً حقيقياً كاملاً؟

ومن المهم أن نعرف الفرق بين شفاعة الرب وكهنوته. إننا لا نقرأ ليوحنا قط أية إشارة لسيدنا باعتباره كاهناً – للمسيحيين في الوقت الحاضر على الأقل. وإنما هو يشير إلى شخصه العزيز كالشفيع. والشفيع له من صفة القرب والمودة والعلاقة الوثيقة ما يزيد عن الكاهن بمراحل. إن للكاهن مكانه الضروري للغاية، وقد كشفه الوحي بصورة خاصة حيث كان يجب أن يكشف وحيث كانت الحاجة القصوى تدعو إليه، أي للمسيحيين العبرانيين الذين كان معظمهم يحنون إلى الكهنوت القديم والطقوس القديمة. ومن الأمور التي لها مغزاها وجمالها أن الرسول بولس هو الذي علمهم هذا الحق الذي كان ينقصهم مع أنه لم يكن رسولهم، ولذلك فإن رسالته للعبرانيين وقلوبهم. فهو يمحو نفسه غافلاً اسمه مستعيناً العون كله بفصول العهد القديم منتقاة بمهارة لا مثيل لها. وهي مهارة قد منحه إياها الروح القدس لهذا الغرض العظيم، ولا شك أنه هو أيضاً كان الإناء المناسب للكلام عن خدمة يسوع هذه كالكاهن العظيم في الأعالي، كما كان يوحنا الإناء المناسب للكلام عن المهمة الأخرى التي نحن بصددها – أي مهمة الشفاعة.

ونستطيع أن نجد ما يعيننا على إدراك الفارق بين رسالة العبرانيين ورسالة يوحنا التي أمامنا، لأن هذا الفرق لا ينحصر في نقطة واحدة بل يتخلل كلتا الرسالتين. فرسالة العبرانيين تتناول موضوع اقترابنا إلى الله ودخولنا إلى مقدسه، وهذا شيء غير علاقتنا بالآب. صحيح أنه توجد في ص ١٢ إشارة إلى الله مخاطباً القديسين كبنين، وإلى التأديب الأبوي الذي يحتفظ به أبو الأرواح للبنين الحقيقيين ولكن طابع الرسالة هو الكلام عن "الله" وعلاقته بالقديسين. ولذلك فالموضوع الذي عني به بولس بإبرازه هو كيف يتسنى لنا، ونحن ما نحن، أن نقترب إلى الله في الأقداس. ومن هنا قد أفاض الرسول في الكلام عن ذبيحة المسيح وعمله الكفاري الكامل، وهي تمتاز بخاصية فريدة تميزها عن ذبائح العهد القديم وتجعلها في تباين مستديم معها وهي بكونها "ذبيحة واحدة" قد تمت مرة واحدة وإلى الأبد. والحق أننا نلاحظ أن الوحي يحرص بتجديد تطبيق الدم. ولماذا هذا؟ لأن دم المسيح له خاصية ليست لأي دم آخر وما كان ممكناً أن تكون لأي دم آخر، وهي أنه يعمل عمله كاملاً ولذلك يعمله مرة وإلى الأبد. ولكن مما يؤسف له أن هذا الحق بالذات هو ما يصعب الآن أن تجد من يؤمن به إيماناً كاملاً مطلقاً بلا شرط أو قيد.

فهما اختلفت أشكال النظم الكنسية وتباين العقائد، فإن معظمها حتى بين الإنجيليين – يتمسك بقاعدة تطبيق دم المسيح من جديد. ومسلك كهذا يشبه في جوهره مسلك اليهودي وهو في حقيقته إحياء لليهودية واستعادة لها بعد أن طردت طرداً وبخاصة بجهود الرسول بولس،

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بحيث لا يظهر لها أقل أثر حينما كتب للتسالونيكيين أو الكورنثيين أو الرومان أو الغلاطيين أو الفسسيين أو الكولوسيين أو الفلبيين. أما للمؤمنين اليهود، العبرانيين، فهو يستبعد استبعاداً حازماً كل فكر كهذا. وكما يقول في (ص ٩: ٢٦)، أنه كان يجب في هذه الحالة أن يتألم مراراً كثيرة. ولكنه قدم مرة وليس مراراً وهنا تتكشف ليس فقط ضلالة بل غباوة "القداس" الروماني فهو باعترافهم ذبيحة بغير دم – ذبيحة تتكرر يومياً لغفران الخطايا. بل هو "سر مقدس" يعلن بصوت صارخ أن دم المسيح قد فشل ولا بد من تقديم القداس لنوال الغفران! ولكنه مجرد صورة خادعة، وادعاء جريء من الكاهن الأرضي وإهانة عظمى للرب يسوع هنا وفي السماء. ولكن حتى بين البروتستانت الغيورين، أليسوا واقعين تحت غشاوة الالتجاء المتكرر للدم وتجديد تطبيقه من وقت لآخر؟.

وهل أدلك على منشأ هذه الضلالة وبأي شيء ترتبط نظامياً؟ منشأها إغفال غسل الماء بالكلمة يم لا يرون في هذا الحق إلا كونه يشير إلى المعمودية! ولكن الكتاب يقصد بغسل الماء بالكلمة شيئاً آخر يختلف عن هذا كل الاختلاف. يقصد تسديد حاجة القديس المستمر بعد أن استراحت نفسه بالإيمان على دم المسيح. والغسل بالماء له صورتان في الكتاب المقدس الصورة الأولى غسل التجديد وهذا نناله في ذات اللحظة التي نرتاح فيها على دم المسيح وهو أيضاً يتم مرة واحدة لا يتكرر أبداً فلا يوجد في الكلمة شيء اسمه إعادة التجديد. فكما أن ذبيحة المسيح لا تتكرر هكذا التجديد لا يتكرر. كلاهما مرة واحدة ولا يمكن أن يكون الأمر غير ذلك. وهكذا دم المسيح يبقى دائماً أبداً في كامل فاعليته لدى الله ولأجلنا. والواقع أنه لو لم يكن الأمر كذلك لكانت النتيجة هلاكنا لا محالة، فالمسيح لا يمكن أن يموت مرة ثانية لأجلنا. غير أننا بعد أن نرتاح على موت المسيح لأجلنا يزعم البعض أن فاعلية هذا الموت تتعطل بالخطية ولذلك فالأمر عندهم أننا نحتاج إلى إعادة تطبيق الدم من جديد لتطهيرنا. ولو كان الأمر كذلك، فأين كنا نذهب أيها الأخ؟ ولكن شكراً لله لقد مات المسيح مرة واحدة وقيمة موته باقية إلى الأبد، وفاعليته دائمة بغير توقف ولا انقطاع كما هو عنى الكلمة حرفياً.

ولكن هناك الصورة الثانية وهي غسل الماء بالكلمة وهذا الغسل يتكرر باستمرار كلما دعت الحاجة وقد رسم لنا الروح القدس هذه الصورة وضرورة تطهيرنا المستديم بغسل الماء بكيفية مؤثرة للغاية، ليس في رسالة العبرانيين ولا في الأناجيل بصفة عامة بل في إنجيل يوحنا وحده، حيث أخذ الرب مغسلاً وماء ومنشفة وغسل أرجل تلاميذه مبيناً بهذا الرمز ما يعمله الآن في السماء كلما تدنست أقدامنا ونحن نسير على الأرض، وهي الخدمة التي قال لتلاميذه أنهم سيفهمون معناها فيما بعد، والغرض منها مواجهة دنس السلوك في الشخص المسيحي، وهذه خدمة الشفيع كما هو واضح وقد أعطى الرب صورتها بانحنائه لا لكي يموت من أجل تلاميذه بل لكي يغسل أرجلهم المتسخة الأمر الذي أدهش بطرس كما أدهش

 All rights reserved © 2008-2018

الباقين بلا شك، وإنما بطرس هو الذي كشف عن جهالتهم المشتركة إذ وثق بأفكاره الخاصة للمحافظة على كرامة سيده ناسياً أن كرامة سيدنا الأدبية العظمى إنما تتمثل في ذلك الاتضاع الذي قبله في محبته إرضاء لمحبة الآب إلى أقصى حد وإسعاد لقلوب القديسين إسعاداً دائماً كاملاً وهكذا نجد أن عملية غسل الأرجل في يوحنا ١٣ تتجاوب مع كلمات يوحنا هنا "لنا شفيع عند الآب". وهي ليست خدمة الدم بل خدمة الماء. وقد جاء في نفس الرسالة "هذا هو الذي أتى بماء ودم يسوع المسيح لا بالماء فقط بل بالماء والدم". هكذا يكتب رسولنا في (ص ٥: ٦) مشيراً بلا شك إلى ص ١٩ من إنجيله (العددين ٣٤ و٣٥) فإن موت المسيح يكفر عن موت المؤمن كما يطهره أدبياً. يكفر عنه بالدم مرة واحدة وإلى الأبد، ويطهره بالماء (الذي يشار به إلى الكلمة في يو ١٥: ٣) ليس فقط في بدء الطريق بل إلى نهايتها هنا على الأرض، أي أن الكلمة تطبق موت المسيح لتطهيرنا بالإيمان.

إن رسالة العبرانيين تحدثنا كما سبقت الإشارة عن ضمان اقتراب المؤمن إلى الله بواسطة الذبيحة الكاملة "دم الصليب" وبواسطة دخول الرب يسوع إلى الأقدس كرئيس الكهنة العظيم على بيت الله وكمن دخل كسابق لنا لكي ندخل نحن بثقة في أثره المبارك، ولكن الغاية من كهنوته هي إعانة المجربين والرثاء لضعفاتنا لكي ننال رحمة ونجد نعمة عوناً في حينه. فهو في السماء يظهر أمام وجه الله لأجلنا، وبذلك يعزينا ويقوينا ضد تجارب البرية، ويشددنا في ضعفنا وتعرضنا لمخاطر الطريق وصعابها المختلفة. ولكننا لا نجد في الكلمة أية إشارة إلى علاقة خدمته الكهنوتية بخطايانا هنا تأتي شفاعته له المجد بصريح العبارة. إن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب، وهذا الشفيع هو نفس الشخص، الرب يسوع ذاته، ولكن في خدمة مختلفة وذلك لوصل ما انقطع مع الآب من الشركة بسبب الخطأ من جانبنا، أو بعبارة أخرى لرد الشركة التي عطلتها الخطية.

على أن هناك أمراً آخر يوجه إليه الروح القدس أنظارنا. فالشفيع هنا هو يسوع المسيح البار. وهذه هي نقطة هامة جداً. وأكثر من ذلك "وهو كفارة" لاحظ هنا الأساس المزدوج. فأولاً تقوم الشفاعة على أساس كونه البار. ونحن لم يكن لنا أي بر. أما هو فهو البار، وقد صار لنا من الله ليس فقط حكمة بل براً وثانياً هو كفارة لخطايانا وقد أرسله الله الآب لهذه الغاية بالذات. وقد حمل كل ما كان ضرورياً للتكفير عن خطايانا إذ احتمل الدينونة الإلهية مرة إلى الأبد. ولكنه كالشفيع يعالج الآن خطية المسيحي التي تعطل تمتعه بالشركة مع الآب والابن. وهذا العمل لا دخل له إطلاقاً بتألمه مرة تحت ثقل الدينونة الإلهية (لأن هذا كله انتهى إلى الأبد على الصليب) ولكنه خاص برد الشركة مع الآب والابن كلما تعطلت، وما أكثر ما تتعطل بسهولة مع الأسف.أي نعم أيها الأخ الحبيب، إنه لأمر محزن أن

 All rights reserved © 2008-2018

نستخف بهذه الشركة فلا نشعر بانقطاعاتها التي تعرضنا لها كلمة طائشة أو فعلة غبية قد تندفع إليها في عدم يقظتنا! لكن شكراً لله إذ "لنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار".

إن المسيح هو الآن في الأعالي في كامل نعمته. وبره باق في كامل استحقاقه وكذلك كفارته بالدم باقية بكامل فاعليتها. وإنه لما يملأ قلب المسيحي بالفرح والفخار إن شيئاً على الإطلاق لا يمكن أن يمس المسيح المقام أو يؤثر على فاعلية عمله على الصليب لأجلنا. وإن تعامت الأرض أو تصامت فإن السماء لا يمكن أن تنسى ما لهذين الأمرين (- بر المسيح وكفارته) من قيمته لمجد الله وتطهير المؤمنين. لكن لنلاحظ هنا نقطة أخرى. يقول الرسول أن كفارة المسيح ليست لخطايانا فقط بل "لكل العالم". ونعرف من كلمة الله أن الكفارة عن خطايا هي للمؤمنين فقط، لمؤمني العهد القديم ومؤمني العهد الجديد، أولاد الله في الوقت الحاضر. فالمسيح هو كفارة بصفة عامة لكل العالم ولكن فقط "لخطايانا" نحن المؤمنين. ولن تجد غير هذا في كلمة الله، ولذلك يحرص الرسول على تبيان الفارق عندما يشير إلى كل العالم. لأنه إذا كان الرب كفارة لخطايا كل العالم فإن كل العالم يحصل على النتيجة حتماً ويذهب إلى السماء. فإن كان الرب حمل خطاياهم كما حمل خطايانا تماماً فماذا يكون لله ضدهم؟ لكن الحق الذي يقرره الكتاب هو أنه كفارة لخطايانا، تلك الخطايا التي أبطلها إلى الأبد ماحياً إياها بدمه. ولو كان الأمر كذلك مع العالم لبرئت ساحته بلا نزاع.

إذن ما هو دخل العالم هنا، وما هي علاقة الكفارة به؟ الجواب على ذلك كما يقول لنا الكتاب هو أن الكفارة ليست متعلقة فقط بقضية أولاد الله. إن الله نفسه كان يجب أن يتمجد من جهة الخطية بغض النظر عن خلاصنا، وإن طبيعته كمحبة كان يجب أن تتبرر بالنسبة لأردأ أعدائه. ونستطيع أن نجد التعليم الوافي عن هذين الحقين أو عن هاتين الوجهتين من ذبيحة المسيح الكفارية في ما قد سجله لنا الوحي عن يوم الكفارة العظيم في سفر اللاويين (ص ١٦). ففي ذلك اليوم كان يقد تيسان عن شعب إسرائيل: أحدهما كان من قرعة الرب وثانيهما من قرعة الشعب. ولكن على رأس تيس الشعب وحده كانت تستقر اعترافاتهم بخطاياهم، الأمر الذي لم يحصل مع التيس الأول الذي كان يذبح فأنت ترى من هذا فارقاً ملحوظاً بين الاثنين. أما عن التيس الأول. قرعة الرب، فقد كان لمجد الله الذي شوهته الخطية في هذا العالم، حتى يتسنى بموته بالنعمة إشباع مطاليب طبيعته. فقد كان لزاماً أن يتمجد الله من جهة الخطية. ولكن هذا لم ينزع بعد عبء الخاطئ بصفة نهائية، لأن غفران خطاياه كان يقتضي الاعتراف بها بصفة واضحة وبصورة قاطعة. وهذا عين ما فعله هارون إذ وضع يديه كلتيهما على رأس التيس الحي أو التيس الثاني، قرعة الشعب. أما التيس الأول فقد ذبح وجيء بدمه إلى القدس بل وإلى كل مكان في الداخل وفي الخارج.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وهذه هي الكفارة بصورة رمزية، ومن هذه الناحية وإلى هذا القدر هي للعالم كله لكي يتسنى الكرازة ببشارة الإنجيل لكل خاطئ.

وهذا هو تعليم الكتاب هنا وفي كل مكان. وهو حق خطير جداً ككل الحقائق المتعلقة بشخص سيدنا له المجد حتى أن الله لن يكتف بمجرد تعليمه لنا نظرياً، بل سبق فوضحه لنا بطريقة رمزية عملية وعجيبة للغاية. فإن ذلك الرمز المعروف المشهور يوضح لنا الفارق بين وجهتي الكفارة فنجد من الوجه الأول أن ذبيحة المسيح قد مجدت طبيعة الله تمجيداً كاملاً حتى يستطيع الله أن يقف متسامياً ويرسل بشارته المفرحة إلى كل الخليقة . ولكن من الوجه الثاني هناك شيء آخر لابد منه للخطاة لكي يخلصوا وذلك هو المتضمن في قول الرسول "الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة". هذا لا يقال مطلقاً عن العالم، والوحي دائماً حريص في تعبيراته. ولكن بما أن الله تمجد بالتمام من جهة الخطية في ذبيحة المسيح، فإنه يستطيع بوساطة خدامه أن يطلب إلى أعدائه بل أكثر من ذلك – ويا لغنى النعمة - أن يستعطفهم قائلاً: تصالحوا مع الله. ومحبة الله هي مصدر الإنجيل وموت المسيح هو وسيلته وأساسه على أنه ليس من المحتم أن الإنجيل يخلص كل إنسان (مع أنه كفء لذلك) ولكنه يذيع أ، الله قد تمجد في المسيح. وحتى لو لم تخلص نفس واحدة فإن الله يتمجد في رائحة موت المسيح الذكية.

ولكن يحسن بنا أن نعرف أن الفارق عظيم بين الحقيقتين فلو أن الله ترك كل شيء للإنسان، لما تسنى أن يخلص إنسان واحد. فإنا بالنعمة مخلصون. والمختارين يعطي الله الإيمان، وهنا تأتي الكفارة عن خطايانا. ولست أظن أن واحداً به خوف الله يزعم أن كل العالم سيخلص، أو ينكر أن النعمة وحدها هي لتي تجعل الفارق بين المؤمن وغير المؤمن. ففي يوم الكفارة شهادة على أن أول شيء كان لازماً هو تمجيد طبيعة الله بغض النظر عن محو خطايا شعبه. وقد كان لزاماً وأهم من ذلك بكثير أن يتبرر الله من جهة حقه وقداسته وبره ومحبته وجلاله في صليب المسيح. ففي الصليب دون سواه قامت المعركة الحاسمة بين الخير والشر، وذلك لدينونة وهزيمة الشر ونصرة الخير ومصالحة ليس فقط جميع المؤمنين بل كل شيء (وليس كل شخص) مع الله ووضع الأساس الإلهي للسماوات الجديدة والأرض الجديدة لطول الأبدية. وأساس هذا كله نراه فيما كان التيس المذبوح (قرعة الرب) يرمز إليه. ولكن لتخليص الشعب من خطاياهم أراد الرب أن يريهم عظم رحمته، وهكذا في المكان الثاني يأتي دورهم جلياً واضحاً فتوضع خطاياهم على التيس الحي الذي حملها إلى أرض النسيان لكي لا تعود تذكر فيما بعد. هذا هو الفارق بين الكفارة والنيابة.

وهنا نقرأ أن ربنا وسيدنا هو الكفارة لخطايانا وليس لخطايانا فقط بل لكل العالم أيضاً. وفي هذه العبارة نرى حرص الوحي على عدم الخلط بين أولاد الله والعالم. ومع ذلك فإن كلمة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الله تعلن الرحمة الإلهية إلى كل العالم. في هذا وحده تتبرر طبيعة الله ومحبته فكالمخلص يظهر الله لجميع الناس، باعثاً برسالة الخليقة لكل النعمة لكل الخليقة وداعياً جميع الناس في كل مكان أن يتوبوا. ولكن لكي يخلص الخاطئ ينبغي أولاً أن تتجه إليه الدعوة الفعالة بحسب المشورة الإلهية، ثم يلي ذلك عمل الروح القدس في القلب لقبول المسيح. وليس الأمر هكذا مع "كل العالم". ومن العبث أن ننكر الحقائق الواقعة. ولنا هنا المكتوب الذي يفسر القضية تفسيراً جلياً.

فحينما نؤمن بربنا يسوع المسيح نستطيع نحن أيضاً أن نقول مع المكتوب أنه حمل خطايانا ولكن ليس من حقنا أن نقول هذا لغير المؤمن ولا "لكل العالم". الإيمان وحده هو الذي له أن يتكلم هكذا.

والواقع أن الرمز الذي أشرنا إليه إنما هو شهادة خاصة لهذا المبدأ الكتابي العظيم، الذي يفسره العهد الجديد تعليماً بأوضح لغة. خذ مثلاً الفارق بين "الفداء" (أف ١: ٧) وبين "الشراء" (٢ بط ٢: ١) وهو المفتاح الحقيقي لهذا الموضوع الخطير. فالرب بموته قد "اشترى" كل الخليقة ومن ضمنها كل إنسان بطبيعة الحال بما في ذلك "المعلمون الكذبة" وغيرهم. وإنه لهلاكهم ودمارهم الأبدي أنهم ينكرون حقوقه ويثورون ضد سيدهم العظيم الذي اشتراهم. ولكنه لا "يفتدي" سوى أولئك الذين لهم بالإيمان بدمه غفران خطاياهم . إن الرب بموته على الصليب قد أضاف إلى حقوقه كالخالق بأن جعل كل الخليقة ملكاً له بحق ذلك الشراء العظيم. فالجميع ملكه وليس ملك أنفسهم، ولو أن المؤمن وحده هو الذي يعترف بذلك اعترافاً كاملاً. ولكن الفداء هو الذي يعتق من الشيطان والخطايا. ولم ينال أحد هذا العتق إلا بالإيمان.

خذ أيضاً صورة أخرى لهذا الحق في (عب ٢: ٩ و ١٠) فيقال هناك أن المسيح ذاق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد أو لأجل كل شيء بما في ذلك كل إنسان طبعاً (قارن عدد ٧ و ٨). فالكل قد شملهم الشراء وهو قد اشترى الجميع، لكن اللغة تتغير تغيراً كاملاً ابتداء من عدد ١٠ حيث نسمع عن الله آتياً "بأبناء كثيرين" إلى المجد ومكملاً رئيس خلاصهم بالآلام. إذن فالتفكير عن "خطايانا" شيء والتفكير عن "كل العالم" شيء آخر. والخلط بين هذين الحقين المتميزين يفقدنا الدقة في التعبير بل أن الحق نفسه يضار بسبب ضيق القلب الذي ينتج عن عدم معرفة الشراء العام أو بسبب الغموض الذي ينتج من عدم معرفة تخصيص الفداء.

يا ليت الله يبارك الحق الذي تأملنا فيه من أجل خاطر الرب يسوع.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الرسالة الأولى: الخطاب الرابع

١ يو ٢: ٣ – ٦

"وبهذا نعرف أننا قد عرفناه إن حفظنا وصاياه. من قال قد عرفته وهو لا يحفظ وصاياه فهو كاذب وليس الحق فيه. وأما من حفظ كلمته فحقاً في هذا قد تكملت محبة الله. بهذا نعرف أننا فيه. من قال إنه ثابت فيه ينبغي أنه كما سلك ذاك هكذا يسلك هو أيضاً"

إن كل مسيحي متأمل لا بد أن يحس وهو يقرأ هذه الأقوال أنها بحسب الظاهر غير مرتبطة بالأعداد السابقة، ولو أن حرف العطف الذي تبدأ به قد يعطيها شبه اتصال بما قبلها. لا شك أن هناك رابطة حية بين الاثنين، ولكن مرجع هذه الرابطة ليس حرف العطف الذي يربط به الناس عادة موضوعاتهم المنوعة لأن العبارة في الواقع تتكلم عن شيء متميز عما سبقه. ومع ذلك فهناك حلقة، وحلقة مهمة جداً، تربط الاثنين معاً، وهذه الحلقة هي في كلمة واحدة "الحياة" ليس فيما بعد مجرد الحياة الإلهية بل طبيعة الله في طهارتها المطلقة المعبر عنها بالكلمة التصويرية "نور" – ذلك النور الذي انتقل إليه المؤمن منذ لحظة تجديده.

فالنور هو الذي يؤثر بقوة من الآن فصاعداً على الضمير لأنه ليس فقط ضميراً يقظاً بل ضميراً مطهراً. والطبيعة الجديدة ترحب بنور الله وتستجيب له وبالأكثر لشعورها الأليم بمبلغ الشر الذي تنطوي عليه الطبيعة القديمة في ذاتها. ولكن المسيحي قد حصل على طبيعة جديدة من الله. ويصرح الرسول بطرس أننا نحن المؤمنين قد صارت لنا طبيعة إلهية، وذلك من اللحظة التي فيها تعمل حياة الله في نفوسنا وهي تعمل فعلاً من ذات اللحظة التي فيها نرجع إلى الله. قد لا يكون لنا بعد، بل قد يمر وقت طويل قبل أن نتمتع بالسلام تمتعاً كاملاً ومع ذلك فإننا نبتهج ونفرح فرحاً عظيماً في إيماننا أن الله قد تكلم إلى نفوسنا ونحس براحة كبيرة في خضوعنا الكلي لنور الله الذي يكشف ويدين حياتنا الماضية.

وكيف ذلك، ولماذا نفرح بإدانة نفوسنا؟ السبب لأن لنا حياة جديدة من الله والحياة في المسيح هي نور الناس. وهذه الحياة تسمى في أماكن أخرى الحياة الأبدية ولكن حياة المسيح ليست حياتين. صحيح أن لتعبير "الحياة الأبدية" معناه الخاص وتأثيره الخاص، ولكنها نفس الحياة الواحدة، وليس للمؤمن سواها. ونحن نرى كم هو لائق ومناسب أن يكون الوضع هكذا، لأن المسيح حياتنا هو نفسه الحياة الأبدية كما هو مذكور عنه في العدد الثاني من الإصحاح الأول. وكذلك الرسول بولس يقرر في رسائله بلا تردد أن المسيح

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

حياتنا (كو ٣: ٤) وأنه يحيا لا هو بل المسيح يحيا فيه (غلا ٢: ٢٠). إذاً فالحق مؤكد من كل جانب. وكما أن المسيح ليس لنا ليس له حياتان، كذلك المؤمن ليس له حياتان. أقول هذا فقط عن الحياة الروحية، غير منكر الحياة الطبيعية. ففي المسيح كانت الحياة منذ الأزل، وإذا جاء من السماء صار يعطي الحياة بالإيمان ليس لليهودي فقط بل للعالم (يو ٦: ٣٢) فهي للأممي الذي يؤمن سواء بسواء. إذاً فالمؤمن له هذه الحياة، وإذا هو يتقدم في الإدراك يشعر بالفرح العظيم إذ يعرف أنها حياة أبدية.

وفي رسالة بطرس الأولى (ص ١: ٢) نجد نفس هذا الحق الجوهري فيما يتعلق بتقديس الروح الذي يتكلم عنه الرسول هناك. لقد أساء الكثيرون فهم المراد من الاصطلاح "تقديس الروح" فظنوا أن المقصود هو القداسة العملية. وقد ترتب على هذا التفسير المغلوط أخطاء أخرى كثيرة، فإن بذرة الخطأ متى زرعت أنتجت حصاداً كثيراً من التشويش والارتباك. ولكن القرينة توضح تماماً أن تقديس الروح هناك معناه شيء واحد وهو تكريس المؤمن أو تخصيصه لله، الأمر الذي يتم بولادته من الله، لأنه تكريس أو تخصيص "للطاعة ورش دم يسوع المسيح" أعنى أنه سابق وليس لاحقاً لطاعة على شبه طاعة المسيح ورش دمه بالمقابلة مع طاعة الناموس ورش دمه (خروج ٢٤) فنحن مدعوون منذ خطوتنا الأولى في الحياة الجديدة التي بها يفرزنا الروح لله ويخصصنا أو يقدسنا له أن نطيع كما أطاع المسيح كأبناء في كل حرية مقدسة ولنا الدم المرشوش الذي يعلن غفران خطايانا وإبطالها. وهذا على نقيض إسرائيل الذي بدأ مساعيه في الحصول على الحياة بمحاولة إطاعة الناموس خوفاً من عقوبة ذلك الموت الذي كان يشهد له دم الذبائح التي كان يرش على الكتاب والشعب. ونفس هذا المعنى يوضح السبب في قول الرسول بولس في (١ كو ٦: ١١) "لكن اغتسلتم بل تقدستم" قبل القول "بل تبررتم"، إذ لو كان الأمر متعلقاً بالقداسة العملية لانعكس الوضع. فتقديس الروح الذي يتكلم عنه الرسولان الرئيسيان (بطرس وبولس) معناه الانفصال لله، ذلك الانفصال الذي يتم حينما نولد من الله. (وهي طريقة يوحنا في الكلام) وسابق لتخصيص رش دم المسيح وممهد الطريق لطاعتنا لله كما أطاع المسيح.

في عهد الناموس كانت الحياة تقدم للإسرائيلي تحت شرط الطاعة. ومع ذلك فلم تكن ملكاً له بل كانت الحياة المضاعة التي فقد حقه فيها وكان لا بد لها من الوقوع تحت سلطان الموت كالحياة الآدمية الأولى. على أنه لا يقال أنها كانت تحت سلطان الفناء، لأنه لا فناء للإنسان على الإطلاق ولن تستطيع كل قوة الشيطان أن تبيد أضعف كائن بشري. لاشك أن هناك أشياء مخلوقة لم يكن قصد الله الأصلي أنها تحيا ثانية. أما الإنسان فليس كذلك وما موته إلا مجرد انفصال بين النفس والجسد. الإنسان المذنب يجب أن يموت ويدان، وأليس هو حقاً وعدلاً أن يحتمل وزر إثمه ضد الله والإنسان؟ أما الإنسان المؤمن فيعلم من الله أن الحياة الأبدية التي له هنا في الابن هي نفس الحياة التي تكون له عندما يتغير أو يقام من

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الأموات، فهي الحياة التي أهلته للشركة مع الآب والابن وهو هنا في هذا العالم، وهي التي ستؤهله للتمتع بالآب والابن طوال الأبدية.

ثم أن روح الله هو القوة الإلهية والأقنوم الإلهي العامل للخير في هذه الحياة ضد كل ما يقاومها.وبهذا يمجد المسيح الذي وهبها لنا بالنعمة. ذلك لأننا نحتاج دائماً للرب يسوع كغرض وقوة نفوسنا كما احتجنا إليه كواهب الحياة، وكما سنحتاج إليه إلى الأبد للخدمة والتعبد والتمتع. ولكنه الآن يحيا في السماء لأجلنا فلا نستطيع القول أن يعوزنا كما لو كنا لم نمتلكه. لقد امتلكناه فعلاً وصار يلذ لنا الابتهاج به كمن بذل نفسه لأجلنا، وسرورنا الآن – قبل كل شيء – أن نعمل رضاه. وكما نحب أن نتمم مشيئة الله على الأرض هكذا سيكون الحال في الأعالي عندما تزول إلى الأبد جميع المؤثرات المضادة.

ولكننا نبدأ من الآن بما هو أبدي حتى ونحن بعد في عالم الزمان. وأليس هو أمراً مباركاً لنفوسنا أننا نتطلع إلى الأبدية ليس كمجرد مستقبل، بل نتعلم من الله كل من له حياة أبدية قد دخل فعلاً من الآن فيما سيستمر إلى الأبد؟ فنحن لا ننظر إلى الأمور التي ترى وهي وقتية بل من امتيازنا أننا ننظر إلى الأمور التي لا ترى وأبدية. والإيمان يعلم أن الأمور التي لا ترى حقيقية وغير متغيرة أكثر جداً من كل ما نراه بعيوننا. وواضح أن حلقة اتصالنا بما أبدي هو أن ذاك الذي هو نفسه لحياة الأبدية حياتنا. وكيف تعرف هذه الحياة؟ عند هذه النقطة يحاول الشيطان أن يلقي بما لا يسوغ لمؤمن أن يسمح به قط – وهو الشك، ولكن نحن الذين نؤمن بإعلان الله يجب علينا أن نعتبر الشك خطية. لأنه قيم هذا الشك؟ طبعاً ليس في حقيقة ذواتنا، لأننا قبل أن نسمع صوت ابن الله هل كنا إلا خطاة هالكين؟ ثم هو ليس شكاً في محبة الله لأن عندنا البرهان عليها وهو دم المسيح المعطى لنا بل والمصلوب لأجلنا – المسيح المعطى لنا ليس فقط في كل قيمة دمه لمحو خطايانا بل كالمقام من الأموات وكمن هو الآن في المجد حيث لا يستحق بنا بل يدعونا إخوة. فبالنعمة لنا المسيح الآن وإلى الأبد. هكذا على الأقل هو يؤكد لنا (يو ١٠: ٢٨).

إن الحياة الأبدية – نظير الفداء الأبدي – هي هبة الله العجيبة في المسيح، وهي ككل هبات الله تبقى إلى الأبد غير متغيرة أو منقوصة. والمسيح قد اجتاز الموت لكي يطبع تلك الحياة بطابع الحياة المقامة وليس فقط الحياة الأبدية. وإذا أقمنا معه نعلم أن خطايانا جميعها قد غفرت (كو ٢: ١٣) والقيامة معه معناها أن ذاك الذي مات هو الآن حي وإلى الأبد وأن لنا الحق منذ الآن أن نقف موقفه، عالمين أن النعمة قد جعلت ذلك المقام نصيبنا الحاضر. أما إذا كان إبليس يتحدانا ويناوشنا فإننا نتيح له الفرصة بإهمالنا وعدم سهرنا وإغفال الصلاة والتغذي بالكلمة كطعامنا اليومي. إن الناس يحسون بالحاجة للطعام الجسدي، ولكن أليس للنفس مثل هذه الحاجة بل أكر منها، إن لم نقل شيئاً عن أهميتها التي لا تقارن؟

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ما هو إذن خبز الحياة؟ هو المسيح معلناً بالكلمة. أو بعبارة أخرى هو الكلمة جاعلة المسيح طعامنا في الروح. فلا شيء سوى المسيح يغذي النفس. ومع ذلك فعندما تستسلم النفس للتجربة وتسقط في الخطية هناك تكون فرصة العدو. فهو يستخدم السقطة لكي يقود المؤمن إلى مزالق الشك في كلمة الله تحت ستار الشك في نفسه كما يحصل عادة. ولكن هي أن الشك هو في الله تحت ستار الشك في نفسه كما يحصل عادة. ولكن الحقيقة هي أن الشك هو في الله وفي نعمته في المسيح ويا لها من شكوك مخجلة، مع وقوف المسيح مصلوب بوضوح أمام عيوننا! فها هو هناك، مقدماً في كلمة الله لإيماننا كالمصلوب، لكي يهدم كل شك هدماً كاملاً. ألم يمت من أجل الفجار والأعداء الضعفاء (رو ٥: ٦ - ١٠)؟ حقاً أننا لو لم نكن أردياء بهذه الصورة لما كانت بنا حاجة إلى مخلص إلهي نظيره. وفضلاً عن ذلك فإننا نعلم خيانة الجسد في المؤمن. وهذا ما يزعج الكثيرين من القديسين ليس ما عمله في أيام ظلامه وموته بل ما يلمسه في اختباره من فشل في طريق النعمة والحق، من فورات الإرادة الذاتية أو غباوة أو عجب أو كبرياء أو روح عالمية، إلى غير ذلك مما يحزن الروح القدس بعد كل الرحمة التي أظهرها له الله وكم هو محزن حقاً بعد اختبار كل هذا الفيض من النعمة، أن يكون المؤمن في وقت من الأوقات حاداً أو فظاً، مهملاً أو متهاوناً. ومن هنا نرى فشل المؤمن يخلق في نفسه كثيراً من الصعوبات حول نفسه أمام الله، وليس ذلك فقط بل إذا ما انزلق المؤمن في خطية وافتضح أمرها للناس فإنهم بدورهم يرتابون في حقيقة حاله.

لذلك نرى يوحنا وقد وضع أساس الرسالة التعليمي في الإصحاح الأول والعددين الملحقين به من الصحاح الثاني، يبدأ في مناقشة هذا السؤال: كيف أتأكد من وجود الحياة وما هي وسائل امتحانها؟ إن الفلاسفة يتحدثون كثيراً الطبيعية مع أنهم لا يعرفون عنها إلا القليل، فلماذا يدهشنا أن يثير الشيطان الشكوك حول الحياة الروحية وبخاصة عندما تنزلق أقدام المؤمن ويتدنس ضميره؟

فمن العدد الثالث يزودنا الوحي بأكثر من محك واحد. يزودنا بمقاييس فاحصة ليوضح لنفوسنا وللآخرين أيضاً كيف تعلن الحياة عن وجودها أو عدم وجودها. فقد حدثنا يوحنا أولاً عن غرض الإيمان في المسيح أي الحياة الأبدية، ثم عن عمل طبيعة الله الذي لابد منه في الذين هم له، أي النور. وبعد العبارة التكميلية الوجيزة الخاصة بمعدات النعمة لرد نفس المؤمن الساقط يصل بنا إلى محك الحياة الحقيقية وبراهينها. والأعداد ٣ – ٦ تعطينا المحك الأول. فما هو هذا المحك الأولي لأي نفس؟ هو ذلك الذي يميز تمييزاً واضحاً وفي الحال، أي من بدء الطريق، ما إذا كان الإنسان له حياة أم ليس له – وهو الطاعة. "وبهذا نعرف أننا قد عرفناه إن حفظنا وصاياه". أي أنها نتيجة مستمرة أننا عرفناه إن كنا نحفظ وصاياه. وهذه هي الطاعة ولا شيء غيرها. وهي ليست الصورة الوحيدة التي تدل على

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

روح الحياة ولكنها بصفة عامة الصورة الأولى التي تبدأ في الحياة بلا تأخير أو إبطاء. وهي امتحان يناسب أصغر قديس لأن اختبار الطاعة هو امتحان دعواه بالحصول على الحياة. وهذا هو بالتحقيق ما تقود إليه الحياة الجديدة وهو أول وجه من أوجه نشاطها. لاحظ هذا في ذلك الإنسان الذي كان مزمعاً أن يصير رسول الأمم العظيم. فما إن وصل صوت الرب نفسه، وتحقق أن ذاك الذي مات فوق الصليب هو الله الحقيقي ظاهراً في الجسد، حتى دوت من أعماق نفسه تلك الصرخة المأثورة "يا رب ماذا تريد أن أفعل" فهو يحكم على خطأه ويريد أن يطيع. وهذه هي أول غريزة من غرائز الحياة الروحية. فإذا قد تجدد قلبه أصبح همه أن يطيع ذاك الذي يدعوه بلا تردد رباً. وهكذا إذا تابعنا البحث في كلمة الله نرى أهمية الطاعة وخطورتها العظمى وكيف أنها شاملة لكي شيء.خذ مثلاً مسألة خضوع النفس لبر الله. ذلك ما يسمى في رسالة رومية "إطاعة الإيمان" ويقصد به ليس الطاعة العملية التي ينتجها الإيمان في السلوك بل العمل الأولي في تصديق كلمة الله. هذه هي بالحقيقة طاعة القلب. طاعة الإنسان للحق وقبول النفس لشهادة الله عن ابنه. فالإنسان الذي كان إلى الآن أثيماً وبعيداً عن الله يعترف بإثمه كامل الاعتراف وينحي أمام كلمة الله ويتقبل الحق الخاص بالمسيح وبعمله فيتبرر. من ذلك يكرز بالإنجيل لجميع الشعوب ليس لكي يطيعوا الناموس كما كان الحال مع إسرائيل بل لإطاعة الإيمان. ونرجو الانتباه مرة أخرى إلى حقيقة المعنى المقصود بهذه الكلمة. ليست الطاعة التي يثمرها الإيمان. بل الخضوع للإنجيل بالإيمان. وهذا المعنى نراه يتردد في صيغ مختلفة في الكتاب المقدس.

ولكن هناك علامات وأدلة أخرى لها أهميتها. ونفعل حسناً إن نحن نظرنا إليها منذ فجر التاريخ الإنساني. فماذا نرى هناك؟ نرى آدم الأول، أبا الجنس البشري ويا للأسف! فإن تاريخ الإنسان الأدبي يبدأ بالعصيان وعدم الطاعة. فالوصية في عدن لم تكن إلا امتحاناً بسيطاً للطاعة مقترناً بعقوبة الموت. لم يكن الأكل من شجرة معرفة الخير والشر في ذاته ذنباً أدبياً أو إجراماً كالسرقة أو القتل أو الطمع أو غير ذلك مما يعتبر نقضاً للوصايا العشر. فهذه النواهي كلها تفترض وجود استعداداً فطري لفعل الشر. لكن الأمر لم يكن هكذا مع آدم حيث كان إلى ذلك الوقت في حالة البراءة والاستقامة. وكل ما هناك أن الله نهاه عن الأكل من ثمرة تلك الشجرة. ولا علاقة مطلقاً بين هذا النهي وبين نوع الثمر، كما أنه لا يتضمن بحال من الأحوال أنذلك الثمر كان سماً. هكذا كان يجب الإنسان أن ينظر إلى المسألة، فكل همه يدور حول مدى تأثيرها على نفسه. ولكن القصد من الوصية كان تثبيت سلطان الرب الإله، ولا شيء غير ذلك. كان القصد امتحان طاعة الإنسان وثقته في كلمة الله وصلاحه. وبالاختصار كان القصد امتحان خضوعه المطلق كخليقة الله، لأنه إلى ذلك الوقت لم يكن ممكناً أن آدم يدعى بالنعمة ابناً مولوداً منه. لقد كان ابناً لله بالمعنى الذي كان الأثينيون بعد ذلك. أي ذرية الله. أعني أنه لم يكن مجرد حيوان طبيعي بلا عقل، فقد حصل من أول الأمر على نفس خالدة من نسمة القدير. فمن هذا الوجه كان

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

آدم ذرية الله، لكنه لم يكن حتى ذلك الوقت ابناً لله مولوداً منه بالنعمة بالإيمان. فمثل هذه الولادة ليست إلا ثمرة نعمته في المسيح ولا يمكن أن ترجع إلى أي شيء آخر. بهذه الطريقة وحدها ينال الإنسان الحياة في ابنه – الأمر الذي لم يكن لآدم شيء منه بينما كان وهو في جنة عدن مجرد إنسان في حالة البراءة.

غير أن الواقعة الصريحة التي بدرت منه بسرعة ودمغت خرابه وسقوطه هي العصيان. لقد عصى المسكين حتى الموت، بالمباينة على خط مستقيم مع نقيضه الأعظم الإنسان الثاني، آدم الأخير، الذي أطاع حتى الموت. ومع ذلك فالابن في كيانه الأزلي، وفي مقامه الذاتي السرمدي، وفي جلاله الشخصي الملازم له، هو أقنوم إلهي، وبصفته هذه لم يكن له شأن بالطاعة. ولهذا السبب عينه قيل عنه في (عب ٥: ٨) أنه تعلم الطاعة مما تألم به. أعني أنه له المجد لم يكن يعرف الطاعة حتى جاء وصار إنساناً. كان يعرف جيداً معنى الطاعة وكيف تكون في حالة الآخرين، في حالة كل مخلوق، أما هو فلم يكن مخلوقاً بل الخالق. غير أنه إذ صار إنساناً ارتضى بكل إخلاص وولاء أن يقوم بواجبات الإنسان. ومن أول واجبات الإنسان الطاعة لله.

وتبارك اسم سيدنا فقد أظهر طاعة لا مثيل لها ومجد أباه في كل فكر من أفكار قلبه وفي كل كلمة من كلمات فمه وفي كل خطوة من خطوات طريقه. وقد أخضع يوحنا المعمدان لطلبته بقوله المأثور "يليق بنا أن نكمل كل بر" وواجه تجارب الشيطان بشيء واحد هو الطاعة. وهذا في الواقع هو الفرق العظيم بين الرب يسوع كإنسان وبين كل إنسان آخر. فما من إنسان أطاع على طول الخط نظيره. والطاعة هي مميز أسمى بكثير من عمل المعجزات. وكثيرون سيقولون للرب في ذلك اليوم "يا رب يا رب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة. فحينئذ أصرح لهم أني لم أعرفكم قط. اذهبوا عنى يا فاعلي الإثم" (مت ٧: ٢١ - ٢٣) فصنع المعجزات وحده ليس بحال من الأحوال علامة ضرورية على السمو الأدبي. إنها كآية أو علامة كانت بصفة عامة تتبع عبيد الله الأمناء الذين افتتحوا تدبيراً معيناً طبقاً لمشيئة الله المعلنة أو الذين برروا هذه المشيئة كلما طغت أمواج الارتداد. ولكن الله – لحكمة سامية في نفسه – قد أرانا أشر الناس صانعين معجزات عظيمة، وفي مقدمتهم خائن الرب يسوع نفسه كما سبقت الإشارة، وسيأتي الكلام بعد قليل عن شخصية أخرى كان لها شأنها الخاص من هذا النوع ولكن الأول من هؤلاء وهو الذي يدعوه سيدنا "ابن الهلاك" قد أظهر بما لا يحتاج إلى دليل أنه لم يكن يحمل للمسيح أقل تقدير. لقد نال قوة وأخذ سلطاناً، ولكنه مجرداً من الطاعة ومن الإيمان الذي يقود إليها.

ومن الطبيعي وقد ذكرنا ابن الهلاك الأول أن تنتقل أفكارنا إلى ابن الهلاك الأخير، أي ضد المسيح. وما الذي يؤهله لأن يكون أداة طيعة ومطيعة ذلولاً للشيطان إلى أقصى درجة؟ إن

 All rights reserved © 2008-2018

الطريقة التي أظهر بها يهوذا تمرده وخيانته في تسليم ابن الله المحبوب لا تعدلها طريقة أخرى في إهانة الله. وهكذا سيكون ضد المسيح سبباً في خراب اليهود والأمم بدرجة لم يسبقه فيها أي إنسان عاش على الأرض.

لكننا نسأل ما العلامة التي ستميز ضد المسيح قبل أن يتاح للشيطان لأن يعمل فيه بتلك القوة الهائلة زمناً يسيراً؟ ما الذي سيؤهله لهذا الدور الخطير الشنيع؟ لا شيء كإرادته (دا ١١: ٣٦) أي أنه لا يتمم إرادة الله بل إرادة الشيطان. هذا هو "إنسان الخطية" وهو "الأثيم" (٢ تس ٢: ٣ و ٨) إنك حينما تفعل إرادتك الذاتية تكون بكل أسف عبداً للشيطان، أما هذا المخلوق الغريب فسيكون في هذا الميدان.

ومن هنا نرى المكانة الخطيرة التي تحتلها الطاعة من الأول إلى الآخر. فمنذ فجر التاريخ نرى الإنسان الأول يتنكب طريقها وإذا بالخراب الشامل يحل بالعالم على الأثر. وعندما جاء الإنسان الثاني، الرب يسوع الذي هو من السماء كان هو الإنسان المطيع الكامل الذي جاء للإنسان ليس بالبركة المجانية الكاملة فقط بل و أيضاً بالكفارة والسلام بدم صليبه إذ هو يمحو خطايا الخطاة محواً تاماً متى آمنوا. وقد نزل الروح القدس من السماء كالشاهد لشخصه العزيز ولعمله المبارك للفداء الأبدي ومصالحة الخليقة في مجيئه الثاني. ومن هنا كانت الطاعة شوق النفس وتصميمها وسرورها بمجرد أن تعرف الرب يسوع وتعترف به. فالقلب المتكبر المتهاون المظلم يقع تحت تأثير كلمة الله وروحه القدوس الذي يملأه بالرعب من شره ويقدم له المسيح في ملء صلاح الله الذي بذل المسيح لأجل نفسه فينحني أمام سيده ومخلصه مشتاقاً لأن يطيع من تلك اللحظة فصاعداً. وكما أن للطاعة أهميتها الكبرى منذ لحظة بدء الحياة في النفس كذلك هي بالغة الأهمية في كل طرق الله العلنية حتى فيما يتعلق بضد المسيح في نهاية الدهر الحاضر كما رأينا.

ومن هنا يتضح ما لمبدأ الطاعة من أفق بعيد وأهمية بالغة لمجد الله وخير الإنسان، بل ما هو أبعد كثيراً من دائرة الإنسان. فقد علمنا أن الملائكة الذين سقطوا كانوا قبل سقوطهم كائنات سماوية، وأنه بسبب عصيانهم وكبريائهم تركوا رياستهم أي المكان الذي عينه لهم الله واتخذوا لأنفسهم مركزاً آخر لم يكن من قرعتهم بحسب ترتيب الله. فالطاعة لله إذن هي دائماً وفي كل زمان ومكان طريق البركة الحقيقية.

فلا يدهشنا (والأمر كما قدمنا) أن نرى روح الله يبادر على الفور بإدخال الطاعة في رسالتنا وفي هذا القسم منها. فإذا ارتاب واحد في نسيته لله، أو ارتاب الآخرون فيه، فها هو روح الله يقدم الطاعة باعتبارها المحك الأول العظيم. فهل عندنا روح الطاعة؟ لما كنا في أيام ظلمتنا كنا ندعى بحق "أبناء المعصية" (أف ٢) ولكن عندما جاءت نقطة التحول، نقطة تجديدنا ورجوعنا إلى الله، أصبحنا ندعى "أولاد الطاعة" (١ بط ١: ١٤) فالطاعة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

من الأول هي ميل وديدن القلب المطهر بالإيمان. ومن تلك اللحظة فصاعداً يصبح حنين الإنسان الباطن أن يطيع الله، ربما قبل أن تستقر النفس بيقين السلام الكامل الراسخ بزمن طويل، ولو أن هذا الاستقرار قد يتم في وقت قصير نسبياً. ولكن هناك على أي حال كراهة للخطية وحكم على الذات ونعمة المسيح التي تجعل الإنسان ليس فقط مشتاقاً للطاعة بل مؤهلاً لها لأنه ما من شخص يتجدد بدون شعاع ولو ضئيل من النعمة. فالرعب لا يجدد أحداً ولو أنه قد يوقف الإنسان ويره الطريق. وما من رعب استطاع أن يجدد أحداً ولو أنه قد يهديه لسماع صوت الإنجيل. فلا بد لنا من شيء آخر يربحنا لله أكثر من الرعب والخوف. وهذا الشيء هو النعمة. قد لا تعرف النفس عن المسيح حينئذ سوى القليل. ولكن هذا القليل لابد منه لكي ينال بالإيمان النور الإلهي والحياة الأبدية. وهذه الحياة تعمل بالطاعة، وتبرهن على وجودها بعزم الإنسان الباطن على إطاعة الله باعتبارها ناموس الحرية وليس ناموس العبودية، فإن حياة المسيح فينا (كما هي فيه بصورة كاملة) تسر أن تفعل مشيئته دون سواها.

ومن هنا الاختلاف العجيب، بحسب الظاهر، بين هذا الجزء من الرسالة وما سبقه. ولكن التشديد على الطاعة هنا هو في محله المناسب. لقد رأينا في القسم السابق مصدر البركة الإلهي وهو معرفة الآب بواسطة الابن والشركة التي لنا مع الآب والابن على أساس هذه المعرفة. ورأينا أيضاً الخبر الذي لنا منه عن طبيعة الله في ملء قداستها بالاقتران بطبيعة الحال مع الأمر الأول وهو نعمته المطلقة. فإذا كنا ننال البركة (بركة الشركة) فلا يسعنا إلا الترحيب بمسؤولية الوجود في نور الله والسلوك فيه. وكيف يتم ذلك فينا؟ يتم على أساس أن الحياة الأبدية التي هي المسيح هي نفس الحياة التي لنا. وبرهان النور والحياة هو الطاعة. وكما لمعت الطاعة طوال حياة المسيح على الأرض، كذلك هي جوهرية في القديس وتشغل المكان الأول في تاريخه الروحي باعتبارها المحك الحياة هنا على الأرض – "بهذا نعرف أننا قد عرفناه إن حفظنا وصاياه".

والطاعة المشار إليها ليست هي الغيرة في التبشير – كما نرى كثيراً في هذه الأيام. فسرعان ما يتجدد الإنسان حتى يظهر رغبته أحياناً في أن يصير مبشراً، وقد يكون ولداً صغيراً بعد كما هو الحادث الآن بين الطوائف في أماكن كثيرة. كلا، ولا هي تنمية ما يسمونه (موهبة الصلاة) وخاصة في الأماكن العامة حيث يتطلب الوقف أن يتلو المصلي على مسمع الحاضرين قائمة متقنة من الأعواز المطلوب تسديدها والأخطاء المراد تصحيحها في كافة أنحاء العالم. على أنه مهما تكن هذه الأمور فإن طريق الله المعلنة تختلف عن ذلك كل الاختلاف. خذ مثلاً مسألة التبشير: إنها شرك المغرور، وكثيرون هم الذين يطمعون فيها مع خلوها من القوة اللازمة لها. أما حيث توجد الموهبة فالكرازة خدمة عزيزة وعمل مبارك من أعمال الإيمان والمحبة. فقط ليكن هناك أساس صحيح ولتكن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

هناك محبة صادقة للنفوس وليس مجرد الرغبة في الكرازة، بعد أن يكون الله قد عمل في القلب لنعرف حقيقة ما نحن، فوق الكل، لنعرف ما هو الله في المسيح من نحو الهالكين.

هنا إذاً يبدأ الرسول بالطاعة . وهل هناك ما هو جدير بالله وجميل بنا أكثر من الطاعة؟ إنها شيء شخصي، تنطبق على كل شيء، وفي جميع الأحوال. إنها تتطلب الاتضاع وتصونه وتولد الثبات والاستقرار. تتطلب الاعتماد على الله وتحمي القديس م ذاته ومن تأثير الآخرين غير اللائق. فلا بد للنفس من تعامل شخصي مع الله للحصول على القوة الحقيقية وتجنب الغرور وهنا نرى الطاعة تتجلى أولاً في صورة "حفظ وصاياه" وهذا يأتي بنا إلى خاصية بارزة من خواص الرسالة التي أمامنا، وهي أنك في أكثر مواضعها لا يمكن أن تحدد بالضبط من هو المقصود بالضمير "هو" ومشتقاته – هل هو الله أم المسيح، فإن الرسول ينتقل بينهما بلا أدنى تغيير في صيغة الكلام والسبب لأن كلاً من الاتجاهين صحيح فإن المسيح وإن كان قد صار إنساناً فذلك لم يوقف كونه الله، فإذا قلنا "وصايا الله" فإننا نقصد أيضاً وصايا المسيح. ولطالما رأينا الرسول يوحنا يبدأ بالكلام عن المسيح بصفة واضحة ثم ينتقل متكلماً عن الله بنفس الوضوح. فالمسيح هو الله، وكلمة الله، أي الذي يعبر شخصياً عن فكر الله قولاً وعملاً. وكما عمل الروح القدس في المسيح هكذا يعمل في المؤمن فيجعل الطاعة فيه شيئاً فعلياً واقعياً بحيث لا يصبح منقاداً بفكره الخاص ولا يفعل مشيئته الخاصة بل منقاداً بالله. وهذا عمل من أعمال الروح القدس المجيدة.

فنحن من هنا نبدأ تعليمنا، تماماً كالأطفال الطبيعيين في بكور تاريخهم. قد يفهمون القليل في بادئ الأمر ولكنه من الضروري والمهم للغاية أن يتعلموا الطاعة لكي يصلوا إلى الفهم الكامل ولكي يتعلموا الطاعة يجب أن يدربوا عليها بأسلوب واضح يتفق مع عقولهم المتفتحة، فلا نتوقع من طفل مثلاً أن يدرك بسهولة الحقائق المعنوية المجردة، كما لا نتوقع أن يكون للقدوة تأثيرها على الطفل في كل الأحوال. فقد يكون من السهل أن يقال له "هذا لائق ببابا أو ماما، أو بهذا الرجل أو تلك السيدة" ولكن المهم هو مدى ارتباط مدى الكلام بدائرة نفسه الصغيرة.

فأول صورة من صور الطاعة هي بكل بساطة ودقة - الخضوع لوصاياه. وليس المقصود بوصايا الناموس العشر فإن يوحنا لا يشير إلى هذا مطلقاً في كلامه عن الوصايا هنا، فإن الأمر كله مرتبط بالمسيح وبشخصه الكريم ونستطيع أن نقول باختصار أن الفارق بين اختبار الناموس وامتحان هذه الوصايا هو أن الناموس كان برهان على حقيقة ما هو الإنسان بينما الإنجيل هو إعلان ما هو الله في المسيح. ولذلك فقد وضع الإنسان تحت الناموس ليثبت هل يستطيع هل يتخلى عن إرادته الذاتية ينفذ مطاليب الله لنوال الحياة، فكانت الحياة معروضة للذين تحت الناموس إن هم أطاعوا الناموس. وهذا يختلف كل الاختلاف عما يمنح الله الآن للمؤمنين. فالمفروض أن الإيمان قد امتلك الحياة فعلاً، تماماً

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كما كانت الحياة في المسيح قبل مجيئه إلى العالم. فهو كان الحياة الأبدية عن الآب ولما اتخذ الناسوت كان لا يزال الحياة الأبدية وقد أظهر هنا ليس فقط كأقنوم إلهي جاء ليظهر المحبة كإله الحق وابن الله، بل كالحياة الأبدية ليعطي حية للذين لم يكن لهم سوى الموت والخطية التي جلبت الموت. فمن الواضح أن الوصايا المشار إليها هنا هي لتوجيه الحياة الجديدة الممنوحة فعلاً عوض أن تكون مجرد دستور أدبي يجب أن يطاع لنوال الحياة. وبعبارة أخرى هي ممارسة الحياة التي وهبتها النعمة للمؤمن في المسيح. على أن الصورة الأولى للطاعة هي "إن حفظنا وصاياه".

إن الله في نعمته يضع الأمور في صيغة الأمر والسلطان لكي يشعر الطفل، وليد النعمة الشبيه بالطفل، بخطورة الطاعة وأهميتها والحاجة إليها لذلك نراه تبارك اسمه يصوغ وصاياه في حالات كثيرة في قالب الأمر، وبكل وضوح وسلطان. وأليس هذا حسناً وصواباً؟ وهل يتصور عاقل أن الله يمكن أن يتكلم بغير أسلوب السلطان المطلق، أو أن سلطانه غير مرتبط بكل ما يفرضه على الإنسان؟ هذا ولا يخطرن ببالك أن وصية الله هي دائماً شيء يجب على الإنسان أن يعمله. ألم يعمل هو شيئاً للإنسان لكي يؤمن به؟ في (١ يو ٣: ٢٣) نجد الإيمان باسم ابنه وصية من وصاياه. تماماً كوصيته بأن نحب بعضنا بعض، أي أن الله يوصي جميع الناس أن يؤمنوا بالإنجيل كما يوصي القديسين أن يحبوا بعضهم بعضاً. إذاً فهو يوصي لكي يرينا أن سلطانه مرتبط بالأمر، ليس فقط محبته بل حقه في أن يأمر ويوصي. ومن الواضح بأن الطاعة مفروضة على الإنسان بحسب الله.

خذ مثلاً آخر. في (أع ١٧: ٣٠) يقول الرسول بولس للأثينيين أن الله يأمر جميع الناس أن يتوبوا، وهو ما يقابل بالإيمان باسم ابنه يسوع المسيح. فالأمر الآن لا يتعلق بنجاة نينوى من الدمار بل بإنقاذ الخطاة من جهنم. طبعاً لا يونان ولا رجال نينوى كانوا يفكرون يومئذ في الخلاص من الدينونة الأبدية، ولا في نوال الحياة الأبدية للتمتع بالشركة مع الآب والابن كما في الوقت الحاضر ثم الوجود مع المسيح إلى الأبد في الأعالي. أما نحن فلنا وصيته الآن لهذه الغاية الصريحة، ومع وجود النفس في حالة صحيحة يجب أن يكون لهذه الوصية أعظم وزن وتقدير. فهي ترينا مبلغ اهتمام الله بأمرنا. أو ليس خبراً طيباً لنفس متمرغة في التراب والرماد بسبب خطاياهم أن تعلم أن الله مهتم بأن يقدم بركة مجانية كاملة مع خالص نعمته لشخص مسكين كهذا محتاج للتوبة والإيمان؟ هذا والأمر مرتبط في الوقت نفسه بجلاله وعظمته ، وهو لن يسلم عزه ليرضي غرور الإنسان الفارغ المتكبر. حقاً إن الناس لابد وأن يكونوا عمياناً في خطاياهم وعداوتهم لله كل أيام حياتهم وإن هم لاموا الله رغم كل هذا الاهتمام العظيم من جانبه بأمر نفوسهم – الله الذي بذل ابنه الوحيد الحبيب لكي يخلص أشر الخطاة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عندما نحب شخصاً يسرنا أن نفعل ما قد يضعه في صيغة أمر أو وصية. وحيث يوجد سلطان، فالأمر أو الوصية هي الصيغة السائدة حتى بين الناس. فكم بالأحرى يجب أن يكون الأمر مع الله الذي لا يمكن أن يكذب أو يخدع. الإله المملوء صلاحاً ورحمة وطول أناة. حتى تجاه المتمردين والمتهاونين؟ هذا وحفظ وصاياه هنا إنما هو لبركة النفس الآن وإلى الأبد. إن الخاطئ الذي أزمن في حياة الشر يحتاج في الواقع إلى كل ما هو حسن وصالح، وهكذا يتغير مجرى الحياة كلها عندما يتوب الإنسان توبة حقيقية ويرجع إلى الله مؤمناً بالرب يسوع المسيح، وهكذا في كامل النعمة يعلن الله مشيئته وفكره بغاية الوضوح لكي يسير التائب في ضوء ما يعلنه على أن هذه العناية من جانب الله من شأنها أن تجعل عناد الإنسان وعدم مبالاته بوصاياه أكثر جرماً وشراً وبخاصة إذا كان الإنسان يحمل اسم الرب باطلاً.

أما في العدد الخامس فيطالعنا الرسول بشيء أعمق إذ يقول "وأما من حفظ كلمته". هذا شيء يختلف عن حفظ "وصاياه" ويتضمن طبيعة الطاعة ومداها لأن يفترض تقدماً روحياً ونمواً في الإدراك وعزماً في الاختبار، فلا تصبح مجرد "الوصية" الواضحة هي التي تتحكم في النفس بل "كلمته". وكلمته قد لا تتخذ شكل الوصية المحددة لكنها بكل يقين تكشف عما هو مرضى قدامه وذو قيمة في عينيه. وعندما تكون روح الطاعة قوية في القديس فإنه تكفيه إشارة بسيطة للأمانة في السلوك وإرضاء الله ولو لم ينطق الرب بما يشبه الوصية الصريحة.

وأليس عجباً ومؤلماً كيف أن روح القلب الناموسية تعمل في اتجاه عكسي؟ ففي النصرانية، ولاسيما بين جماعة المعمدانيين، ينتشر الرأي بحسبان المعمودية وعشاء الرب وصيتين صريحتين، مع أنهما في الواقع ليستا شيئاً من هذا القبيل. فأين نجد وصية للشخص أن يتعمد أو يشترك في عشاء الرب؟ إن الوصية تقلل من قيمة الشيء وتجعلنا ننظر إليه من وجهة نظر خاطئة. فالمعمودية المسيحية هي امتياز ممنوع للنفس بسلطان الرب يسوع. لذلك نسمع الخصي الحبشي يقول من تلقاء نفسه "ماذا يمنع أن أعتمد". وبطرس في حادثة كرنيليوس وأماكن أخرى يقول "أترى يستطيع أحد يمنع الماء؟" فلو كانت المعمودية وصية أو أمراً لكان في القولين شيء من الغرابة إذ من ذا يفكر في منع وصية الرب والوقوف في وجه تنفيذها؟ ولكن هنا يتخاصم الذين من أهل الختان بشدة. ومع ذلك فتش الكتاب أيها القارئ كما تريد فلن تجد المعمودية في صورة وصية في أي مكان. لاشك أن الشخص الذي تناول قضية المسيحي المعترف حديثاً قد يعمده أو يرشده إلى من له أن يعمده. ولكن القوم لا يقصدون ذلك بل يعتبرون المعمودية وصية من الرب يسوع للمعترف نفسه. ولكن الرب لا يضع المعمودية هذا الوضع. إنها امتياز يسره أن يمنحه بحسب كلمته؟ ولهذا فهي ليست وصية بالمعنى الأدبي أو الناموسي. وهكذا الحال مع عشاء الرب. يقول الرب "خذوا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كلوا". فهل هذا يجعله وصية؟ هبني في ساعات احتضاري وقد وقف أحد أحبائي إلى جانب سريري فقلت له: "خذ كتاب المقدس هذا واحفظه". إنك لو اعتبرت هذا أمراً فاسمح لي أن أقول أن عقليتك وتفكيرك ليس من النوع الرفيع. فما كان ذلك أمراً بل علامة محبة. وهنا كل الاختلاف. صحيح أن له قوة الوصية وتأثيرها ولكنه أعظم منها بكثير ومختلف عنها. إنه مرتبط بعواطف وذكريات شخص كان حبيباً إلى النفس وغالياً عليها في زمان طويل حتى في ساعة رحيله. هكذا أعطيت من سرير المحتضر وهكذا قبلت بنفس الروح، وهكذا يجب أن يفهمها كل ذي فهم وتمييز.

وإليك مثلاً آخر قد يجعل المسألة أكثر وضوحاً. لنفترض عائلة صغيرة متواضعة تعتمد في معاشها على أتعاب عائلها اليومية. ومن عادة الرجل أن يمضي إلى عمله مبكراً جداً. ففي أحد الأيام وهو يتهيأ لمغادرة المنزل وإذ بالزوجة قد فاجأها مرض مباغت والزمها الفراش. وهنا تقوم صعوبة. فها هي شريكة حياته التي تعودت أن تبكر القيام مسرورة لتعد له طعام إفطاره وربما بعض ما يعوزه طوال يوم عمله، قد أصبحت مريضة بحيث لا تحتمل سمع الكلام. فما العمل في هذا الظرف المفاجئ الطارئ؟ ها هي فتاة صغيرة من أفراد الأسرة تدرك حقيقة الموقف لم يأمرها أبوها بعمل شيء ما لكنها تلمس الظرف. هي ترى أن الظروف اليوم تختلف عنها بالأمس. وحيث أن الأم ربت الدار لا تقو على العمل وإدارة الموقف فهي تتقدم لتفعل ذلك. بالأمس كانت تساعد أمها أما اليوم فهي تدير الدفة بنفسها، وها هي تنهض مبكرة وتعد لأبيها طعام إفطاره وغذاءه في ساعات غيابه عن الدار. ليس في هذا الحادث أي وصية أو أمر، ولكنه يساعد على توضيح المراد من القول "كلمته". فكما أن لكمة الله تعبر عن إرادته ولو لم تحمل في طياتها أمراً، كذلك هذه الابنة عرفت ما يلزم لتنفيذ إرادة أمها لو كانت قادرة على الكلام. لقد رأت أباها في حالة ارتباك بسبب مرض زوجته بحيث لم يقدر أن يفعل شيئاً في أمر تهيئة طعامه في الوقت الذي كان لابد له أن يذهب إلى عمله كالمعتاد. أدركت هذا كله وبدون ضجيج قامت بالعمل التي كانت تعمله الأم. ذلك لم يكن حفظاً لوصية ولكنه يبين المعنى المقصود من "حفظ كلمته".

هكذا ينمو المؤمن في معرفة الله ويسر في عمل ما يرضيه. ليس فقط بإتمام ما هو في صورة وصية أو أمر صريح بل في صنع مشيئته الصالحة حينما يعرفها هذا فيه كل الكفاية للقلب المطيع والأمر في ذلك لا يحتاج إلى التماس الإرشاد للضمير من الخارج أو استشارة أي شيء في الداخل. كلا، فأنا مطلوب مني أن أكون خاضعاً لله وذلك بحفظ كلمته. على أن أفعل مشيئة الله، وهي معلنة الآن في كلمته المكتوبة، أي الكتب المقدسة التي أعطيت لنا لإنذارنا كما لتعزيتنا وهكذا لاق بالرسول بولس في ساعة الوداع الأخيرة أن يستودع القديسين لله ولكلمة نعمته فإذا كنا نريد أن يصنع جميع القديسين مشيئة الله فلنبدأ نحن بكل تواضع في صنعها من جانبنا. وها هي مشيئته معلنة بكل وضوح في كلمته. ولا ننسى أن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أحسن طريقة لقراءة كلمته قراءة صحيحة هي أن نرى المسيح نفسه كغرض الله في كل جزء من أجزائها ليس المقصود ما قاله المسيح فقط ولو أن ذلك مهم وعظيم. ولا ما أوصى به ولو أن لذلك قيمته العظمى وخطورته البالغة، بل ما أظهره المسيح في كل ساعة من ساعات حياته هنا على الأرض، فمرة نراه مع الله مبكراً قبل طلوع النهار، فهل لا يوجد لي ولك صوت في هذا؟ ثم لاحظه حينما يكون أمامه في اليوم التالي أن يعمل عملاً خطراً، كيف يقضي الليل كله في الصلاة مع الله. يقيناً أن في ذلك درساً في نفوسنا. صحيح أنه لا يخطر ببالنا أننا نستطيع أن نفعل عين ما كان يفعله المسيح أو أن ننفذ الأمور كما كان ينفذها تماماً ولكن من منا ينكر أنه كان في ذلك تاركاً لنا مثالاً؟ والمثال ليس أمراً أو وصية ومع ذلك فالمقصود به على أي حال أن يترك تأثيره القوي على اهتمام النفس وطاعتها.

ولذلك "من قال قد عرفته وهو لا يحفظ وصاياه فهو كاذب وليس الحق فيه" (عدد ٤) لأنه معنى هذا انعدام روح الطاعة في شخص كهذا. فهو ليس فقط لا يحظ كلمته بل إنه لا يحفظ حتى وصاياه. إنه يهمل التزاماته ويطرح جانباً الوصايا الإلهية ليست التي في العهد القديم فحسب بل التي في العهد الجديد وهي ما تعنيه بصفة خاصة لأن هذه الوصايا الجديدة هي أول صورة معنية لاختبار اعترافه المسيحي وإذا لم يكن له ضمير يحفزه على حفظ وصاياه، فلا داعي أن نسأل كيف يعامل المسيح أو العهد الجديد في مجموعه.

وفي العدد الخامس نأتي إلى نقطة أخرى – "وأما من حفظ كلمته فحقاً في هذا قد تكلمت محبة الله" هنا اهتمام واضح بكل فكر الله والباعث عليه لأن كلمته محبوبة فنحن هنا أمام قلب ذات يبرهن على طاعته لا بحفظ وصاياه فقط بل أيضاً بحفظ كلمته والكلمة عنده ليست ذات سلطان وتأثير على النفس فقط بل غالية وعزيزة لذلك هو يفتش فيها بسرور ويخرج منها بفائدة. وحيث يكون الأمر كذلك، فإن يوحنا لا يتردد في القول بأن محبة الله قد تكلمت في شخص كهذا.

وهنا أيضاً أجد الفرصة مناسبة لإبداء ملاحظة عامة عن أسلوب الرسول يوحنا الخاص ليس في هذه الرسالة فقط بل في كل كتاباته. فهو ينظر إلى الأمور طبقاً للمبدأ الإلهي المعلن دون أن يشغل نفسه بالعوائق والتقصيرات من جانب الإنسان. فتراه لا يتناول السقطات التي قد تعترض طريقنا بسبب التهاون أو الإهمال، بل حينما يتكلم عن المسيحي الحقيقي فإنه ينظر إليه كمن هو سالك في تنفيذ فكر الله ولذلك هو لا يشوه المبدأ بإدخال شيء من التقصير هنا أو قليل من التهاون هناك، وإنما يرسم بوضوح ما يرضي الله ويليق بأولاده. وهذا يتم حتى في حالة الأولاد (أحدث المؤمنين) بحفظ "وصاياه" أما في حالة البالغين المحنكين فليس فقط بحفظ وصاياه بل بحفظ "كلمته" بصفة عامة، وهي الكلمة التي تعبر عن مشيئته تعبيراً كاملاً وبكل صورة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

من أجل ذلك نقرأ عن سيدنا له المجد قوله المأثور "هأنذا أجيء لأفعل ... " ماذا .... ناموسك؟ كلا وصيتك؟ كلا. مع أنه بكل يقين حفظ ناموسه وتمم وصيته، بل أكثر من ذلك إنه أكرم الناموس وبرره وعظم سلطانه ومداه كما لم يفعل إنسان قط. ولكنه جاء ليفعل "مشيئة" الله. وهو لا يقول ذلك فقط بل "في درج الكتاب مكتوب عني" ذلك الدرج الذي لم يعرفه سوى الآب والابن والروح القدس. مشورات الله السرية وفكره السرمدي الذي تسجل بعد ذلك في سفر المزامير. وهذا الذي قيل مغاير للناموس وطقوسه. بمحرقات وذبائح للخطية لم تسر، ومع ذلك فهو هناك مكتوب ومسجل. وعندما جاء الابن كإنسان كان هذا ما جاء ليفعله – مشيئة الله. ومشيئة الله هذه فاقت بكثير ما كان يعرفه الناس كالعشر كلمات أو العشر وصايا. كانت النعمة المطلقة هي إعلانها. ولم يكن عمله مجرد صنيع مشيئة الله بل احتمال الآلام في تنفيذها، لأنه أطاع حتى الموت موت الصليب، ومتى كان الناموس يطلب أو يتوقع مثل هذه التضحية من البار؟ هل كان يخطر ببال الناموس شيء كهذا أن قدوس الله يموت من أجل الفجار؟ ولكن مشيئة الله لم تكن شيئاً أقل من هذا، وهو له المجد قد عرفها قبل أن يكون زمان.

عبثاً كان الكلام عن الذبائح والقرابين من دائرة الخليقة، فكأن الله كان يقول بلغة الواقع "إن هذه كلها لن تنفع ولن تفيد". إن دم ثيران وتيوس لا يمكن أن ترفع خطايا، أو تنجى من بحيرة النار أو تخلص الأثيم من دينونة الله. ولا يستطيع أي طقس ما أن يجعل الإنسان الرديء إنساناً صالحاً أو يأتي به إلى الله بلا عيب وأبيض كالثلج. فماذا إذن؟ - "مكتوب عني". وهكذا صار حتى أنه نزع الأول أي الناموس وثبت الثاني أي مشيئة الله. ومشيئة الله في النعمة المطلقة هنا هي خلاص أشر الخطاة بواسطة موت الرب يسوع. أليس ذلك يدل على مبلغ القوة التي تنطوي تحت ما أعطاه لنا الله في الكتب المقدسة؟ إن خلاصنا كان غرض الله ومشيئته قبل كل شيء. وقد عرف الرب هذه المشيئة منذ الأزل ولما أتى ملء الزمان جاء ليتممها، وفي تتميمها تألم إلى أقصى حد. إن أي عمل من أعمال القوة مهما كان عظيماً لم يكن كافياً لإتمام هذه المشيئة. أكان مستعداً أن يجعله الله خطية وأن يحتمل ل النتائج لكي يمجد الله حتى من جهة الخطية وذلك يجعله عملاً باراً من جانب الله أن يمنحنا الغفران الكامل، بل أن يبررنا ويمجدنا؟ إذن فليتألم من أجل الخطايا تحت يد الله المقدسة الممتدة ضد الخطية والموقعة عليها ما تستحقه من دينونة عادلة. ومع ذلك فقد احتمل الكل بخضوع كامل مهما كانت الكلفة على نفسه البارة. هنا يتجلى البون الشاسع بين الناموس والنعمة.

وكما المسيح هكذا المسيحي من جهة هذا المبدأ مع الفارق العظيم وهو أنه الله الكائن على الكل وأنه صنع الكفارة لأجلنا. فنحن أيضاً لنا قبل أن ندخل ميدان العمل، كما كان لسيدنا الحياة في ذاته طوال الأزلية قبل أن يجيء إلى العالم. فشأننا إذن هو العمل من فيض

 All rights reserved © 2008-2018

الحياة، وليس لأجل نوال الحياة، كما هو شأن الإنسان تحت الناموس. نعم، فإن السلوك المسيحي هو ممارسة الحياة الجديدة الأمر المستحيل على من ليس له حياة، والممكن فقط للشخص الذي له هذه الحياة بتثبيت عينه على الرب يسوع. وإلا فلا تكون العين بسيطة إذ قد تنشغل بهذا الشخص أو ذاك الشيء حينما لا يكون السلوك بحسب النور – "إن كانت عينك بسيطة فإن جسدك كله يكون نيراً". والمسيح وحده هو الذي يجعل العين بسيطة.

ذلك مشار إليه بكل وضوح هنا، ولكن يوحنا يضيف شيئاً آخر. "بهذا نعرف" ليس فقط أننا قد عرفناه بل "إننا فيه" ذلك يفترض حصول النفس على امتياز عظيم وبهذه الطريقة يشجع الله أولئك الذين هم بحق طائعون بالروح. فهم ليسوا فقط يعرفون بل هم فيه. ويا له من أمر عجيب أن يتأكد القديس أنه في المسيح! هو غير المحدود، ونحن المحدودون الضعفاء المساكين، مهما كنا مباركين بالنعمة. ولكن الحياة هنا معلقة بالاعتماد على الله وابنه، وروح الله يقوي الشعور بهذا الاعتماد ويستخدم الكلمة لتثبيتنا وتأييدنا في هذا الوضع. وماذا ترينا هذه الكلمات؟ فما أسعد إذن أن نعرف ما هو الله لنا وما كان لأجلنا! ويا لها من تعزية وقوة تحملها لنا هذه الكلمات في شعورنا بضعفنا!

وإذا قارنا (يو ١٤: ٢٠) نتعلم أن الوجود في المسيح هو جزء من تلك المجموعة الغنية من الامتيازات المسيحية التي أكدها له المجد للتلاميذ ابتداء من اليوم الذي جاء فيه الروح القدس ليكون فيهم ومعهم بعد صعوده إلى الآب، إذ قال "في ذلك اليوم تعلمون أني أنا في أبي وأنتم فيّ وأنا فيكم". فهناك أولاً المركز العجيب العادل، مركز الرب المقام في أبيه. أنه لا عجب أن يكون وه الابن الوحيد الحبيب في ذلك المركز الذي هو حقه الجوهري في اللاهوت ولكنه يعلن الآن لهم لأول مرة أنه مكانه الحق باعتباره الإنسان المقام كما كان حينئذ وسيظل كذلك إلى الأبد. هذا مكانه عند الصعود ومكافأته العادلة بسبب رفض العالم إياه (يو ١٦: ١٠) ونحن المؤمنين نعرف بالروح المرسل لنا من الآب باسم المسيح أنه في أبيه هناك، وهو مركز يسمو بكثير عن مركزه كالمسيا عن عرش داود، أو حتى كابن الإنسان متسلطاً على جميع ممالك الأرض في الملكوت العتيد. هذا هو مركزه وما كان ممكناً أن يكون له إلا باعتباره أقنوماً إلهياً وواحداً مع الآب مع كونه الإنسان المقام بعد إتمام الفداء، وهذا ما يعطي المسيحية سموها وعظمتها الفريدة.

ولكن كان يجب أن يعرفوا بعد ذلك أنهم فيه، ليس فقط أنهم بفضل موته وقيامته صاروا جزءاً من الثمر الكثير الناتج من حبة الحنطة التي وقعت في الأرض وماتت، بل أنهم لهم فوق ذلك مركزاً وثيقاً سماوياً في شخصه المحبوب بقدر ما كان ذلك ممكناً للمخلوق، ليس فقط الحياة المقامة بل مركز القرب المضمون فيه هناك وهو المركز الذي نعرف أنه نصيبنا الآن ونحن على الأرض. كذلك كان عليهم أن يعرفوا أن المسيح فيهم، وهو حق تتميز به رسالة كولوسي (١: ٢٧)كما تتميز رسالة أفسس بكونهم في المسيح (١: ٣، ٢، ٦

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

و ١٠ الخ) مع الفارق أن رسولنا يتناوله كحق من ناحية الفرد بينما بولس يتناول في ناحية وحدانية جسد المسيح أي الكنيسة وهو نصيب كل مسيحي بالحق، وعدم معرفته هو عار عدم الإيمان في النصرانية الاسمية. ومن أسف أن عدم الإيمان هذا قد شوه أذهان الكثيرين من المؤمنين في الوقت الحاضر بل منذ انتقال الرسول الذي يوضح هنا أن إدراك هذا الحق وتحقيقه توقف على حفظ كلمة الله وتكميل محبة الله في النفس. على أن هذا ليس شيئاً أكثر مما يليق بكل مسيحي، وانعدامه يحزن روح الله القدوس الذي به ختمنا ليوم الفداء، أي فداء الجسد. أما قلة الإيمان أو الأمانة فتضع غشاوة على بصرنا الروحي فلا تر بالأسف أحسن امتيازاتنا وأفخرها.

"من قال أنه ثابت فيه" ا شيء آخر قد يكون مجرد تفاخر، وتفاخر أجوف فارغ فيقابله الرسول بطريقة تختلف عما اتبعه مع المتهاون لمزدري بسلطان الله فهذا قد حكم عليه بأنه كاذب وليس الحق فيه، وبمنى آخر قد دمغه بطابع من لم يأخذ شيئاً حقيقياً من الله، أما في حالة الاعتراف بالثبات فيه، فما أهدأ الاستنتاج وأقواه. أتقول أنك ثابت فيه؟ إذن ينبغي أن تسلك كما سلك هو أيضاً. هنا لا يوجد ادعاء بالخلو من الخطية. ولكن إن قلنا أننا ثابتون في المسيح، فلنعلم أن تأثير الثبوت في المسيح لابد وأن يظهر على الفور وبقوة في السلوك. فالسلوك هو المعبر عن الحياة في نور الله. وإن كنت ثابتاً في ذلك الذي هو الحياة والنور، فما الذي يمنع سلوكي كما سلك المسيح؟ إننا في محضره لا نخطئ، ولكننا نخطئ متى فقدنا الإحساس بذلك المحضر. وسلوكنا هو بالنعمة نفس سلوك المسيح من حيث المبدأ وإن كنا لا ندعي بأنه من نفس المقياس. المسيح هو المقياس وليس الناموس.

نحن نعلم أنه من السهل أن ننزلق، ومن اليسير أن ننسى الرب قليلاً، وأن نسمح لنشاط طبيعتنا أن يلعب دوره. وكل ذلك ليس ثابتاً فيه، ولكن الرسول لا يتجه نحو التفاصيل. بل ينظر إلى المبدأ. والمبدأ شيء مطلق. والشخص الذي يأبى أن ينظر إلى الحق المطلق لأن في الإنسان هذا الخليط الشاذ، فذاك معناه ترك الإيمان والاستعاضة عنه بالشعور والإحساس. وكيف يمكن لشخص كهذا أن يفهم حق المسيح هنا وفي غيره من المواضع الكتابية؟ إن الحق يجب أن يكون مطلقاً في المسيح وعمله. والنعمة يجب أن تكون مطلقة ليستفيد منها الخاطئ الهالك. إن كان يعطيني تبريراً، فهو تبرير كامل ومؤكد. وإن كان الله يبرر الفاجر، فهو تبرير مطلق كمنحة الحياة الأبدية في المسيح تماماً. والمؤمن له الحياة الأبدية لكي يتسنى له أن يطيع وأن يتمتع بالشركة مع الآب ومع ابنه. ومن أجل هذا نقرأ هنا "من قال أنه ثابت فيه ينبغي أنه كما سلك ذاك هكذا يسلك هو أيضاً". والرسول يترك هذا ليفعل فعله في الضمير، إذ لا يوجد هنا ادعاء اسمي من قول الإنسان أنه ثابت في المسيح. ليس هذا مجرد معرفتي أنني فيه، مع ما في هذا من بركة عظمى، بل إنني اعترف بجعل إياه مقراً لنفسي لكل فرح وكل ألم، لكل خطر ولكل صعوبة. هذا هو الثبات فيه. وإذا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كان الأمر هكذا معي فينبغ أن أسلك كما سلك هو. ولكن هل هذا الواقع بالعمل والحق؟ إن فشلنا في الثبات الحقيقي فيه ظاهر في تقصيرنا في السلوك ولكننا كمسيحيين نعترف بالمسيح كمقياسنا الحقيقي مهما كان هذا مذلاً لنا. نحن لا ندعي أننا نسلك بنفس قياس سلوك المسيح لكننا نسعى بالنعمة لنسلك حسب هذا القياس.

الرسالة الأولى: الخطاب الخامس

١ يو ٢: ٧ – ١١

"أيها الأحباء لست اكتب إليكم وصية جديدة، بل وصية قديمة كانت عندكم من البدء. الوصية القديمة هي الكلمة التي سمعتموها. أيضاً وصية جيدة أكتب إليكم ما هو حق فيه وفيكم أن الظلمة قد مضت والنور الحقيقي الآن يضيء من قال أنه في النور وهو يبغض أخاه فهو إلى الآن في الظلمة. ومن يحب أخاه يثبت في النور وليس فيه عثرة. وأما من يبغض أخاه فهو في الظلمة. وفي الظلمة يسلك ولا يعلم أن يمض لأن الظلمة أعمت عينيه".

رأينا في الأعداد السابقة أن الطاعة هي أول وأهم علامات الحصول على الحياة الإلهية، وأن جوهر الطاعة ليس مجرد صنع ما هو حق في ذاته بل صنعه بدافع الخضوع لسلطان الله والرغبة في إرضائه. ولست أتردد في القول أن الشخص الذي دائماً يفعل ما هو حق لمجرد كونه حقاً إنما هو في الواقع يفعل الخطأ لأنه لا يترك أهم أركان الطاعة بالنسبة لله نفسه وبالنسبة لأولاده، فإن أول جميع الحقوق هو أن يكون لله حقوقه، بينما إغفال الله هو بالضبط ما يفعله الإنسان الذي يتصرف بمقتضى حكمه الخاص بأن ما يفعله هو الصواب. من هو الإنسان في هذه القضية؟ وما هو حتى يحسب له حساب ويقام لحكمه تقدير؟ كلا. إن الأمر يتعلق بمشيئة الله، ولذلك فإن مخافة الله هي دائماً رأس الحكمة الروحية (أي بدائتها). فالطاعة إذن هي أول امتحان للحياة الجديدة الإلهية. كما يقول الرسول، وبخاصة بالنسبة لروح الإثم التي كانت عاملة حينئذ حتى بين المعرفين بالمسيحية. فإذا ما جلس الإنسان في كرسي القضاء واعتبر نفسه كمن لهو حق الحكم ناسياً الله الذي لا يرى. فقد تخلى عندئذ عن الأساس الوحيد الصحيح لكل حكم مقدس. لأنه حتى مع افتراضنا إنه إنسان مؤدب ومستقيم بحسب الظاهر فإن تصرفه بمقتضى حكمه الخاص على مجرد ما يعرض أمامه أنه هو على خلوه من روح الطاعة لله. وحيث لا توجد الطاعة لله فكل شيء خطأ ومتناقض في أساسه مع مسئولية المسيحي.

 All rights reserved © 2008-2018

على أن هناك مبدأ أدبياً آخر يأتي بعد المبدأ الذي ناقشناه ولكنه في الواقع يتمشى معه جنباً إلى جنب وذلك لأن كليهما ينبعان من المسيح فالمسيح هو الحياة وتعبيره عن الحياة بأقواله وأفعاله لما كان هنا على الأرض يعطينا القياس الصحيح لمعرفة ماهية الحياة الأبدية في حقيقتها، لأن سيدنا لم يكن ينطلق بمجرد نظريات وعقائد بل كان يحيا الحياة عملياً والحياة هي أوثق الأشياء بالإنسان ولابد له منها لكي يحس أو يميز، أو لكي يفعل شيئاً أو ليكون شيئاً في الوجود. على أن الناس جميعاً لهم حياة الإنسان الساقط تحت سلطان الخطية والموت، وماذا يفيد هذا النوع من الحياة بالنسبة لله أو الإنسان؟ إنها قد تفعل قدراً من الشر ولكنها لن تقود إلى ما يرضي الله. المسيح وحده هو الذي أرضى الله دائماً وإلى التمام. وحياة المسيح هذه، هي حياتنا الآن، وهو واهب الحياة لكل من يؤمن بقلبه. لقد جلب الإنسان الأول الموت، أما الإنسان الثاني فهو روح محيي. كانت فيه الحياة كالكلمة الأزلي، وكإنسان قبل من الآب أن تكون له الحياة في ذاته وهو يعطيها لكل من يقبلونه. وكما أن الآب يحيى، هكذا هو أيضاً يحيى.

والحق أنه لاشيء يميز الله بصورة مطلقة فريدة أكثر من كونه تعالى خالق الحياة وواهبها. أما الفلاسفة عديمو الإيمان فلم يصلوا بعد إلى معرفة كنة الحياة ولا أين هي، فإن بعضهم يكد ويجتهد متشوقاً إلى اكتشاف آثارها في بوتقة الاختبار متوقعاً أن يصل إلى معرفة سرها من تجاربه الكيميائية، وليس علماء ما وراء الطبيعة بأكثر حكمة منهم في قدح زناد الفكر والالتجاء إلى العقل البشري ومحاولة الاستضاءة بنوره. فالعقل البشري قد يكون ماهراً في استقراء الظواهر واستنباط النتائج إلا أنه لا يستطيع استكشاف الحق بوسائله الخاصة. قد تنجح هذه الوسائل والأساليب البشرية في الدوائر المادية أو العقلية المعلقة بالعناصر الطبيعية أما الحياة فهل يمكن اكتشافها ببحوث أو تجارب من هذا القبيل؟

كلا. إن حياة الإنسان صدرت أصلاً ومباشرة من الله، وقد أعطيت له بنسمة القدير، ومن أجل ذلك فإن الإنسان وحده ذو نفس خالدة. إن للحيوانات الأخرى نفساً وحياة تلائمها، لكنها حياة ليست صادرة من نسمة الله بل هي وليدة مجرد إرادته وسلطانه. إنه سمح بوجودها الوقتي إذ قال فكانت وأمر فصارت ولكن هذا يختلف كل الاختلاف عن النفخة الشخصية في أنف الإنسان ، وهي طريقة لم تتبع مطلقاً مع أي كائن آخر على الأرض. الإنسان هو وحده الذي نال هذه الخطوة وإدراك هذا الفارق يوضح أساس كيان الإنسان الأدبي ومسئوليته، وهذا الفارق هو خلود نفسه.

على أن هناك امتيازاً أسمى بكثير من مجرد الخلود الذي يعني به دوام وجود النفس. فقد يكون لهذا الدوام نتائج مرعبة أكثر مما يتصوره العقل. تفكر قليلاً في وجود دائم في بحيرة النار! فلا بد لكل إنسان يرفض ابن الله أن يقع تحت دينونة الله الأبدية، أي أنه يكون في هذه الحالة في وجود دائم أبدي غير منقطع وسط سعير من الآلام – آلام من يد الله لأنه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أبي في عناد وتمرد أن يؤمن أن الابن العزيز احتمل بالنعمة ذلك القضاء لكي يعفي المجرمين من ملاقاة تلك الدينونة ويؤهلهم للبركة إلى الأبد! فإذا كنت لا أؤمن به، ولا بالبشارة الطيبة عما صنعه الله بواسطته، فأين أكون؟ طبعاً تحت سلطان الشيطان، ذلك العدو القاسي الذي يبغض الله والإنسان. على أن الإنسان لا يمكن أن يتلاشى من الوجود. وإنها لجريمة كبرى أن يتمنى الخاطئ أن يكون بلا وجود قد يقدم على الانتحار، ولكنه سيعطي لله حساباً عن ذلك. ما أروعه حساباً، لأن الله هو الذي وهبه الحياة، فمن أين له هذا الترخيص بالتخلص من الحياة بيده؟ وأي خير يمكن أن تؤدي إليه مثل هذه الفعلة الجهلاء النكراء؟ لئن كان القتل في شتى أنواعه يعد جريمة شنيعة مميتة فإن الانتحار صورة من أ[شع صوره لأنه إهانة مباشرة ضد الله. والخلاصة أن الرب يسوع كان الإنسان الوحيد الذي أطاع طاعة دائمة وكاملة وذلك لأن طاعته كانت نابعة من حياة هي بعينها الحياة الأبدية. أما بالنسبة لنا نحن المؤمنين فليس الأمر هكذا دائماً إذ قد يعمل الجسد أحياناً لخزينا وعارنا، ولكن الحياة الجديدة التي فينا لكونها أبدية، تبقى مصدراً للقوة والنشاط. قد ينطلق الإنسان العتيق من عقاله وقد يثور بسبب الغفلة وعدم السهر بالصلاة. لأن الحياة القديمة أو اهتمام الجسد لا زال موجوداً وهو بكل أسف عداوة لله (رو ٨: ٧). هذه الحياة القديمة هي إرادة الإنسان الذاتية، ولمن تكون طاعة الإنسان في هذه الحالة؟ للشيطان لا محالة لأن الإرادة تكون في خدمة الشيطان وأداة طيعة له. وهذه في الواقع هي حرية الإرادة التي يفخر الإنسان بها.

إن من واجبنا أن نردد هذه الحقيقة باستمرار وهي أن كل مؤمن يحصل على الحياة الأبدية من المسيح بمجرد إيمانه به. يحصل عليها كاملة ناجزة وفي الحال، وهي تبدأ نسمتها الأولى فينا عندما يبدأ الإيمان في النفس، وبعبارة أخرى عندما يخضع الخاطئ للمسيح كعطية الله بالنعمة. وقد رأينا أن مجرد هذا الخضوع يعتبره الله طاعة له فإن وصيته الصريحة لي هي أن أؤمن بالإنجيل وأن أتوب. وهنا يكون الخضوع الصحيح لله في النفس، والطاعة في هذه الحالة لا يشار بها إلى ما سأفعله لله من الآن فصاعداً بل يقصد بها انحناء نفسي أمام الله في اللحظة الأولى كالله المخلص بواسطة ابنه ما أبرك نحه إياي الحياة! وما أعجب جعله إياي غرضاً لمحبته! وأية محبة أعظم من أن يبذل ابنه لكي يأتي هنا ويعيش لأجلي، بل ولكي يقدم نفس هذا الابن الذي هو الحياة الأبدية لكي يموت من أجل خطاياي ولكي يمحوها محواً كاملاً بفداء أبدي، فتكون لي به حياة أبدية؟.

ولكن هذه الحياة الجديدة ليست مصدراً للطاعة فقط بل للمحبة الإلهية أيضاً، والمحبة المطلوبة هنا ليست فقط المحبة لله، (تلك المحبة التي لنا تتوفر في الإنسان إلا حينما تتأكد النفس أن الله في نعمته السامية المجانية قد أعطاها الحياة الأبدية كما أعطاها في الوقت

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

نفسه كفارة عن خطاياها في ابنه الوحيد المحبوب) ولكن المحبة المقصودة هنا هي محبتنا لإخوتنا المسيحيين.

حينما يكون القديسون أحداثاً، ونظير المسيحيين الكورنثيين ليسوا روحانيين يحسبون أمراً سهلاً أن يحب أحدهم الآخر. ولكن الحقيقة تنجلي لهم إذ هم وضعوا أعناقهم يوماً فيوماً في ميدان الاختبار. وإذا أخلصوا في فحص ذواتهم قدام الله فسرعان ما يدركون أن كثيراً مما نحسبه محبة لا يزيد عن كونه محبة بالكلام واللسان. قد يبدو الأمر سهلاً حينما يكون كل شيء على ما يرام وسائراً في الاتجاه الذي يروقنا ولكن عندما تهب ريح مضادة تصدم رغباتنا فعندئذ يكون المحك لمن يحسبونه شيئاً يسيراً أن يحب أحدنا الآخر. قد نجد هذا النوع من الحب عند أي إنسان لطيف ودود، بل قد تجده عند كلب أو قط ولكنه حب مجرد من كل عنصر إلهي. أما حبنا لإخوتنا فقد يصطدم بالشيء الكثير من المعطلات فينا وفيهم فالأمر مع المسيحي يختلف عنه مع المسيح الذي قيل عنه وحده "وليس فيه خطية". أما نحن فإن الخطية هي عين الشيء الذي فينا بحسب الطبيعة، ونحن نعجب لأي شخص لا يؤمن بهذه الحقيقة فإنه وأمثاله إنما يعيشون في فردوس زائف من جهة نفوسهم إذ يحسبون ذواتهم كاملين الآن من الناحية العملية بينما في الواقع هم ليسوا كاملين بهذا المعنى بل إنهم لم يتعلموا بعد معنى الكمال المسيحي وهو التخلي عن الذات والاستناد في كل شيء على المسيح وبخاصة في السلوك والاختبار اليومي، فإننا لن نكون كاملين في ذواتنا إلا بعد أن نتغير تماماً إلى صورته، ومتى فحصنا أنفسنا في النور فإنه لا يسعنا إلا أن نحزن بحق على تقصيرنا وفشلنا في أمور كثيرة.

على أن الرب قد جعلها وصية خطيرة على تلاميذه أن يحب أحدهم الآخر فإن الإيمان به كان كفيلاً لأن يتسع لعداوة اليهود كما لسائر الشعوب. إن محبة الإنسان لشعبه وأبناء جلدته لا تخلوا من التباهي والافتخار، ونحن ميالون لأن نقرن أنفسنا بما نعده مزايا خاصة أو فضائل باهرة ممتازة. وليس من شك في أن اليهود كانوا لا ينقصون عن غيرهم من الأمم في ميدان التفاخر بامتيازاتهم من أعدائهم. أما الحق فإنه ما من إنسان على صواب فيما يفتخر به، إلا أن يندم في التراب بسبب خطاياه ضد الله.

إن كان لأحد أن يفخر بصنائع الله فإن لإسرائيل بلا ريب أن يفتخر أكثر من غيره من الشعوب. غير أن هذا لا ينفي الحقيقة الثابتة وهي أننا إذا فحصنا الأمور في نور الله بأمانة فلا يسعنا إلا أن نتضع ونتذلل قدامه من أجل حقارتنا وعدم استحقاقنا. فنحن نجد الخطية في ذواتنا وفي أحدنا الآخر. ولهذا فلا بد من عمل روح الله لكي يرفع المؤمن فوق كل ما يستفز ويضايق، ليس فقط كل ما هو مضاد لما نحب بل كل ما نحسبه خطأ أيضاً.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

هنا يأتي امتحان الرب القاسي. هل نثابر على حب بعضنا البعض ولو في هذه الحالة؟ من واجبنا ألا نتعامى عن إهانة شخص المسيح أو نكران حق الله أو العبث بالقداسة أو غير ذلك من أشكال الخطية المكشوفة. ولكننا مدعوون لأن نتقوى بالنعمة التي في المسيح يسوع، وأن نحتمل المشقات كجنود صالحين، وأن نصبر على كل شيء لأجل المختارين لكي يحصلوا هم أيضاً على الخلاص الذي في المسيح يسوع مع مجد أبدي. وهذا ما تفعله المحبة في الواقع. إنها ترفع النفس إلى مستوى المساهمة في صبر الله، ذلك الصبر الذي اختبره المسيح إلى أقصى حد وأظهره في حياته كل يوم وفي كل شيء. غير أن هذا لم يمنعه من مناهضة الشر ضد الله. الأمر الذي لا يعد نقصاً في المحبة لأن عدم بغض الشر معناه الإساءة لطبيعة الله وكلمته، وعدم الاكتراث للشر هو عكس القداسة على خط مستقيم، بينما محبة الصلاح وإكرام البر جزء من القداسة العملية في كل شخص مولود من الله.

غير أن المحبة تسمو فوق كل ما يصيبنا في أشخاصنا أو يقاوم أفكارنا ورغائبنا فهذه كلها نستطيع أن نستودعها بين يدي الله بالإيمان، ويجب أن نستودعها كذلك في المحبة. قد نضطر أن نوبخ ما هو خط في إخوتنا ومن الواجب أن نوبخ إلا في الحالات التي لا يكون التوبيخ فيها لائقاً. ولكن مهما تكون الأمور محزنة وداعية للحسرة فعلينا أن نحفظ أنفسنا في محبة الله (يه ٢١) وذلك ليس لأرواحنا فقط بل لابد متى امتلأت نفوسنا من محبة الله أنها تفيض من نحو بعضنا البعض.

يبدأ الرسول العدد السابع مخاطباً المؤمنين كإخوة وهي كلمة تتناسب والمحبة التي يجب أن تسودهم. هم جميعاً مولودون من الله، أولاد أحباء، إخوة بعضهم لبعض وجميعهم أهداف المحبة الإلهية الهادفة، المحبة التي لا تتغير. محبة قد احتضنتهم جميعاً ويا له من باعث قوي مقتدر يشدد محبتهم بعضهم لبعض "أيها الإخوة لست أكتب إليكم وصية جديدة بل وصية قديمة كانت عندكم من البدء".

هذه الوصية القديمة نجدها في إنجيل هذا الكتاب الملهم. فهو الذي يبرزها أكثر من غيره، إن لم يكن الوحيد الذي يوردها بحروفها. فقد نقل إلينا أن الرب وضع في عنق تلاميذه هذه الوصية الحارة أن يحبوا بعضهم بعضاً. وإنه له المجد أوصى بهذه الوصية في أول إصحاح من تلك المجموعة البديعة من الإصحاحات التي يتكلم فيها مع تلاميذه بمناسبة رحيله عن العالم وذهابه إلى الآب. ففي (ص ١٣: ٣٤ و ٣٥) نقرأ الوصية الجديدة ولنرجع قليلاً إلى تلك القرينة المؤثرة "يا أولادي أنا معكم زماناً قليلاً بعد ستطلبونني وكما قلت لليهود حيث أذهب أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا أقول لكم أنتم الآن". لقد كان ذهابه هذا شرطاً لابد منه للمسيحية، أي غيابه عن الأرض ووجوده في السماء فإلى ذلك الوقت لم تكن المسيحية بمعناها الصحيح قد بدأت فيما يتعلق برابطة التلاميذ ولو أن أصل البركة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كان في شخصه العزيز، لكن موقفهم الصحيح بالنسبة للسيد وبالتبعية لكل شخص آخر – أي علاقتهم الكاملة – كان شيئاً جديداً عرفوه بعد الرب وقيامته وصعوده.

وإذ أشار إلى مغادرته إياهم ليصرح بما يريد فيهم ومنهم "وصية جديدة أنا أعطيكم أن تحبوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم أنا تحبون أنتم أيضاً. بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي إن كان لكم حب بعضكم لبعض". واضح من هنا أن الرسالة تشير بلا ريب إلى الإنجيل. وأن الوصية في الإنجيل هي نفسها المراد تطبيقها في الرسالة أعطى الرب في هذه الوصية لما كان على الأرض وفي هذا نرى توكيداً للملاحظة التي أشرنا إليها عندما التأمل في الكلمات الافتتاحية من الرسالة وهي أن هناك فارق بين "من البدء" و "في البدء". على أن هذا الذي كان "من البدء" لم يكن ليوجد ما لم يسبقه وجود الكلمة والابن "في البدء" قبل السماوات والأرض. فالقول "من البدء" يعني من وقت وجود الكلمة الأزلي في أرضنا، وفي ملء النعمة والحق مع التلاميذ، أي منذ أن صار الكلمة جسداً وحل بيننا، فإلى هذه الفترة يشير الرسول عند قوله "بل وصية قديمة كانت عندكم من البدء" – "الوصية القديمة هي الكلمة التي سمعتموها من البدء" وواضح أن هذه الكلمة لم يسمعوها "في البدء".

لقد سمعوها من المسيح. وقبل ذلك لم توجد وصية مثل هذه قط.

المحبة التي أوصانا بها سيدنا لم تكن مجرد محبة القريب. تلك محبة تختلف عن هذه في مقياسها ونوعها وأهدافها مهما كان مصدرها. أما المحبة موضوع الوصية هنا فمتجهة من وإلى الذين حصلوا على الحياة الأبدية في المسيح وقد أعد لهم فداءاً أبدياً بدمه. هم جماعة جديدة أفرادها قد أعدوا لكل ما هو مجهز لهم على أساس الحياة الأبدية التي نالها كل واحد منكم في شخص المحبوب. على أنه كان لابد من موته وقيامته لإقامة الأساس الإلهي لمواجهة كافة الصعاب والمطالب وكفالة جميع الامتيازات مهما كانت. لكن هذه المشورات وطرق الله ليست بوجه خاص مجال خدمة يوحنا، بل علينا الرجوع لرسائل بولس للبحث عنها. أما يوحنا فيعالج المبادئ المطلقة اللازمة للقديسين شخصياً في غير تعديل أو تخفيف، ولو أنه يلجأ إلى التعدي والتخفيف إلى حد ما بالنسبة لما نحن عليه وبالنسبة لحالة العالم الذي نعيش فيه. ومع ذلك فالمبادئ تظل ثابتة في مكانها وإليها يقود يوحنا جماعة المؤمنين. فهو يشدد على المبادئ الإلهية التي نحن مدعوون لأن نتمسك بها راسخين، وفي هذا لابد لنا في الاعتماد على إله أمين يعيننا في حل جميع الصعاب بواسطة الكلمة المعطاة لنا ولاسيما على يد الرسول بولس.

وهنا يتكلم رسولنا عن وصية المحبة وكيف يجب أن تكون هذه المحبة على قياس ومثال محبة المسيح لنا. إنها كانت "وصية قديمة" لأن المسيح قبل موته وقيامته كان لا يزال معهم على الأرض وهم كانوا لا يزالوا يهوداً ولكنهم كانوا قد حصلوا في نفوسهم على شيء هو

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أسمى من اليهودية بما لا يقاس. بحسب الظاهر كانوا مستمرين على عادتهم الأولى في الذهاب إلى الهيكل. بل أكثر من ذلك. إن غالبية التلاميذ إن لم يكن كلهم استمروا في هذا الطريق فترة طويلة وهم في أورشليم بعد وت الرب وقيامته وصعوده، بل إننا نقرأ عن قادة الرسل (حتى بعد نوال روح الموعد القدوس يوم الخمسين) يصعدون إلى الهيكل في ساعة الصلاة، كما كانوا متعودين أن يفعلوا قبل وبعد ما تبعوا الرب على الأرض.

"الوصية القديمة هي الكلمة التي سمعتموها من البدء". ولإشارة هنا لا يمكن أن تنصرف إلى الأزلي. فهي وصية لم يأمر بها "في البدء" ولم يسمعها أحد في الأزل وإلى فإن ذلك معناه أنها وصية لا علاقة لها بالزمان أو المكان أو الناس. فواضح والحالة هذه أنه من الخطأ أن نخلط بين التعبيرين "من البدء" و "في البدء" كما يفعل الكثيرون.

على أننا نقرأ في العدد التالي، أي العدد الثامن، ما يبدو على أنه نوع من التناقض ويحنا لا يعبأ بهذا لأن ما يبدو متناقضاً أمام العقل البشري قد يكون هو الحق بعينه ولو أن الأذن الغير المختونة يحسبه متنافراً ومتناقضاً. غير أن السبيل الوحيد لفهم الأسفار الإلهية إنما هو الإيمان بما فيها. عندئذ نبدأ بفهمها أما إذا كنا لا نؤمن بها فكيف نستطيع أن نفهمها؟ إن الذهن الطبيعي ميال لأن يفضل الذات على الله ويأبى أن يتعلم ما يسمو فوق إدراكه بما لا يقاس. ولا شك أن تفضيل أذهاننا وأفكارنا وكلمتنا الخاصة على لكمة الله أمر يتناقض بالطلية مع الإيمان بوحي الله.

والشيء الوحيد الذي يليق بالمؤمن هو أن يقف بعزم راسخ في جانب الله وكلمته. قد يشعر بأنه لا يستطيع تفسير هذه الصعوبة أو تلك. لكنه يصدق الله ويستخون نفسه. ولهذا هو يتأنى وينتظر، واثقاً أن الرب سيعطيه نوراً بخصوص ما استغلق عليه إن كان ذلك لخيره، وحتى إذا لم يأتي النور إطلاقاً فإنه يثق ويؤمن أن للرب في ذلك غرضاً سامياً. فهو يعلم في قرارة نفسه أن الله دائماً على حق. أما عن نفسه فما أكثر ما يخطئ!

يقول الرسول في العدد الذي أمامنا "أيضاً وصية جديدة أكتب إليكما هو حق فيه وفيكم". والواقع أن ما يبدو صعباً لأول وهلة إنما يفسر بعضه بعضاً تفسيراً كاملاً. فنحن ليس علينا أن ننتظر طويلاً أو نبحث بعيداً لنفهم كيف تكون الوصية القديمة وصية جديدة. من المحتمل جداً أن من يقبلون على درس كلمة الله بعقلية طلبة المدارس لن يفهموا المعنى المقصود حتى يوم القيامة. فهم يودون أن يفهموا دون أن يؤمنوا، والنتيجة أنهم يظلون في ظلامهم وغبائهم مهما تكن درجة تعلمهم. إن الوصية القديمة كانت حقاً في المسيح. فيوم أن نطق بها كان يحب تلاميذه جميعاً بحب لا يستطيعه غير الله. كان يحبهم حباً كاملا مطلقاً. وهل تتصور أنهم كانوا يحبون بعضهم بعضاً في ذلك الوقت؟ ألم يحسد أحدهم الآخر؟ لقد كانوا على استعداد أن يتخاصموا دائماً، بل أن يتشاحنوا ويتباحثوا بشدة فيمن يكون الأعظم بينهم.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

فهل كان شيء من المحبة في هذا؟ إن تنافساً كهذا لهو نقيض المحبة على خط مستقيم ويدل على نشاط الجسد والذات لا أكثر ولا أقل.

إن المحبة تعلم أن الله وحده هو الذي من حقه أن يقرر مركز كل واحد والكتاب يبين أن الله يقيم في الكنيسة مواهب كما يوافق مشيئته. أما التلاميذ فقد أرادوا جميعاً أن يكون كل واحد منهم الأعظم، الأمر الذي ما كان ممكناً أن يتم وهل من شيء يتنافى مع المحبة أكثر من أن يريد كل واحد أن يكون الأعظم وأن يأخذ المركز الأول لنفه؟ وكم يتعارض هذا مع فكر المسيح كما هو مرسوم في الإصحاح الثاني من فيلبي!

إذن فنرى هنا أن الشيء الذي كان وصية قديمة لما كان الرب على الأرض قد أصبح الآن وصية جديدة لأنها الآن حق ليس فيه فقط بل فيهم أيضاً. وما الذي جعلها حقاً فيهم؟ الجواب موت وقيامة الرب يسوع. هذا هو الذي يجعل كل شيء جديد. على أن القيامة ما كانت ممكنة لولا الموت، وما كان ممكناً لأمور القديمة أن تمضي لولا موت المسيح كما لم يكن ممكناً للأمور الجديدة أن تأتي لولا قيامته. لكنه هو القيامة والحياة وهذا هو مبدأ المسيحية المجيد. كل شيء يدور حول موت الرب يسوع وقيامته. هذا هو ما جعل القديم جديداً. وهذا ما جعله حقاً فيهم كما هو فيه. إنه له المجد كان لا يزال هو الحق، ولكن ما الحال معي ومعك أيها الأخ؟ هل نحن في الروح؟ أم تراني لازلت أنانياً أطلب ما لنفسي؟ إذا كان الأمر كذلك فهذا ليس من المسيح ولا من المحبة.

وكم هو مبارك وجميل أن الوصية القديمة هي الآن جديدة، وحق فيه وفي خاصته! ولماذا هكذا؟ الجواب لأن المسيحيين يقفون جميعاً على حد سواء، كمن لهم حياة فيه وبما أن مساوئنا وشرورنا قد عولجت في صليبه فإن جميع الموانع التي تعطل عمل الحياة الإلهية وممارستها في المحبة وجريانها من نحو بعضنا البعض بحرية وبلا عائق – كل هذه الشرور والمعطلات قد دينت جميعها في صليب المسيح. وكما أن الكلمة تعلن هذه الحقيقة فإن الروح القدس يحققها اختبارياً في كل منا. ولاحظ أن الرسول يتكلم هنا أيضاً طبقاً للمبدأ دون الإشارة إلى الملابسات الوقتية العرضية التي قد تحيط بحالة كل مسيحي والتي لها علاجها في أماكن أخرى من الكلمة. غير أن يوحنا يعطينا المبدأ الصحيح في كل كماله لكي يتمتع به الإيمان ويمارسه بحسب قياس حالتنا الروحية، فيعلن أن الأمر حقا فينا أي في جميع المسيحيين كما هو حق في المسيح.

إنها في الواقع حقيقة منعشة بل مدهشة في الدائرة الروحية، ولكن بركتها لا تعرف عملياً إلا متى قبلتها النفس تصديقاً لكلمة الله وآمنت بها فيما يتعلق بالآخرين كما فيما يتعلق بالإنسان ذاته. يقول الرسول "ما هو الحق فيه وفيكم"، إن الوصية القديمة كانت بلا قوة إلى أن مات المسيح وقام، ولكن بعد موته وقيامته وبعد أن أظهر بذلك ملء البركة في ذاته،

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مائتاً وقائماً لأجلهم، فإنها وصلت إليهم هم أيضاً: إن حبة الحنطة بقيت وحدها إلى أن وقعت في الأرض وماتت، وإذا ماتت كما قال الرب أتت بثمر كثير. وأين ذلك "الثمر الكثير"؟ هو في جميع المسيحيين. في كل مسيحي حقيقي. قد تأتي الملابسات فتعطل، ومن المهم أن نتعلم كيف يمكن أن نتغلب على المعطلات ونسمو فوقها. فلا نعطي لأنفسنا راحة أو نكف عن الصراخ لله واستخدام الوسائل التي تزودنا بها كلمته ويمدنا بها روحه لمواجهة المعطلات في أنفسنا أو في الآخرين فقد أعطانا المسيح مثالاً، ونحن أيضاً ينبغي أن نغسل بعضنا أرجل بعض.

فهنا إذن أمامنا المبدأ، أي وصية المسيح في قوتها. أنها كانت كاملة على الدوام في المسيح لما لم تكن إلا الوصية القديمة كان هو وحده المنفذ لها. أما وقد مات وقام فهلم وانظر التغيير بين التلاميذ يومئذ "وقف بطرس مع الإحدى عشر رسولاً" وقفة رجل واحد. لقد تلاشى النزاع الجسدي والتنافس والأنانية. لم نسمع بهذا من قبل قط ولم نقرأ عن مثل هذا التغيير أيام خدمة سيدنا في الجسد، تلك الفترة المسماة هنا "من البدء". لقد كانت حينذاك حقاً فيه وحده. أما الآن فبفضل قوة قيامته صارت حقاً فيهم كما فيه وهاك هو السبب "لأن الظلمة قد مضت" هذا هو الحق في كل مولود من الله. ولكن هل الظلمة مضت من العالم بصفة عامة ومن العالم المسيحي بصفة خاصة؟ لا هذا ولا ذاك فإن الظلمة لن تمض من العالم إلا بمجيء المسيح ثانية. يومئذ يقال "قومي استنيري لأنه قد جاء نورك" هناك سيكون نور لكل الأرض. قد يضيء بلمعان أكثر في أورشليم ولكنه سيعم المسكون بأسرها لأن مجد سيدنا سيملأ كل الأرض. أما الآن فواضح أن الحالة تختلف عن ذلك فيما يتعلق بالعالم. فالوثنية والأديان الزائفة موجودة في عصرنا وبابل ستوجد كما هي موجودة الآن ونحن نعرف ما هي فضلاً عن كل أنواع الشناعات المنتشرة في العالم المسيحي. وشر من هذا و ذاك، اقتراب يوم الأثيم الذي سيجلس في هيكل الله مظهراً نفسه أنه الله. وحتى في يومنا الحاضر تصم آذاننا أصوات الإلحاد والتشكك التي ترتفع من فوق المنابر كل يوم - ليس من بعض النكرات بل بالأسف من القادة و البارزين. وقليلون هم الذين يقفون ضد هذا التيار الأثيم معرضين أنفسهم للبغض والكراهية يوماً بعد يوم. ولكن مهما كانت عزلتهم وبساطة مسلكهم فإن شهادتهم هي أن هذا الإلحاد كله إنما هو خديعة إبليس ومقدمة الارتداد العتيد وطلائع الإنسان الخطية الذي يبيده الرب بظهوره بالمجد.

أما الظلمة فقد مضت، ولكن من أين مضت؟ من كل مسيحي يتجدد بالحق ويضم إلى الكنيسة. قد يؤمن بعض من مجاهل إفريقيا، وقد يؤمنوا في اليابان والصين حتى في روسيا. وهكذا حيثما تعمل النعمة، بغض النظر عن المكان، وحيثما يتجدد قديسون لله، فبهذا القدر تمضي الظلمة وهي تمضي فعلاً من كل مسيحي بالحق. والرسول هنا ينظر إلى

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المبدأ. فهو لا يبحث عن مدى تحقيق ذلك عالمياً. ليس هذا مهمة بل هو ينظر إلى أشياء كما ينبغي أن تكون في المسيحي عاملاً ومنفذاً المبدأ الإلهي الذي قبلته نفسه.

لكنه يضيف "والنور الحقيقي الآن يضيء" وذلك لكي يعطي المعنى المقصود كل قوله. إن هناك من المسيحيين من لا يحبون الدقة. ولكن أليس الأفضل أن يكون لدينا الحق في أقصى ما يمكن من البساطة والوضوح والكمال؟ والنقطة الهامة التي علينا أن نلاحظها هنا أن الكلام عن النور الحقيقي يلجأ بعد موت المسيح وقيامته.لألم يحاول العالم أن يطفئ ذلك النور بموت سيدنا؟ نعم لقد حاولوا ذلك وبذل قصارى جهده في تنفيذه. ولكن كل جهوده باءت بالفشل بفضل قيامة سيدنا وهاهو النور يضيء بلمعان أكثر وأقوى من ذي قبل "النور الحقيق الآن يضيء" فالقديسون الذين كانوا ضعفاء أصبحوا أقوياء ونسوا ذواتهم وجهالتهم في فيض سرورهم وفرحهم بالمخلص المقام. والروح الذي نالوه على أثر القيامة هو روح القوة والمحبة والنصح. ومن هنا نرى كيف أن وصية المحبة صارت الآن حقاً فيهم كما هي فيه. وهي في بلا شك لكن المشكلة كانت "فيهم". فكيف يتسنى أن تكون حقاً فيهم؟ لقد قام المسيح آتياً بثمر كثير ومن هذا الثمر قد مضت الظلمة وحل محلها الر. وهكذا يطرد المسيح الظلمة بالنسبة لكل مسيحي وهو يضيء الآن لجميع المسيحيين، يضيء لهم وفيهم، أكثر من ذي قبل.

وبناء على ذلك يأتي في العدد التاسع الجواب عن من يقول أنه في النور وهو يبغض أخاه. إن هذه الرسالة تنظر إلى مجرد "القول" دون العمل نظرة قاسية ولكنها في محلها، فإن قديس الله الحقيقي لا يتكلم بخفة عن الوجود في النور. هو يعلم أنه في النور، ويبارك الله من أجل ذلك، لكنه ينظر نظرة جدية إلى هذا الأمر الخطير. إنه يدع الآخرين يقولون متفاخرين "نحن في النور" بينما هم يسلكون في الظلمة. وهل من شيء أكثر من هذا إهانة للرب أو أقل لياقة بالمسيحي؟ إن المسلك الصحيح الحقيقي لا أن نقول بل أن نظهر بأننا سالكون في النور وذلك بالسيرة التقوية أما "من قال أنه في النور وهو يبغض أخاه" فإنما يقيم الدليل على أنه ليس في النور. فإنما ما يحمله بين جنبيه من بغض لأخيه يتعارض ليس فقط مع المحبة بل مع النور والحياة لأن هذا الثلاثة تسير معاً ولا يمكن أن ينفصل أحدهما عن الآخر. فكما أن الطاعة برهان الحياة، لذلك المحبة برهاننا الأخير، ومن خصائص النور الحقيقي الذي يضئ الآن أنه يكتشف ظلمة البغضاء. لاشك أنه إذا كان أخ قاسياً أو متهوراً أو مشوباً بأي نوع من أنواع النقص، فإن في ذلك امتحاناً لنفسك، ومن واجبك أن تكون أكثر حرصاً وحذراً، بل أكثر اهتماماً وعطفاً لاسيما إذا بدر منه شيئاً تراه سيئاً في نظرك. ولماذا يتسع قلبك لتربحه؟ ولماذا تتخلى عن المحبة حيث الحاجة إليها أشد وأدعى؟ إنه من واجبك أن تعطف على أخيك إذا كنت تحسب أنه أخطأ خطأ جسيماً. أو لا ينبغي أن يكون موضوع توسلاتك الحارة قدام الله، مهما كرهك لشره ورفضك لخطأه.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

"من قال أنه في النور وهو يبغض أخاه فهو إلى الآن في الظلمة". عبارة غاية في الاختصار ولكنها قاطعة كالسيف البتار. وهذا هو يوحنا الحبيب. لم يعد له أحد في اللطف والمحبة ،ولم يعد له أحد كذلك في الحزن والشدة.وهنا الفارق بين المحبة و عدم وهو الاكترات.فهو لا يقول مجرد قول "إني أحب أخي" بل هو يحبه فعلاً "من يحب أخاه يثبت في النور" وهو يحب حتى مع وجود المتناقضات الأليمة التي ترهق المحبة وتثقل كاهلها، بل إن هذه المتناقضات والمنفرات تبرهن على وجود المحبة وتجعلها تظهر بلمعان أكثر وهذا معنى القول "وليس فيه عثرة". لقد امتحنته تلك المضايقات في محبته، لكنه لم يعثر بل ظل يحب أخاه. مثل هذا "يثبت في النور وليس في عثرة". لو أنه قابل الخطأ بمثله، أو لو أنه تمنى الشر والسوء لمن فشل وسقط، فحينئذ تكون الفرصة للعثرة. ولئن كانت هذه العثرات شأن الإنسان الطبيعي عندما تستفزه المضايقات، لكنها ليست من المسيح في شيء وبالتبعية ليست من المسيحي.

"وأما من يبغض أخاه". هنا نرى الشر في صورته العنيفة. "وأما من يبغض أخاه فهو في الظلمة". هذه هي حقيقة حالته، وهي القول الفصل في الموضوع فإن الذي يبغض أخاه هو من حيث المبدأ قاتل نفس كما يقول يوحنا في مكان آخر بعد ذلك (ص ٣: ١٥). "ومن يبغض أخاه فهو في الظلمة" – ليس الكلام عما يفعل أو كيف يسلك بل أنه هو شخصياً في الظلمة، وهذه الحالة يدلل عليها بمسلكه العنيف الخالي من الرحمة وتعلنها أقواله وأفعاله. فأقواله لا تزيد عن كونه "يبغض أخاه". وأفعاله لا تقل عن كونه "يبغض أخاه" أنه "في الظلمة يسلك". ومسلكه برهان حقيقته، كما أن سلوكنا في النور نابع من حقيقة وجودنا في النور نعم فإن البغضاء الكامنة في قلبه ليست نظرية من النظريات بل حقيقة دفينة في أغوار طبيعته وكلمة "يسلك" لا تعني أقل من هذا – "ولا يعلم أين يمضي"أي أنه منحدر إلى الهلاك. وبكن هذا هو مصيره المحتوم وبخاصة وهو يدعي لنفسه مركز المسيحي لأنه إن كان لا يوجد شيء في الوجود أغبط وأبرك من صيرورة الإنسان مسيحياً فإنه لا يوجد أتعس وأبأس من ادعاء هذا المركز دون أن يكون الإنسان مسيحياً بالمعنى والحق. ومع ذلك فما أكثر الذين يضلون النفوس بهذه الصورة اليوم.

فكيف إذن يتأكد الإنسان أنه مسيحي فعلاً؟ أنا متأكد أني خاطئ هالك، ومتأكد أن الله يرحب بالخاطئ الهالك باسم يسوع لأن الله أعطانا ابن الله ليكون ابن الإنسان لكي يطلب ويخلص ما قد هلك. فأنا محتاج لمسيح لأجل خلاصي وأؤمن به تصديقاً لكلمة الله عنه. أفليس من حقي إذن أن أتخذ مركز المسيحي؟ إذ قبلنا المسيح، قبلنا حياته، وهو في حساب الإيمان الكفارة الوحيد لخطايانا. وهكذا يعطى لقب أولاد الله لجميع الذين يؤمنون باسم المسيح، وهو يضمن لهم جميعاً النصيب المسيحي والبركة المسيحية وذلك لأن جميع امتيازات النعمة في شخصه العزيز تأتي عملياً مجتمعة معاً.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وعلى عكس ذلك، إن كان الإنسان يتخذ اسم المسيح بخفة ومجرد صورة دون أن يفكر تفكيراً جدياً في أمر خطاياه وحاجته القصوى إلى العتق والخلاص فلا شك إن مثل هذا الإنسان لا يزال يسلك في الظلمة رغم ادعائه الزائف. إنه في الظلمة ويسلك في الظلمة ولا يعلم إلى أين يمضي لأن الظلمة قد أعمت عينيه، وبالأكثر لأنه يدعي أنه مسيحي "لأنه إن كان النور الذي فيك ظلاماً فالظلام كم يكون" أما المسيحي فقد ولد ليس من دم، ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله وذلك بالإيمان الحي بيسوع.

ليس القصد من ذلك تثبيط عزيمة أضعف مؤمن. حاشا فلا في العهد الجديد، ولا في العهد القديم، كلمة واحدة تحمل الناس على الشك والريبة، بل إن كل كلمة في الكتاب قصد بها أن تقودهم إلى الإيمان. فإذا آمنوا وخضعوا لإعلان الله أي كلمة حقه ونعمته، فالبركة لهم، لأن كلمة الحق هي إنجيل الخلاص، وكل ما هنالك أنها ككلمة الحق تكشف حقيقتك كخاطئ بائس ولكنها في الوقت نفسه تزيل كل لطخة وتمحو كل خطية وتضع يدك على الحياة الأبدية وتوقفك موقف المتبرر قدام الله. ليست الذات هي التي تبررني فأنا إنما أدين نفسي. الله هو الذي يبرر المؤمن بالرب يسوع. والمسيح وحده هو الذي في استطاعته أن يجعل عتقي من الدينونة حقيقة واقعية فإذا كنت قد حصلت على المسيح فإني أستطيع أن أخلي نفسي بالكلية، وكل الأشياء التي كنت أعتد بها وأفاخر، مهما كانت صورتها، فإني أرفضها جميعاً كأشياء لا قيمة لها إطلاقاً وخاطئة. ويا لها من غبطة وبركة وسعادة أن أجد أن جميع بركات الله هي في المسيح وأنه يمنحها جميعاً من مجرد نعمته المجانية! ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد. ولكن ها هنا شخص يجرؤ أن يدعي أنه تحت راية الاسم المقدس بدون أن يكون في نفسه شعور حقيقي بخطاياه أو بنعمة الله. هذا ليس إلا ادعاء أجوف وتضليل للذات. ومن أسف أن النظم الإكليركية في هذه الأيام تخلق هذه الحالة بضغطها على الجماهير البسيطة المغرورة فتحشرهم حشراً بين جماعة المؤمنين. فترى الواحد منهم يتسلل إلى دائرة الأخوية المسيحية ولكنه يفشل فشلاً ذريعاً. يبغض أخاه ومعنى ذلك أنه لم يزد عن كونه إنساناً طبيعياً فهو لا يزال في الظلمة وفي الظلمة يسلك ولا يعلم أين يمضي لأن "الظلمة قد أعمت عينيه".

لكننا بعد الإيمان نبصر جيداً، لأن الإيمان بالمسيح يطرد ويزيل كل عائق آخر فإن نعمة الله تعطينا المسيح ليس فقط كالحياة والكفارة بل كمن فيه الكفاية لمطاليب السلوك كل يوم ولمواجهة صعاب ومخاطر كل يوم. فما أعظم التشجيع الذي ينطوي عليه أسلوب الرسول البسيط العميق في عرضه لهاتين العلامتين اللتين تميزان المسيحي الحقيقي، وأعني بهما الطاعة ثم المحبة. ففي كلتيهما لا يوجد فيما بعد سلوك في الظلمة كأهل العالم، بل يكون للنفس نور الحياة، لأننا إذ نتبع المسيح مؤمنين طائعين نكون في الوقت نفسه سالكين في المحبة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA
All rights reserved © 2008-2018
info@arabicbible.com

ولذلك فقد تعلمنا من أول الأمر أن طاعة الله البرهان الرئيسي والعلامة الأولى الجوهرية المميزة للشخص المسيحي وقد قصد بالطاعة أن تشمل جميع نواحي حياتنا وأن تربط تصرفاتنا وأعمالنا بواعثنا ونوايانا فنحكم عليها جميعاً بهذا المقياس: هل هذه مشيئة الله؟ هل هذا العمل يرضي الله؟ هل أنا في هذا الظرف أو ذاك مدعو لأن أعمل وأحتمل مهما كان العمل ومهما كان الاحتمال؟

والخضوع لكلمة الله فيه الجواب على كل سؤال. هكذا صار المسيح له المجد على الأرض. ونحن مدعوون كمسيحيين أن نسير في أثر خطواته. ولا ريب أن الخضوع المطلق لمشيئة أبيه وأبينا يجعل الأمر حلواً لنا كما يقول تبارك اسمه "احملوا نيري عليكم وتعلموا مني فإني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم. لأن نيري هين وحملي خفيف" يا أخي، هل أنت تحمل هذا النير بإخلاص؟ إذن فطوبى لك، لأنه ما الذي يجعل النير هيناً علينا؟ لا شيء سوى المسيح، فإذا ما استقرت العين على المسيح هان الحمل علينا. أما إذا ابتعدت العين عن المسيح وتحولت إلى ذواتنا أو إلى شيء آخر، فعندئذ يصبح الحمل ثقيلاً لا يطاق، وتحت ضغط عدم الإيمان تنكسر السفينة.

ونستطيع أن نرى حكمة الروح القدس في إعطائنا كلتا العلامتين وفي الترتيب الذي يضعها فيه، أي الطاعة أولاً ثم المحبة. نحن عادة نضع المحبة في المركز الأول عند الكلام عن برامج حياتنا المسيحية، ثقة منا في صدق محبة إخوتنا. لا شك أن انطفاء جذوة المحبة في نفس الأخ المسيحي أمر يكسر القلب ويدعو للأسف والحسرة، وأنه لمن الأمور الشنيعة للغاية حقاً أن لا يكون الأخ المسيحي أخاً محباً، ولكن ما حال طاعته؟ هل هو الآن متميز بالطاعة لله بعد أن كان قبلاً موسوماً بالأنانية وفعل الإرادة الذاتية؟

نذكر جميعاً تلك الحجة القوية التي تسلح بها الرسل في تجاربهم القاسية أيام الكنيسة الأولى (أع ٤ و ٥) وهي أنه ينبغي أن يطاع الله. لقد كان تبشيرهم وتعليمهم بيسوع كالمسيح سهماً صائباً في نفوس رئيس الكهنة والكتبة والشيوخ والصدوقيين. ولذلك أمرهم القوم يومئذ ألا ينادوا بهذا الاسم. ولكن الله ظهر لهم وهم في السجن ظهوراً معجزياً أدهش القائمين على حراستهم. إذ أخرجهم من السجن ملاك وأمرهم أن يعودوا ليتكلموا ثانية في الهيكل. ولم يكن خروج الاثني عشر هذه المرة كخروج بطرس بعد ذلك منفرداً يتبع الملاك دون أن يراه أحد – مع ما في حادثته من معجزات عجيبة – ولكن خروجهم جميعاً هذه المرة كان على مرأى من الحراس الذين كانوا في نوبة حراستهم يروحون ويغدون دون أن يدركوا البتة ما كان الله يفعله. فهو يعرف جيداً كيف يطمس العيون ويخلص من الأغلال إذا أراد. وإذا وصلوا إلى الهيكل كما أخبرهم الملاك نادوا برسالة الله. غير أن قادة اليهود تعلموا حتى عن هذه الآية وأصروا على إسكات الرسل. وهنا لم يسع الرسول بطرس إلا أن يجهر بقوله المأثور "ينبغي أن يطاع الله أكثر من الناس". أجل، فالطاعة هي حق الله على

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المخلوق وهي واجب المسيحي الذي لا يحيد عنه. فإذا لم نطع الله فإننا نسيء إليه في أهم حق من حقوقه علينا.

من المسلم به أنه يوجد على الأرض أشخاص من حقهم أن يأمروا، كما يوجد آخرون من واجبهم أن يطيعوا. فالطفل مثلاً يجب أن يطيع والديه، وكل إنسان يجب أن يخضع للسلطات المدنية. ولكن هذه الطاعة تختلف كل الاختلاف عن طاعة المسيحي التي يتحدث الرسول عنها هنا. فالطاعة الظاهرية أو الطبيعية قد تتم رغم أنف الشخص الطائع، أعني أنه قد يؤدي واجب الطاعة مستكرهاً بعض الأحيان. هذا النوع من الطاعة لم يعرف سبيلاً إلى طاعة المسيح. وينبغي ألا يكون له مكان في طاعة المسيحي الذي قد تقدس لطاعة المسيح وأصبح مطلوباً منه أن يثبت نظره على ناموس الحرية الكامل كمن نال طبيعة جديدة تحب أن تفعل مشيئة الله كما هي معلنة في كلمته بالمباينة مع إسرائيل تحت ناموس العبودية والتهديد بعقوبة الموت. ذلك أن الطبيعة الجديدة تجد في مشيئة الله بواعثها على العمل كما تجد في المسيح مثالها الكامل.

قد نتألم في طريق الطاعة لله، لكن هذا شرف لنا، كما حسب الرسل يوم جلدوهم بسبب إصرارهم على طاعة الله، وبكل وداعة تحملوا النتائج، كانت عقوبة جلد اليهودي في المجمع تعد إهانة كبرى في تلك الأيام، غير أن الرسل تحملوا الإهانة في صمت بل بالحري خرجوا فرحين لأنهم حسبوا أهلاً لأن يهانوا من أجل الاسم العظيم. ولم يكن موقفهم هذا مجرد "مقاومة سلبية" بل طاعة مقدسة واحتمالاً لنتائج بلا تذمر بل بسرور فائض. إذن فالطاعة تفترض كسر الإرادة الذاتية والخضوع لكلمة الله وبالتالي لله نفسه. والواقع أنه لا يوجد تواضع حقيقي بدون الطاعة، ومع ذلك فالطاعة هي التي تسلح النفس بالقوة والشجاعة ضد جميع عوامل الجذب المضادة وتعطي ثباتاً ورسوخاً لأضعف قديس ضد كل عدو أو خصم. هذا ما نراه في المسيح نفسه، ذاك الذي أكرم المكتوب إكراماً كاملاً والذي يجب على المسيحي أن ينهج على قياسه. إن الطاعة تركز الذهن على مشيئة الله وتغار على صون سلطانه في كل ما نطق به فمه عالمة أن له وحده الكمال الإلهي المطلق في الجلال والقداسة والحق والأمانة – ذلك الكمال الذي ظهر بتمامه في الكسيح الذي هو صورته.

لكن المحبة ليست هي هذه الناحية من الطبيعة التي نسميها الطهارة ولو أنها لا تنفصل عنها – تلك الناحية التي عبر عنها تعبيراً قوياً بالنور الذي من خصائصه أن يظهر ذاته كما يظهر كل إنسان وكل شيء آخر أينما أضاء. أما المحبة فهي نشاط اللاهوت في صلاحه الذاتي ليس فقط بالنسبة للذين لهم به علاقة أو تجانس بل هو صلاح يتخطى كل الحواجز وبالنعمة الكاملة يخلص أشر الخطاة الذين يقبلون المسيح ويحررهم من أفظع الشرور بفضل الفداء بدمه، وبالحياة الأبدية التي هي في الابن ولكنها أعطيت للمؤمن كحياته

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الجديدة وبالروح القدس الذي يقوده من تلك اللحظة كابن الله ويعمل فيه وبه في وحدانية جسد المسيح، والكنيسة، بينما هو ينتظر رجوع سيده ليأخذه لنفسه ويدخله مع جميع القديسين السماويين إلى بيت الآب في الأعالي ونستطيع أن نقول إن جاز هذا التعبير أنه إن كانت الطاعة في النور بمثابة القوة المركزية الجاذبة في المسيحي فإن المحبة هي القوة المركزية الدافعة، باعتبارنا متمثلين بالله كأولاد أحباء وسالكين في محبة كما أحبنا المسيح وأسلم نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة.

ليت الرب يباركنا حتى تتم فينا، لا العلامة الأولى فحسب، بل أيضاً العلامة الثانية أي المحبة التي هي عامل النشاط في الطبيعة الإلهية. ولنذكر أن القديسين التسالونيكيين كانوا حديثي الإيمان ومع ذلك فقد كتب إليهم الرسول يقول "أما المحبة الأخوية فلا حاجة لكم أن أكتب إليكم عنها لأنكم أنفسكم متعلمون من الله أن يحب بعضكم بعضاً" (١ تس ٤: ٩). أما نحن فقد قطعنا في الطريق شوطاً أطول مما قطعوا. فليعطينا الرب نعمة ونحن متعلمون من الله نزداد في المحبة أكثر. عالمين أن الشكر يتبع المحبة دائماً، وأن المحبة التي ليست من هذا النوع لا تزيد عن كونها "لطافة" كما يسميها الناس أو روحاً طيبة كريمة لا تريد أن تتعب أو تتعب غيرها ومستعدة أن تدع كل إنسان وشأنه. وهو يحسبون ذلك محبة!! ليت الرب يساعدنا لتمييز وإدراك ما لروح الله.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الرسالة الأولى: الخطاب السادس

١ يو ٢: ١٢ و ١٣

"أكتب إليكم أيها الأولاد لأنه قد غفرت لكم الخطايا من أجل اسمه. أكتب إليكم أيها الآباء لأنكم قد عرفتم الذي من البدء. أكتب إليكم أيها الأحداث لأنكم قد غلبتم الشرير. أكتب إليكم أيها الأولاد لأنكم قد عرفتم الآب".

هنا نرى الرسول يتحول وقتياً عن مجرى حديثه السابق الخاص بامتحان حقيقة الحياة الأبدية والشركة مع الآب والابن بدليل أنه يستأنف نفس الحديث من العدد الثامن والعشرين من نفس الإصحاح حيث نرى ذات الموضوع الذي كان أمامنا ابتداء من العدد الثالث إلى العدد الحادي عشر وهو الخاص بالمبدأين العظيمين اللذين يميزان المسيحي الحقيقي عن أي شيء آخر، وهما الطاعة أولاً كما رأينا ثم المحبة، وكلاهما شيئان رئيسيان وجوهريان ولو أنه لا سبيل إلى المقارنة بينهما سوى أن الطاعة تأتي أولاً إذ هي طاعة لله، والله لابد أن يكون له المكان الأفضل والأسبق في كل شيء أما المحبة التي هي موضوع الكلام هنا فهي ليست المحبة لله بل محبتنا لإخوتنا. ومع أن هذه المحبة مبدأ جوهري من أركان المسيحية، وانعدامها هادم لكل اعتراف مسيحي، إلا أن طاعة الله لها الأسبقية على محبتنا لإخوتنا وفي ظروف وقت واحد حينما تحصل النفس على الحياة الأبدية بالإيمان بالرب يسوع. فمن تلك اللحظة ليست "أنا" القديمة هي التي تحيا بل المسيح هو الذي يحيا فيّ، الأمر الذي يصدق على كل مسيحي بلا استثناء.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

هذا هو سياق المناقشة السابقة. أما هنا فبعد العدد الثاني عشر التمهيدي نجد التدرج الروحي بين المسيحيين، وذلك من العدد ١٣ لغاية ٢٧. غير أن الرسول قبل أن يتناول هذا التدرج يحرص في العدد ١٢ على وضع جميع المسيحيين على أساس واحد مشترك مخاطباً إياهم جميعاً بهذا اللقب العائلي الجميل "أيها الأولاد" مشيراً إلى امتيازهم المشترك كمقدمة أو تمهيد للكلام عن طبقاتهم المختلفة تبعاً لاختلاف تطورهم أو نموهم الروحي. لأنه وإن كانت كلمة الله كاملة الآن، وإن كان التطور أو النمو أمر لا ينطبق على المسيح إذ هو كامل كمالاً مطلقاً، فإنه قد يوجد بل لابد أن يوجد نمو في الشخص المسيحي بقدر نموه في معرفة الله. غير أن الرسول بروح النعمة، وقبل الدخول في الكلام عن الفوارق الخاصة بين المسيحيين، يطالعنا بالأساس الذي يضعنا عليه إيمان الإنجيل حيث نتساوى جميعنا وذلك منذ اللحظة التي تطأ فيها أقدامنا عتبة اعترافنا المسيحي. ولاشك أنه من المفيد والممتع أن نعرف الخطوة الأولى التي يخطوها المؤمن فور حصوله على الحياة وبعد ظهوره مبدأي الطاعة والمحبة مغروسين في نفسه جنباً إلى جنب مع الحياة، بل متضمنين في صلبها. وهل من أحد عرف المسيح الرب يمكنه أن يشك لحظة في أنه له المجد كان دائماً مطيعاً وكان دائماً سالكاً في المحبة؟ والمسيحي من حيث المبدأ لا يمكن أن يكون منفصلاً عن المسيح إذ هو روح واحد مع الرب، وهو مديون له بكل شيء، والمسيح بالنسبة له هو الكل في الكل (كو ٣: ١١).

فما هو هذا الامتياز الأول الذي يجب أن يعرفه ويتمتع بع المسيحي من بادئ الأمر؟ هو غفران الخطايا ويا له من امتياز هام خطير. ولكن مما يؤسف له أن هذا الامتياز الأولي قد يكون دائماً محققاً لعدة أسباب مع أن الإنجيل يعلن غفراناً حاضراً وكاملاً للمؤمن بواسطة الإيمان بالمسيح وعمله. والواقع أننا نرى كثيرين من القديسين يفوتهم التمتع الكامل بهذا الامتياز المسيحي الذي هو حق من جميع أفراد بيت الله، ذلك الحق الأولي المشاع بين الجميع بلا استثناء. وليست هذه الحالة المحزنة بنت اليوم ترجع في تاريخها إلى سنوات كثيرو جداً. بل قل منذ أن ترك الرسل هذه الأرض. فإنه سرعان ما اقتحم النقاش الإنساني ميدان نعمة الله المخلصة فأخضعها إلى اشتراطات ناموسية مقوضاً بذلك دعائم حقيقة غفران الخطايا الكامل وجاعلاً إياه هدف المسيحي الأخير عوض أن يكون نقطة ابتدائه. وبالاختصار انتشرت الضلالة الغلاطية في أرجاء المسيحية الاسمية ولازالت منتشرة رغم أصوات النذير والدحض التي اهتزت بها عواطف الرسول الثائرة في تلك الرسالة (رسالة غلاطية)، ووقع الإنجيل تحت الناموس الذي يقدم الحياة دائماً كشيء ينبغي أن نعمل للحصول عليه أو الاحتفاظ به. وكهذا يرجع الإنسان إلى اليهودية إذ يكون قد هجر نعمة الإنجيل، فإن من مضامين بشارة الله أن يبدأ المسيحي بالنعمة الإلهية فينال بالإيمان الحياة في المسيح وكذلك كفارته لخطايانا. ولئن كانت شعلة الحياة لا يمكن أن تنطفئ فإن ممارستها والتمتع بها قد تعطل بواسطة الضلالة التي تؤجل أو تخفي غفران الخطايا فتجعل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الناس يجاهدون للحصول عليه وتكون النتيجة أنهم ييئسون لعدم نوالهم إياه وهكذا يقضون حياتهم فريسة للشكوك والمخاوف.

إن تساؤل الإنسان "هل أنا للمسيح أما أنا لست له؟" هو تساؤل غير لائق بالمسيح ومؤسف لصدوره من المسيحي ومع ذلك – وهنا وجه العجب والغرابة – نرى الكثيرين من المسيحيين المخلصين يتمسكون به. ومما يزيد الأمر غرابة أن هذا التردد والتشكك ليس ديدن الكنائس التقليدية فقط بل قد سرت عدواه في صفوف الكلفنيين (أي الكنائس المصلحة) أيضاً. فهناك من يذهبون إلى حد القول "إن أنت لم تشك في نفسك فأنا أشك فيك". فهل يوجد تعليم أضيق أو تطرفاً من هذا؟ ومع ذلك فهؤلاء هم الذاتيون الذين يدينون كل واحد ما عدا أنفسهم. مع أنهم لو حكموا على أنفسهم لارتموا في أحضان نعمة الرب يسوع ونسوا ذواتهم في غنى صلاح الله فيه.

والحق أن نعمته تقوى أكثر من أي شيء آخر تحت خضوع النفس لتعليم الروح القدس. فقد ضمن المسيح غفران خطايانا بدمه الذي يطهرنا من كل خطية. هذا ما يعلنه الإنجيل لكل مخلوق لكي يؤمن به، بحيث أن الدعوة يمكن أن توجه بالحق والبر والمحبة والمثابرة لأشر الخطاة على الأرض لكي يؤمنوا بالمسيح ودمه الثمين لمغفرة خطاياهم، فإن الكتاب يعلن ويؤكد أن هذا يمكن نواله بواسطة عمل المسيح ليس على أساس نعمة الله فقط بل على أساس بره وعدله أيضاً. غير أن الواقع هو أنه يوجد الكثيرون من المسيحيين الذين يؤمنوا بالرب يسوع ولكنهم لا يدركون أن عمله على الصليب يعطيهم الحق في غفران حاضر وكامل. فإذ هم يؤمنون به يضعون بينه وبينهم، وفضلاً عن ذلك تراهم منزعجين بصفة خاصة بسبب إحساسهم بالخطية الساكنة فيهم. وهم معذورون في هذا الأمر الأخير لأن الخطية في الجسد مشكلة عويصة تتعب على المؤمنين قبل وبعد بداءة الطريق. فمع أنهم متجددون حقيقة لكنهم يجدون بالاختبار أن في داخلهم شراً هو في الواقع أعمق مما كانوا يتصورون، ويدهشهم أن يعلموا أنه قد جاء الوقت ليتحققوا من ذلك بالحزن العميق. على أن إشراق نور الحياة في نفوسهم هو الذي جعلهم يحسون بتلك الذات التي تلازم طبيعتهم القديمة.

عندئذ يدرك المؤمن بالنعمة أنه ليس فيه فقط الإنسان الجديد الذي توقع أن يكون وحده فيه، بل الإنسان العتيق أيضاً وبصورة نشطة، إذ هو يسعى دائماً للظهور، ومن أجل ذلك يحتاج القديس لأن يضبط ذلك الإنسان العتيق ويضعه بالإيمان في مركز الموت الذي هو صليب المسيح حيث دانه الله فيه. ولا شيء سوى ذلك يمكنه أن يسوى بصورة قاطعة حساب الإنسان العتيق – موت المسيح دون سواه. إن دمه الكريم قد سوى حساب خطايانا وإثمنا، ولكن موته الكفاري يتناول ما هو أكثر من الخطايا الفعلية. ففي موته قضي على اهتمام الجسد بأكمله، إذ فيه دان الله الخطية في الجسد بواسطة الذبيحة عن الخطية، ليس فقط عن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الخطايا بل عن الخطية الساكنة في الجسد. وهذا يتعلمه القديس ليس فقط بالإيمان بل بالاختبار أيضاً.

كثيرون من القديسين، إن لم يكن معظمهم، ينزعجون بعد التجديد حينما يصطدمون بوجود الخطية الساكنة فيهم حتى بعد أن آمنوا بالمسيح. ففي غمرة فرحهم بالحصول على مخلص كامل لا يدركون أن خطاياهم قد محيت محواً تاماً وأن عليهم أن يختبروا في داخلهم شراً كامناً لم يزعجهم من قبل بمثل هذه الصورة. فإذا لم يعالجوا هذا الاختبار بموت المسيح فأي شيء آخر يمكن إضافته عليه؟ وما الذي عالج الخطية أكثر من موت المسيح؟ إن رسالة العبرانيين تقدم لنا دراسة قوية وبحثاً عميقاً في عمل المسيح.، وخلاصة هذه الدراسة التحليلية العظيمة هي هذه: كما أنه لا يوجد سوى مخلص إلهي واحد، كذلك لا توجد سوى ذبيحة فعالة واحدة، وإن كان الأمر يحتاج إلى أكثر من ذلك فهذا معناه أنه لابد للمسيح أن يتألم مراراً ولكن هذا نكرا لحقيقة صليب المسيح وإلغاء لعمله كمن مات مرة لأجل الجميع وكمن "لا يسود عليه الموت فيما بعد" كما لم تسد عليه الخطية قط. ولكن الخطية الساكنة فينا حتى بعد إيماننا بالنعمة، كان لابد لها أن تدان وقد دينت فعلاً في صليبه فما نحتاجه من جهة الخطية الساكنة فينا هو إدانة الله لها، وهذا عين ما فعله الله في موت المسيح على الصليب، فإن نيران الدينونة في ذبيحة الخطية كان ينبغي أن تحرق الخطية أمام الله طبقاً للرمز المعروف. وهكذا يعطينا العهد الجديد الحق الكامل للصور التي كان يقدمها العهد القديم جزئياً في الرموز. فإن جميع تلك الرموز، وما يزيد عنها بكثير مما لا يستطيع أي رمز أن يصوره، تمت كلها في المسيح وعمله المبارك.

ويتخذ الرسول هذه الحقيقة المباركة المفروغ منها وهي حقيقة غفران خطايا القديسين غفراناً كاملاً أساسياً لكتابة رسالته ويبني على هذا الأساس حقائق أخرى كثيرة. وهو لا يدعوه سببه الوحيد ولكنه على كل حال يقول أنه الباعث على الكتابة إليهم. ونحن الذين أتينا بعدهم نستطيع القول أن هذا الباعث على الكتابة إليهم. ونحن الذين أتينا بعدهم نستطيع القول أن هذا الباعث الذي دعاه للكتابة إليهم لازال قائماً بكل ما فيه من فائدة لنا. فكل تعليم مسيحي، وكل تعليم للقديسين، مبني على هذا الأساس وهو أن لنا بالنعمة غفران الخطايا، أو بعبارة أخرى أن خطايانا قد غفرت لنا من أجل اسمه. ولن نكن واقفين على الأساس المسيحي الصحيح إلا متى قبلنا من الله أن خطايانا مغفورة بفضل المسيح "أكتب إليكم أيها الأولاد" – وهو هنا يضم جميع عائلة الله التي سيتكلم عنها الكثير بعد قليل – "لأنه قد غفرت لكم الخطايا من أجل اسمه" كلمات ما أبسطها! وفي الواقع ليس هناك من شيء أهم من هذه الحقيقة ليعرفها المؤمن شخصياً من بدء الطريق إن أراد أن يكون له الغبطة الكاملة. هي الحقيقة التي يبدأ بها المؤمن نهاره، والتي يجب أن يحملها في طيات قلبه طوال يومه، وأن يستبقى لذة التفكير في يقينها المشبع المعزي كآخر مرحلة من مراحل جولات

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عقله الواعي قبل نومه. نعم فإن خطايانا هي حقاً مغفورة من أجل اسمه الكريم الغالي. وما من خوف تاعس يخيم علينا، أو سحابة غيم تعكر صفو حياتنا مادامت الأخبار الطيبة التي تلقيناها ونحن بعد في حالة فجورنا قد أكدت لنا من جانب الله أن خطايانا قد غفرت عند إيماننا ومن ثم فإنها زراية كبرى بالإنجيل وإهانة بالغة للرب يسوع أن نرتاب من جهة هذه الحقيقة، فإن إحساساً كهذا إنما يدحض أقوال الله الواضحة. وهل هناك ما هو أوضح من الكلمات التي أمامنا؟ وأليس هذا الأساس ثابتاً وباقياً؟ أم هل نحن تحت مواعيد وقتية وشرطية نظير إسرائيل قديماً تحت الناموس؟

لقد نادى بطرس بغفران الخطايا منذ أيام الكنيسة الأولى إذ قال "له يشهد جميع الأنبياء أن كل من يؤمن به ينال غفران لخطايا" وقد نال عطية الروح القدس جميع الذين آمنوا من الأمم كما نالها قبل ذلك جميع الذين آمنوا من اليهود. والمعروف الواضح أنه لا يمكن نوال هذا الختم الإلهي بدون معرفة غفران الخطايا والتحقق منه (قارن أع ١١: ١٧) وبعد ذلك أعلن بولس في مجمع أنطاكية بيسيدية هذا الحق عينه إذ يقول "فليكن معلوماً عندكم أيها الرجال الإخوة أنه بهذا ينادي لكم بغفران الخطايا، وبهذا يتبرر كل من يؤمن من كل ما لم تقدروا أن تتبرروا منه بناموس موسى" (أع ١٣: ٣٨).وهكذا نرى الرسولين العظيمين، رسول الختان ورسول الغرلة يعززان ويؤيدان ما يؤكده آخر الرسل في نهاية العهد الرسولي لمواجهة المضللين المتزايدين في عملهم الأثيم الشرير. ومما يجدر ملاحظته أن الرسول لا يعلن الامتياز للقديسين لكي يعلموا أن خطاياهم قد غفرت من أجل اسم المسيح ولكنه يكتب الرسالة إليهم لأن خطاياهم قد غفرت. فلو أنها لم تكن مغفورة لسقط الأساس المفروض واللازم للمسيحي وبدون اليقين بهذه الحقيقة لا يمكن أن يكون هناك سلام مع الله ولا تكون النفس مؤهلة لاقتبال أية إعلانات إلهية أخرى والاستفادة منها.

إن حروف الشرط لا مكان لها في هذا الميدان. صحيح أنها ضرورية في مكانها في الكتاب ويجب مراعاتها وعدم التخلص منها أو الدوران حولها حيث توجد، ولكنها هنا لا مكان لها لأن أي شرط يدخل في الإنجيل يسيء إليه إساءة بالغة بل يهدم هدماً كاملاً طبيعته وصفته وغايته. فإن بركة الفداء (مهما كانت النعمة التي تأتي بها والمسئولية الجديدة التي تترتب عليها) إنما تتوقف لا على المفديين بل على الفادي. ليس أبسط من هذا الحق الذي يعلنه الوحي في كلمات قليلة. ومن شأن الإيمان أن يقبل ما يعلنه ن الله. وقد عني تبارك اسمه عناية لا مزيد عليها بأن يعلن هذا الحق الجوهري ليس فقط بفم الرسولين العظيمين بطرس ورسول الختان وبولس رسول الغرلة بل كذلك بفم يوحنا آخر الرسل جميعاً. وهكذا بقي حق الإنجيل حتى "الساعة الأخيرة" جديداً إلى النهاية كما كان عند البداية. بقي هو كما في الكتاب لم يتأثر بخراب الكنيسة العملي ولا بتلك الكارثة الرهيبة التي أشار إليها الرسول بولس قبل ذلك وهي مجيء "الارتداد" قبل يوم الرب المخوف بالدينونة. هذا ما أعلنه في

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الرسالة الثانية لأهل تسالونيكي وهي (ورسالته الأولى كما نعلم) من أوائل ما كتب الرسول بولس ولو أن الرسالة الثانية كتبت بعد الأولى ليس بوقت طويل بل ربما في نفس السنة. هناك يتنبأ الرسول عن نهاية الإثم الرهيبة ووصوله إلى غايته القصوى وهي الارتداد عن الحق وذلك ليس من جانب اليهود أو الوثنيين بل بكل أسف من جانب المسيحيين بالاسم. فإذا ما تحقق الاتحاد الكنسي الذي ينشده البعض كانت هذه بكل أسف بوادره وكانت هذه الخاتمة صفته وظهره.

لقد أرتد اليهود من قبل، يوم أن انحرفوا عن الرب إله آبائهم وتحولوا إلى الأوثان ثم توجوا ارتدادهم برفض مسياهم الرب يسوع. هذا يمكن أن يسمى ارتدادهم ولو أنهم سيتقدمون إلى عداوة أكثر قبل النهاية. أما الوثنيون فقد كانوا دائماً في حالة الارتداد عن الله منذ أن أقاموا آلهة كاذبة لأنفسهم. أما النهاية الرهيبة التي تعلنها الرسالة الثانية إلى أهل تسالونيكي فهي أن الارتداد سيقع من جانب المسيحية قبل مجيء يوم الرب وما على القارئ إلا أن يلقي نظرة على الصحف اليومية أو الأسبوعية أو الشهرية ولاسيما التي تصدر في الخارج في أيامنا الحاضرة فيرى في المجلات الدينية أو الصحف العالمية الدليل على اقتراب الارتداد، فإنها جميعاً لا تستطيع أن تخفي الاستعداد له بالحري تكشف عنه.

وما كان "النقد الأعلى" الكاذب الاسم إلا خدعة إبليسية لذر الرماد في عيون الناس من جهة الكتاب. فأين هي كلمة الله التي تركوها للإيمان؟ وإذا كانوا ينكرون على الكتاب أنه كلمة الله، فأين الكنيسة وأين المؤمن أو الخاطئ الهالك؟ بل أين المسيح الرب وشهادة الله لنعمته وحقه؟ الوقع أنهم بذلك يهدمون كل أساس للإيمان فإن إحاطة كلمة الله بالغموض والشك وجعلها كلمة إنسان مهماً كان دون أن تكون كلمة الله معناه فقدان الإنسان لمحبة الله ونعمته المخلصة، وقوته الضابطة التي صانت اليد البشري عن إحداث غلطة واحدة في كتابه المجيد حتى لا توجد أقل ثغرة في كل الكتاب كما هو معطى منه تعالى. هذا ما قصده الله، وهو عين ما أعلنه الرسول بولس بسلطانه الرسولي في آخر رسائله (تيموثاوس الثانية) وقد كان وقت كتابة هذه الرسالة هو الوقت المناسب أيضاً لإعلان هذا الحق حيث يقول الرسول بولس ليس أن كل الكتاب في مجموعه (All Scripture) موحى به من الله بل أن كل الكتاب (Every Scripture) بمعنى أن كل جزء من الكتاب المقدس، كل جزء من العهد القديم وكل جزء من العهد الجديد، كل حرف وكل كلمة فيه هي من نسمة الله. وشكراً لله لأن الأمر كذلك. وهل يستطيع الله أن يكذب؟ وهل الله في حاجة لأن يندم أو يغير رأيه؟ ولكن ما أشر الإنسان وبخاصة في العالم المسيحي! فإنه لأمر يكسر القلب حقاً أن نرى هذه الموجة من التشكك غير المحكوم عليها من جميع الطوائف كبيرها وصغيرها. فليس بواحدة منها خالية من آثار ذلك التشكك قل أو كثرى لاسيما في قادتهم أو البارزين من رجالهم.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ولكن دعنا من المتشككين ولنرجع إلى كتابنا الحق المبين. ففي العدد الثاني عشر إذن نجد الامتياز العام الأولى المفروض أنه من نصيب كل مسيحي. وهو ليس مجرد الحصول على الحياة لأن جميع قديسي العهد القديم كانوا حاصلين على الحياة ولو أنه لم يكن ممكناً لواحد منهم مع حصوله على الحياة أن يقول أن خطاياه مغفورة من أجل اسمه فلم يكن المسيح قد جاء ومن باب أولى لم يكن قد تألم. ولم يكن العمل الفدائي قد تم وبالتالي لم يكن ممكناً إعلان النعمة إعلاناً كاملاً. أما الآن فكل شيء قد تم تهيأ حتى ليقال أن المسيح على استعداد لأن يدين الأحياء والأموات. فيليق بالرسول والأمر كما أوضحنا أن يقول "أكتب إليكم أيها الأولاد لأنه قد غفرت لكم الخطايا من أجل اسمه" الأمر الذي لم يكن ممكناً قبل مجيئه والكلمات من أجل اسمه لها دلالاتها الخطيرة فلم يكن من الضروري أن يوضح الرسول من هو الذي يعود إيه الضمير هنا، فكل مسيحي يدرك ذلك على الفور. لقد أعلنت نعمته وحقه وسيظل إعلانهما ثابتاً والمراد "باسمه" هنا ما أعلنه الله عنه وعن عمله ويدخل ضمن ذلك ليس فقط ما كان الرب هنا على الأرض بل أيضاً ما تألم به وأكمله قبل أن يترك العالم ليمضي إلى الآب، وقد نزل روح الله إلى الأرض بناء على طلب سيدنا كما من جانب الآب أيضاً، ليس فقط لغنى بركة القديسين بل لتمجيده تبارك اسمه، ولكي تنتشر الكرازة بالإنجيل لكل الخليقة في قوته فلا يخيب شخص من سماع صوته المبارك.قد يرفض الكثيرون أن يسمعوا الكرازة بسبب عدائهم أو إهمالهم وهذا شأنهم المحزن وهم أحرار فيه ولكنهم سوف يعطون عنه حساباً. ولكن البشارة مع ذلك تمضي في طريقها متجهة إلى الجميع: لليهودي واليوناني، للختان والغرلة، للبربري والسكيثي، للعبد وللحر. ولا واحد استثنى من كلمة مصالحة الله. وهذا على أساس بره وليس نعمته فقط. عندما يعمل الضمير في القديس إذا انحرف فإنما ذلك متعلق بمسألة القداسة الشخصية العملية إذ يكون والحالة هذه محتاجاً إلى رد الشركة التي عطلتها الخطية. أما المصالحة مع الله فلا يمكن لإنسان أن يجتني منها بركة، ما لم يؤمن بالمسيح بالنعمة الإلهية وهذا يقتضي عمل روح الله في الضمير والقلب. ومع ذلك فإنه بالإيمان بكلمة الله يعمل الروح القدس هذا العمل الإحيائي.

أما بين القديسين في كنيسة الله، أينما كانت، فالمفروض أن جميع من فيها قد علموا أن خطاياهم مغفورة. وإلا فكيف يتسنى لهم كأفراد أن يتمتعوا بالغبطة قدام الله؟ ومن أين تتأتى لهم بساطة العين لتمييز مشيئته والشجاعة لإتمامها رغم كل الشراك التي تنصب في طريقهم من العالم والجسد وإبليس؟ وكيف تكمل لهم الشركة الحقيقية في السجود؟ وكيف تتم لهم الأهلية للمساهمة في التزام الجماعة لمعالجة الشر ونزعه من وسطهم إن تحتم ذلك كالحل الأخير؟ إنهم بدون اليقين بأن خطاياهم مغفورة لا يتسنى لهم أن يفهموا أن "خميرة صغيرة تخمر العجين كله" ولا أن يتصرفوا بحزم على هذا الأساس، فإن انعدام التمتع بالغفران لا يتضمن ضميراً شريراً فقط بل يتضمن أيضاً أن صاحب هذه الحالة لم يتطهر

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

قط من الأعمال الميتة ليعبد الله الحي، وبذلك يخسر القوة الروحية لأن الشك لا يمكن إلا أن يضعف النفس ويحيطها بالظلام ولكن حينما يتمسك الإيمان بالنعمة التي تهب التطهير بدم المسيح فإن الروح القدس يشعر المؤمنين بواجبهم الرئيسي كجماعة وهو أن "نقوا منكم الخميرة العتيقة لكي تكونوا عجيناً جديداً كما أنتم فطير" فالتصرف يجب أن يكون دائماً طبقاً للمبدأ الإلهي وإلا فإن الجماعة تسيء إلى الاسم ولا يكون الغرض من وجودها إلا نكران وإهانته "لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذبح لأجلنا. إذاً لنعيد ليس بخميرة عتيقة ولا بخميرة الشر والخبث بل بفطيرة الإخلاص والحق".

صحيح أنه قد يبدو شيء من الفشل المحزن كما ظهر بين الكورنثيين حيث لم يكن هناك أقل شك في أن جميع المسيحيين بالحق حاصلون بالإيمان بالإنجيل على غفران خطاياهم، ولكن نفس هذا الفشل هو ما تعالجه الرسالة وبدون يقين الغفران لما أمكن تطبيق مضامين الرسالة عليهم لأنها لا توجه خطابها إلى الأشخاص غير المغفورة خطاياهم من بينهم، فإن أمثال هؤلاء ليسوا قائمين على أساس المسيحية، ومن باب أولى ليسوا من الكنيسة.

وأين تجد التشديد حتى على هذا الأمر، أي عزل الخبيث من بين الجماعة؟ إن حركة الإصلاح لن تتطلبه كشيء لازم للجماعة (إذ جازت لنا الإشارة إلى "الجماعة" أو الكنيسة في ذلك العهد) لأن تلك الحركة لم يكن همها يومئذ الترتيب الكنسي على الإطلاق، وإنما قامت بخدمة جليلة وخطيرة كانت الحاجة إليها أمس وأدعى، وهي أنها قدمت الكتاب للناس بعد أن كان مستبعداً عنهم وبخاصة بواسطة أكثر الهيئات الدينية كبرياء وصلفاً، وهي الهيئات أو الشركات التي تسمي نفسها كنائس دون أن يكون لها الحق في هذه التسمية. نعم فقد ظل الكتاب مخفياً أزمنة طويلة. وما كان إلا للكاهن أن يمنح الإذن بقراءته وقلما كان يعنى بإعطاء هذا الإذن أو الترخيص الذي لم يكن ممكناً للشعب أن يحصل على الكتاب إلا به.

مرة اشتاق أحد الأشخاص في لندن أن يقرأ العهد الجديد، ولكونه من أتباع روما وممن يطلق عليهم لقب "كاثوليكي صالح" لم يشأ أن يكسر قانون "الكنيسة" الذي يحرم ذلك كقاعدة عامة، ولو أنه لا يحرم قراءة الإنجيل باللغة اليونانية، ومن هنا استطاع بهذه الطريقة الدائرية أن يفوز بأمنيته. ومع أنه كان يشتغل بوظيفة ملاحظ في مصنع (ونحن نعلم ما تنطوي عليه مثل هذه الوظيفة ومبلغ المسئولية التي تلقيها على عاتق شاغلها والوقت الذي تتطلبه للقيام بواجباتها) فإنه تعلم اللغة اليونانية ليتمكن من التمتع بكلمة الله بطريقة مباشرة. وقد أخبرني بقصته صاحب المصنع الذي كان مسيحياً معروفاً ومحترماً وكان يثق كل الثقة بمخدومه الغيور الأمين. وفي الحق كان ذلك إحساساً مسيحياً من شخص روماني يناضل ضد طغيان وجبروت تلك "الكنيسة" وغيرتها الكاذبة المستمدة من سلطانها المزعوم. ولئن لم يكن لديه القدر الكافي من النور للحكم على شرها فقد حمل بين

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

جنبيه حنيناً ورغبة ملتهبة نحو كلمة الله الأخيرة وقد تحمل صنوفاً من الجهد والتعب للحصول عليها، ونحن نرجو في الرب أن يكون قد بارك تلك الجهود لنفسه. ولا يسعني أن أزيد على ما وصل إلى مسامعي، غير أني أذكر ما قصه علي صاحب العمل من أنه لم يوجد بين جميع عماله من كان يركن إليه لأمانته وإخلاصه في العمل أكثر من ذلك الروماني المسكين الذي تعلم اللغة اليونانية حباً في التمتع بالعهد الجديد كما أعطي من الله. ومن منا يشك في أنه كان يخاف الله ويحب كلمته؟

وأخيراً نأتي إلى درجات المؤمنين المختلفة بعد أن استوثقنا مما هو مشترك بينهم جميعاً. الفريق الأول هم الآباء "أكتب إليكم أيها الآباء" أي البالغين الناضجين في القوة الروحية والمعرفة. وأليس هذا خليقاً باهتمامنا البالغ؟ ماذا يا ترى يقول الكتاب للآباء الذين وصلوا إلى ذروة الاختبار؟ لا شيء عن الأمور الإدارية أو العقائد الدينية وإنما الشيء الوحيد الذي يميز البالغين بين المؤمنين هو عمق الدخول الروحي في فكر الله عن المسيح. نعم فإن قياساً أسمى في إدراك الرب يسوع هو الذي يكون الآباء الروحيين الذين يتكون منهم الفريق الأول في عائلة الله. هناك فريق "الآباء" ثم فريق "الأحداث" وأخيراً فريق "الأولاد". وهنا تجدر الإشارة إلى أن الكلمة في الأصل اليوناني المترجمة "أولاد" في عدد ١٢ هي غير الكلمة الثانية معناها "الأولاد الصغار أو الأطفال". والرسول يحرص عل مراعاة هذا الفارق في سياق الرسالة كلها.

فالكلمة الأولى (أي "أولاد" في عدد ١٢) تعني كل عائلة الله وتمهد الكلام عن درجاتهم المختلفة في العبارات المعترضة (الواقعة بين العددين ١٢ و ٢٧)والرسول يعود لاستخدامها في العدد ٢٨ بعد أن فرغ من الكلام عن درجات المؤمنين المختلفة. ذلك أن الرسول بعد أن تحدث عن هذه الدرجات الثلاث عاد إلى موضوعه الذي كان قد توقف بعض الوقت عن الاستطراد فيه لكي يبين لنا الفوارق القائمة بين أولاد الله من حيث البلوغ الروحي على نفس أساس عمل النعمة، وهو النوع الوحيد من الفوارق المعترف بها. أما الكلمة المستعملة في الأعداد الاعتراضية، أي التي نجدها في الجزء الأخير من عدد ١٣، فهي كلمة تختلف عن الأولى كما سبق القول ولم ترد في الرسالة كلها إلا في هذا الموضع وفي مطلع عدد ١٨ حيث يوجه الرسول كلامه للمرة الثانية إلى فريق الأولاد الصغار أو الأطفال كما فعل مع الفريقين الأولين أي الآباء والأحداث. هذان هما الموضعان الوحيدان اللذان جاءت فيهما هذه اللفظة. ولقد استخدم سيدنا هذين التعبيرين في الإنجيل إذ لا علاقة له بموضوع الرسالة وليس من حق أي إنسان أن يبدي رأياً في شيء أخبرنا به الله بكل وضوح كما أنه لا يوجد أي مجال لاختلاف وجهات النظر والحكم في شيء من هذا القبيل لأن الله في كلمته هو، كما يجب أن يكون، صاحب القول الفصل في كل مجادلة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إذن ففي العدد ١٣، كما في عدد ١٨ فقط، يقصد بكلمة "أولاد" أصغر أعضاء عائلة الله. ومن الطبيعي أنه بعد الكلام عن "الآباء" و "الأحداث" يأتي دور "الأولاد" وهو القسم الثالث من "الأولاد الأحباء" أو عائلة الله بوجه عام. ومن الضروري أن نميز بينهم على وجه ما، لاسيما وإن انعدام هذا التمييز قد عرض الكثيرين من أبرز الرجال المتعلمين إلى الخطأ هنا، ولا مفر من هذه النتيجة مادام عملهم ليس خاضعاً للحق المعلن وبالتبعية ليس متمتعاً بإرشاد الروح القدس طبقاً للكلمة. وحيث يكون الأمر كذلك بكل أسف، فإن العلم عوض أن يكون نافعاً قد يضر ضرراً بالغاً ولا يمكن أن يصنع خيراً. إذاً ما هو الخير الروحي في شيء لا يدخله روح الله ولا يقود إليه؟ أما إذا كان روح الله ينطق بأقوال يعلمها هو، فواجبنا الخضوع المطلق للكلمة. بهذا وحده تضمن يقين الإعلان المبارك.

وما أوسع نطاق هذا العدد الذي يشبه سابقه في التركيب والوضوح. فهو يطالعنا بثلاث طبقات عائلة الله، متميزاً إحداها عن الأخرى، وكل ذلك في إيجاز بديع. غير أن روح الله يعود مرة أخرى فيتوسع في الكلام عن كل طبقة، ومع استثناء واحد عجيب، وذلك بطريقة مليئة بالتعليم، ولا يتقنها غير روح الله، وسيعرض لنا التأمل فيها حينما يأتي دورها.

ولنقنع الآن بالتأمل في الكلمات الموجزة التي أعطاها روح الله بشأن مميزاتهم المختلفة في (عدد ١٣).

فهو يميز "الآباء" بأنهم "عرفوا الذي من البدء". وهل من أحد يجهل من هو المقصود؟ إنه المسيح وليس آخر. ولكنه لا يسمى هنا باسمه المألوف. لقد كان الكلمة والابن قبل الوقت المعبر عنه بعبارة "من البدء". كان ابن الآب الوحيد منذ الأزل فكالابن الأزلي للآب الأزلي لا يستطيع العقل البشري أن يعرفه أو يحده، ويجيء التجسد فيزيد بالضرورة في استغلاق السر عن كل بحث أو استقصاء. على أن ذلك ليس سبباً يدعو بحال من الأحوال إلى عدم الإيمان بما هو فوق مستوانا. فهو معلن دون ذرة من الشك. أما السبب في فشل الناس وضلالهم فهو أنهم يبدأون النقاش من الإنسان إلى الله، وهي دائماً طريقة مضللة. فأنت يجب أن تبدأ من الله إلى الإنسان إن أردت أن تكون في الحق. إذ من يعرف الحق سوى الله؟ ومن يستطيع أن يعلن الحق غير الله؟ كما عمل في المسيح؟ لقد حرص يوحنا أن يقول في الإنجيل "في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله" فليرجع الفكر إلى الوراء جهد استطاعته وليطو ما شاء من مراحل الماضي السحيق صوب أغوار الأزل وليتصور ملايين من السنين، فهذه كلها ليست البدء ولن تصل به إلى البدء ولو أنه ليس من الصواب بطبيعة الحال أن يتكلم الإنسان عن الأزلية بلغة السنين حيث لم تكن معايير الزمن قد وجدت بعد. ومع ذلك ارجع بخيالك إلى أعماق تلك الأغوار التي لا معيار لها، فهناك كان الكلمة، واعلم أنه لا بد لذاك الذي كان بشخصيته أيضاً "عند الله".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ثم هو لم يكن فقط عند الله كأقنوم له ذاتيته المتميزة عن الآب والروح، بل كان الله. وليس من خواص الله ما هو أكثر دلالة عليه وتميزاً له مثل كونه أزلياً فإذا لم يكن أزلياً فليس هو الله.

غير أن الرسول يعني هنا شيئاً آخر. فهو لا يقصد إلى معرفة سيدنا المجيد الذي كان في البدء عند الله، بل معرفته "كالذي من البدء". وهذا البدء كما قلنا هو بدء اتخاذه جسداً، الكلمة المتجسدة، في هذا العالم. هذه هي الحقيقة الجديدة على الإطلاق فالفترة من البدء تحسب منذ إظهار نفسه كعمانوئيل، أو الله المتأنس. هذا هو الذي عرفه "الآباء". فما الذي يمكنك معرفته عن الابن في الأزل سوى أنه كان الابن الوحيد في حضن الآب موضوع لذاته الدائمة كما يحدثنا الإصحاح الثامن من سفر الأمثال؟ ذلك ما كانه لما لم تكن خليقة ما في السماء أو تحت السماء، لا ملاك ولا إنسان ولا ما دونهما من الكائنات. لم يكن هناك سوى الله المبارك – الآب والابن والروح القدس كما نعرف الآن. وكانت هناك مشورات إلهية كان المقصود إعلانها فيما بعد لنا نحن الذين نؤمن الآن. فما الذي نعرفه أكثر من هذا؟ لكننا إذا نظرنا إلى "ذاك الذي من البدء" نجد فيه تبارك اسمه كل ما لنا أن نتعلمه ونعرفه.

وأين نجد هذا الموضوع الذي لا حد له؟ نجده في العهد الجديد بصفة عامة، وفي الأناجيل بصفة خاصة. هناك نجده على الأرض، ظاهراً كإنسان، ليس مجرد كائن بشري بل الله وإنسان في شخص واحد، أقنوم إلهي بالحق والحقيقة. هناك نجده مولوداً من العذراء، ليس فقط كالمسيا بل كابن الله الرب-الكائن الرب (مت ١: ٢١ و ٢٣) حقاً ما أكثر ما نتعلمه ولو عند مولوده! فإننا هنا نمس حقيقة شخصية عندما صار جسداً وإذا كانت الأناجيل قد زودتنا بالكثير عن عهد طفولته، فهي قد حدثتنا أكثر عن عهد صبوته يوم كان في سن الثانية عشرة. وما أبلغ الصمت الذي أسدل ستاره على جميع السنين من ذلك التاريخ إلى سن الثلاثين! فلا أبواق تضرب، ولا طبول تدق، ولا احتفالات تقام، ولا شيء من هذا القبيل كتذكار يوم الميلاد من جانب أي فرد سوى أمه الحقيقية وأبوه الشرعي وربما بعض رفاقهم. لم يعرفه أحد وهو في صبوته كما لم يوجد له مكان في الفندق يوم مولده وأنت تعلم أنه لا يوجد من هم أكثر دراية وفطنة لمعرفة مقادير الناس ومبلغ وجاهتهم في العالم من أصحاب الفنادق وخدامها وها هوذا صاحب الفندق في بيت لحم يعرف قدر كل واحد من مظهره. وها هو يعرف جيداً من يدفع حسناً ومن لا يدفع. وها هو يتطلع إلى العائلة المقدسة وهي تدخل الفندق فيقول في نفسه: إن مثل هذا القطيع من الناس يكفيه مذود البقر، أما المنزل "فليس لهما فيه موضع".

وإنه ليأخذنا العجب من الاستتار الكلي الذي أحاط بتنقلات ذاك الذي كان لذة الآب ومسرته، وهو يعمل على منضدة النجار مع أبيه الشرعي. ولكنه هناك كان يفعل مشيئة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الله. ثم "ألا ينبغي أن أكون في ما لأبي"؟ قال هذا عن وجوده في الهيكل جالساً يسمع المعلمين ويسألهم. لم يمتط كرسياً ليعظ كما يفعل الآن بعض الصبيان الأغبياء الذين يدفعهم رجال ونساء أغبى منهم، ولكنه جلس هناك في تواضع ووداعة يسمعهم ويسألهم بمعرفة تفوق كثيراً معرفة كل معلميه. وألم يكن في ذلك شهادة لضمائرهم، وليتعلموا كيف صار ذلك؟ فهاهم لا يرون فيه أي ادعاء. رغم علمه الغزير الوفير الذي أدهشهم فإذا صار إنساناً لم يشأ أن يتعالى على الأوضاع الطبيعية والنمو المعتاد فاحتفظ بمظهره كمجرد صبي، ولكن هذا الصبي هو الرب الإله، خالق الكون. هذا هو الشخص الذي استقرت عليه نظرات الآب ليجد فيه كل ما يوافق فكره وعواطفه ليس فقط كأقنوم إلهي بل بصفة خاصة كأقنوم إلهي صائراً إنساناً. صائراً إنساناً! الكلمة صار جسداً! ما هذا؟ ودخل في العائلة البشرية! أي نعم. ومع ذلك فالإنسان كان لا يزال على عهده القديم، أشر مخلوقات الله وأكثرها بطلاً وكبرياء. إن الحيوانات العجماوات تتمسك بعاداتها وقد حافظت عليها والتزمت حدودها منذ أن مستها خطية الإنسان وجلبت عليها الخراب والدمار. أما الإنسان وحده فهو الذي يتقدم من شر إلى شر، متدرجاً باستمرار من رديء إلى أردأ من مضي الزمن. وكلما فاز بنو آدم بنور خارجي حولوه وأفسدوه.

وبعد قرون وقرون، عندما وصل العالم في مجموعه إلى أردأ نقطة لم يصلها من قبل، ولد الرب في ملء الزمان. وعندما بدأ خدمته الجهارية، ما أكثر من كان يطالعه به كل يوم! وكم من دروس نطقت بها شفتاه وفاضت بها حياته! تآلف مع الرجال والنساء والأطفال. مع الشيوخ والمعلمين. مع الكتبة والفريسيين مع الهيرودسيين والصدوقيين مع المرائين والأبرار في أعين نفسهم مع نساء شريرات ورجال أشرار، وعادة مع رجال أتقياء ونساء تقيات. مع هؤلاء وأولئك كانت للرب أحاديث وأقوال لأنه تبارك اسمه كان عليه أن يتعامل مع جميع الطبقات، الأمر الذي انفرد به عن ما عداه فما من شخص سواء وجد في دائرة متنوعة العلاقات كهذه أو اهتم بكل واحد اهتماماً جدياً نظيره، أو أظهر نعمة إلهية وحقاً لكل من أتى إليه. لا شيء هنا عن معجزاته مع ما كانت عليه من جلال وعظمة، وما كانت تدل عليه من حقائق روحية أعمق وأعظم. كذلك لست أراني في حاجة الآن للتحدث عن أقواله مع أنه تكلم بما لم يستطع إنسان قط أن ينطق بمثله. وهو الذي أجاب عندما سألوه "من أنت" بجوابه العظيم الذي لا يمكن أن يصدر عن سواه "أنا ما أكلمكم أيضاً به" (لو ٨: ٢٥). أي انه كان يقوله (شفوياً) وبعبارة أخرى كانت كلماته المعبرة عن حقيقته. فهو الحق، وفي ذلك يتفرد عن كل إنسان. ومن هم الذين يستسيغون هذا كله، ويهضمونه ويتمتعون به ويقدرون شخصه العظيم ويعرفون صفاته ويطبقونها عملياً؟ هم "الآباء". "الله لم يره أحد قط. الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبر (أي هو أعلنه)". هو أيضاً قد أراهم الآب. ومن هنا، وبعد الذي اختبروه وعرفوه، وبعد الذي أدركوه وتمتعوا به، لم يسعهم إلا أن تمتلئ قلوبهم بالمسيح وكفى.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وأنت تعلم جيداً أنه ليس كل المسيحيين يجدون شبعاً في هذا، ولا نتوقع أنهم يجدونه ما دامت الأمور على حالتها التي نشاهدها منذ الأيام الأولى. ذلك أنه ما لم يقم الانفصال التام بين النفس من ناحية والإنسان الطبيعي والعالم من ناحية أخرى فإنه لن يتسنى للمسيحي أن يجد كل شبعه مركزاً في شخص المسيح وحده ذلك المسيحي الحقيقي الذي لا بد وإنه اختبر شخصياً وبالروح القدس كل أنواع الصعاب والجهاد مع نفسه ومع كل ما يحيط به. فكم من مرة يكون عمل الرب الشغل الشاغل لبعض النفوس المخلصة. كما تكون الكنيسة الشغل الشاغل لآخرين مع أن ذلك واجب في محله. ولكن المسيح وحده، معروفاً كما كان على الأرض، يكشف ويطرد كل مشغولية من غير محلها بحيث يبقى هو مشغولية النفس الحقيقية وبذلك تزداد النفس تعرفاً بشخصه العزيز ويتعمق على الأيام وإدراكها للملء الذي حل فيه جسدياً.

لا شك أن "الأب" كان يوم "ولداً" ثم "حدثاً" قبل أن يصير "أباً". لا بد أنه تذوق كاملاً طعم الأفراح الأولى في كل جدتها وحلاوتها، لا بد أنه كانت له حصته في المعارك والمصارعات التي تطلب منه نشاطاً وشجاعة روحية. لا بد أنه كانت له هذه وتلك، ولكن بعد أن اجتاز كل صنف من الاختبار كرجل إيمان ومحبة كانت نتيجة ذلك كله هي هذه: لا شيء سوى المسيح، والمسيح الكل. ولكن، ولنذكر هذا ونكرره، المسيح معروفاً "كالذي من البدء". فليس فقط كالابن في السماء في الأزلية، بل كإنسان بين الناس هنا على الأرض. فالشيء الذي يميز الآباء بوجه خاص هو معرفتهم الابن المتجسد، المسيح كما رؤى وسمع كل أيام خدمته الجهارية في الجليل واليهودية والسامرة. المسيح شخصياً، الله وإنسان، الابن معلناً الآب في كل ما قاله وما عمله. هذا ما ريح قلوبهم وثبتها وملأها. وهو ذات الشيء الذي ملأ قلب الآب وأشبعه مسرة "هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت" أي الذي وجد فيه لذته ورضاه. ولقد سمع هذا الصوت آتياً من الآب مرة وهو هنا في يوم النعمة (عند نهر الأردن مت ٣) وأخرى شهادة للمجد العتيد (في جبل التجلي مت ١٧) ففي شخص المسيح المعلن هنا يتمتع الآباء بالشركة معه لأنه كانت لهم فعلاً شركة مع الآب والابن، وذلك بطريق غاية في العمق والاختبار العملي. أولئك هم "الآباء".

قد يكون الإنسان شخصاً موهوباً وحائزاً على موهبة لامعة ومع ذلك لا يكون "أباً" على الإطلاق. وقد يكون آخر ليس فقط مبشراً عظيماً بل معلماً مقتدراً مع ذلك لا يكون "أباً"، فإن هذه الصفة لا تتوقف على الموهبة بأية صورة بل على تلك الروحانية التي تعلمت وأدركت أنه ما من شيء له قيمة في الوجود سوى المسيح. قد نستفيد من أشياء أخرى. حتى مما يذلنا ويؤلمنا أشد الألم. وقد ندخل بإعجاب وفرح وشكر إلى دائرة بركتنا في المسيح في السماوات ونتمتع بمركزنا كأعضاء جسده الذي هو رأسنا الجالس عن يمين الله، وباتحادنا أيضاً مع جميع القديسين الذي مصدره اتحادنا بسيدنا المحبوب. قد نتمتع بهذا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كله وبأكثر منه ولكن مصدر كل ذلك السر، وكل اختبار نافع، هو معرفتنا أن الكل يتركز في المسيح نفسه. في المسيح الذي يحبه أبونا ويكرمه. وهو نفسه الذي أيضاً يشغل قلوبنا ويملأها سروراً. وذلك كمن أعلن في العالم. هذه هي معرفته "كالذي من البدء" المعرفة التي هي آخر وأفخر نصيب "الآباء".

بعد ذلك يتجه الرسول إلى الطريق الثاني فيقول "أكتب إليكم أيها الأحداث لأنكم قد غلبتم الشرير" فالذي يميز الأحداث هو النشاط – النشاط العامل بالإيمان والمحبة. ثم هم قد ميزوا الخطية ودانوها إدانة كاملة عالمين أنهم ماتوا عنها مع المسيح وقد علموا كذلك أنهم أقيموا معهم لكي يهتموا بما فوق ويميتوا أعضاءهم التي على الأرض. تجاوزوا الذات وخلصوا من المشغولية بها. عرفوا قوة الشيطان وواجهوها. قاوموا إبليس فهرب منهم. وهكذا غلبوا الشرير. كانوا في معمعة ذلك النوع من الصراع ولكنهم كانوا أقوياء. لقد استفادوا هم أيضاً من مكانهم الأول كأولاد أو أطفال. فكل واحد بطبيعة الحال يبدأ "ولداً" ثم يتدرج حتى يصير "حدثاً" ولكن قليلين هم الذين يصلون إلى رتبة "الآباء". وقد يسمح لي القارئ أن أعلن أني وقد عرفت الكثيرين من المسيحيين لم ألتق في حياتي إلا بعدد قليل من الآباء بل إنني لم أسمع عن "آباء" سوى في القليل النادر. أما "الأحداث" فالعثور عليهم من حسن الحظ ليس نادراً. ولو أنهم قليلون في العالم المتدين. والواقع أنه لا يمكن اكتمال هذه الصفة ونضوجها في مثل تلك الأجواء التي يسيطر عليها العالم بتأثيره ومن هنا، وكما سنرى فيما بعد، نجد إنه الأطفال أو الأولاد بينهم لا ينطبق عليهم تماماً طابع "الأولاد" الذي يصفه الرسول (أي العلم اليقيني بأن خطاياهم مغفورة) وكم هو محزن أن ينعدم بينهم حتى هذا الطابع الواضح الذي جعله الله من نصيب "الأطفال" في عائلته!!.

لقد حدد الرسول موقف الفريق الثاني تحديداً كافياً نرجو أن يقدره ويفهمه كل مسيحي حتى ولو لم يستطيع تخصيصه لنفسه. إنها المسيحية النشيطة القوية المسيحية المستقيمة الفاصلة، المسيحية التي تعلم جيداً أن المصارعة مع اللحم والدم المعروفة لدى معظم المؤمنين، ليست شيئاً بالمقابلة مع الصراع مع قوة الشيطان. ذلك الصراع الذي يحتاجون فيه إلى كل سلاح الله الكامل لكي يستطيعوا أن يقاوموا. ثم هم يعلمون كيف يقاومون، وبعد أن يتمموا كل شيء، يثبتون. قد غلبوا الشرير. ومصارعتهم واضحة بصفة عامة. فهم لا يجهلون حيل العدو ولكنهم يقاومونه بعزم ويغلبونه. ولا شك أن هذه الصورة هي كما قلنا صورة المسيحية الفتية في قوة الإيمان والسلوك. وهنا أيضاً لا عبرة بالمواهب فالموضوع هو بلوغ روحي لا أكثر ولا أقل أما غفران الخطايا فلا علاقة له بالبلوغ وكذلك امتلاك الحياة والنور في المسيح هذه أشياء من أوليات المسيحية وهي نصيب كل طفل في الإيمان وأساسها الإيمان بالإنجيل ليس إلا. أما العالم والإنسان الطبيعي على ما نعهدهما فلا يسع المؤمن بعد الحصول على امتيازات النعمة أن يظل بمنأى عن اختبار الذات والعالم، وكذلك

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عن اختبار الشيطان بعد الفوز عليه وإسكاته على أن سكوت هذا العدو الأكبر وحيله الماكرة لا تخدع هؤلاء الأحداث الذين يقفون ثابتين بالنعمة على أساس نصرة مخلصهم وسيدهم شاكرين الله الذي يعطينا الغلبة بربنا يسوع المسيح. وهكذا نختبر أنه في جميع الأشياء التي تبدو مضادة ومعاكسة يعظم انتصارنا بالذي أحبنا بهذه الكيفية استطاع الأحداث أن يغلبوا الشرير.

ننتقل بعدئذ إلى الفريق الثالث وهو الفريق المهم للغاية والأكثر عدداً بمراحل وهم فريق "الأولاد" أو "الأطفال". يقول الرسول "أكتب إليكم أيها الأولاد لأنكم عرفتم الآب" ألم تختبر مبلغ انطباق هذه الصفة على أولاد الله الذين عرفتهم؟ من المفروض أن الكثيرين منا يعرفون عدداً غير قليل من أولاد الله وقد التقوا بهم في طريق الحياة المسيحية فلو إنك قصدت أن تسأل هذا السؤال "قد عرفتم الآب" فماذا يكون الجواب في الغالب؟ هل من المغالاة أن نتوقع أن غالبيتهم سيجيبون جواباً واحداً تقريباً وهو أنهم يستكثرون على أنفسهم التصريح بأنهم يعرفون الآب "أعرف الآب!! أنني بكل أسف لا أستطيع أن أدعي مثل هذا الشيء لنفسي" الواقع أن معظم المسيحيين يظنونه بلوغاً عجيباً حقاً على هذه الأرض أن يصل الإنسان إلى معرفة الآب، فيتساءلون مستنكرين : من ذا الذي يمكن أن تكون له مثل هذه المعرفة في هذه الحياة وفي هذا العالم؟ ذلك لأن هذه المعرفة تعني أنهم يعرفون فعلاً أنهم منذ الآن أولاد الله وأنه لا يوجد عندهم أي ريب أو تردد حول هذه الحقيقة وإنها حقيقة قد قبلوها من اله وقد استقرت في نفوسهم ليس عن أحلام أو مشاعر أو أفكار شخصية، ولا على أساس أي شيء من جانبهم بل كأمر قد تعلموه من الله وقبلوه لنفوسهم مصدقين وشاكرين. عرفوا أولاً أن خطاياهم قد غفرت لهم من أجل اسمه كما رأينا، وما كان ممكناً لهم في الواقع أن يعرفوا الآب بدون الاستناد والاطمئنان على الفداء في المسيح. ولكن ما أقل القديسين الذين يستريحون هكذا دائماً في سلام تام على أساس فدائه العجيب!

غير أن الاعتقاد بأصح تعليم عن الفداء لا يعني بالضرورة راحة النفس بموجب كلمة الله على هذا الفداء. فمن الممكن جداً أن تتقبل حقيقة الفداء كتعليم جامد وفي نفس الوقت يقول "إني لست موقناً به أمام الله من جهة خطاياي. أحياناً أشعر ببعض الرجاء أو الأمل المتواضع ولكني في الأوقات الأخرى اِعر باليأس الكلي من جهة نفسي"وواضح أن هذا ليس سلاماً حقيقياً ومن باب أولى ليس سلاماً ثابتاً مقرراً. فالسلام الثابت الأكيد المؤسس على دم الصليب لا يتغير مطلقاً لأن أساسه ثابت لا يتغير. ثم هناك نسبتنا الأكيدة إلى الآب، وهي النسبة المعطاة لنا بالروح القدس لأننا أبناء. فإنه حتى الطفل في عائلة الله يمتاز بمعرفة ما هو أكثر من مجرد كون خطاياه مغفورة، إذ هو يعرف الآب أيضاً وهذا حق جوهري في المسيحية فإن غفران الخطايا الكامل بالدم، مهما كان مبلغ تحقق النفس منه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بالإيمان، ليس هو كل ما ينتظر من طفل عائلة الله يرفه. وإلا فقد تجرد من نسبته إلى الآب وإدراك هذه النسبة.

من أجل ذلك رأينا رسولاً آخراً يؤكد القول للغلاطيين "لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع" (غلا ٣: ٢٦) تماماً يقول رسولنا هنا "اكتب إليكم أيها الأولاد لأنكم قد عرفتم الآب" وما كانوا ليعرفوا هذا لولا أنهم أبناء، ولولا أن الله أرسل روح ابنه إلى قلوبهم صارخاً "يا أبا الآب" (غلا ٤: ٦) وما كان لأحد قط يحس ذلك وينطق به قدام الله ما لم يكن قد أخذ لا روح العبودية للخوف بل روح التبني. وكما إن القوة لإلهية تنشئ فينا الإحساس والعواطف الخليقة بهذه النسبة الوثيقة كذلك هي تحركنا في التصرفات والواجبات نحو الآب وطبقاً لمشيئته. وهكذا يعطي هذا الامتياز المبارك، وهكذا يتقرر بكل بساطة. ومع ذلك فإن كثيرين في يومنا الحاضر ممن يؤمنون بالمسيح يسوع يتهيبون الإيمان بأنهم أبناء الله وأنهم كذلك إلى الأبد. ومثل هذا الشك يحزن الروح القدس ولا يسعه إلا توبيخه فيهم عوض أن يمنحهم الحرية والبهجة الجديرة بمثل هذه النسبة.

ولكننا نقرأ هنا عن أصغر فريق في عائلة الله في يقين نسبتهم إلى الآب. وليس في مقدور كائن أن يحصل على هذا اليقين الدائم بأنه ابن الله ما لم يكن مختوماً بالروح القدس. فالروح القدس يسكن فينا لأن خطايا قد غفرت من أجل اسم المسيح، بواسطته يعرف الأولاد الآب. وبمثل هذا الكلام كتب الرسول بولس للقديسين في أفسس قائلاً "الذي فيه أيضاً إذ سمعتم كلمة الحق إنجيل خلاصكم الذي فيه أيضاً إذا آمنتم ختمتم بروح الموعد القدوس" (أف ١: ١٣) ولم يكن هؤلاء القديسون وقتئذ مسيحيين متقدمين. أعني أنهم لم يكونوا بعد قد تقدموا ونموا في معرفة الحق وإنما كانوا قد قبلوا حق الإنجيل من عهد قريب كما أرسله الله إليهم، فآمنوا بفاعلية وكفاية موت المسيح وقبلوا ملء نعمته، ذلك الملء الذي يتضمن غفران خطاياهم وصيرورتهم أبناء الله واقتبالهم الروح القدس لكي يصرخوا به في كل وقت "يا أبا الآب". والبركة المسيحية ليست شرطية أو وقتية كبركة اليهودي إلا أن الأفكار الناموسية تخلط بين عمل المسيح لأجلنا وعمل الروح فينا وبذلك تزعزع السلام الذي صنع بدم صليبه.

حقاً إنه مركز عجيب يصل إليه بالإيمان شخص ربما لم يكن قبل ذلك بوقت قصير سوى خاطئ هالك. أما الآن فبفضل عمل المسيح الفدائي صارت للمؤمن معرفة الآب. وهذا يغير كل شيء بالنسبة له، ويقوده إلى شركة الثقة الوادعة بين ابن وأبيه. هب أن واحداً من آباء أجسادنا عزيز على أولاده. لاسيما إذ كان أباً عطوفاً أميناً، فإن علاقة الأولاد به تكون علاقة الشركة البهيجة المتبادلة، شركة الثقة الخالية من سحب التشكك والخوف، ونحن من جانبنا لا يساورنا أي شك من جهة الآب السماوي. فالكل عنده مباركون ولهم غلاوتهم ومعزتهم واعتبارهم وهو تبارك اسمه عطوف ورؤوف بقدر ما هو صادق وأمين فهناك

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إذن شركة المحبة المتبادلة بين الأبناء والآب. ولكن من هو كفء لهذه الأمور؟ كفايتنا من الله فلسنا فقط نصرخ "يا أبا الآب" بل نعلم أيضاً أن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله والروح يشهد لأرواحهم أنهم أولاد الله، وبهذا أيضاً يتذوقون لذة ويقين المعرفة بأن أباهم يحبهم ويباركهم يوماً فيوماً ولو أن الحال قد يستلزم التأديب الأبوي للمنفعة لكي يشتركوا في قداسته كمدعوين لمجده الأبدي في المسيح يسوع. هذه هي إذن صورة الأطفال أو الأولاد الصغار في عائلة الله وهذا هو طابعهم الذي يتميزون به أنهم "قد عرفوا الآب".

إنه ليس فقط من العبث أن تبحث في العالم المسيحي عن "آباء" في المسيح وأنه من الندرة أن تجد فيه "الأحداث" الذين يحملون طابع الله الحقيقي، بل أين نستطيع أن نجد "الأولاد الصغار" أو "الأطفال" كما تصفهم كلمة الله هنا؟ أليس هذا أمراً محزناً للغاية؟ فمتى كان الناس مكتفين بذواتهم راضين بحالتهم أكثر مما هم الآن؟ وكم يتمنى المرء ويتوق لأن يلتقي بأمثال "الأولاد" الذين يصفهم الرسول، وأن يسعى لتشجيعهم في طريقهم لكي يقووا ويصيروا أشداء ضد العدو، ولكي ينموا أكثر فأكثر في معرفة ذاك الذي تألم لأجلنا آلاماً لا يعبر عنها. ولكن أنى لنا ذلك! فمنذ القرن الأول. وإن كان لنا أن نحكم من تواريخ لآباء الأولين، ساءت الأحوال بكل أسف، ولعل من أبرز الأدلة على سوئها وعلى الانحراف عن الحق هو أن معظم المعترفين باسم المسيح لا يخصصون لأنفسهم حتى هاتين الحقيقتين البدائيتين وهما "أنه قد غفرت لكم الخطايا من أجل اسمه" و "أكتب إليكم أيها الأولاد لأنكم قد عرفتم الآب".

خذ مثلاً الفكرة السائدة بشأن ضرورة تكرار الالتجاء إلى دم المسيح للحصول على غفران الخطايا. كيف يمكن للناس أن يقولوا مثل هذا القول لو أنهم يؤمنوا أن المسيح قد وجد لنا فداء أبدياً؟ أو أن الخادمين وهم مطهرون مرة ليس لهم أيضاً ضمير خطايا؟ مع إنه لا يمكن أن يكون لهم حق الإنجيل في نفوسهم وإلا لما استطاعوا أن يفكروا تفكيراً كذا. إن المسيح قد حمل في جسمه على الخشبة جميع خطايانا وليس فقط الخطايا السابقة لإيماننا ودمه يطهر من كل خطية وليس من بعض الخطايا فقط ومن واجب القديسين أن يعلموا أن هناك غسل الماء بالكلمة لمواجهة أي دنس قد يلصق بالمسيحي في الطريق وذلك بلا شك على أساس الفداء بدم المسيح وليس إبطاله لأنه "بقربان واحد قد أكمل إلى المقدسين" وليس في إنجيل الله ما يمكن أن يستفاد منه أننا نحتاج إلى كفارة جديدة بدمه بعد الكفارة الأولى التي كانت كاملة وفيها كل الكفاية. وإنما يعوزنا كقديسين أن تغسل أقدامنا بكلمة المسيح وشفاعته. ومن واجبنا أن نعترف بخطيتنا إذا ما فعلنا ما لا يوافق قداسته وندين في أنفسنا ما عرضنا إلى مثل هذا الفشل. هذا هو الحق والصواب، لا أن نزعزع أساس ذبيحته الواحدة والفداء بدمه غفران خطايانا. لو أن سيدنا لم يمح جميع خطايانا. فما قيمة أي شيء آخر؟ لو أن خطية واحدة بقيت بدون غفران. لكان فيها الكفاية لقتلنا وهلاكنا أما بالنسبة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

للمؤمن فغفران خطايانا معناه استبعاد الحمل الثقيل استبعاداً كاملاً. وكل ما في الأمر أنه إذا أخطأ أحد فإن الضمير يتحرك بفعل الروح القدس ويعقب ذلك تذلل حقيقي لنفوسنا بسبب أية سقطة، لأن كل شيء من هذا القبيل هو عار لنا وحزن لروح الله القدوس لذي به ختمنا ليوم الفداء. ولكن هذا لا يمكن أن يؤثر بحال من الأحوال على عمل ربنا يسوع الذي صار سبب خلاص أبدي لنا، وهكذا أيضاً معرفة الآب ونسبتنا له كأولاد لا يمكن أن تتزعزع مطلقاً لآن "لنا شفيع عند الآب" وهو موجود هناك في الأعالي لمواجهة جميع هذه الصعاب التي لا يمكن التغلب عليها بدونه، وهكذا نحن مديونون للمسيح إلى الأبد، غير أن شفاعته ليست سفك دمه، كما أن دمه ليس هو شفاعته، فهو كالمقام والموجود في السماء عن الآب يحيا ليشفع فينا، أما دمه الكريم فكان ل غرض وغاية أخرى. لقد أتمت ذبيحته عملها كاملاً، ولشفاعته مكانها الخاص لتسديد حاجتنا بعد ذلك. وويل لجميع الذين بجهلهم يزعزعون الحق ويقحمون ما من شأنه تقويض إنجيل المسيح ولو كانوا من المؤمنين بشخصه المحبوب!.

الرسالة الأولى: الخطاب السابع

١ يو ٢: ١٤ – ٢٧

"كتبت إليكم أيها الآباء لأنكم قد عرفتم الذي من البدء"

"كتبت إليكم أيها الأحداث لأنكم أقوياء وكلمة الله ثابتة فيكم وقد غلبتم الشرير. لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم. إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب. لأن كل ما في العالم شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة ليس من الآب بل من العالم. والعالم يمضي شهوته وأما الذي يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد"

"أيها الأولاد هي الساعة الأخيرة. وكما سمعتم أن ضد المسيح يأتي قد صار الآن أضداد للمسيح كثيرون. من هذا نعلم أنها الساعة الأخيرة. منا خرجوا لكنهم لم يكونوا منا لأنهم لو كانوا منا لبقوا معنا لكن ليظهروا أنهم لسوا جميعهم منا. وأما أنتم فلكم مسحة من القدوس وتعلمون كل شيء لم أكتب إليكم لأنكم لستم تعلمون الحق بل لأنكم تعلمونه وإن كل كذب ليس من الحق. من هو الكذاب إلا الذي ينكر أن يسوع هو المسيح. هذا هو ضد المسيح الذي ينكر الآب والابن. كل من ينكر الابن ليس له الآب أيضاً ومن يعترف بالابن فله الآب أيضاً. أما أنتم فما سمعتموه من البدء فليثبت إذاً فيكم. إن ثبت فيكم ما سمعتموه من البدء فأنتم أيضاً تثبتون في الابن وفي الآب. وهذا هو الوعد الذي وعدنا هو به الحياة الأبدية.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كتبت إليكم هذا عن الذين يضلونكم. وأما أنتم فالمسحة التي أخذتموها منه ثابتة فيكم ولا حاجة بكم إلى أن يعلمكم أحد بل كما تعلمكم هذه المسحة عينها عن كل شيء وهي حق وليست كذباً كما علمتكم تثبتون فيه".

واضح هنا أن الرسول يقيم نصائحه على نفس الأساس السابق أي مراحل النمو الروحي المختلفة التي تميز أعضاء الله. وهو هنا يتوسع في الحديث عن مميزهم الثلاثي. غير أن الشيء العجيب الذي يقابلنا في مطلع هذه الأقوال أن الآباء الذين كنا نظن أن من حقهم أن يزداد تفصيل ما يميزهم لكونهم أقدر من غيرهم على الاستمتاع بحق الله، لا يصلهم من الرسول سوى نفس الكلمات القليلة الأولى معادة مرة ثانية. وهذه ظاهرة عجيبة لاسيما والتكرار ليس من عادة الكتاب بصفة عامة. في بعض الحالات يكرر الوحي نفس الأقوال أو ما يشبهها، لكنها حالات استثنائية، والحال التي نحن بصددها واحدة منها.

والسبب مؤثر للغاية. لقد قرأنا في عدد ١٣ قوله "أكتب إليكم أيها الآباء لأنكم قد عرفتم الذي من البدء" – أي المسيح كما ظهر على الأرض، فلا يتعرض الرسول للمشورات الإلهية الأزلية ولا إلى أمجاد المسيح المستقبلة، ولا حتى إلى مركزه الحالي عن يمين الله، ذلك المركز الذي هو محور تعليم الرسول بولس. أما التلميذ المحبوب فيواجه الانحطاط الذي أصاب المسيحية الاسمية يومئذ ويريد أن يهيئ أحسن عون ممكن للآباء الذين هم أكثر عائلة الله بلوغاً روحياً فلا يجد ما يردده في مسامعهم أفضل من تكرار نفس منطوق خطابه الأول "كتبت إليكم أيها الأباء لأنكم قد عرفتم الذي من البدء" بلا أدنى تغيير سوى تغيير لفظي واحد في صيغة الفعل. ففي العدد ١٣ يقول "أكتب" وفي العدد ١٤ "كتبت" مشيراً إلى ما قاله أولاً. ولماذا هذا؟ ألم يكن لديه ما يقوله للآباء أكثر من ذلك؟ الجواب لأنه في الحالتين لم يكن يتكلم عن انبثاقات إلهية كما توهم بعض الناس بل عن حلول اللاهوت جسدياً . فالآن، في ربنا العزيز كإنسان، قد جسم الله وأظهر ملء نعمته وحقه بطريقة لم تحدث في الماضي قد ولا حاجة لحدوثها مرة أخرى على الأرض وكل تفكير في ظهور شيء آخر أكثر من ذلك هو إنكار لذلك الملء وأكذوبة من الشيطان.

فنحن هنا أما اللانهائي غير المحدود. غير المحدود ليس فقط في طبيعة اللاهوت بل في شخص الابن صائراً إنساناً. وهنا سر العجب، لأن ناسوت سيدنا في الواقع هو علة العجب، وما كان له المجد ليثير فينا كل هذا العجب لولا حلول ملء اللاهوت فيه، ذلك لأن الله مظهراً نفسه حقاً في إنسان وكإنسان هو أعجوبة العجائب. الأعجوبة التي فاقت كل العجائب ولاسيما عندما نصل إلى حادثة موته الكفاري وفيه "أولاد" يعرفون الآب، ثم "أحداثاً" في فتوة القوة الروحية، ذلك الامتياز الجديد المبارك الذي لم يفقدوه إذ من دروس ذلك الدور واختباراته قد حصلوا على بركة لا تزول، ولكنهم بعد اجتياز المصاعب والمخاطر المنوعة بما تركته فيهم من أثار دسمة وغنية في طريق النمو في معرفة الله

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المعرفة الحقيقية، بقي شيء واحد هو الذي اجتذبهم بصفة خاصة وركز عواطفهم إلى الأبد – ذلك هو شخص الرب كما سار في عالمنا متكلماً أو عاملاً. مظهراً الله الآب في كل كلمة وكل عمل، وفي كل خطوة من خطوات حياته هنا على الأرض، هذه هي القوة في معرفة "الذي من البدء". وبعيداً عن المسيح في صورته هذه لن نجد شيئاً هكذا عميقاً وحقيقياً، ولن نتعلم شيئاً هكذا سامياً ومقدساً. ليس باعتباره الإنسان المرتفع في المجد السماوي، الأمر الذي هو محور تعليم بولس وذو أهمية عظمى لكل نشاط روحي، بل كالله الظاهر في الجسد هنا على الأرض – يسوع المملوء نعمة وحقاً وسط عالم شرير لكي يفصلنا عن شره ولكي يقدسنا لنسلك كما سلك هو حسب عمله فينا بقوة الروح القدس.

ثم نتقدم إلى المرحلة الثانية، مرحلة "الأحداث". وهنا نرى روح الله يتوسع بعض الشيء "كتبت إليكم أيها الأحداث لأنكم أقوياء وكلمة الله ثابتة فيكم وقد غلبتم الشرير".

لاحظ أيضاً أن هناك إضافة ليست موجودة في عدد ١٣وهي التي تعطينا السر في قوة الأحداث، وهذه الإضافة هي أن "كلمة الله ثابتة فيهم". هذه حقيقة خطيرة تمنح شجاعة عظم وقوة روحية بالغة. فليس الأمر قاصر على اللجوء إلى الكلمة في أوقات الطوارئ تحت ضغط الصعاب والتجارب بل إعلان الله كان ثابتاً فيهم باستمرار.

وهذا عين ما نجده في الرب يسوع بصورة كاملة فإن ما سمعه الناس منه كان كلمة اله سواء كان السامع صديقاً أو عدواً، شريفاً أو وضيعاً. وحتى كان إبليس يجربه، كانت الكلمة جوابه الدائم الحاسم. وإذا اقتبس العدو جزءاً منها بقصد سيء، كانت إجابة سيدنا من المكتوب للخير والحق، وإذا احتاج التلاميذ أن يعلموا ما ينتظرونه، شرح لهم كلمة الله. والواقع أنه لم يوجد شخص برهن على أن كلمة الله كانت ثابتة فيه في كل الأوقات وحيا كل الناس والظروف مثل الرب يسوع.

لن نجد هذا ولا حتى في الرسل، مع أنه وجد رسل، كيوحنا نفسه، كانوا يدخرون الكلمة ويكتنزونها باهتمام شديد في أعماق نفوسهم وقلوبهم، وكذلك بطرس مع حبه الدافق الغيور. ولكن لم يوجد مثل الرب، ولا حتى الرسول بولس مع أننا نستطيع أن نقول بثقة أنه لم يوجد إنسان على وجه البسيطة (مجرد إنسان) أكرم كلمة الله أكثر من الرسول بولس. ومع ذلك ففي هذه الناحية كما في كل النواحي الأخرى أم يوجد من يشبه سيدنا العزيز المحبوب. والحق أن خضوعه المطلق للكلمة قد ميزه تمييزاً كاملاً وذلك ما جعل الأناجيل الأربعة التي ترينا الرب في حياته اليومية كنزاً غنياً لا يفرغ، مفيداً لنا، وفي الوقت نفسه فوق متناول معظم أولاد الله في حالتهم العملية.

وسبب ذلك أن معظم المسيحيين عندما يتجددون يعمدون إلى رسالتي رومية وغلاطية وهناك يقفون، بل إن معظم منهم لا يتقدمون كثيراً في رسالة رومية فيكتفون منها بفصولها

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الأولى حيث تجذبهم وتستهويهم الأسس القوية التي وضعها الله في القسم الأول من تلك الرسالة، ويعجبون أن يروا أن الأمر لا يقوم على أساس نعمته فقط بل على أساس بره أيضاً، وإنهم يثبتون على صخرة البر المكمل ويدركون المسيح نفسه كبرهم، لأنهم يتعلمون من تلك الإصحاحات الأولى كيف يفرقون بين هذا البر الكامل كمقامهم وبين قداستهم الشخصية في الحياة وهي القداسة التي ينشئها فينا روح الله لأننا للمسيح. أما البر فهو الشيء الذي يحتاجه الخاطئ الأثيم مع الرحمة التي تؤكد له غفران خطاياه. وإنه لواجد في المسيح هذا كله ملئه وكماله فما عليه إلا أن يأخذ مكان الخاطئ الهالك ويلقي بنفسه في أحضان الرب يسوع الذي صار براً. وبهذا البر يستطيع أن يتقدم إلى ذات عرش الله وهناك يقف بالإيمان من الآن فصاعداً آمناً هادئاً مطمئناً وبينما هو يدين نفسه إدانة كاملة من أجل كل خطاياه يجد في الرب يسوع براً يشبع الله ويمجده لأنه بر الله الذي يبرر بفضل ما عمله المسيح وتألم به من أجل أتعس الخطاة. قد يقول ما قاله العشار "أنا الخاطئ" بحصر اللفظ (I am "the" sinner) وكأنه لا يوجد في الأرض سوى خاطئ واحد وأنه هذا الخاطئ. قد يقول هذا ويشعر به ولكن هذا لن يحول دون نواله البر الكامل فإن الرسول بولس نفسه قد بزه في هذا المضمار إذ قال عن نفسه أنه أول الخطاة. وكان هذا القول صحيحاً لأن بره الناموسي جعله ألد أعداء الرب وأكثر الناس بغضاً لمن يدعون باسمه فما كانت ديانته الأولى إلا ديانة الإنسان في الجسد على حد تعبيره ديانة شخص عبراني من العبرانيين يظن في نفسه القدرة والكفاية على حفظ ناموسها وفرائضها ويسلك بكل تدقيق بحسب الظلام الذي كان فيه مما زاد في مرارته ضد الرب يسوع وكل ما كان له. فأي شيء أكثر من هذا كان يمكن أن يكون أشد مقاومة لبر الله في المسيح؟ ومع ذلك فقد شاء الرب أن يكون بولس هو أول المبشرين المتحمسين لبر الله في المسيح يسوع.

في الإصحاح السادس عشر من إنجيل يوحنا نرى أن الناموس لم يعد الآن هو القياس للحكم على الخطية أو البر أو الدينونة. فقد تغيرت الأوضاع والمعايير بسبب حضور السيد ورفضه حتى أن الروح القدس منذ مجيئه (وقد جاء بعد صعوده له المجد) يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة. أما على خطية فلأنهم لا يؤمنوا بالمسيح وأما على بر فلأنه ذب إلى أبيه ولا يرونه أيضاً، وأما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين، وبرهان الدينونة الذي يقدمه الروح القدس للعالم ليس في مظهر خارجي من مظاهر الانتقام الإلهي كما حدث قديماً في مصر وكنعان وبابل أو روما بل في حكم القضاء الذي صدر على ذاك الذي أضل العالم وقادهم إلى صلب مجد رب المجد. هناك دين رئيس هذا العالم. صحيح أن تنفيذ الحكم مؤجل غير أن القضية قد بت فيها والحكم قد تقرر نهائياً، والخطية الكبرى التي يبكت الروح عنها أهل العالم هي عدم الإيمان بالرب يسوع كما أن البر الحقيقي هو فيه كالمرفوض الذي مضى إلى أبيه. لقد خسر العالم شخص يسوع. جاء إلى العالم يطلب ويخلص الخطاة لكنهم لم يريدوه. وكان شعبه الخاص أشر رافضيه وانتهت مأساة رفضهم

 All rights reserved © 2008-2018

بالصليب. غير أنه في الصليب لم يتمجد الله فقط بل في قيامة المصلوب وقبوله في المجد يقوم البر الحقيقي ضد الإنسان والشيطان والعامل بما فيهم إسرائيل.

والمظهر الثاني لبر الله هو إعلانه بشارة الخلاص للخاطئ البائس المسكين الذي يقترب باسمه الكريم. الاسم الوحيد الذي أعطى تحت السماء بين الناس وبه ينبغي أن نخلص. نعم، ففي الإنجيل قد ظهر بر الله بإيمان يسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون. وبعد التبرير يبدأ دور القداسة العملية. لأن لنا في اسمه الكريم الحياة كما لنا غفران الخطايا، وهذه الحياة الجديدة هي التي تنتج الثمر الصالح، على أن هذا أمر يتعلق بالقداسة. أما الشيء الذي يعوزنا ويخلصنا كخطاة فهو المسيح وعمل المسيح لأجلنا عند الله، في حين أن ما يخلق في نفوسنا الحكم على الذات وتمجيد الله بالاعتراف بخطايانا إنما هو جزء من قداستنا نحن الذين حسبنا أبراراً في المسيح ومن أجل خاطر المسيح.

هذا هو الوضع الإلهي الصحيح، وهذا هو سر قوة الأحداث الذين يمتازون بالفتوة الروحية. ليس بالنشاط الطبيعي إذ لا أثر في هذا النوع من النشاط للنعمة بل الشجاعة الروحية والقوة الروحية تصونها وتنظمها كلمة الله الثابتة فيهم. لقد أحبوا كلمة الله بهذا المقدار حتى إنها لم تعد دائماً بجانبهم فقط بل ساكنة وثابتة فيهم، لم يكن شأنهم شأن بعض الإخوة الأحباء الذين نسمعهم أحياناً يفاخرون بأنهم يصرفون ساعة أو ساعتين كل يوم منكبين على لكمة الله بل أن لكمة الله هي التي كانت دائماً منكبة "عليهم". هذا هو الطريق الصحيح، ليسس أن نكون منكبين على لكمة الله الأمر الذي ينتهي عادة بكلام كثير بل أن تكون كلمة الله هي المنكبة أو المتسيطرة والمتحكمة فينا لأنها بذلك تضع حداً لأفكارنا وتشدد عزائمنا بقدر ما تسود علينا وتوبخ كبريائنا. هكذا امتاز هؤلاء الأحداث بكلمة الله ثابتة فيهم، ليس مجرد البحث فيها أو التنقيب بين سطورها عن مسائل عجيبة أو معضلات عويصة، ولا حتى محاولة الوقوف على أشياء قد لا تكون مشيئة الله من جهتنا أن نعرفها بعد أو أن نعرفها في الزمان الحاضر على الإطلاق. ولكن هذه كانت حالتهم، حالة الخضوع المطلق لكل كلمة الله. لاشك أنهم كانوا يتألمون بروح الصلاة في جميع الأسفار الكتابية من أولها لآخرها بقدر ما كانت متوفرة لديهم وقتذاك لأن الأمر في يومهم كان بطبيعة الحال أصعب مما هو في يومنا. أما في الوقت الحاضر فماذا ترى؟ لو تطلعت إلى كتاب أي واحد منا فستجد على الأرجح بعض أجزاء قليلة منه تحمل من العلامات والتأشيرات والخطوط ما يدل على أنها موضع الاهتمام والدرس تينما تجد أجزاء أخرى كثيرة خالية من كل ما يدل على أن لنا معها أية معاملة وقد تكون لا تزال محتفظة بالشكل الذي خرجت به من المطبعة. هل هذا هو ثبوت الكلمة فينا؟ أن ثبوت الكلمة فينا معناه تقديرنا الدائم لكل الكلمة والاجتهاد في درسها ونخبئها في قلوبنا لأننا لا نعرف أية كلمة قد تعوزنا في اللحظة

 All rights reserved © 2008-2018

القادمة. والخلاصة أن الطريقة الوحيدة الحكيمة التقوية الجديرة بنا هي أن تكون الكلمة ثابتة فينا.

ولكن بعد هذا يأتي شيء آخر. "لا تحبوا العالم". ولماذا يوجه هذا التحذير للأحداث بصفة خاصة، ولا نجده موجهاً للآباء فلم يزد الرسول كلمة واحدة عما قاله لهم أولاً فقد تميزوا بما تميزت به مريم وهو الجلوس عند قدمي الرب والاستمتاع لكلامه. وألم يكن هذا معناه الاستغراق في المسيح والامتلاء به؟ لقد سكنت فيهم كلمة بغنى، بكل حكمة وفهم روحي. وليس ذلك فقط بل أن المسيح نفسه كما ظهر وعاش هنا، كان دائماً أمامهم كموضوع سرورهم الأكبر وشركتهم مع الآب. هذا شأن الآباء. أما الأحداث فيحذرهم قائلاً "لا تحبوا العالم" وهل في هذا غرابة على أشخاص يقول عنهم أنهم أقوياء ويمتازون بالقوة الروحية؟ بالعكس لقد كانت هذه القوة ذاتها، مع كونها قوة روحية، مصدر خطر عليهم أن لم ينتبهوا. لقد انطلقوا ينشرون الحق باجتهاد ملحوظ، يشهدون بلا خوف عن المسيح بواسطة الكلمة الثابتة فيهم بالروح القدس العامل بهم. لقد فازوا بانتصارات لمجد الله، غير أن هذه النصرات عينها كانت مصدر خطر عليهم لأن التعامل مع الناس يعرضهم لمحبة العالم إذ لم يعرفوه على حقيقته فإن محبة العالم ليست هي مجرد الميل للظهور والاستمتاع بالموسيقى أو للتمثيل والصيد وسباق الخيل والمقامرة وربما ما هو أبشع من هذه الأمور جميعها، إنما العالم شرك ماكر، وهو في هذا أقوى من الجسد، فإن الكثير من شهوات الجسد يحتقرها حتى الإنسان الطبيعي وهناك من المنغمسين في العالم من يخجلون من تصرفات الظاهر. أليس يسعى إليها ويمارسها كل ذي خطر في الحياة؟ إنها الطموح إلى كل ما تستسيغه الهيئة الاجتماعية، وإلى كل ما يظنه أصحاب الرأي والمعرفة وقادة الفكر والذوق السليم والكياسة والآداب والاتيكيت خليقاً بالرجال والنساء. وهذه كلها أمور لها جاذبيتها وسطوها وتأثيرها وبخاصة على عقول الشباب وعلى الأحداث الأقوياء الذين يعرفون الرب ويودون بإخلاص القلب أن ينشروا معرفة الحق. على أن تيار هذا الإخلاص قد يدفعهم للذهاب بجرأة هنا وهناك ظناً منهم أنهم يستطيعوا لذهاب إلى أي مكان ما دامت بين أيديهم أخبار طيبة وبشائر مفرحة ينادون بها. أنهم على الأقل يعرفون المخلص الذي يجهله الناس، فأين هو هذا المكان الذي لا يحتاج لخدمتهم والذي إليه لا يذهبون؟ إزاء هذه الغيرة المقدسة التي يحملونها بين جنوبهم يحذرهم الرسول من العالم بصفة خاصة.

وإذا قلنا "العالم" فلسنا نقصد الكون كما خلقه الله. إن العالم بمعناه الأدبي هو ما صنعه الشيطان بعد سقوط الإنسان وقد ولدت بادية "العالم" من قايين ونسله فماذا نرى في قايين؟ لقد حكم عليه بالتيه والهروب في الأرض ولكنه تحدى هذا الحكم وابتنى لنفسه مدينة. وإذ لم يقنع هو ونسله أن يعيشوا متفرقين واحد هنا وآخر هناك قاموا يجمعون شملهم ويستقرون معً في صعيد واحد. والاتحاد قوة كما يقول الناس ومتى استقر بهم المقام ينهض

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

من بينهم رجل ذو بأس وسرعان ما يصل إلى القمة. وهذا هو مطمع كل إنسان والهدف الذي يرجو أن يصل غليه يوماً من الأيام ولو بدرجة ما. وفي معترك هذا الجهاد ينسى الله والخطية بكل سهولة. وهذا عين ما فعله قايين إذ بنى مدينة وأطلق عليها اسم ابنه. وهنا تدخل الكبرياء وإرضاء الذات أو إرضاء الآخرين دون التفكير في الله. ومن هنا بدأت الاختراعات العظيمة في هذه الأسرة. فلا نجد رجل المرح في هابيل، ولا في شيث الذي حل محل هابيل، بل نجده في قايين ونسله وبصورة ملحوظة. ويومئذ بدأت قوافي الشعر الاجتماعي حيث نرى لامك يكتب لامرأتيه بصيغة فنية ذات رنين شعري، فصاحبنا هذا هو أول من أدخل مبدأ تعدد الزوجات وبرر سفك الدماء دفاعاً عن النفس بما يمكن أن نسميه قصيدة أو أنشودة لمن يهواهم قلبه. فهو لم يفكر في الله حتى في ذلك الحادث الأليم وإنما فكر في زوجتيه. ولم يتخذ من معاملة الله لقايين مجردة اعتذار عن فعلته بل اتخذ منها مسنداً لها وترخيصاً ثم في هذا البيت عينه نشأت الحياة البدوية الجريئة وابتكرت أسباب البهجة القائمة على آلات النفخ والأوتار الموسيقية. وهي من أركان تطور المدنية وهكذا كان "العالم" يعمل منذ بكور التاريخ. أليس هذا هو العالم؟ لا ريب أنه يحل للمسيحي أن يستخدم كثيراً من وسائل الراحة الموجودة في العالم. غير أن نقطة سوداء واحدة تلطخ العالم وتشوهه وهي خلوة من المسيح الغالي على قلوبنا ولكنه المرذول من العالم. وإلا فخبرني عن شيء واحد في العالم يضع عليه المسيح خاتم مصادقته. أين كل ما هو جليل في نظر المسيح؟ وأين كل ما عاشه المسيح وأحبه؟.

هنا المحك الصحيح والمقياس الكامل للتفرقة بين ما هو من العالم وما هو من المسيح، فإن كل ما هو خارج المسيح يجد قبولاً وترحيباً لدى قلب الإنسان الساقط وهذا هو العالم بمعناه الصحيح. فالبعض كما نعلم يشغفون بالعلوم، والبعض يفضلون الآداب والبعض الآخر ينصرفون إلى السياسة. بل أن الدين نفسه، عمل الرب وعبادته، يمكن مع الأسف أن يحترفه البعض بروح عالمية وصورة أنانية طلباً للمكسب أو الصيت، وما أكثر الأساليب التي يبتكرها القوم في هذا الميدان لتحقيق الشهرة وجذب الأنظار إليهم. أليس هذا أيضاً من العالم؟ إن اسم الرب بالانفصال عن مشيئته ومجده ليس وحده عاصماً من محبة العالم، فلقد رأينا بعضاً من أخبث الشعراء الذين رأتهم الأرض يفعلون هذا فقرضوا الشعر في موضوعات كتابية مقدسة ولكن هذا لم يغنهم فتيلاً ولم يصلح أحوالهم بل ظلوا طوال حياتهم بمعزل عن الله، وفي معظم الأحايين كانوا بلا ريب أعداء للمسيح.

لذلك كان العالم شركاً خطيراً لروحانية الأحداث مهما كانت قوتهم ما لم يحتفظوا على الدوم بشعور متزايد بنسبتهم إلى الآب – تلك المعرفة التي كانت من نصيب حتى الأطفال في عائلة الله. لقد تمتعوا بالإحساس العميق بهذه النسبة المباركة كان لهم اليقين بغفران خطاياهم كما هو حال جميع أولاد الله. فحتى وهم أطفال أضافوا إلى متعة غفران الخطايا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

معرفتهم للآب، وهو امتياز ثمين حقاً إذا نحن قارناه بحالة الأكثرين من المسيحيين في الوقت الحاضر الذين يظنون أنفسهم ويظنهم الآخرون أنهم متقدمون ومع ذلك لا يدعون الله لكن ليس كالآب بكل معنى الكلمة، بل كالقدير أو الرب-الكائن (الرب) أو إله إبراهيم أو غير ذلك كما لو كانوا يهوذاً. تلك هي حالة النصرانية في الوقت الحاضر وبخاصة بين أولئك الذين يتباهون بديانة الآباء والأجداد والجماهير الغفيرة، ولكنها ديانة مطبوعة بالطابع اليهودي. أما مسيح المسيحية فإنه ينقل المؤمن من كل ما هو أرضي سواء كان من متعلقات اليهود أو الأمم وينقش عليه اسمه الكريم مكن بدء حياته الجديدة وفي كل طولها وعرضها كما يقول هو نفسه عن الذين أعطاهم له الآب "ليسوا من العالم كما أني أنا لست من العالم". لذلك كان من واجب "الأحداث" روحياً أن يحترسوا بصفة خاصة من العالم لئلا يصبح لهم (وهم في غمرة حماسهم وغيرتهم) غرضاً ذا قيمة. فقد يقولون أنهم إنما يريدون أن يربحوا العالم للمسيح وأن غرضهم هو أن يجعلوا المسيح وإنجيله معروفين للعالم. ولكن ألست بحاجة أيها الأخ الأحدث إلى الاعتماد على المسيح وعلى إرشاد روحه في معرفة متى وأين تذهب وكيف تذهب؟ إنه لا يكفي أن يكون المشروع أو الغرض صالحاً، فإن الغرض الرئيسي الذي يجب أن نتحفظ ضده كامن ليس في صلب المشروع أو الغرض بل في طريقة التنفيذ. هنا يكمن خطر الفشل. قد تكون الغاية صالحة ولكن الوسيلة أيضاً يجب أن تكون مطابقة لمشيئة الله وكلمته. ومن ذا الذي يستطيع أن يرشدنا ويحفظنا في الوسيلة التي نتبعها؟ واحد هو الذي نحن له، عاملاً فينا بكلمته وروحه.

لم يكتف الرسول الشيخ بالتحذير العام يلقيه في مسامع الأحداث ضد محبة العالم بل يردفه بتحذير آخر "ولا الأشياء التي في العالم"، هذه الأشياء قد تكون أشد دهاء ومكراً من العالم نفسه. خذ مثلاً ديانة العالم، ديانة الجماهير، ديانة العظماء والشرفاء والحكماء. إن أي إنسان طبيعي لا يمكنه أن يتجنب هذا الجنب ما لم يكن إنساناً فاجراً ماجناً مستبيحاً لا ميل له إلى الدين على الإطلاق. فإن قايين نفسه كانت له ديانته بقدر ما كان له عالمه في ظلامه الدامس وبعده عن الله. أو ليس هذا شركاً من أشد الشراك دهاء على كثير من القديسين وأدعي إلى يقظتهم وإستثارة كل قوتهم فقد قول الكثيرين من المسيحيين: "لسنا نجسر أن نحب العالم، لكن ها هو عرض مشروع نستطيع أن نؤذي به خيراً كثيراً أينما ذهبنا ومتى شئنا، وأن نتحدث كارزين أو معلمين مهما تكن الظروف أو الجماعة التي تحيط بنا". وقد نسى أصحابنا أن هذا كله على حساب الحق وانتقاص له. فهو إذن من "الأشياء التي في العالم" والتي علينا أن نتجافاها ولا نحبا. ثم خذ غلطة أخرى أكثر شيوعاً وهي أن يكون لكل واحد منا غرض خاص يجذبه، هوية خاصة من نوع ما، لا علاقة لها حقيقة بالمسيح. هذه الأشياء وأمثالها تصبح أصناماً تتركز حولها أفكار أصحابها، في حين أنه من حق المسيح (مع قيامنا بواجباتنا المعروفة وفرائض علاقاتنا العائلية) أن يستحوذ على كل حبنا.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إن المسي هو الغرض الذي وضعه الآب أمامنا وإذا ما كانت العين بسيطة من نحوه فلنتأكد أن الجسد كله يكون نيراً. ومن المستحيل أن يكون شخص مخلصاً وصادقاً في تطلعه إلى المسيح. جاعلاً إياه غرض خدمته وسلوكه اليومي، وفي نفس الوقت يشغف أو يتعلق بما لا يستحسنه المسيح. لاشك أن شخصاً كهذا تكون كلمة الله ثابتة فيه. وإذا ما راضى الإنسان نفسه على أن يفع ما يسر المسيح وكان هذا هو هدفه فمن المؤكد أن المسيح يكون في عونه. غير أننا ونحن في هذه الحالة الطيبة قد تعترض سبيلنا مؤثرات عالمية ضع غشاوة على العين وعندئذ تتحول الغيرة إلى انتفاخ الذات وإلى إتمام مشيئتنا الخاصة. ومن وجب الحذر فالنشاط الحقيقي نفسه قد يعرضنا للخطر ولذلك يحذر الرسول الأحداث بالقول "لا تحبوا العالم ولا أشياء التي في العالم" مردفاً إياه بتحذير آخر أشد منه خطورة "إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب". إن عادة يوحنا، كما رأينا سابقاً، أن يتحدث عن المبادئ المجردة دون التعرض للظروف المخففة. فهو إذ يقول "إن أحب أحد العالم" يطلق هذا القول إطلاقاً دون أن يشير إلى عامل من عوامل التخفيف أو الاستدراك بل يرسم المبدأ كما هو. فإذا كانت محبة العالم مبدأك ومسلكك فليس في الإمكان أن تكون فيك محبة الآب كحقيقة.

على أنه فيما يتعلق بالمسيحيين، كما هو مسلكهم الآن، فهناك في الغالب خليط محزن. فقد تجد البواعث الطيبة والبواعث الردية تعمل جنباً تعمل جنباً إلى جنب. ولكن مثل هذه الصورة ليست موضوع تأملنا هنا. هناك أجزاء أخرى من كلمة الله تعالج هذه الناحية. أما الغرض هنا فهو تقرير المبدأ الخاطئ من ناحيتهما المطلقة. ومن هنا كان الحكم الحاسم أنه إذا أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب وهذا قول سليم وحق لأنه يفترض السلوك بموجب مبدً من المبدأين، محبة الآب أو محبة العالم. بعد ذلك يتقدم الرسول إلى تبيان الفوارق الخاصة بالشهوات العالمية "لأن كل ما في العالم شهوة الجسد" (أي العوامل المتوطنة في النفس) وشهوة العيون (أي التي تجذبني خارج نفسي) وتعظم المعيشة (أي كبرياء الحياة أو تفاخرها). وهذه الأخيرة قد تكون الحرص على المركز وما يتعلق به من عادات ومشاعر في العالم. خذ مثلاً شخصاً من النبلاء أو الأشراف، أو واحداً من الطبقة الأكبر عدداً التي تليهم والتي يود كل فرد فيها أن يكون من زمرة النبلاء والشرفاء. في مثل هذه الحالات أين يكون المسيح؟ وهل يجيز المسيح لتلاميذه السعي وراء المراكز الدنيوية التي يود الناس الحصول عليها ولو بجدع الأنف؟ وإلا فما معنى قول سيدنا "ليسوا من العالم كما أني لست من العالم"؟ وهل العالم هو ما ينبغي على المسيحي أن يحتفظ به كتقدمة مقبولة لمسيح؟

كثيرون من المسيحيين يتمسكون هكذا بمراكزهم العالمية ويقدمونها للمسيح كما يقولون وكأنها أشياء لها قيمة عنده له المجد! هل هذا ما رسمه الرب؟ وهل هكذا سار الرسل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وغيرهم من القديسين الأمناء؟ وأي شيء في الوجود يأخذ بمجامع القلب المطهر بالإيمان أكثر من انفصال المسيح عن العالم للآب؟ أما أن العكس على طول الخط هو المشاهد بين كثيرين من المسيحيين فأمر معروف ولا يحتاج إلى إيضاح وطالما كان منشأ حزن عميق وانسحاق قلب شديد لأولئك الذين يغارون على اسمه الكريم وعلى كلمته. إن تعظم المعيشة في المسيح قساوة للإنسان ومكرهة للآب. وليس من أجل هذا كان يسعى ربنا يسوع يوم جاء إلى أرضنا وعاش وسط خطايا الناس وجهالاتهم وبطلهم وكبريائهم وكل ما كان يسود على الناس من نقائض طالباً أن يخلص الشريف والوضيع على السواء. وليس من أجل هذا التقى بنا المسيح، بل بالحري لكي يحررنا من كل بطل ولكي يستأصل منا جذور الكبرياء واضعاً حكم الموت على كل ما هو من الجسد. هل استبقى الصليب واحداً من هذه الأشياء ولم يقض عليه؟ حاشا. ومن هنا يقول عبده يوحنا أنه ولا واحد من هذه الأشياء ومن باب أولى الأشياء في مجموعها – من الآب بل من العالم الذي أبغضه وأبغض ابنه. وهل يجد الآب أية مسرة في شيء من هذه الأشياء التي تشغل أفكار الناس بهذا المقدار ويتشبثون بها بكل عناد وإصرار سواء بحسد الغير عليها أو بنشدانها لأنفسهم؟ وقصارى القول أن تعظم المعيشة ليس من الآب، بل أكثر من ذلك من عدوه – العالم.

لأنه ما هو العالم؟ هو النظام الذي غرسه الشيطان بين قوم ساقطين ليمحو من ذاكرتهم فردوساً مفقوداً. وقد راح هذا النظام يتسع ويتجمل وينمو من ذلك الحين رغم كارثة الطوفان المريعة، إلى أن ثار أخيراً على ابن الله وصلبه فوق الخشبة. هذا ما فعله العالم أخيراً بعد كل ما وصل إليه من تطور وتقدم ورغم كل ا احتواه من فنون وآداب، ودين وفلسفة. لقد كان العالم يتكون حينئذ من يهود وأمم. وكلاهما أحب العالم، وكلاهما تضافر في رفض رب المجد أشنع رفض. فهل عالم كهذا يستحق أن يكون غرضاً لمحبة المسيحي؟ هل أي شيء منه على الإطلاق، أو أي شيء من مفاخرة ومباهجه؟ ألا يكون خيانة للآب والابن؟.

على أن للعالم خاصية أخرى يشدد عليها الرسول هنا وهي أنه زائل ويحمل في ذاته حكم الله عليه بالموت. "والعالم يمضي" – سيذهب كله إلى غير رجعة. يمضي هو وشهوته، إذ من ذا الذي يقدر أن يحفظه؟ لا فرق في ذلك بين ثراء ضخم أو جاه أو مركز أو متعة أو سلطان أو ما شابه ذلك. الكل إلى زوال، حتى لقد يحصل كما حدث فعلاً في أيامنا، أن عظمته في هذا الدهر قد تنتهي إلى فقر مدقع بحيث لا يجد صاحبها قوت يومه إلا عن طريق العمل في مصنع من المصانع ومع كل هذا، ورغم كل هذا، نرى الناس يتهالكون ليحصلوا على مركز أعظم مما هم فيه، حتى أنه حتى ستار المظاهر الخارجية تكمن شقاوة لا ستطيع التمتعات تبديدها.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

"والعالم يمضي وشهوته، وأما الذي يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد" فليست الكلمة وحدها هي التي تثبت إلى الأبد بل الذي يصنع مشيئة الله أيضاً. هذا أهم بكثير من أي تعليم أو عقيدة يستخلصها الناس، أو بالحري من أي مادة من مواد قانون الإيمان، كما يسمونها. لاشك أنها أمور قد تكون واجبة ولازمة لمقاومة ما هو ضلال أو شر، ونحن تحت التزام لأن نخضع لكلمة الله ومشيئته المعلنة، ولكنه من السهل أن يتسرب الخطأ إلى العقائد والتعاليم التي يصنعها أفضل الناس والتي يدافعون عنها أو ينافحون ضدها. أما هنا فيقال لنا أن من يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد. وهذا ما لا يستطيع أحد أن يصنعه ما لم يكن ملتصقاً بالمسيح ويحب الآب. مكتوب "الابن يبقى إلى الأبد". والمسيحي قد يرقد ولكنه يثبت أو يبقى إلى الأبد. فسيأتي الرب ليوقظه من رقاد الموت أو ليغيره إن كان حياً عندئذ ليكون على صورة جسد مجده الذي يبقى عليه إلى الأبد. غير أنه مدعو لأن يدرك هذه الحقيقة من الآن وأن يتصرف بمقتضاها كل يوم حتى لا تنحرف قدماه إلى مسالك العالم الدنسة، التي يظن إنها بهجة بينما هي على العكس مليئة بكل شر وإثم.

والآن نأتي إلى "الأولاد" الصغر في عدد ١٨. وهم ليسوا كل العائلة، ومن الخطأ الذي لا مبرر له أن نخلط بين العائلة وهذا الفريق المعين منها وهم أصغر أعضائها أو الأطفال فيها. ومع ذلك، ومع أنهم أقل طبقات عائلة الله بلوغاً، فهم الذين يقال عنهم أنهم يعرفون الآب. تصور كم ابتعد قديسو الوقت الحاضر عن هذه المعرفة! وأليس جديراً بالملاحظة أن روح الله يتحدث إليهم بتوسع أكبر؟ كلمة واحدة لم يزدها في حديثه الثاني "للآباء" وبضع كلمات قليلة زيدت "للأحداث" أما "للأطفال" فقد توسع وفاض. ألسنا نرى في هذا أسلوب النعمة وطريقتها الصالحة؟ إنها ليست طريقة الإنسان ولا أسلوب الإنسان. أما الله فيدخل بروحه في تفاصيل حاجة "الأولاد الصغار" ويهتم بها أكبر اهتمام. أنهم أحوج من غيرهم إلى هذه العناية الدقيقة وهاهم يجدونها أكثر من غيرهم، فإن روح الله يفيض في الحديث عن تفاصيل طريقهم أكثر مما فعل حتى مع الأحداث، وذلك لأن الأولاد الصغار كانوا معرضين لخطر عظيم.

يقول الرسول "أيها الأولاد هي الساعة الأخيرة". وهنا يجدر بنا أن نراعي دقة الألفاظ. فحينما يقول الوحي "الساعة الأخيرة" فمن المحقق أنه يقصد فترة أقصر من "الأزمنة الأخيرة" (١تي ٤: ١) أو "الأيام الأخيرة" (٢تي ٣: ١) نعم هي "الساعة الأخيرة" ولو أنها ساعة طويلة جداً بلا شك، ليس بسبب التباطؤ بل بسبب أناة الله الذي لا يشاء أن يهلك أناس بل أن يقبل الجميع إلى التوبة. إن النعمة لا زال أمامها أناس آخرون تريد أن تخلصهم وتباركهم، أناس آخرون تريد أن تجعلهم أعضاء في جسد المسيح، ومن أجل هذا ينتظر الله. ولكن منذ أيام الرسول هي "الساعة الأخيرة" وما الذي جعلها كذلك؟ ليس المسيح معروفاً بل "أضداد المسيح كثيرون". إن مجيء المسيح الأول يقال عنه قد تم "في هذه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الأيام الأخيرة" أي الأيام إلى بدأت بمعاملات الله مع شعبه إسرائيل في الأرض والتي في نهايتها، عند انقضاء الدهور، جاء المسيح. هكذا نقرأ في عب ١: ٢، ٩: ٢٦، لأنه "لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه".

أما هنا فالتعبير خاصة جد خطير. إنها "الساعة الأخيرة". الوقت مقصر. الرب قريب وهو على استعداد أن يدين الأحياء والأموات كما قال الرسول بطرس. على استعداد ليس فقط أن يختطف قديسيه إلى السماء، بل أن ينفذ الدينونة على الأحياء والأموات ومع ذلك فالله يطيل نعمته المباركة ليخلص آخرين، ومتى انضم آخر عضو في المسيح، وما الذي يبقى بعدئذ؟ لا شيء طبعاً. وحينئذ يأتي الرب ويأخذ خاصته إلى الأعالي، وبعد ذلك يبدأ عمله بين اليهود والأمم، وبصفة خاصة لكي يهيئ شعبه لمكانهم على الأرض، فهم لم يكونوا مهيئين لذلك المكان في مجيئه الأول، ومن ثم سيتمم الرب هذه التهيئة في مجيئه الثاني. ويومئذ يكون للرب ومملكته شعب منتدب. ويومئذ سيتمم الرب ما فشل يوحنا المعمدان في إتمامه، وسيفعل ما لم تفعله الكنيسة فيحول قلب إسرائيل للترحيب بمسياهم المرفوض زماناً طويلاً والذي سيدهشون ويحزنون إذ يرون أنه ليس سوى ذاك الذي صلبوه...... من أجل هذا سيقسم له الرب في ذلك اليوم بين الأعزاء ومع العظماء يقسم غنيمة، في حين أنه في الوقت الحاضر نرى أن الجهال والضعفاء والأدنياء في العالم هم الذين اختارهم الله لتعظيم نعمته في المسيح، ولكن في يوم ظهورهسيرحم القلوب المنكسرة وتخشى الأمم اسم الرب وكل ملوك الأرض مجده. يومئذ سيكون فارق بين أناس وأناس، لأن البعض يكون قد سبق إلى هذا الاكتشاف بينما الآخرون لا يعرفونه إلا عند ظهوره.

أما الآن فإنها "الساعة الأخيرة" بالنسبة لنا. ليست ساعة انتشار المسيحية ولا إرسالية إنجيل الملكوت لجميع الأمم بل ساعة ظهور أضداد للمسيح. نعم، فسيأتي وقت فيه يقوم متجددون بتوصيل بشارة الملكوت إلى جميع الأمم وسيجدون طريقهم إلى حيث لم يستطع المسيحيون (لأن النعمة الإلهية ستعضدهم) وعندئذ يأتي انقضاء الدهر.

ولكن هذا هو الرجاء المسيحي؟ كلا فإننا لسنا ننتظر النهاية بل ننتظر المسيح، وننتظره لكي يخذوأخذنا لنكون حيث هو الآن. صحيح أن أولئك أيضاً ينتظرون الرب لكي ينزل ويبارك الأرض، كما سيفعل بكل تحقيق، ولكن هذا شيء آخر بخلاف انتظارنا، وهو تابع له أو واقع بعده. قد لا يطول موعده، ولكن هناك مع ذلك فترة قصيرة تفعل بين وجهي مجيئه – الوجه السماوي والوجه الأرضي.

وهنا الإعلان الخطير بأن الساعة الأخيرة قد أتت. "أيها الأولاد هي الساعة الأخيرة". كم كان لهذا الصوت من دوي في نفوسهم وكم أثار من اهتمامهم وتعجبهم! يظن الكثيرون أن مثل هذا الحق ليس هو الطعام المناسب للأطفال على الإطلاق، ألا ليت المسيحيين يقرأون

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كتابهم، ولا يقرأونه فقط بل في ملء بساطة الثقة يؤمنون به، فإنهم لو فعلوا ذلك لوجدوا فيه ما يضع حداً لهذه الأفكار والنظريات البشرية "أيها الأولاد هي الساعة الأخيرة. وكم سمعتم أن ضد المسيح يأتي، قد صار الآن أضداد للمسيح كثيرون". هذا هو الطابع الذي يدل على أنها "الساعة الأخيرة" فما من شر أشنع من ضد المسيح. فهو ينطوي على عداء مباشر شخصي للرب. قد يقلد الرب يسوع، ولكن ليقاومه، وقد يدعى ما يخص الله، ولكن ليعظم نفسه وينكر الله، ومن هنا كان ضد المسيح أشنع وأجرأ وأوقح أنواع الشر لأنه ضد السيد نفسه. وماذا نقول وقد صار الآن أضداد للمسيح كثيرون. ففي هذه المدينة (لندن) أضداد للمسيح كثيرون، كما في العالم المسيحي أجمع، يكرزون ويعلمون وجماهير تستمع إليه ممن لا يخامرهم شك أنهم يسمعون المسيحية لا ضد المسيحية. والسبب الذي يجعل المسيحيين الحقيقيين يستخفون بهذا كله هو قلة تأملهم في الكتاب بعمل روح الله فيهم.

والشيطان لم يعدم وسيلة في أن يخلع المسميات اللامعة على مثل هذه الشرور والمفاسد كأن يسميها مثلاً "النقد العالمي" مستمداً لها من بطون الفلسفة القديمة ما يتمشدق بها العلماء الكفار، ومن قشور العلوم الحديثة ما يستعذبه العصريون الأغرار، متخذا من هذا الخليط الأثيم قلعة ضد الرب يسوع، ومن هذه الوسائط مراكز لنشر الكفر والإلحاد ولتسميم نفوس الأحداث الذين يتهيأ أكثرهم لأن يصبحوا من رجال الدين اللاهوتيين أو من الرعاة والقسوس من أي نوع من الأنواع لأنه لا فرق في هذا بين طائفة وأخرى. فالجميع قد انحدروا إلى هذه الغواية ولو بدرجات متفاوتة. وحتى المؤمنون نالهم منها ضرر بالغ. لكن يعلم الرب أن ينقذ وهو له المجد يزيل الغشاوة عن العيون ويجعلها تبصر الشرك فمن الواضح أن التعليم ليس ردعاً أو مانعاً ضد الشر، ولكن الله يحرس "الأطفال" في نعمته. ولهم في معرفة الآب أساس مبارك لهذه الحراسة. ولكن ماذا يهم الناقدون من هذا كله؟ هل لهم كلمة الله ثابتة فيهم؟ هل يعتمدون على روح الله لنوال القوة لاقتبال الحق والسلوك فيه؟ كيف تأتي ذلك لقوم ينكرون على الكتاب أنه كلمة الله؟؟ نعم، لقد صار أضداد للمسيح كثيرون "ومن هنا نعلم أنها الساعة الأخيرة".

وأي مسيحي فطن لا يعرف هذه الحقيقة الآن؟ فكثيرون منا يذكرون الزمن الذي لم تكن فيه شيوعية الفساد أو ما يقارن بها بالصورة التي نراها اليوم، حيث يتزايد الإلحاد بسرعة خاطفة. على أن جرثومته – على الأقل – كانت بداية منذ أيام الرسول إذ يقول "منا خرجوا لكنهم لم يكونوا منا". هذا هو طابع الارتداد. فإن بعضاً من زعماء ضد المسيحية الحاضر كانوا يوماً ضمن المعترفين بالمسيحية ولكنهم "لم يكونوا منا لأنهم لم كانوا منا لبقوا معنا. لكن ليظهروا أنهم ليسوا جميعهم منا".

"أما أنتم فلكم مسحة من القدوس". هذه هي هبتهم الجديدة من السماء، ويملكها حتى "الأطفال" الذين أخذ بعض أضداد المسيح يضيقون عليهم الخناق لقد مهرتهم السماء لنفسها

 All rights reserved © 2008-2018

وختمتهم بخاتمها الأبدي. لقد مسحوا بروح الله المعطى لهم، مسحة من القدوس الذي هو الرب يسوع، لكن ماذا من أمرك أيها القارئ ؟ إنه لمن الخطورة بمكان عظيم أن تقرر تقريراً قاطعاً هل أنت ممسوح بهذه المسحة أم لا؟ فهذه هي علامة المسيحي المميزة له، ليس أنه مثبت في المسيح فقط بل ممسوح بالروح كما نقرأ في رسالة كورنثوس الثانية (٢ كو ١: ٢١) الأمر الذي يصدق على الأطفال في عائلة الله مع أنهم كما ترى ليسوا بالغين روحانياً. فهل أنت كذلك؟ لا تضيع وقتك بالتفكير في الآخرين حتى تستقر على أن هذا الامتياز هو لك من القدوس. ويومئذ، وبضمير صالح وقلب سعيد يكون من حقك أن تطلب لهم الخير فإذا شئنا أن نخدم الآخرين بحكمة وغيرة خدمة سليمة مضمونة فلنفكر أولاً في حاجتنا وحالتنا قدام الله.

وهنا نلاحظ النبرة المشددة على ضمير المخاطب "أنتم" مع أن الخطاب موجه إلى أصغر المسيحيين روحياً مما يدل بداهة على أن امتياز جميع أولاد الله. "وأما أنتم فلكم مسحة من القدوس وتعلمون كل شيء". أليست هذه كلمة عجيبة تقال عن "الأولاد الصغار" أو الأطفال؟ ولكن علام العجب وهم أعضاء في عائلة الله؟ لقد كانوا أولاد الله الذين حصلوا بالمشاركة مع جميع الباقين على بركة اليقين بغفران خطاياهم. وهذا قد أزال من نفوسهم الإحساس بالذنب والخوف، ذلك الإحساس الذي يعوق السعادة ويعطل النمو. فإلى أن نعلم علم اليقين أن خطايانا مغفورة كيف يتسنى لنا أن ندخل إلى كل الحق؟ إننا لا نستطيع ذلك إلا بضمير مطهر. فمن المسلم به حتى بين أهل العالم أن الضمير الشرير يولد الجبن في حين أن الضمير المطهر تطهيراً إلهياً يكسب صاحبه الشجاعة والثقة. انظر إلى هذا في بطرس. لقد كان بطرس معروفاً بأنه التلميذ الذي أنكر سيده ومع ذلك فعندما ردت نفسه واستقرت على الفداء استطاع أن يتهم اليهود غير المطهرين مواجهاً إياهم بذات التهمة التي سقط هو فيها "أنتم ... أنكرتموه أمام وجه بيلاطس وهو حاكم بإطلاقه" فالنفس حينما تكون مثقلة بالخطية تنفر من سماع الحق الذي يدينها أكر فأكثر. ولهذا كان لزاماً أن نكون أمام الله في حالة اليقين المطلق ببراءتنا قبل أن يتسنى لنا أن ننمو بمعرفته أو أن تكون لنا الشجاعة الحقة مع الآخرين.

ومن ثم فقد كتبت الرسالة للجميع لأن خطاياهم قد غفرت من أجل اسمه فهي لم تكتب لهم لكي تعرفهم أن خطاياهم قد غفرت، بل هم قد عرفوا ذلك مذ آمنوا بالإنجيل. المسيح قد حصل لهم على ذلك بواسطة دمه، وهكذا قد أصبح الغفران حالة ثابتة ومقررة لمجي القديسين. أنه من تحصيل الحاصل الكلام عن غفران جميع الخطايا السابقة للتجديد. ولكن ماذا عن الخطايا التي قد ينزلق إليها المؤمن بعد ذلك؟ لا شك أن الرب لن يتألم مرة أخرى. وهو لم يتألم عن ذبيحة المسيح لم يقف مفعولها عند نقطة معينة بل تناولت مجموعة خطايانا التي حملها على الصليب مرة وإلى الأبد. هذا هو مصدر الغبطة المتضمنة في ذلك

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الإحسان الأول من احسانات النعمة الإلهية. فهو ليس تعليماً عن جائزة معدة للذين يجاهدون للحصول عليها. ولا هي حقيقية خارجية ينادي بها من فوق المنابر لتكون موضع التقدير والإعجاب. بل هو امتياز شخصي من امتيازات الإيمان نحتضنه في ضمائرنا ونخصصه لنفوسنا ونتقبله من الله كإحسان منه عظيم، به نفتح طريق اعترافنا المسيحي.

على أن الأطفال أو "الأولاد الصغار" كما قلنا كانوا يمتازون بما هو أكثر من هذا النصيب المشترك بين جميع المسيحيين، فإن الطابع الخاص الذي بدأوا به حياتهم كان معرفة الآب. فإن الرب يسوع المقام من بين الأموات قد أعلنه كأبيه وأبيهم، وهم قد عرفوا نه أبوهم وإلههم كما هو أبو ربنا يسوع المسح وإلهه. فكيف يسوغ للمسيحيين مع كل ذلك أن يتجاهلوا حقيقة كهذه وثيقة الصلة بنفوسهم وتشغل الجانب الأكبر من العهد الجديد؟ حقيقة هي من أهم خواص المسيحية ومميزاتها الأولية؟ فإن المسيح قد قضى في صليبه على جميع خطايانا وأصبح المسيحي مهما يكن عدم استحقاقه – يعرف الله كأبيه من اللحظة التي آمن فيها بالإنجيل. وقد عرف حتى الأطفال أن هذه لم تكن بركة عابرة وقتية كبركات إسرائيل التي كان يعلقها الناموس على شرط الطاعة. ففي الإنجيل يعطي الله للإيمان هبة دائمة، بخلاف الناموس الشرطي الذي لسان حاله: إن أطعمتم ناموس الله تحيوا ولا تموتوا. أما الإنجيل فلا يقول لي أنني إذا أحببت الله فإنه سيكون أميناً لي – وهو أساس لا يمكن لخاطئ أن يخلص بمقتضاه – بل بالحري ينادي "هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية".

هذه هي الحقيقة الروحية الهائلة التي تواجه الجميع. فإن أنا لم أصدق الله من جهة ابنه. فإنني أسجل الهلاك على نفسي وغضب الله يستقر علي. أما إذا قبلت تلك الهبة العظمى التي أنا في مسيس الحاجة إليها، أي محبة الله الواهبة حياة أبدية للمؤمن، وبذلك أفوز ليس فقط بغفران خطاياي بل بشركة ابنه بالإيمان بالمسيح يسوع، فأنا حينئذ أكون قائماً على الأساس المسيحي الوحيد الصحيح كطفل في عائلة الله ومع ذلك نهاهم، كأطفال، يحذرون من الخطر الذي يستهدفون له. فهناك مضلون وأضداد للمسيح كثيرون. وسنرى فيما بعد شيأً من أساليب هؤلاء المضلين. ولكن لنتأمل الآن فيما أعدته لنا النعمة من وقاية وتسلح قبل أن تطلعنا بأساليبهم المضللة "لم أكتب إليكم أنكم لستم تعلمون الحق بل لأنكم تعلمونه وأن كل كذب ليس من الحق".ولولا المسحة من القدوس (أي روح الله من القدوس الذي هو المسيح) لما كان لهم الأهلية لمقاومة مثل هذه الشراك الماكرة الخطيرة. إن عطية الروح هي أبرز مميزات المسيحي وقد تكلم الرب عن هذه العطية "كالماء الحي" الذي يعطيه للمؤمن فلم يكتف تبارك اسمه بأن يعطي نفسه للمؤمن، بل هو يعطي كذلك الروح القدس كالمصدر الدائم للماء الحي الذي ينبع فينا إلى حياة أبدية.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وبعد أن أوضح الرسول وجود هذا الامتياز في الوقت الحاضر يتقدم فيخبر "الأولاد" أو الأطفال إنهم "يعلمون كل شيء" وكيف يمكن أن يقال عنهم ذلك؟ لأن لهم المسيح كحياتهم، وهو قوة الله وحكمة الله، وكما هو مكتوب "سيكون الجميع متعلمين من الله". فامتلاك المسيح هو امتلاك المفتاح لكل شيء. يضاف إلى ذلك أنهم ممسوحون بالروح القدس ليدركوا الحق أي ليخصصوه لأنفسهم بكل يقين وحرية.

"لم أكتب إليكم لأنكم لستم تعلمون الحق بل لأنكم تعلمون وإن كل كذب ليس من الحق" يا لها من كلمات حافلة بالتعزية والتشجيع! إن تعليم التقليد غامض أبداً، ويترك النفس في حالة الشك حتى فيما يتعلق بما نحن في مسيس الحاجة إليه أي اليقين بالسلام الدائم مع الله. أما الادعاء بإعلان أو حق جديد فإنه يفتح الباب للشرير الذي سرعان ما يظهر على المسرح هذه علامة يقدمها الرسول للأطفال ليأخذوا حذرهم، لأن كل كذب ليس على المسرح هذه علامة يقدمها الرسول للأطفال ليأخذوا حذرهم، لأن كل كذب ليس من الحق وأكذوبة ظاهرة واحدة كفيلة بأن نفضح كذب النظام كله، لأن الحق وحدة متجانسة متماسكة، وتبارك اسم الله فإنه يعلنه حتى للأطفال من أولاده. أما هؤلاء المبتدعون المضلون فقد أنكروا على الأطفال مثل هذه المعرفة وراحوا يدعون أنهم وحدهم يعرفون الحق، وكأن لسان حالهم يقول: "إن عندنا النور الجديد، أما أنتم فلستم تمتلكون سوى الأركان البدائية التي تركناها وراءنا. إن كل ما حصلتم عليه من معلميكم القدماء ليس سوى قشور. إنكم لا تمتلكون سوى صرير الموسيقي التمهيدية صرير شد الأوتار، أما نحن فلدينا الموسيقى ذاتها وفي أيدينا آلاتها وأدوارها الكاملة. لسنا في حاجة إلى شد الأوتار فيما بعد، ها هي الفرقة بكامل هيئتها والجوقة بكامل تكوينها". هذه هي روح الاكتفاء الذاتي التي يستشعرها أولئك المستسلمون لخداع العدو، فلا عجب إن كنا نرى الرسول الغاضب يصيح هنا من أعماق قلبه "من هو الكذاب"؟ - "من هو الكذاب إلا الذي ينكر أن يسوع هو المسيح"؟ إن هؤلاء الكذابين المضلين كانوا يحاولون بطريقة أو أخرى أن يهدموا شخص سيدنا الجليل، وأليس أمراً مرعباً أن أكذوبة شنيعة كهذه تعتبر حقاً جديداً عظيماً بين أولئك الذين كانوا يوماً يعترفون به له المجد؟ نقول؟ هذا لأن "الكذاب" المقصود هنا ليس هو الشيطان بل أناس كانوا يوماً في عداد المسيحيين وهم الآن ينكرون أن يسوع هو المسيح.

ولكن الرسول يتعقب الأكذوبة إلى أبعد من ذلك فيقول "هذا هو ضد المسيح الذي ينكر الآب والابن" إن المفروض أن ضد المسيح ينكر مجموعة من الحقائق تزيد عما كان يعرفه اليهود. صحيح أن كلمة "الكذاب" قد تنطبق على اليهودي الذي سمع عن الرب يسوع ولكنه رفضه، وذلك لأن الناموس والمزامير والأنبياء قد أشارت جميعها إلى الرب يسوع، ولكن اليهودي رفض مسيحاً بدلاً من أن يقيم مملكته بالقوة تألم عن الخطايا فوق الصليب، وهكذا فضل ما عرضه إبليس (باراباس) ورفض المسيا الحقيقي. والمسيحي الزائف قد يكون هو

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الآخر "الكذاب" بصورة أشد دهاء وخبثاً. يرى أن "ضد المسيح" ينطوي على ما هو أكثر من ذلك. لقد كان له مكان بين المسيحيين المعترفين، وقد سمع الحق المتعلق بالآب والابن، والآن يرفضه وينكره. إن مبدأ المسيحية متضمن في هذا الحق الجليل وبصفة خاصة في الصيغة التي تقال عند المعمودية المسيحية "باسم الآب والابن والروح القدس". وليس في التمسك الحرفي بهذه الصيغة الرسمية أي إغفال لاسم الرب يسوع لأن هذه هي الصورة الصحيحة التي رسمها سيدنا نفسه ومن واجبنا أن نوقر كلماته فلا نزيد عليها أو ننقص.

غير أننا نرى هنا شخصاً ينكر الآب والابن، وليس في نظر الروحانيين علامة أعظم من هذه على ضد المسيح. والشيء الخطير إنه من وسط المجموعة المسيحية خرج هؤلاء الأضداد للمسيح. فلا سبب إذاً يحملنا على الدهشة إذا رأينا أن أمثال هؤلاء التائهين الضالين ليسوا نادرين حتى حيث تجزل النعمة مقدراً كبيراً من الحق وغيرة في إذاعته وتطبيقه عملياً، طالما أن أصحابه يستسلمون للعقائد والأفكار التي تهدمه فيضلون ضلالاً مبيناً. وكما يقول المثل المعروف: أن فساد الأحسن أردأ الفساد. فليس هناك أرهب ولا أروع من السقوط والارتداد عن أسمى وأكمل حق. حق الآب والابن، وهذا الارتداد هو علامة أضداد المسيح.

ولئن كان لنا التحذير بأن "كل من ينكر الابن ليس له الآب أيضاً" فهنالك الكلمة المشجعة تتلو ذلك للأطفال "ومن يعترف بالابن فله الآب أيضاً" ولهذا العدد بشطريه أهمية قصوى في ذاته وبالنسبة للنور الذي يلقيه على مكائد إبليس. فأصحاب مذهب التوحيد في النصرانية يعترفون بأنهم يكرمون الآب ولكنهم ينكرون الابن والنتيجة أن اعترافهم بالآب لا قيمة له على الإطلاق بحكم العدد الذي أمامنا فالآب ليس هو محك الحق بل الابن. ولذلك فكل من يعترف بالابن له الآب أيضاً. لا شك أن الاعترافين يسيران معاً، غير أن الابن هو المحك الوحيد والوسيط الفريد. فإن أنكرت الابن فإن الآب يرفض اعترافك به رفضاً باتاً لأنك لا تكرم الابن. إن الآب حريص على صيانة مجد الابن الذي أخلى نفسه من مجده ووضع نفسه لا لكي يصير إنساناً وعبداً فحسب بل لكي يطيع حتى الموت موت الصليب. فلا عجب إن كان الآب يحرص على مجده وتكريمه، وإن كل من يستهين به يفعل ذلك على حساب أبديته مسجلاً على نفسه عقاباً أبدياً، وقد أعطى الله شهادات عديدة على ذلك الإنسان حتى أنه بلا عذر.

والآن نأتي إلى نقطة لها قدرها من الأهمية، وهي قول الرسول "أما أنتم فما سمعتموه من البدء فليثبت إذاً فيكم" – وهو ليس "الذي من البدء" ولكن "ما سمعتموه من البدء" وهذا يعود بنا إلى الكلمات الافتتاحية في الإصحاح الأول والواقع أن الفرق بين "الذي كان من البدء" و " ما سمعتموه من البدء" فرق طفيف للغاية وكلاهما قول كامل في محله الخاص.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ولكن النبرة في عدد ٢٤ الذي أمامنا هي على التحريض على أن يثبتوا فيما سمعوه من البدء.

أجل. فليس هناك من شيء جديد يمكن أن يضاف على ما سمعوه فإن كان شيء جديد فهو ليس من المسيحية بل من تطورات عمل الشيطان وكل ما يزيد على إعلان الله في المسيح كذب وضلال. أن الإنسان يكره أن يكون خاضعاً لكلمة الله ومن هنا كانت جهوده للتخلص من السلطان الإلهي ليس فقط في العهد القديم بل كذلك في العهد الجديد. فمن "النقد الأعلى" الهادم للإيمان في الدوائر العلمية إلى ما يقابله من "تعليم الكنيسة" في الدوائر الدينية ولو أن بعضاً من الناس يجمعون بين الاثنين فيجعلون منهما مزيجاً هو السم الزعاف بعينه. وإن كنا نترك النقد الأعلى لأهل العالم فأين نجد في الكتاب سنداً لما يسمونه "تعليم الكنيسة". هل الكيسة تعلم؟ إن الكنيسة بمقتضى كلمة الله تتقبل التعليم عن طريق الرسل والأنبياء، ثم عن لسان المعلمين وغيرهم من أصحاب المواهب الذين هم عطايا من المسيح الرأس لهذا الغرض. فالكنيسة والحالة هذه تتعلم ولا تعلم،ومن شأنها أن تؤمن بالحق وتتمتع به وعليها مسئولية السلوك والسجود بالحق. فخير لها أن ترى هل هي تؤمن بالحق أم لا في أيام الشكوك هذه.

أما القول بأن الكنيسة تعلم فهو غرور باطل وخداع خطير. صحيح أننا مطالبون لأن نخضع للكنيسة من حيث التأديب. لكن التعليم شيء آخر. إن الكنيسة تحتاج إلى الحق، وفكرة قيامها بالتعليم تحمل الناس على سماع ما ليس معلناً في الكتب المقدسة، فيسلمون أنفسهم لحركات أذهانهم وخيالاتها التي تستند على النظريات البشرية أو الأساطير البالية التي تنطوي على إضافات للكتاب، وأحلام وخيالات حول العذراء والقديسين والملائكة ومن إليهم أو الفروض العقلية التي عليها يعيش اللأدريون أو بالحري يموتون. أما الله فهو المعلم الوحيد الكامل المعصوم، ولا شك أن أولاده المؤمنين – كما كتب أنبياؤه – يكونون متعلمين من الله الذي تعلنه الكلمة في غير ما حاجة لادعاء الكنيسة بالتعليم. من هذا نرى أن ما سمعه الأطفال من البدء يبقى هو هو الحق دون أن يطرأ عليه تطر أو تعديل. إن نظرية "التطور" التي هي أنشودة العالم في اليوم الحاضر سواء في الدين أو العلم ما هي إلا أسطورة شريرة وبخاصة من الناحية الدينية، ذلك لأن الأساطير العلمية يقتل حديثها قديمها فتموت مع الزمن على أيدي أصحابها، في حين أن الضلالات الدينية لها قوة شيطانية ليس فقط من حيث تأثيرها الفاسد بل من حيث دوام سلطانها على النفوس.

إذاً فأين الحق، وما هو الحق؟ هو المسيح. والمسيح كما أعلن على الأرض. فكيف يمكن أن يعتريه تطور، أو كيف يمكن أن يعتريه كلمة الله التي تعلنه تبارك اسمه؟ لا شيء يمكن أن يضاف إلى الحق ليجعله أكمل مما هو عليه، ذلك لأنه الحق وكفى. ولا شيء يمكن أن يكون أجلى وضوحاً مما سمعوه يوم كان ربنا على الأرض أو مما كتبه الروح القدس وكان

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

في إمكانهم أن يسمعوه. فالكل قد نطق به أواني الوحي، لا بأقوال تعلمها حكمة إنسانية بل بما علمه الروح القدس قارنين الروحيات بالروحيات (أي أن الحقائق كانت من الروح كما أن الألفاظ التي صيغت بها كانت كذلك من الروح) وما أبرك النتيجة العملية! فهي ذات الكلمة بدوت تغيير أو تطور "إن ثبت فيكم ما سمعتموه من البدء فأنتم أيضاً تثبتون ف الابن وفي الآب" فالحق غير مستقل أو منفصل عن المسيح، ونقول المسيح كما أعلنه الله في كلمته. "وهذا هو الوعد الذي وعدنا هو به الحياة الأبدية" – وهي جملة لها من الدلالة وقوة التأثير في هذا المكان نفس ما كان لها عند استعمالها لأول مرة للتعبير عن شخص المسيح كمصدر الحياة الأبدية في ص ١: ١ و ٢.

"كتبت لكم هذا عن الذين يضلونكم" فالأطفال بحاجة إلى التحذير والوقاية ضد المبتدعين الذين يقبلون الحق بمواعيد كاذبة بعكس وعد الله الصادق. فقد بذل أولئك المضلون جهدهم لإقناع أنفسهم وآخرين معهم أنه بدلاً من حصولهم الآن (والآن فعلاً) عن الحياة الأبدية في الابن فإنهم سيحصلون عليها عند القيامة. ولكن هذا معناه نسيان ما سمعناه من البدء، وحيث أنه مخالف لما سمعناه فهو كذب، وكل كذب ليسمن الحق. والعبارة التي أمامنا ترينا أن هذه الأفكار وغيرها من الأفكار المستحدثة عن موضوع الحياة الأبدية هي أفكار خاطئة. وإن كلمة الرب تكشف ضلالها وتبرهن على كذبها لأن هذا هو "ما سمعناه (نحن الشهود الملهمين) من البدء". وهل يمكن أن يكون هناك ما هو أكر ثباتاً ويقيناً من ذلك؟ إذن فالمضلون لم يموتوا ولم يتلاشوا من المشهد بل لازالوا يواصلون ضلالهم سواء دعوا بالخلافة الرسولية أو لم يدعوا (رؤ ٢: ٢).

"وأما أنتم فالمسحة التي أخذتموها منه ثابتة فيكم". والنبرة هنا مشددة على ضمير المخاطب "أنت" كما في عددي ٢٠، ٢٤. لقد قال أن الكلمة التي سمعوها تثبت فيهم – وهي قياس الحق، القياس الوحيد المكتوب. والآن هو يكرر الحقيقة الأخرى المباركة، وهي أن المسحة المقدسة، الروح المعطى لهم. ثابتة فيهم. أي نعم أيها "الأطفال" إن مسحته ثابتة فيكم باستمرار. والغاية من مسحة الروح هي إدراك حق الله في المسيح والتمتع به قوة.

"ولا حاجة بكم إلى أن يعلمكم أحد". لقد قبلوا المسيح الذي هو الحق كما هو الطريق والحياة. عرفوا ذلك من الله الآب بالروح القدس. "بل كما تعلمكم هذه المسحة عينها عن كل شيء هي حق وليست كذباً. كما علمتكم تثبتون فيه": فلم يكن الأمر قاصراً على ما قبلوه وتعلموه فقط بل ها هو الروح القدس ثابت فيهم ليعلمهم كل ما احتوته الكلمة تفصيلاً وتطبيقاً وذلك بعناية الله العطوفة على الأطفال أو الأولاد الصغار. إذن فما بهم من حاجة لأن يعبأوا أو يخافوا من المخادعين المضللين لأن سندهم الذي يعتمدون عليه لم يكن الناس الذين يكرزون بأنفسهم لا بالرب يسوع. فيا له من ضمان، ويا لها من بركة حتى لأصغر أعضاء عائلة الله روحياً! فما عليهم إلا أن يثبتوا في المسيح كما علمهم من البدء.

 All rights reserved © 2008-2018

الرسالة الأولى: الخطاب الثامن

١ يو ٢: ٢٨ – ٣: ٦

"والآن أيها الأولاد (الأحباء) اثبتوا فيه حتى إذا أظهر يكون لنا ثقة ولا نخجل منه في مجيئه. إن علمتم أنه بار هو، فاعلموا أن كل من يصنع البر مولود منه"

"انظروا أية محبة أعطانا الآب حتى ندعى أولاد الله. من أجل هذا لا يعرفنا العالم لأنه لا يعرفه. أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله ولم يظهر بعد ماذا سنكون ولكن نعلم أنه إذا أظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو. وكل من عنده هذا الرجاء به يطهر نفسه كما هو طاهر".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

"كل من يفعل الخطية يفعل التعدي أيضاً. والخطية هي التعدي. وتعلمون أن ذاك أظهر لكي يرفع خطايانا وليس فيه خطية. كل من يثبت فيه لا يخطئ. كل من يخطئ لم يبصره ولا عرفه"

نعود الآن إلى موضوع الرسالة الرئيسي. فبعد الجزء العرضي الهام. الذي هو بمثابة جملة معترضة يمكن وضعها بين قوسين، والتي تناولت درجات الاختلاف الروحي بين أولاد الله. نأتي إلى ما يخص أولاده كمجموعة كما كان الحال قبل الفقرة المعرضة التي بدأن بالعدد الثاني عشر، وكما هو الآن في العدد ٢٨ الذي أمامنا والذي يعود بنا إلى موضوع الرسالة العام. فالكلمة الآن موجهة إلى الجميع "والآن أيها الأولاد (الأحباء) اثبتوا فيه".

هذا هو الاختبار المسيحي الصحيح. الإيمان بشخص الرب الذي يقود إلى الثبات فيه. ليس فقط الثبات في الحق، أو في العمل والتعليم، بل في شخص المسيح الإلهي الحي، فمما يجعله له المجد أكثر جاذبية ومغنطيسية (إن جاز هذا التعبير)هو أنه إنسان وإله في وقت واحد في اتحاد عجيب بين اللاهوت والناسوت ليس كما يميل البعض إلى النظر الأمر أحياناً، وهو أنه عندما يتكلمون عنه كإنسان فذلك بالانفصال عن اللاهوت وعند الكلام عنه كالله فذلك بالانفصال عن الناسوت. كلا فهو في الحق شخص واحد. طبيعتان متحدتان في شخصه العجيب الواحد، وهنا السر الهائل العجيب الذي يجعل شخصيته له المجد فريدة لا مثيل لها، فوق كل بحث أو استقصاء ومما يجعله مستحيلاً على الإنسان أن يسبر غورها أو يدرك عمقها، كما يخبرنا هو نفسه بفمه الكريم "ليس أحد يعرف الابن (على حقيقته) إلا الآب". ولنلاحظ أن الرب لم يقل هذا عن الآب، مع أن الآب لم يصر إنساناً كما صار الابن. على أن الابن يعلن الآب، ولكن لا يقال أن الآب يعلن الابن. قارن مت ١١: ٢٧ لوقا ١٠: ٢٢. فشخصية الرب يسوع فوق متناول البشر وفيه السر العظيم الذي لا يستقصى. وهنا اخطر على ذهن الإنسان الذي من طبعه الكبرياء والتجاسر، وبخاصة في أمور الله – تلك المنطقة التي لا مكان فيها على الإطلاق للإنسان الأول المجرد من البر والصلاح والفهم، فضلاً عن كونه لا يطلب الله.ولذلك فإن الإنسان، وهذا وصفه، يتخبط من خطأ إلى ما هو أفظع منه "لأن مَن من الناس يعرف أمور الإنسان إلا روح الإنسان الذي فيه. هكذا أيضاً أمور الله لا يعرفها أحد إلا روح الله" (١ كو ٢: ١١). وها هو الروح القدس قد أعطى لنا كمؤمنين بالمسيح لكي يمجده. لأن الرب يسوع هو الحق وهو الحق في طبيعته المزدوجة، كالله وإنسان في شخص واحد. فإذا كان مؤمنين، فإن حكمتنا وسعادتنا وقوتنا للخدمة والعبادة، بل ذات أمننا وسلامتنا، هي جميعاً في "الثبات فيه".

حينما كون الله إسرائيل كشعب لا نرى أقنوماً إلهياً قد أعلن، بل كانت هناك أوامر ووصايا صدرت من جلال الله بما يتفق والرعب الذي أوحاه الله في شعب أرضي لم يكن الجانب الأكبر منهم متجدداً ومع ذلك فقد كان الناموس لكل واحد منهم، ولكن الناموس كما قلنا لم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يعلن شخصاً أو أقنوماً. صحيح كانت الوصايا العادلة تصدر عن الر وكان هو له المجد مؤسس الفرائض – طقوس وممارسات هامة وخطيرة، تنطق كلها باسم ربنا يسوع وتشير وظائفه وعمله. إلا أنه لم يكن هناك إعلان صريح بعد عن شخص إلهي. كان الناموس قائماً على سلطان الله الساكن في الضباب، في حين أن حق المسيحية الجوهري يقوم على مجيء ابن الله للإنسان من عند الآب. ونحن نعرف الأمور الموهوبة لنا من الله في ذاك الذي هو نفسه إله وإنسان وهو له المجد كذلك لكي يمثل الإنسان كما ينبغي أن يكون أمام الله، ويعلن الله كما هو للإنسان، ثم لكي يتسنى له، بعد إتمام الفداء، أن يرسل الروح القدس. أليست هذه نعمة سامية لا حد لها؟

تلك هي البركة التي لا تقدر، المرتكزة على الرب يسوع. لم تكن هي الناموس ولو أن سيدنا جاء مولوداً تحته. ولم تكن الوعد ولو انه المجد متمم الوعد ومكمله. بل هي شخصه، هي نفسه كالابن، الابن المتنازل لكي يصير إنساناً حقيقياً،مع فارق خطير واحد، كما سنقرأ فيما بعد في هذه الرسالة، وهو أنه "ليس فيه خطية" – ليس فقط أنه لم يفعل خطية، أو أنه لم يعرف خطية، كما نقرأ في ٢ كو٥: ٢١، بل لم تكن فيه خطية. طبيعته قدوسة لم يمسسها الخطأ. لهذا كانت ولادته فريدة لا مثيل لها على الإطلاق. لا شك انه ولد من العذراء ولكن ليس هذا هو الذي جعله بلا خطية، لأن العذراء المطلوبة كانت في ذاتها خاطئة كغيرها من البشر. كانت مؤمنة عظيمة امتازت ببساطة عجيبة وطهارة فائقة. ولكنها كانت محتاجة إلى مخلص، وقد وجدت نفس هذا المخلص كما وجدناه نحن في الابن المولود منها. ولكنها عرفت جيداً أن هذا الابن العجيب جاء مغايراً لكل ابن آخر في الطريقة التي صار بها جسداً. فقد كان ذلك بقوة الروح القدس. لهذا كان هو – وليست هي – بلا دنس. إنه من الحسن التمسك بالحق بلا زيادة ولا نقص، لأن الجرأة على إضافة شيء إلى الحق المعلن تفتح الباب للخرافة لابتكار ضلالة تأخذ مركز المسيح الفريد وتعطيه لآخر.وهذا تجديف لاشك أن الله يدينه ويقضي عليه.

لقد كان في تجسد سيدنا معجزة هائلة، كما كان في موته وقيامته. فليس هناك ما ينسجم مع البشرية أكثر من الولادة والموت، لأن هذا هو الإنسان في حالته الراهنة. وقد عرف الرب هاتين الحالتين (الولادة والموت)، ولكن في كلتيهما – كما في سائر الحالات – كان الله معلناً متجلياً. فعلى الصليب رضي أن يبذل حياته. لم يكن لأحد أن يأخذها منه، لولا أنه أراد وأرتضى أن يضعها من ذاته. وضع حياته، الأمر الذي يكن في استطاعة سواه أن يفعله. إن حاولت أنت أو أنا أن نضع حياتنا فذلك خطية شنيعة وجرم جسيم. أما في الرب يسوع فقد كان فضلاً كبيراً ونعمة ثمينة في طريق تبرير الله من جهة الخطية كلها. وهكذا في الأمرين اللذين شابه الإنسان فيهما أكثر من غيرهما – أي الولادة والموت. كان له المجد أسمى من الإنسان بما لا يقاس. كما يليق بأقنوم إلهي. وهنا يقصر عقل الإنسان

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ويتجلى فشله المطلق لأن الثقة بالذات والجهل بالله يجعلانه يتردد في الاعتراف بأن هناك أي سر يدق عليه فهمه. فهو يزعم في نفسه الكفاية لكل صعوبة والقدرة على حل كل مشكلة، ومن ورائه العدو الأكبر يشد إزره وينفخ في أوداجه ويهيب به أن يثق في ذاته دون الثقة بالله الذي يريد أن يضعه في التراب كخاطئ ويدعوه لأن ينظر إلى الرب يسوع وحده، لأن كل بركة تصدر للإيمان عن طريقه. غير أن هذا مع الأسف الشديد هو عين ما تنفر منه كبرياء الإنسان وبذلك يرفض نعمة الله في المسيح فالإيمان هو عطية الله.

فهنا إذاً، بعد أن عرفنا الرسول من هو هذا الشخص العجيب، الذي كان من البدء، الذي جمع الله والإنسان في شخص واحد، يقول لنا "اثبتوا فيه" والواقع أننا لا نعرف أحداً يليق بأناس مثلنا أن يثبتوا فيه سوى ذاك الذي هو الحق أي المسيح. إن روح الله ساكن فينا ليمنحنا القوة. لكن غرض الإيمان المعلن في مراحل الطريق كلها إنما هو نفس الشخص الذي بدأنا به طريقنا ومن هنا كانت للأطفال كما رأينا المسحة من القدوس، وليس فقط أنهم تجددوا. فالمسيحي هو أكثر جداً من مجرد شخص تجدد ورجع إلى الله. ذلك كان شأن القديس في العهد القديم. كان شخصاً متجدداً ولكنه غير حاصل على الروح القدس، فإن هذه الهبة المسيحية الخاصة تتبع الفداء معروفاً ومتيقناً لدى النفس، المسيح وحده هو الذي كان له الروح القدس بغير فداء وبغير كفارة، لنه هو وحده كان كفارة، لأنه هو وحده كان قدوس الله، البار بالإنجيل فنحتاج للفداء، غفران الخطايا ومن أجل ذلك فإننا بعد التجديد والإيمان بالإنجيل مباشرة ننال الروح القدس، نصبح مسيحيين (قارن أع ١١: ١٧) فإن عطية الروح القدس هي العلامة الحقيقية المميزة لا كمسيحيين – "المسحة من القدوس" – كما هو مكتوب إذا آمنتم ختمتم. ومن أجل هذا يقول الرسول وأما أنتم (وليس أولئك المضللون أضداد المسيح) فلكم هذه العطية العظمى من القدوس وحيث أن المسيح هو الذي منه جاءت هذه المسحة، إذن "فاثبتوا فيه".

هل كان للإسرائيلي شيء ثابت تحت الناموس؟ كلا، فلم يكن لهم أقنوم إلهي معلن. كانت غاية الناموس انتظار الفداء (إلا في الرموز) فلم يحصل الإسرائيليون على المسيح، ولا على كفارته. أما إرسالية الرب يسوع فكان الغرض منها إعلان الله والآب لمؤمن في الابن، ولم ينزل الروح القدس لم تكن قبل ذلك حتى بالنسبة للناس المتجددين. وغنى عن البيان أن الديانات الزائفة لا تعرف شيئاً من هذا ولا تدعيه، ومهما كانت الشهوات والانفعالات التي تعبث بها هذه الديانات – مع ما تنطوي عليه كتبها من سخافات فوق سخافات – فإنها لا تتحدث عن إعلان الله نفسه، لا فرق فيها بين ديانة الهندوس بكتب حكمتهم ومعارفهم، أو ديانة البوذيين والبراهمة الذين ينكرون وجود الله لاعتقادهم بتعدد الآلهة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أما جوهر المسيحية فهو الله معلناً في ابنه باعتباره (أي الابن) إنساناً سالكاً في قداسة المحبة على الأرض، فوق كل الشر والضلال الذي كان محيطاً به، وذلك لكي لا يكون إعلانه لله بمجرد الكلام بل بالعمل والحق. فكل أعماله وكل أقواله أعلنت الله الآب. وكل معجزاته أظهرته بكيفية تفوق الآخرين مهما كانوا.لقد وجدت آيات وقوات أجراها موسى وإيليا وأليشع وآخرون، ولكنها جميعاً كانت من نوع آخر. أما هنا فأمامنا شخص المسيح يسوع الفريد الوسيط الوحيد بين الناس والله، ولذلك قيل لنا بحق "اثبتوا فيه". هناك وهناك فقط، الأمن والسلامة والبركة، وهناك فقط نور الله ومحبة الله، ويقين الحياة الأبدية التي يهبها الله للمؤمنين به. فالكل فيه ولا شيء مستقل عنه.

لقد قام البعض مؤخراً يقولون أننا نحن المؤمنين ليس لنا حياة في أنفسنا ونصيحتنا إلى أمثال هؤلاء أن يتدبروا الأمر لأنهم بذلك يتحدون الكتاب في أفكارهم أو في القليل يتعدونه. فهم يقولون ويؤكدون أن الحياة هي في الابن، وفي ذلك هم محقون إلى أقصى حدود الحق، فمن خواص الحياة الأبدية الثمينة أنها في الابن وأنها لحقيقة مباركة أن تكون الحياة الأبدية في شخصه العزيز، الأمر الذي يحملنا على تقديم الشكر القلبي لله من أجله، لأن وجود الحياة الأبدية في الابن ضمان لوجودها ثابتة طاهرة غي مدنسة وغير متغيرة. فهي فيه وتبقى فيه مضمونة ومؤكدة إلى الأبد، ولكنها أيضاً قد أعطيت لكل مؤمن لتكون حياته الجديدة. لو أننا أخذناها بالاستقلال عنه، أفما كنا نفقدها سراعاً أو نحولها إلى نفس المصير المحزن كما فعلنا بسائر الهبات الأخرى التي منحنا إياها الله؟ أما المحقق فهو إنها لنا، وإنها لنا فيه. كلاهما حق، ولو أن الحق الثاني يعظم الأول ويمجده. فهو حياتنا. وليس بعد ذلك من مزيد. شكراً لله.

"والآن أيها الأولاد اثبتوا فيه" – جميع عائلة الله – "حتى إذا أظهر يكون لنا ثقة ولا نخل منه في مجيئه". هذه عبارة جديرة بانتباهنا لأنها طالما أسيء فهمها، لأن الذين يستخدمون هذا العدد يظنون أن ضمير الجمع المتكلم في القول "لا نخجل" ينطبق علينا أو على المسيحيين الذين كتبت الرسالة إليهم، في حين أن الرسول يفرق في استعمال الضمائر فهو يقول "اثبتوا فيه" موجهاً الكلام إلى أشخاص المخاطبين حتى "لا نخجل" نحن أي الأشخاص الذين كانوا المخاطبون ثمرة خدمتهم في الرب. فإنها تكون إهانة كبيرة للحق، وألماً بالغاً للخادم، لو أن أحداً مما بدا عليهم بأنهم قبلوا الحق يتركه ويتخلى عنه. ولذلك فإن الرسول يضع الأمر في صيغة تمس عواطفهم، وتناشدها. فإذا كان الرسول شخصياً قد فعل ذلك فهو لا يزال الرسول المبارك الأمين، ولكنه في ذاته أمر مخجل للعامل أن الأشخاص المفروض أنهم قبلوا الحق يتركونه.

وهنا نرجو القارئ أن يلاحظ أن هذا الانحراف لم يكن جديداً فقد بدأ بيهوذا، وأن لم يكن بيهوذا على وجه التحقيق، فبكثيرين من تلاميذه الذين رجعوا إلى الوراء ولم يعودوا يمشون

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

معه من الوقت الذي تحدث فيه عن تجسده وموته كطعام الإيمان الذي لا غناء عنه. كذلك كان بين الرؤساء كثيرين آمنوا به ولكن بسبب الفريسيين لم يعترفوا به، لأنهم أحبوا مجد الناس أكثر من مجد الله.

آه أيها القارئ العزيز، احذر من هذا. اعترف به إن كان قلبك قد استراح عليه للحياة الأبدية. ولا تعترف به فقط بل اثبت فيه مهما كان الضغط قاسياً وشديد من الخارج، إن الرسول يسوق النصيحة هنا في قالب غاية في الرقة والعطف إذ يقول "حتى إذا أظهر.......... لا تخجل منه في مجيئه". وكأنه يريد أن يقول أن ارتداد الضالين سيكون بلا شك سبب خجل لنا في ذلك اليوم.

غير أن هناك ملاحقات أخرى غنية بالتعليم يمكن أن تستفاد من هذا العدد فهناك تعبيران مستعملان يختلف أحدهم عن لآخر. الأول "حتى إذا أظهر" والثاني "في مجيئه". وكلمة "مجيء" المستعملة هنا ليست ذات الكلمة المستعملة للتعبير عن المجيء أو الإتيان كما في (يو ١٤: ٣، ١كو ١١: ٢٦) وسفر الرؤيا يتكرر القول "ها أنا آتي سريعاً". هذا معناه عملية المجيء. خذ مثلاً لذلك القديسين الذين يقتلون في أوائل وأواخر أزمنة سفر الرؤيا، فهم جماعتان من القديسين يقاومون بعد ظهور الرب قضائياً في مجده (رؤ ٢٠: ٤) ومع ذلك فإنه يقال عنهم أنهم "جزء من الذين للمسيح" الذين يقامون في مجيئه (١كو ١٥: ٢٣) ولاشك أن عبارة "في مجيئه" هنا لا يمكن أن تعني المجيء بالذات بل حالة حضور الر بعد المجيء بالمقابلة مع حالة غيابه في الوقت الحاضر.

وهناك فارق آخر في استعمال التعبير. فإن كلوم "مجيء" بمعنى "حضور" قد يقصد بها الحضور للشعب السماوي أو الشعب الأرضي. ففي رسالة يعقوب مثلاً نقرأ القول "إن مجيء الرب قد اقترب" والمقصود كما نعلم هو الجانب الأرض من المجيء. ومن هذا القبيل قول سيدنا "ابن الإنسان في مجيئه" فإن العلاقة بين "ابن الإنسان" وحضوره تحدد هذا الجانب تحديداً واضحاً في أناجيل متى ومرقس ولوقا وكلك الحال في رسالة يعقوب حيث يقال "هوذا الديان واقف قدام الباب" فإن صفة الرب كالديان مرتبطة بطبيعة الحال بيومه أو ظهوره. وهكذا نجد أن "ظهوره" أثر من آثار حضوره، وكذلك "استعلانه".

غير أن "الحضور" يتناول أيضاً مجيئه لأذنا لنفسه إلى بيت الآب قبل ظهوره أو استعلانه. وبعبارة أخرى إذ لم تقترن كلمة "مجيء" بما يشير إلى الظهور فإنه يقصد بها حينئذ اجتماعنا إلى الرب في الأعالي بواسطة حضوره كما في (١ تس ٤: ١٥، ٢ تس ٢: ١)، فهذا هو الحضور بالنعمة المطلقة التي لا شأن لمسئولية لإنسان فيها. أما عندما يأتي ذكر مسئولتنا فعندئذ يكون المقصود ليس مجرد المجيء بل الظهور، وهذا هو الحال فيما يتعلق

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بالعدد الذي أمامنا ولو أنه يضم اللفظين معاً (الظهور والمجيء) لأن الظهور يفترض الحضور في حين أن الحضور لا يفترض الظهور.

ثم لاحظ شيئاً آخر. فهو لا يقول "متى" أظهر بل "إذا" أظهر كما لو كان في الأمر بعض الشك بحسب الظاهر. هذه الصيغة قد تبدو غريبة لدى الذين لم يتعودوا قراءة الكتاب كما وضعه الله ولكن مهما يكن من أمر، فمن المؤكد أن طريقة الله هي دائماً أحسن الطرق، وأن ما يقوله الله لنا قد قاله في أضبط وأكمل صورة كان يمكن أن تقال لنا والواقع أن كلمة "إذا" لا تشير إلى وقت الظهور أي "متى" بل إلى حقيقته مهما كان الوقت الذي يظهر فيه المسيح. فليس المقصود أن ظهوره مسألة معلقة قد تتم أو لا تتم، ولكن المقصود هو أن الرسول يريد من القديسين أن يثبتوا في الرب عوض أن يتحولوا عن حتى إذا أظهر – ومن المؤكد أنه سيظهر – تكون لنا ثقة ولا نخجل منه في مجيئه. هذا هو شعور الرسول من جهة الأمر، وهو شعور نبيل ينم عن مبلغ حبه لأولئك الذين يحملون اسم يسوع وبالتالي عن ألمه إذا ما انحرف أحدهم عن الحق. فمهما كان حبه حتى لأولاده في الإيمان. فإنه يحب اسم المسيح أكثر بكثير من حبه للقديسين ولذلك ه يسعى ويطب حتى لا يكون واحد منهم مصدر خجل له في ذلك الوقت السعيد.

"إن علمتم أنه بار هو فاعلموا أن كل من يصنع البر مولود منه" – فالبر نظير الطاعة – يصدر عن الحياة، وكما أنه بار هو كذلك كل من يصنع البر قد ولد منه. إذن فالطبيعة الجديدة هي علة وصول البر إلينا وسريانه في عروقنا. وهنا نأتي إلى مسألة البر العملي الذي سيعالجه الرسول في الأعداد التالية، أي الأعداد الأولى من الصحاح الثالث، كما عالج أمر الطاعة في الإصحاح الثاني مع فارق بسيط سنشير إليه فيما بعد. أن الكلام هنا ليس عن المحبة، ولا عن الطاعة كطاعة، الأمران اللذان عالجهما الرسول في الإصحاح الثاني (ع ٣ – ٦، ٧ - ٧). ومع ذلك ففي الجزء الأخير من الإصحاح الثالث، بعد الكلام عن البر، فيعود الرسول فيحدثنا مرة أخرى عن المحبة، تماماً كما فعل في الإصحاح الثاني إذ حدثنا أولاً عن الطاعة ثم بعد ذلك عن المحبة. ومن هذا نرى أنه هناك حلقة اتصال هامة بين كل من الطاعة والرب وهي المحبة التي هي في الواقع رباط الكمال كما نقرأ في (كو ٣: ١٤).

وجميل بنا أن نتساءل عن الفرق بين طاعتنا وبرنا. ومع ذلك فالجواب جلي واضح فمع أن البر دائماً مطيع إلا أنه في ذاته عنوان أو برهان ليس فقط على الخضوع للسلطان الإلهي (كما هو حال الطاعة) بل على الانسجام مع المقام أو بعبارة أدق مع النسبة أو العلاقة. هذا على ما يبدو، هو التعريف الصحيح للبر حتى فيما يتعلق ببر الله الذي معناه انسجام الله مع علاقته أو نسبته، وهكذا الحال فيما يتعلق ببر المسيح أو بر الإنسان، مع ما بين الاثنين من

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

فارق عظيم فيما عدا ذلك. فمن ناحية المسيح نرى فيه المطابقة المطلقة بينه وبين نسبته، أما من ناحيتنا فما أحرانا أن نندب قصورنا وعدم المطابقة بيننا وبين نسبتنا كمسيحيين.

وأليس في هذا صوت خطير لكل منا؟ ومع ذلك فإن نعمة الله في المسيح لم تترك لنا أي سبب لليأس أو عدم الثقة بل على بالعكس فإن غرض الرسول الأساسي من هذه الرسالة هو أن يثبت القديسين تثبيتاً كاملاً في المسيح وما من كلمة واحدة قد وردت في أي مكان من شأنها أن تثير الصعاب أو الشكوك. إن إثارة الشكوك عمل المضللين الذين ينشرون أضاليلهم الخاصة ويخدعون البسطاء المتمتعين حق الله، وقد رأينا أن هدفاً عظيماً من أهداف هذه الرسالة هو تسليح المؤمنين، بل أصغر المؤمنين، ضد أضاليلهم وابتكاراتهم الشريرة الخطرة، لاسيما وأنه من بين الوسائل التي كان يتبعها أولئك القوم تشكيك غير البالغين في أنهم قد حصلوا على الحق الكامل، فإن أضداد المسيح كانوا ينادون بوجود حق أسمى مما عرفه القديسون من قبل وإن هذا النور الجديد الذي يبشرون به كان بحسب ادعائهم هو الجعالة العليا بحيث أن عدم الحصول عليه كان من شأنه أن يشكك الإنسان فيما إذا كان مسيحياً على الإطلاق.

وعلى الضد من هذا كانت غاية الرسول أن يؤكد للقديسين الأحداث أنهم هم أنفسهم ممسوحون بالروح وأنه من امتيازهم أن يثبت فيهم ما سمعوه من البدء وأن يحكموا على كل نور جديد – رغم كونهم أحداثاً – بمقتضى ما لديهم من حق قديم وعلى ذلك فكل كلام عن نور جديد يجب أن يعتبر إشارة خطر لكل قديس، وبخاصة لأحداث لأنهم معرضون أكثر من غيرهم لأن يصدقوا الوعد بشيء جذاب وعظيم لم يحصل عليه بعد الناس الآخرون. ولكن هب هذا الوعد انقلب إلى أكذوبة: فماذا يكون العمل؟ والواقع أن هذا هو عين ما يجب أن نتوقعه – أكذوبة من العدو – لأنه ليس عند اله من شيء جديد يقوله لنا عن ابنه. فقد أخبرنا بكل شيء، وقد قبلنا الحق في ابنه من البدء. فهو الحق، وبالتبعية كان الحق كاملاً فيه. فكل وعد بحق جديد مهما كان إنما هو خديعة من الشيطان.

إذن فالرسول يشدد هنا على موضوع البر العملي كأمر بالغ الأهمية لكونه مؤسس على النسبة أو العلاقة الجديدة التي أوجدتنا فيها النعمة. وأليس في هذا درساً عظيماً للغاية يجدر بنا أن نتعلمه؟ أن المسيحيين بصفة عامة ضعاف في هذه الناحية، فهم لا يقدرون التقدير الكافي خطورة العلاقات الجديدة التي وضعتنا فيها النعمة وبمن تتصل هذه العلاقات من ناحيتها العليا؟ إنها تتصل بشخصه المحبوب وبالآب، وقد جاء الروح القدس كالقوة الإلهية لتوثيق هذه العلاقات وتحقيقها بواسطة سكناه فينا نحن المؤمنين. وسنرى أن هذه الناحية الأخيرة المتعلقة بسكنى الروح القدس فينا لهذا الغرض يتناولها الرسول ابتداء من آخر الإصحاح الثالث ثم يتجاوزه إلى الإصحاح الذي يليه، الأمر الذي يدل على أن الرسالة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مقسمة تقسيماً منظماً ودقيقاً للغاية رغم أنها مصاغة في أبسط لغة وأن دروسها تتلو بعضها بعضاً في نظام بديع وفي عمق هائل من الفكر والشعور طبقاً لنعمة الله وحقه.

وعلى ذكر النظام والترتيب يجدر بنا أن نسوق الملاحظة الآتية. إن بعضاً منا لا ينسون العهد الذي كان فيه "النظام" موضع إدانة ونقد شديد بين القديسين والحق أن مرجع ذلك كان المناقضة الملحوظة بين المستحدثات الطائفية الجامدة وحرية الروح المقدسة كما نراها في كنيسة الكتاب المقدس. وربما كان هناك بعض التطرف في استنكار "النظام" بوجه عام إذ قد يشتم منه أن الوضع الصحيح الوحيد هو أن لا يكون هناك نظام. وما من شك في أن الذين بلا نظام أو ترتيب هم قوم يرثي لهم إن كانوا فعلاً بلا نظام. ولكن السؤال الحقيقي الذي كان ولا زال يعترض الباحث في هذا الأمر هو: ما هو نظام الله؟ إن نظام الإنسان خاطئ ومقضي عليه من أساسه، أما نظام الله فحشا لنا أن لا نخضع له خضوعاً مطلقاً. ليس من المهم نوع النظام أو تفاصيله. فالله له دائماً نظامه الخاص كما يشاء من أسف الإنسان دائماً يفوته هذا النظام فيخسر التمتع بما فيه من بركات. إن كلمة الله وحدها هي التي تستطيع أن تعلن هذا النظام وروح الله وحده هو الذي يستطيع أن يعيننا على تنفيذه، وهنا لا يسعنا إلا الشعور العميق والاعتراف القلبي الصادق أن لا شيء سوى نعمته الغنية مكنتنا بقوة عمل الروح القدس في الكلمة من معرفة طريقه الآمنة المستقيمة واكتشافها من بين منعطفات متاهة الخطأ والأضاليل، قديمها وحديثها، فخرجنا بنعمة الله خارج تقاليد الإنسان واختراعات. أما الذين لا تزال هذه القيود تربطهم وتغل أيديهم فيرون طريق الله شاقة غير معبدة، غامضة غير مضمونة، ضيقة، فريسية، وغير ذلك من أوصاف لا حد لها. ولكن كم من سعة قلب ننال، وكم من حرية وقداسة واتضاع قدامه، وكم من بهجة وشبع وسرور عندما نحكم بإخلاص على أنظمة الإنسان في نور نظام الله كما نجده معلناً في الكلمة! أن نظاماً مباركاً يجري في كل سفر وفي كل إصحاح في الكتاب المقدس، وهو نظام تتميز به هذه الرسالة بصورة عجيبة سيما وأنه لا يبدو على السطح بل هو متغلغل في أنسجتها، وهو لحمتها وسداها. وللروح القدس غاية في ذلك كما في كل رسالة أو سفر آخر، وغايته هنا تتركز وتدور حول أعماق وسمو الحق في حياة سيدنا بصورة يندر توفرها في أي رسالة أو سفر آخر ولو في العهد الجديد.

"إن علمتم أنه بار هو فاعلموا أن كل من يصنع البر مولود منه". إن المسلك البار يبرن على مصدر الحياة الجديدة التي هذا مسلكها. وقد نسأل: من المقصود هنا بالقول "هو"؟ طبيعي أنه ما من مسيحي إلا ويقول أن المقصود هو المسيح، وهو قول صائب بكل تحقيق. على أنه يوجد عدد غير قليل من المسيحيين يرى أن "الله" هو المقصود بكل "بار" لأن الولادة منه مشار إليها في نفس القرينة والولادة هي من الله بطبيعة الحال. لسنا ننكر وجاهة هذا السبب في الحالات العادية سيما وأنه ليس هناك من ينكر أن الله بار. ولكن من

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يقول هذا قد فاته إدراك الخاصية العجيبة التي تمتاز بها هذه الرسالة وهي أنه في حالات كثيرة لا يمكن البت بصورة قاطعة إذا كان المقصود هو الله أو المسيح، وأساس ذلك ثمين للغاية، وهو أن المسيح هو الله. وليس في ذلك أي استبعاد للآب، لأن الآب والابن متشاركان في الطبيعة الإلهية، الأمر الذي لا ينكره أي مسيحي، ومن أجل ذلك نرى الرسول، الذي يحلو له أكثر من غيره أن يلهج ويتأمل في طبيعة الله، يسير متنقلاً (إن جاز لنا استعمال هذا التعبير بكل وقار واحترام) وفي تلك الدائرة الجديرة بتعبدنا، متنقلاً من المسيح إلى الله، ومن الله إلى المسيح، ثم يعود إلى الله، مكتفياً بالضمير "هو" من أول الرسالة إلى آخرها.رأينا هذا في مطلع الإصحاح الثاني وها نحن نراه مرة ثانية في ختام الإصحاح، وسنراه مرة أخرى في مستهل الإصحاح الثالث، وهكذا حتى نهاية الرسالة حتى لا يتردد الرسول في أن يقول عن المسيح هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية" ولئن كان العلّامة اللوذعي غير المتجدد يرى في هذا الأسلوب نوعاً من الخلط والاضطراب، فإن المؤمن البسيط يرى في جمال الحق وروعته لأنه يعلم أن هذا هو الأسلوب الوحيد اللائق لأن المسيح هو الابن المساوي للآب في الجوهر. من أجل هذا رأينا الرب نفسه يشير في (يو ٥: ٢٣) إلى ما يفعله الآب في طريق تكريم ابنه "لكي يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب". فلهذا السبب بالذات، أي لأن اللاهوت صفة الأقنومين، كان من المستحيل وضع أي حد فاصل بينهما. وما دام كلاهما أقنومين في اللاهوت وعاملين معاً في المحبة، فإن الرسول يتنقل هكذا قصداً من الواحد إلى الآخر بطريقة غير محسوسة "إن علمتم أنه بار هو فعلموا أن كل من يصنع البر مولود منه". ولئن كنا نميل بكل بساطة لأن نقول أن الضمير في الشق الأول من العدد يشير إلى المسيح، فبنفس البساطة نقول أن الضمير في الشق الثاني يشير إلى الله.

وما من شك أن الكتب الملهم كان يستعمل هذا الأسلوب الكتابي غير المألوف مدفوعاً بباعث إلهي، والذي يحملنا على استخلاص هذه الحقيقة أنه لم يستعمله مرة عارضة بل هي عادته خلال الرسالة بأجمعها مما يدل على أنه كان يستعمل هذا الأسلوب عن قصد وعمد وفي غير أدنى ترد. نحن نعرف أن أي كاتب مدقق في الموضوعات العادية يحرص على مجانبة مثل هذا الأسلوب، فإن الكاتب الأديب يفاخر كمبدأ عام بأن أسلوبه من اليسر والبساطة والوضوح بحيث لا يمكن لأقل الناس علماً أن يفوته المقصود من أي ضمير. ولا شك أن الرسول لم يكن من أولئك الذين يصيغون كتاباتهم في أقوال غامضة لكي يظهروا للناس بأن تفكيرهم من النوع العميق، ولكن مما لا ريب فيه أن أساسه الذي أقام عليه أسلوبه الخاص في هذا العدد وأمثاله من الرسالة هو اللاهوت الذي يتعادل فيه الآب والابن. وفي هذا الميدان، أين الحكيم، أين الكاتب، أين مباحث هذا الدهر؟ إن يوحنا ما كان ليرضى أن يضع الابن الوحيد في مستوى الإنسان العادي الذي يخضع لمقتضيات أساليب الكتابة البشرية، والسبب بسيط هو أنه الله . صحيح أن يوحنا يعلم أنه له المجد قد صار إنساناً في

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

نعمته التي لا حد لها، ولكنه في ذلك يأبى أن يضع حداً فاصلاً بين ناسوته ولاهوته، بل هو يقصد بأسلوبه المتعارض في ظاهره، المتناسق في حقيقته، أن يقودنا لأن نرى، في هذا الخلط الظاهري كيف كان يجب أن يقدم الله المسيح هكذا متحدين بحيث لا يستطيع الإنسان أن يفصلهما عن بعضهما بلغته البشرية مقتضياتها.

"إن علمتم أنه بار هو فاعلموا أن كل من يصنع البر مولود منه". كيف استطاع أن يتكلم بهذه الصورة؟ ذلك لأن القديس مولود من الله وله حياة المسيح. ها هو الحق الأساسي الذي يخلل الرسالة كلها، وقد ترتب على إعطاء المسيح حياته لنا أن صار "المسيح حياتنا" ومن أبرز مميزات حياة المسيح، كما تجلت في كل خطواته، البر المطلق الكامل. وهو الحياة التي صارت حياتنا، الحياة الوحيدة التي نجرؤ أنة نفتخر بها. وهي حياة إلهية لأنها من الله الذي في نعمته الثانية أعطانا أفضل وأسمى وأشرف وأعز وأكمل حياة وجدت. هذه الحياة كانت في الابن منذ الأزل، وهو يعطيها لنا الآن حتى كما أنه بار هو، هكذا كل من يصنع البر يظهر ويبرهن أنه مصدر هذا البر في شخصه المحبوب.

ومن أسف أن قوماً يرتابون في هذا الأمر وقد فاتهم أن ريبتهم هذه هي في الحقيقة ريبة في المسيحية ذاتها. هذا هو في الواقع معناها، ولا يخفف من واقعها ما قد يتعللون به من مبررات ومعاذير لأن الخطأ واضح وأساسي وخطير بحيث لا يمك ن التخلص منه بالاستناد على غموض في الأسلوب أو بأنه جانب من الحق أساء فهمه الآخرون. أنه خطأ قاتل يقتضي استنكاراً ودحضاً ويتطلب جهوداً مخلصة متواصلة لإنقاذ كل من سقط في شرك مهلك كهذا فهنا نرى بكل جلاء ووضوح بأن السلوك البار هو الدليل القوي على أن الحياة مستمدة من مشاركتنا في الطبيعة الأدبية مع المسيح، حتى كما أن المسيح بار يقال عن الذين يسلكون بالبر أنهم مولودون من الله فمن الواضح للجميع أن هذا العدد لا يتعرض للتبرير بل يتناول البر العملي. صحيح أنه بفضل ما عمله الله بالمسيح إذ جعله خطية لأجلنا كفارياً قد صرنا بالإيمان بر الله في المسيح. هذا حق لا شك فيه، هذا هو مقامنا بالنعمة، غير أن العدد الذي أمامنا يتناول سلوكنا ونحن متبررون، والرسول يشدد على إبراز هذه الحقيقة البالغة الأهمية والخطورة وهي أن البر العملي هو الانسجام والتوافق مع نسبتنا للمسيح وغير منفصل عن ولادتنا من الله.

تلك هي صفة وطبيعة النسبة أو العلاقة الجديدة المعروضة أمامنا، نحن مولودون من الله، ونحن أولاده. وهل يخطر ببالنا وجود ذرة واحدة من عدم البر في الله أو المسيح فكما أن كل من يصنع البر مولود من الله، كذلك يسوغ لنا أن نقول أن كل من ولد من الله يصنع البر. والأمر هنا ليس مجرد كلام أو ادعاء، بل عمل ليس وظيفة أو مركز تدل عليه شارة ظاهرية أو طقس من الطقوس بل حياة عملية تحققها النعمة بطبيعة جديدة تظهر آثارها في سلوكنا الذي يدل على أن مصدرها تلك الطبيعة الجديدة وليس شيئاً آخر. والحق أنه لا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يوجد ما يؤثر على الضمير أكثر من هذه العبارات حينما تكون النفس حاصلة على حياة جديدة من الله. وقد كتبت للإيمان وليس للتشكيك، ولو أنه قصد بها بكل يقين أن تؤثر على الضمير تأثيراً قوياً، فإن البر معناه الانسجام لا تسمح بأقل عبث أو استخفاف بالخطية.

غير أن العدد التالي مباشر (وهو العدد الأول من الصحاح الثالث) فيبين لنا حاجتنا إلى أكمل نعمة. فبقدر ما نشتاق أن يكون للضمير تأثيره الحر المخلص بقدر ما نحتاج إلى الراحة التي تهبها النعمة الكاملة. من أجل هذا نرى الرسول يقدم لنا هذه النعمة الغنية في اقتضاب ملحوظ وغايته من ذلك إبراز علاقتنا الجديدة في محبة الآب، ليس فقط باعتبار هذه العلاقة أساساً لسلوكنا بل لأنها لازمة أيضاً لاستمتاعنا محبة الآب التي تسمو على كل ما يتصوره الفكر البشري والتي تصل بنا إلى أسمى النتائج وأمجدها. ولئن كان هذا العدد يتضمن بحسب الظاهر حديثاً انتقالياً خاطفاً، على غرار ما نجده أحياناً في كتابات رسولنا، إلا أنه بحكمة إلهية لأن النعمة التي يطالعنا بها هي عين ما يعوزنا يومياً "انظروا أية محبة أعطانا الآب". فليس مقياس هذه المحبة هو العجيب فيها فقط بل ونوعها أيضاً. لقد بانت وتجلت في هذا، أن الآب أعطانا هذه المحبة اللانهائية "حتى ندعو أولاد الله" ولاحظ دقة التعبير في قوله "أولاد" وليس "أبناء" إن يوحنا يستخدم عادة كلمة "ابن" بالنسبة للمسيح فقط – ليس لأنه غيور على مجد المسيح فحسب بل أن حرصه الشديد على الحق المعلن قاده لأن يقول أننا أولاد الله دون أن يتعرض لبنوتنا. وعلى أية حال فإن كوني ولداً في العائلة أوثق بكثير من كوني ابناً متبنى. نحن أبناء بالتبني ولكننا أولاد تربطنا بالآب أوثق رابطة عائلية ولو أن أساس كلتا العلاقتين هو الابن إذن فهذه الصورة العجيبة من المحبة قد أعطت لنا حتى ندعى أولاد الله.

"من أجل هذا لا يعرفنا العالم لأنه لا يعرفه" يا له من شرف عظيم أن نقاسم المسيح جهل العالم له ! إن مقامنا وطبيعتنا ووثاقة قربنا لله أمور لا يعرفها العالم ولا يفهمها. لكن دعنا من العالم وهلم بنا نسمع ما يقوله لنا الرسول الملهم "أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله" وهو توكيد خطير يجب أن تعرفه النفوس لأن كلمة "الآن" الواردة فيه هي في الواقع من الأهمية بمكان فليس فقط أننا أولاد بل "الآن نحن أولاد" وهي عبارة جديرة بانتباهنا بالمقابلة مع العبارة التي سبقتها مباشرة وهي أنه "من أجل هذا لا يعرفنا العالم لأنه لا يعرفه" ويا له من تشابه عجيب مع سيدنا توحي به إلينا هذه العبارة المؤثرة! أن العالم لم يفهم المسيح وهو كذلك لا يفهم المسيحي. والواقع أن الإنسان لا يمكن أن يدرك المسيح إدراكاً صحيحاً مهما ادعى ذلك. ليس أحد غير الآب يعرفه معرفة كاملة. ولئن كان العالم قد عرف الشيء الكثير من كلام سيدنا ومن حياته إلا أنه لم يسعه رغم ذلك إلا أن يبغضه. من أجل هذا السبب ولأسباب أخرى كان مجهولاً من العالم الذي لم ير فيه شخصاً يستحق أن يكون موضع الاحترام والتكريم والمحبة. كان في نظر العالم لا شيء، هذا هو عين تقدير العالم للمسيحي

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الأمين. فكما أن النعمة قد أعطتنا أن نشاركه في علاقته بالآب كذلك من واجبنا وامتيازنا أن نشاركه في رفضه هنا من العالم وكما كان قوة مجهولة في العالم، كذلك نحن. أفلا ينبغي علينا أن نعتبر ذلك شرفاً عظيماً لنا؟

إن العالم كما نعلم يكافح كفاحاً لا هوادة فيه سعياً وراء السلطان والصيت والراحة واللذة. وليس هناك ما يجمع معظم الناس على تقدير أكثر من المال الوفير أو ما يشاكله من أمجاد العالم ومفاخره. ولعلي لا أقسو إذا قلت أن هذا هو حال الكثيرين من المسيحيين. أما المسيح فلم يكن يفعل هكذا – ليس فقط إنه لم يسع مطلقاً وراء هذه الأباطيل بل كان دائماً يرفضها. كان دائماً العبد المخلص والخادم الحقيقي على الأرض حتى لقد تسنى له أن يقول "كما أرسلني الآب الحي وأنا حي (أو أحيا) بالآب فمن يأكلني (طعام الحياة) فهو يحيا بي" (يو ٦: ٥٧). ومن هنا نرى أن محبة الآب ومحبة العالم على طرفي نقيض، أو أن كلاً منهما ضد الأخرى على خط مستقيم. فحيث لا توجد محبة الآب، هناك تبرز محبة العالم، وحيث تستقر محبة الآب تختفي محبة العالم. إن العالم تجاهل سيدنا، وكذلك هو يتجاهل الأمناء – وأقول الأمناء لأن هذه هي الصفة التي يجب أن يكون عليها أولاد الله حقاً وهل لدى العالم من طريقة يعبر بها عن شعوره أكثر وأقوى من تجاهل سيدنا وشعبه التجاهل التام وعلى طول الطريق. إن العالم يعتقد في نفسه الكفاية التامة لأن يستغني عنه وعن خاصته. فهو وهم سبب قلق وانزعاج للعالم، لا أكثر ولا أقل.

"أيها الأحباء" – ويحلو لنا أن نكرر هذه الكلمة، لأن الرسول يستخدمها هنا قصداً كما سبق واستخدمها قبلاً. إنه يزمع أن يتكلم عن نسبتنا الحالية الرفيعة وعن رجاءنا العتيد المجيد الذي ليس لغير محبة الآب أن تهبه. "أيها الأحباء، الآن نحن أولاد الله ولم يظهر بعد ماذا سنكون ولكن نعلم أنه إذا أظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو (ع ٢). وهنا ترد "إذا" مرة أخرى، وهي ليست "متى" بل كلمة مختلفة لا يمكن بحال من الأحوال التدليل على أنها جاءت بمعنى "متى" في أي مكان. ولكن كلمة "إذا" وإن بدت غريبة على نوع ما لقلة استعمالها فإنها في محلها تماماً كما سنرى. فلو أننا استبدلنا بها كلمة "متى" وجعلنا العدد هكذا "ولكن نعلم أنه متى أظهر نكون مثله" فقد يعطي هذا التعبير فكرة خاطئة فيما يتعلق بالوقت الذي سنكون فيه مثله ولا شك أن الوضع بهذه الصورة كان خليقاً أن يحير الكثيرين ويربكهم، لأننا نعلم من (١ كو ١٥: ٥١ و ٥٢، ١ تس ٤: ١٦ و ١٧، ٢ تس ٢: ١)، إن تغييرنا سيتم في لحظة مجيئه أو حضوره لأجلنا. حينئذ تتغير أجسادنا لتكون على صورة جسد مجده ونكون مثله. فإذا كنا نصير مثله عند مجيئه فإننا بكل يقين، ومن باب أولى، نكون هكذا حينما يظهر أو يستعلن. وهذا هو المقال والمقصود هنا بالضبط. فإن العالم سيرانا مستعلنين معه مثله، لأن الاستعلان في ذات المجد الواحد سيكون للعالم كله لكي يراه (يو ١٧: ٢٢ و ٢٣، كو ٣: ٤) وعندما يتم هذا الاستعلان نكون نحن معه ومثله. ولكن

 All rights reserved © 2008-2018

التغيير لا يتم في ذلك الوقت ولكن قبله. ومن هنا كانت الدقة في استخدام كلمة "إذاً" بدلاً من كلمة "متى" وكأن الرسول يقصد أن يقول أنه أظهر المسيح – ومن المحقق أنه سيظهر – فإننا نكون مثله. ونتعلم من شواهد كتابية أخرى كالتي ذكرناها أننا سنكون مثله قبل أن يضرنا إلى السماء وقبل أن يدخل بنا إلى بين الآب. لأنه بعد ذلك سيأتي من السماء وفي ركابه هؤلاء القديسون. وحين يستعلن هكذا، سنكون مثله، ولكن ليس لأول مرة بل نكون قد سبق وصرنا مثله حينما رأيناه نحن آتياً لأجلنا. وعلى ذلك فإن كلمة "متى" في هذه الحالة كانت تؤدي إلى تضليل خطير، فنحن سنكون مثله لدخول السماء كما سنكون مثله للخروج منها.

فما أسماها امتيازات هذه، أيها الإخوة الأحباء! وإزاءها ماذا نقول عن أمانتنا وتكريسنا الآن؟ على أنه مما لا شك فيه أن قرار قلوبنا وشوقها هو أننا إذ نسمع صوته نتبعه، وأننا على قدر تفرسنا في المسيح بالإيمان ومشغوليتنا به نتغير في الوقت الحاضر من مجد إلى مجد كما من الرب الروح. ولكنه لا يقال مطلقاً إننا مثله الآن قد نتشبه به كمن تألم لأجلنا تاركاً لنا مثالاً لكي نتبع خطواته. والرسول بولس على قدر ما كان يتمثل بالمسيح يطلب إلينا أن نتمثل به. ولكن لا يقال عنا مطلقاً إننا مثل المسيح بعد. سنكون مثله عندما نتغير ونخطف ولكن ليس قبل ذلك، وأنه لادعاء جسور أن يزعم احد أنه مثل المسيح الآن. بعد قليل ستأتي وسنكون حينئذ في حالة مجد سيدنا وغير مختلفين مطلقاً عن صورته. فالعدد الذي إمامنا إذن هو تعبير كامل وثمين للغاية عن التغيير العظيم الذي ينتظر المسيحيين حينما يأتي الرب لأجلنا، فإنه إذا أظهر – ومن المحقق أنه سيظهر – سنكون مثله لأننا سنظهر في ذات المجد. وسيرى العالم كله هذه الحالة حينئذ. ولكن نتغير حينما نراه لأننا سنراه كما هو. وأليس واضحاً أن رؤيتنا له سوف لا تكون يوم استعلانه للعالم بل في المرحلة الأولى من حضوره حينما يأتي ليأخذنا إليه في الأعالي؟ حينئذ أيضاً نكون مثله. أما ظهوره في المجد – ونحن معه – فستراه كل عين.

ومع ذلك فلهذا الرجاء تأثيره الروحي في الوقت الحاضر، وهو تأثير هام وخطير ومن واجب كل مسيحي أن يتدبره ويعطيه مكانه اللائق به "وكل من عنده هذا الرجاء به، يطهر نفسه كما هو طاهر" (ع ٣). وهذا ليس رجاء في الإنسان بل في المسيح أو بالحري به. رجاء متجه إلى المسيح ومؤسس عليه. بهذا الرجاء به يطهر المسيحي نفسه كما هو طاهر. وهذه النتيجة ذاتها تدل على أننا لسنا مثله الآن. أن المسيح لم يكن بحاجة قط لأن يطهر نفسه، ولكنه قدس أو أفرز نفسه في السماء ليكون النموذج الأعظم لنا ونحن على الأرض، حتى نكون نحن أيضاً مقدسين أو مفروزين للآب بالحق أو في الحق (يو ١٧: ١٩) ولكن علينا أيضاً أن نطهر أنفسنا على الأرض لأنه بجانب ملكيتنا لحياة المسيح فإنه فينا أيضاً الطبيعة القديمة التي علينا أن نقاومها ونميتها ونخضعها حتى لا تظهر بطرقها الشريرة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

من أجل هذا كان علينا أن نطهر ذواتنا من كل دنس يجلبه علينا عدم سهرنا وتقصيرنا في الصلاة، ونطهرها "كما هو طاهر" لأن المسيح هو مقياسنا. لقد كان دائماً طاهراً طهارة مطلقة. وهذا أيضاً ينطبق انطباقاً كاملاً على الله لأن الله نور، وهو الطهارة عينها، الأمر الذي لا يشك فيه مسيحي قط، ولكن المسيح هو المشار إليه هنا وهو طاهر أيضاً نفس هذه الطهارة المطلقة، وهذا ما يجعل الأمر عجيباً وإن كان مؤكداً، لأن المسيح كان إنساناً حقيقياً ولكنه رغم كونه ولد من امرأة، فإنه الطهارة في أسمة درجاتها.

هذا يقود بطبيعة الحال إلى الكلام عما هو عكس الطهارة على خط مستقيم إذ يحدثنا الرسول حديثاً هاماً وخطيراً عن ماهية الخطية وحقيقتها (ع ٤). وهنا أقرر أني أكاد لا أعرف عدداً في العهد الجديد كله قد أسيء فهمه وانحرف به الناس عن معناه الحقيقي مثل هذا العدد الذي نحن بصدده، ولا شك أن السبب الذي أدى إلى هذا الخطأ وجعل له قبولاً في مسامع الناس هو محاولة تهويد المسيحية. أو لسنا نرى كثيراً من الطوائف النصرانية على اختلافها تعتبر ناموس قانوناً للحياة المسيحية؟ إن المسيح هو قانون الحياة المسيحية الحقيقي، وكلمته هي دستورها في كل تفاصيلها. أليس (يو ١: ١٧) يفارق بين الناموس وبين "النعمة والحق اللذين بيسوع المسيح صارا"؟ أما الناموس، على عكس ذلك، فهو خدمة موت ودينونة (٢ كو ٣: ٧ - ٩). هو ناموس الموت للخاطئ، وقد دل على أنه كذلك للإسرائيلي. ليس فقط الناموس الطقسي بل بالذات الكلمات العشر المنقوشة في ألواح حجرية كما يقول الرسول بولس.

"كل من يفعل الخطية يفعل التعدي أيضاً. والخطية هي التعدي". هذا لا يعني مطلقاً أن الخطية هي تعدي الناموس. ومع ذلك فإن كثيراً من الكتب المسماة "تعليم أصول الدين بالسؤال والجواب" تحدد الخطية وتعرفها بأنها تعدي الناموس. ولكنه تعريف خاطئ من كل الوجوه، وهو ليس ما يقصد إليه الرسول مطلقاً فالكلمة الأصلية معناها الإباحة أو فعل الإرادة الذاتية أو عدم التقيد بأي ناموس كان (Lawlessness) وهي كلمة تذهب إلى ما هو أعمق وأدهى وأوسع مدى من كسر الناموس، فهي تعني ليس فقط العمل الشرير في ذاته بل نشاط إرادة الطبيعة العاصية، ولذلك فإنها تنطبق انطباقاً كاملاً حتى على الذين لم يسمعوا شيئاً عن الناموس والذين ينقادون إلى إرادتهم الشريرة بلا حاجز. وإلا فكيف يسوغ أن نتهم أناساً بتعدي الناموس لم يسبق لهم أن سمعوا حتى عن وجوده؟ لذلك فمن الصعب أن نسمى شرهم تعدياً على الناموس. إن خطية التعدي على الناموس يعبر عنها بعبارات أخرى صريحة تختلف كل الاختلاف عن الكلمة الأصلية التي يذكرها الرسول هنا والتي تعني "صنع الإرادة الذاتية".

وإني افترض أن كل مسيحي فطن قد سمع المعنى الصحيح المقصود من هذا العدد لأن كثيراً من خدام الله ظلوا ينادون به سنين عديدة وبإصرار يحمدون عليه فالخطية ليست

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مجرد الشهوات الجسدية والعالمية التي حذرنا الرسول ضدها في العدد ١٦ من الإصحاح الثاني. إن العبارة هنا ذات شقين متبادلين أولهما أن "الخطية هي التعدي" وثانيهما أن "التعدي هو الخطية"فالخطية تبعاً لذلك هي صنع الإرادة الذاتية سواء كان ذلك ناتجاً عن الجهل بإرادة الله أو عن عدن الاكتراث بها. وهنا ليس المقصود صنع خطية معينة بل "فعل" الخطية فماذا يفعل سوى الخطية؟ كيف يتجنبها طالما هو لا يزال خاطئاً؟ إن الخطية هي حالة طبيعته. وإذ هو ساقط – ولا أكثر – فلا يسعه إلا أن يخطئ. إنه لا يفعل البر، وهو أبعد ما يستطيع عن القداسة، ولا يفعل سوى الخطية. وكل من يفعل الخطية (سواء كان يهودياً أو أممياً) يفعل المعصية أو الإرادة الذاتية. أما اليهودي فيضاعف جريمته لأنه بخطيته يكسر الناموس أيضاً ، في حين أن الأممي الذي هو "بلا ناموس" فيكفي أنه يفعل إرادته الذاتية لكي يحسب خاطئاً ولو أنه لا يمكن أن يتهم بتعدي الناموس. والكتاب لا يصف الأمم هكذا بل ينعتهم بالقول "أمم خطاة" وإلا فأين نقرأ أنهم وصفوا بهذا الوصف كما نقرأ عن اليهود؟ ومع ذلك فهم جميعاً مذنبون. جميعهم تمموا إرادتهم وعملوا مشيئات الجو للإنسان ليفعل ما يسره، وما فعله لأنه يحبه، ولكن من يجرؤ على مقاومة الله؟ إن الله لا يشمخ عليه، ،لا بد أنه سيأتي به يوماً ما إلى الدينونة لقاء ما فعل. قد يصم أذنيه الآن، ولكن الأمر سيكون مرعباً له في يوم آخر.

من هنا نرى أن الإباحة أو إتمام الإرادة الذاتية تعني ما هو أكثر من التعدي، سيما وأن عبارات كثيرة ذكرت في الكتاب عن تعدي الناموس، مثال ذلك ما ورد في (رو ٢: ٢٣، ١٩، عب ٢: ٢، ٩: ١٥)، أما الكلمة الأصلية في العدد الذي أمامنا فمعناها الإباحة أو عدم التقيد بأي إرادة أو ناموس وهو معنى يختلف كل الاختلاف عن تعدي الناموس.

ثم أن الجزء الأخير من العدد "والخطية هي التعدي" يجلو هذا المعنى لأنها تتناول كل شخص خاطئ وكل حياته إذ هي سلسلة إباحة وعمل الإرادة الذاتية. ولكن مثل هذا الشر هو نقيض المسيح على خط مستقيم. لذلك نرى الرسول يسارع فيذكره في العدد التالي (ع ٥) دون أن يسميه صراحة "وتعلمون أن ذاك أظهر لكي يرفع خطايانا وليس فيه خطية" إذن فهو قد أظهر لكي يرفع خطايانا – ليس فقط لكي "يحملها" كما في (١ بط ٢: ٢٤) بل لكي يرفعها وقد أتم الأمرين بعملية واحدة إتماماً كاملاً. ولا ريب لدينا في من هو المقصود بهذا ومن هو الذي تألم هكذا. ليس هو الله الآب، بل الابن وليس غيره، الرب يسوع هو وحده الذي حمل ورفع إلى الأبد خطايانا على الصليب. وهنا يستبعد الوحي كل فكرة ترمي إلى إلصاق هذه العملية بكل حياته فهو قد حمل خطايانا ورفعها أثناء وجوده على الصليب فقط. عملية وقتية لم تستغرق سوى ساعات معدودة ولكن أثرها يدوم على الدهر وكفايتها تبقى إلى الأبد. أما عن حياته فهناك القول "وليس فيه خطية" هذا ينطبق على شخصه العزيز طوال حياته من ولادته إلى أن مات وقام وصعد إلى المجد السماوي.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ليس بين المؤمنين من يشك في أن هذا الوصف صحيح فيما يتعلق بحالته الإلهية كالابن الأزلي، غير أنه لم يخل الحال بكل أسف من شكوك أثارها البعض فيما يتعلق بناسوته بسبب ولادته من مريم وبرغم معجزة التجسد (لو ١: ٣٥) ولكن ها هو الوحي يقول "ليس فيه خطية" – لم يكن فيه ولن يكون ولا يمكن أن يكون. ففي المسيح هنا على الأرض تجد الصورة المضادة للخاطئ على خط مستقيم، فإن الخاطئ ليس فيه سوى الخطية. وحتى في عواطفه وكل أفكاره لا يوجد الله بل ذاته. وهذه ليست المحبة التي كانت في الله وفي المسيح والتي يستمدها المسيحيون من شخصه الكريم. قد نرى في بعض الناس عواطف الوداد والإيناس. ولكن حتى هذه نجدها في بعض الحيوانات كالكلاب أو القطط لأنها ليست جميعها شرسة. إن نفس الإنسان خالدة تعطي لعواطفه صفة أسمى وأنبل من الحيوان، ولكن الإنسان خاطئ في حين أن الوحوش ليست خاطئة!! ومع ذلك فإن للإنسان نفس خالدة، بغض النظر عمن يكون هو أو هي. ولهذا السبب سيأتي يقين إلى الدينونة. أما الكلب أو أي حيوان آخر فلا. الإنسان وحده، من بين ساكني الأرض جميعاً، هو الذي سيدنا. أنا هنا لا أتكلم عن الملائكة، فإن الملائكة الساقطين سوف يدانون هم أيضاً. ولكن من بين جميع الكائنات الأرضية، الإنسان وحده هو الذي تكوّن هكذا، أي بنفس خالدة ومن أجل ذلك هو المسئول مباشرة أمام الله.

إذن فنحن هنا أمام هذه الصورة الصحيحة الفريدة للمسيح – ليس فقط إنه كان بلا خطية بل إنه جاء لكي يرفع خطايانا مهما كلفه الأمر. وفي الواقع نحن مدينون بكل شيء للمسيح ومن واجبنا أن نحرص كل الحرص لكي يكون سلوكنا متفقاً مع علاقات النعمة التي صارت لنا الآن بفضل عمله فينا ولأجلنا عالمين أن "كل من يثبت فيه لا يخطئ". أما إذا رأينا إنساناً لا يثبت فيه بل ينحرف إلى مسالك ضالة، فهل نعجب إن هو أخطأ إنه حينئذ لا يكون سالكاً كمسيحي إذ هو لا يثبت في المسيح. أي نعم. ارني شخصاً واثقاً بالرب متكلاً اتكالا قلبياً عليه مبتهجاً وفرحاً في شخص ابن الله، أريك فيه شخصاً لا تزل قدماه، فما من شيء يحصن المؤمن ضد الخطأ ويحفظ قدميه من الزلل سوى الثبات في المسيح، لأن "كل من يثبت فيه لا يخطئ. كل من يخطئ لم يبصره ولا عرفه". إن الرسول يتكلم هنا عن الطبيعة الجديدة وعن الحياة من حيث المبدأ. فهو ينظر إلى الإنسان في نور طبيعته الجديدة لا غير، أما الطبيعة الأخرى، الطبيعة القديمة، فهي مصدر خجله ومبعث حزنه، وهو يدين كل مظهر من مظاهرها إدانة كاملة سواء في نفسه أو في رفقائه المسيحيين. لكن الطبيعة الجديدة تتميز بالمسيح وهي لا تخطئ ولا تستطيع أن تخطئ.

"كل من يخطئ لم يبصره ولا يعرفه". إن ارتكاب الخطية يتنافى مع حب المسيح حبا صادقا. والمقصود بالخطية حالة الاستقلال الذاتي التي يعيش فيها الإنسان البعيد عن الله. هذه طبيعته وهذه عادته، فالخاطئ شخص لا يبصر المسيح ولا عرفه. فلو انه قبل المسيح

 All rights reserved © 2008-2018

فعلا كابن الله، لأمن به. ولو انه عرفه كهذ ا، لحصل على حياة فيه، ومن ثم كان يبغض الخطية، ولو انه حصل على حياة فيه وبذلك صارت له هذه الطبيعة الجديدة المقدسة التي لا تنفر من الخطية وتنكرها، لكان يتطلع على الدوام إلى المسيح ويعتمد عليه لكي يصونه من الشر ويحفظه بارا كما هو بار. أما بدون المسيح فلا يستطيع الإنسان أن يفعل شيئا ولا أن يثمر لله. قد يبقى الشخص المتجدد بعض الوقت مربوطا بربط الذات مشدودا إليها ببعض التعاليم الخاطئة وقد يبقى تبعا لذلك ضعيفا، شقيا كما في رو ٧ :٧ – ٢٤، لكنه حينما يتخلى بالنعمة عن الذات كشيء رديء لا رجاء فيه ويستعيض عنها بالمسيح في قوة المنقذ ة، فعندئذ يتحرر من ناموس الخطية والموت ويتمتع بالحرية المسيحية. إن الرسول بولس وحده هو الذي تناول عملية الإنقاذ والتحرير بالشرح الوافي والتفصيل الكافي. أما يوحنا فيتجاوز هذه القضية وينظر إلى كل عائلة الله كحاصلين على السلام الثابت وقائمين على الأساس المسيحي الصحيح. حتى الأطفال فيهم، وذلك لان الحياة الجديدة في المسيح هي موضوعه الرئيسي.

ومن هنا كانت الناحية الثمينة لشهادة الرسول يوحنا التي يستمدها من قول الرب في يو ١٤ :٢٠"في ذلك اليوم (وقد بدأ من يوم الخمسين) تعلمون أني أنا في أبى وانتم في وأنا فيكم". فإذا كان هذا نصيبا فعلا فقد صارت لنا "أنا" الجديدة ليس بعد في الجسد والخوف من الدينونة المفزعة بسب فشلي، بل في المسيح المقام الذي هو حياتي في الروح. ولكن علينا أن نحذر من الظن أن هذا التغيير هو مجرد إدراك عقلي أو معرفة ذهنية بل هو امتلاك فعلى حقيقي لفكر المسيح و حياة المسيح بحسب الروح، ولا هو الناموس طالبا مني ما هو صواب وحق بل ناموس روح الحياة في المسيح يسوع الذي حررني من الناموس الخطية والموت.

واضح أن الرسول يذهب الأعداد إلى ما هو أبعد من الشهوات وغرور الناس بدون المسيح كما رأينا في الإصحاح الثاني. فهو هنا يقدم المسيح لجميع القديسين في طهارته المطلقة المنزهة عن الخطية وفي خدمته لرفع خطايانا. كذلك هو يصور لنا أصل الخطية تصويرا كاملا، مشيرا إلى رئيسها وقائدها الشخصي بكل وضوح، ذلك الرئيس الذي تنعكس كبرياؤه واستقلاله العاصي عن الله في أولئك الذين يقال عنهم"من إبليس" (عدد ٨). ولكن هاهو الوحي بجانب ذلك يؤكد لنا أن ذاك الذي أظهر لكي يرفع خطايا خاصته قد أظهر أيضا لكي ينقض أعمال إبليس، وهي عملية تتجاوز خطايا الإنسان وتتناول كل نشاط خبيث أو سعي ماكر الإهانة الله وإيذاء الإنسان. وهنا لا يفوتنا أن نرى بوضوح أن ابن الله يقف شخصيا في هذه المقابلة ضدا لإبليس كما أن محبة العالم تقف موقف العداوة السافرة لمحبة لآب في الإصحاح الثاني.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وفي العدد الثالث من إصحاحنا يتجلى السبب السري في هذا الفارق الكلي" كل من هو مولود من الله لا يفعل خطية لأن زرعه يثبت فيه ولا يستطيع أن يخطئ لأنه مولود من الله" فليس الأمر في ما بعد أمر الإنسان الأول، مشيئة الجسد أو مشيئة الرجل. لا هذا ولا ذاك فاللحم والدم ليس فيهما ما يمكن أن يكون مصدرا للحياة الجديدة على الإطلاق. قد يكون هناك شيء من الإقناع الأدبي ولكن الإقناع الأدبي مجرد من القوة ككل فريضة أو وصية دينية لان " المولود من الجسد جسد". فلا بد من أن يولد الإنسان من الله. ولكن هذه الولادة هي بالإيمان بابنه موضوعيا، أي كغرض القلب ورجاء النفس، ويعمل روحه بالكلمة داخليا كزرع الحياة. على هذا المنوال يولد المؤمن من الروح. وهنا يصدق القول أيضا أن المولود من الروح هو الروح (يو٣:٦) طبيعتان مختلفتان كل الاختلاف من حيث مصدرها وهدفها، ولا يحتملان أي تبديل أو تحسين أو اختلاط أو تعديل - كل منها تبقى محتفظة بعناصرها وميولها وأهدافها تبعا لي لأصلها ومصدرها.

فليس الأمر مجرد تبرير بالإيمان ولا هو أيضا مجرد تطهير القلب بهذا الإيمان صحيح أن عمل الرب الكفارى لأجل الخاطئ وعمل الروح القدس فيه أمران حقيقيان لا شك فيهما. غير أن هناك ما هو أكثر من ذلك هنالك حياة جديدة ليست من الإنسان الأول بل من الثاني، حياة توهب للخاطئ لأول مرة عند إيمانه بالفادي وقد كان إلى ذلك الوقت ميتا روحيا كما علم الرب في (يو ٥: ٢٤ و٢٥) بصراحة وجلاء. هذا ما يفسر لغة الرسول هنا في قوله أن المولود من الله لا يخطئ، فهو ينظر إليه بموجب الطبيعة الإلهية التي أعطته النعمة أن يكون شريكاً فيها (٢بط ١:٤) والمفروض فيه أنه يرفض ويبغض طبيعته القديمة، طبيعة الخطية، ويحيا الحياة الجديدة التي له في شخص الابن، ساهراً ضد مكائد إبليس وتجاربه وغواياته العديدة المنوعة التي يؤثر بها على الإنسان العتيق.

فباعتباره حاصلاً على حياة المسيح أصبح مسئولا أن يميز حركات الطبيعة القديمة ويبغضها ويقمعها، ومع ذلك فهي ليست مسؤولية ثقيلة مفروضة عليه فرضا ًبل هي طبيعة أمينة لنفسها كما هو شأن الطبائع وتكوينها. وبما أن الطبيعة الجديدة هي الآن طبيعته المعطاة له من الله فهو يحيا طبقاً لها. لا شك إنها تختلف في ماهيتها عن الخليقة القديمة الساقطة غير أن إيمانه يؤكد له أنها لا تقل عن هذه من حيث حقيقتها وجودها الفعلي بل إنها تزيد عنها بما لا يقاس من حيث أهميتها وخطورتها، عل هذا الأساس، وهو أساس حق للغاية، يقال عنه ليس فقط انه " لا يخطئ" بل أنه " لا يستطيع أن يخطئ لأنه مولود من الله". والسبب في انه لا يخطئ هو"لأن زرعه يثبت فيه" أي حياة المسيح الموهوبة له بقوة الله المنعمة، والتي لا تخضع لي الانحلال والموت نظير الخليقة العتيقة. هذه الحياة هي زرعه وهي ثابتة فيه. فالطبيعة الجديدة منزهة عن الخطية ولا تستطيع أن تخطئ، وكل من له هذه الطبيعة في المسيح يتميز بها وحدها مع إغفال الخطية في الجسد باعتبار أن الله قد

 All rights reserved © 2008-2018

سبق ودانها في المسيح الذي جعل ذبيحة خطية على الصليب. هذه هي طريقة العتق الإلهي من ناحيتها السلبية ولكن الرسول يوحنا لا يقول شيئاً هنا عن طريقة العتق الإلهي هذه، ولا عن طبيعتنا الخاطئة التي يجب أن نكتب عليها حكم الموت وإنما هو يحدثنا عن المؤمن متميزاً بالإنسان الجديد، الذي يعيش في ذاك الذي هو مصدره ومتكله الدائم أما حينما يكف المؤمن عن السلوك بالإيمان والاستناد على الرب، فحين إذن تنزلق الطبيعة القديمة أو تسقط في الخطية.

ولكن مع أن الحياة هي لنا فقط في المسيح كمن هو فينا فإنه من المهم للغاية أن نرى كيف يحرص الروح القدس على أن يحفظ شخص الابن قدام عيوننا لكي يحرسنا من فلسفة التأله أو"الحلول" التي شرك الصوفيين أو من العجاب الذاتي الذي هو اكبر شرك في سبيل النفوس التقية، لذلك فأنه يثبت أنظارنا على ذلك الرجاء الأسمى وهو صيرورتنا مثل المسيح حينما نراه كما هو. وهنا يجدر بنا وبالقارئ العزيز أن يلاحظ النبرة المشددة في قول الرسول "وليس فيه خطية" – هذه الحقيقة الثمينة الغالية على قلب المؤمن وهو ينظر إلى الإنسان، المسيح يسوع، كالصورة الفريدة المنيرة اللامعة بالمقابلة مع كل صورة أخرى في الوجود. أي نعم، فكم هي مفزعة وبغيضة لروح المؤمن تلك المحاولة الماكرة من جانب الشيطان الذي جعل البعض يزعمون تحت ستار العطف علينا والرثاء لضعفنا – أنا المسيح لم يكن معصوما لأنه – مع اعترافهم بان الله الحقيقي – تنازل لكي يربط الطبيعة الناسوتية بلا هوته! هذه هجمة خبيثة من هجمات العدو القديمة الجديدة ولكننا لا نجهل أفكاره ويكفينا لصدها واحتقارها قول الوحي الكريم " وليس فيه خطية". وكل قول أو ظن غير ذلك يتنافى مع شخصه الإلهي ويهدم الكفارى من أساسها. ليت الرب يحفظ جميع البسطاء من أضاليل أضداد المسيح، وليته يحفظنا من تحويل أبصارنا عنه حتى ننجو من كل غرور وعثار.

الرسالة الأولى: الخطاب التاسع

ا يو ٣: ٧ – ١٠

"أيها الأولاد لا يضلكم أحد. من يفعل البر فهو بار كما أن ذاك بار. من يفعل الخطية فهو من إبليس لأن إبليس من البدء يخطئ. لأجل هذا أظهر ابن الله لكي ينقض أعمال إبليس. كل من هو مولود من الله لا يفعل خطية لأن زرعه يثبت فيه ولا يستطيع أن يخطئ لأنه

 All rights reserved © 2008-2018

مولود من الله. بهذا أولاد الله ظاهرون وأولاد إبليس. كل من لا يفعل البر فليس من الله وكذا من لا يحب أخاه".

يجمل بنا هنا أن نلخص ما سبق واستعرضناه فيما يتعلق بالمبدأين العظيمين اللذين يتناولهما الرسول في هذه الأعداد بغية إيضاحهما في عبارات مركزة غير مرهقة بالتفصيلات لأنهما في الحق مبدأان عظيمان من كل وجه ولهما من الأهمية والخطورة في حياة المؤمن ما يجعلهما يستحقان منه كل عناية وتقدير ولا عجب إن كان الرسول يقدمهما لنا في عبارات متكررة ومنوعة،مرة سلبياً وأخرى إيجابياً ولو أن العبارة التي يقدم بها المبدأ الثاني تبدو غريبة على بعض المسامع، وهي قوله أن المولود من الله لا يفعل خطية...... ولا يستطيع أن يخطئ. ولكن وإن بدا هذا الأسلوب غريباً على بعض الآذان فمما لاشك فيه أنه قيل بحكم الله وما هو إلا جهلنا الذي يجعله يبدو غريباً ولكن مهما كان مبلغ فهمنا للأمر فلنثق تمام الوثوق أن ما يفعله الله أو يقوله لا بد وأنه دائماً أفضل عمل وأكمل قول.

لقد رأينا في العدد الأخير من الإصحاح السابق أول إشارة صريحة إلى موضوع برنا. والواقع أنه من هناك يبدأ برنا من حيث المبدأ والسلوك ذلك لأننا رأينا الله باراً في العدد التاسع من الإصحاح الأول وأنه لأمر عجيب حقاً أن يقال عن الله هناك أنه أمين وعادل (أو باراً) حتى يغفر لنا خطايانا ويطهر من كل إثم (أو من كل عدم بر) فالشيء الطبيعي الذي يتبادر إلى ذهن الإنسان هو أن يفهم بر الله (أو عدله) على أنه شدته أو صرامته في إدانة الشر، ولكن المسيح بموته الكفاري قد غير كل شيء بالنسبة للمؤمن، بحيث أن غفران خطاياه لم يعد بعد من مجرد نعمة الله بل من مقتضيات بره وعدله وأساس ذلك شخصه الكريم، يسوع المسيح البار، وموته من أجل خطايانا، ذلك الموت الذي كان من آثاره أن استطاع الله لا أن يعاملنا فقط بالنعمة التي لا نستحقها بل أن يغفر – طبقاً لبره وعدله – خطايانا البغيضة على نفسه والتي هي اعتداء صارخ على جلاله. ولكنه حق أيضاً أننا إذا ولدنا من الله صرنا نحن أيضاً نبغض الخطايا ونمقتها فقد تعلمنا أن ندين الخطية نفسها كما ندين أنفسنا من أجل ذنب خطايانا. ألم يتحقق هذا في المؤمن منذ لحظة رجوعه إلى الله؟ أنه يمقت نفسه وخطاياه كما في حضرة الله. قد يعرف القليل ولكنه يعرف هذا القليل معرفة شخصية وحقيقية بواسطة تعليم الله. فإنه إذ آمن بعمل الرب يسوع وقبله في قوة الروح. بل إذ نال المؤمن عطية الروح نفسه، فإنه يستطيع حينئذ ولو كان حديثاً في الإيمان أن يرى الأمور على حقيقتها كما هي في نظر الله، وليس فقط الأمور في نظر الله بل يعرف الله نفسه في محبته الكاملة نحو خاصيته.

غير أننا نرى هنا برنا غير منفصل عن ميلادنا الجديد. وهذا ما يزعج أحياناً المؤمن حديث الإيمان لأنه بالطبيعة يوجه بصره فوراً إلى داخل نفسه وهناك لا يجد أساساً لراحته ولن يجد، فالذي علينا أن نعمله هو أن نبادر أولاً فنستريح على المسيح الذي صار لنا براً. هذا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

هو الاتجاه الصحيح للإيمان إذ لن يجد الإيمان من وراء البحث في داخلنا أي هدف يشبع أشواقه ويستريح عليه بل بالعكس يجعلنا نختبر ضعفنا المطلق ولن نختبر الراحة الكاملة إلا حينما يملأ المسيح أفق العين الروحية فحينئذ، وحينئذ فقط، تكمل قوته في ضعفنا، وعلى الأثر يأتي البر العملي.

في هذا القسم من الرسالة يتحول الرسول إلى عائلة الله في مجموعها وعلى لسانه هذا المبدأ العظيم "إن علمتم أنه بار هو فاعلموا أن كل من يصنع البر مولود منه". لقد لاحظنا فيما سبق أن البر سواء فما يتعلق بالله بحسب قياسه الكامل المطلق أو بنا كمولودين منه بحسب قياسنا الضعيف يعني به في كلتا الحالتين الانسجام أو التوافق مع العلاقة أو النسبة. ومن أجل هذا السبب رأينا الرسول وقد بدأ يحدثنا عن موضوع البر في العدد الأخير من الإصحاح الثاني يتركه إلى حين ويتحول على الفور هاتفاً بتلك الكلمات العجيبة المأثورة في مطلع الإصحاح الثالث "انظروا أية محبة أعطانا الآب حتى ندعو أولاد الله". إذن فهو قبل أن يسترسل في موضوع البر يود أن يقرر علاقتنا الجديدة التي صارت لنا بالنعمة محدثاً إيانا عن محبة الآب الحاضرة وعن المجد العتيد الذي أصبح نصيبنا بفضل هذه المحبة الفائقة عينها إذ سنكون مثل المسيح "لأننا سنراه كما هو. وكل من عنده هذا الرجاء به (أي بالمسيح) يطهر نفسه كما هو المسيح (المسيح) طاهر"، واضح أنه ليس المسيحي هو الذي يقال عنه هنا أنه طاهر وإلا فما به من حاجة لأن يطهر نفسه. أما والمسيح هو المثال، وهو له المجد طهر مطلق الطهر، فإن التناقض في أحد أتباع المسيح لسبب عدم طهارته – مع أن له المسيح كحياته وبره - يجعله يحس أنه لا يسعه إلا أن يطهر نفسه من كل ما لا يليق بشخصه المحبوب. ومن فضول القول أننا إذا أمعنا النظر في سيرنا اليومي فإننا نصطدم بالخيبة في كثير من الأحيان. ولكن مشغولية يوحنا ليست بالقصور كقاعدة عامة بل المبدأ – مبدأ الحياة المسيحية – ومن أجل ذلك هو يرسم هذا المبدأ في كل بساطته كما من حقه أن يفعل.

ولنلاحظ أن هذه في الواقع هي الطريقة الصحيحة لمعالجة أي مبدأ من المبادئ بقطع النظر عما قد يخالطه من طوارئ محتملة أو فعلية فالمبدأ هو مبدأ ولابد من تقريره في كل بساطته أما اللف والدوران ذات اليمين وذات الشمال فلا يديننا من مواجهة المبدأ مواجهة حقيقية لأنه عرضة لأن يضيع من أمام عيوننا بسبب تطلعنا إلى الظروف وهي متغيرة متقلبة. أما المبدأ فهو كل الظروف إذا كان من مبادئ النعمة المعطاة لنا في المسيح ونحن على الأرض. ولسنا نرى في هذا ما يعيننا على تفهم السبب الذي حدا بالرسول في حكمة الله لأن يعلن غنى النعمة المجد بعد أن ابتدأ الكلام عن البر العملي فلا يكاد ينطق جملة واحدة عن البر حتى يهتف قائلاً "انظروا أية المحبة!". ولماذا يتكلم هكذا هنا؟ لأن كل تلك النعمة لازمة لابد منها للبر العملي. إذ كيف يتسنى لهذا البر أن يواصل طريقه المستقيم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بغير هذا النبع الدافع القوى. وكيف يتسنى للمسيحي أن يجد التعزية والتشجيع الكافي في الوسط الذي يعيش به – العالم من خارج والجسد من داخل – وأن يثابر في صنع مشيئة الله بفرح وثقة ما لم يكن له اليقين لمحبة الآب الكاملة؟ إذن فقد جاء ذكر محبته العجيبة في الوقت المعين والمكان المناسب ولو أنه قد يبدو لأول وهلة أنه انحراف عن موضوع البر الذي كان يتكلم عنه من قبل. ولكن حاشا، فقد أراد الرسول، مسوقاً بالروح القدس والحكمة الإلهية، أن يرينا أن لنا في موارد محبة الآب أفضل الدعائم والمقويات للبر العملي.

والواقع إننا لن نستطيع أن نؤدي واجباتنا لله وللآخرين على الوجه الصحيح إلا إذا سمونا بالنعمة فوق مستوى هذه الواجبات. أما إذا سمحت بنفسك بأن تنخفض تحت مستوى واجباتك فلا معدي من أن يصادفك الفشل والتقصير لأنه سيكون هناك بالضرورة بعض أمور لا تستطيع أن ترق إليها وكثيرون من القديسين يقنعون بهذا التقاعس في الطريق فتكون خطواتهم متثاقلة هزيلة ويكفيهم أن يكون لهم رجاء متواضع في أنهم سينجون من الهلاك فتسمع الواحد منهم يقول "إنني برحمة الله أثق متواضعاً أنه سوف لا يلقي بي إلى جهنم وإني من أجل خاطر المسيح سأصل إلى السماء"، بهذا القدر من الرجاء الهزيل يسيرون ي طريقهم وكأن الإنجيل لم يمنح أكثر من ذلك. ولكن هل هذا مما يتفق وعلاقة الولد بأبيه؟ إنه في الواقع دون ما هو معلن هنا بكثير وما هو مقدم للإيمان لكي يملأ المسيحي بغبطة ثابتة وفرح كامل وشبع سرور منذ الآن، هذا هو نصيب المسيحي الموهوب له من الله ولا شيء أقل منه. ولماذا؟ المسيح هو الجواب. عليه يتوقف كل شيء لصالح المؤمن وسبيله لذلك هو الإيمان دون سواه فمنذ أن دخلت الخطية إلى العالم لم نستمد أية بركة من الله عن غير طريق الإيمان، وما من أحد شهد له إلا عن طريق الإيمان بما هو الله في المسيح وقد علمنا أن الله في المسيح هو للمؤمن إله خلاص. نعم فهو وحده يخلص، ولكنه لن يرضى أن يخلص بطريقة أخرى غير الرب يسوع، والروح القدس الذي يمجد المسيح يعمل في المسيحي لكي يختبر هذا عملياً لأن الحق مهما كان مباركاً في حد ذاته، يظل بعيداً عنه بدون قوة روح الله الساكن فيه، ولكن متى استراح الإنسان على المسيح وفداءه فإن الروح القدس يجعل الحق شيئاً فعلياً في الباطن محولاً حتى أقصى الضيقات لفرحنا الكامل ومن الخطأ أن نزعم أنه كان امتيازاً قاصراً على المسيحيين الأوائل أن تكون لهم شركة مع الروس بولس حين يهيب بهم قائلاً "افرحوا في الرب كل حين وأقول أيضاً افرحوا". ولئن كان أولاد الله يتذوقون القليل نسبياً من هذا الفرح الآن، فجميل بنا مع ذلك أن نسائل أنفسنا عما إذا كنا نفعل ذلك أم لا. وليتنا نبذل جهدنا حتى يتحقق فينا وفي إخوتنا ما نقرأه في الكلمة بحسب نعمة المسيح التي لهم ولنا.

هنا إذن نجد العلاقة الجديدة معروضة أمامنا بصورة لامعة. وإلى أي مدى قد سمت هذه العلاقة يا ترى؟ هل أننا فقط صرنا غرباء ونزلاء نظير إبراهيم؟ كلا. صحيح أننا كذلك، أو

 All rights reserved © 2008-2018

يجب أن نكون كذلك، ولكن أليس من مزيد على هذا القياس؟ لقد أفرز إبراهيم عن الأمم لأنهم كانوا وثنيين ولقد دعي هو وعائلته لأن يخرجوا لله ويسيروا معه بالانفصال عن العالم. ولقد احتاجوا في سبيل ذلك إلى حماية ليست بالهينة إذ صار الله نفسه ترساً لهم وسط أعداءهم الذين أبغضوهم بسبب انفصالهم لاسمه الكريم. فلو أنهم امتزجوا بهم وخالطوهم وتزاوجوا معهم كمواطنين متمدنين ولو أنهم شاركوهم في أهدافهم وغاياتهم ومحالفهم. وأمنوهم في محالفاتهم وحروبهم، لأحسنوا وفادتهم وساروا معه على أحسن ما يستطيعون. والمبدأ هو بالنسبة إلينا الآن. غير أن المسيحيين قد خسروا الكثير من أفراحهم الخاصة وميزاتهم المقدسة يوم نزلوا إلى العالم وساهموا في مختلف ميادينه، متأثرين كسائر أهل العالم بعشرة أخلاط الناس ذوي المبادئ الثورية كالبوير والألمان واليابانيين والشيوعيين ومن على غرارهم. ولكن ما لنا ولهؤلاء جميعاً؟ لو أننا مجرد أناس قوميين، إنجليزاً كنا أو مصريين، أو لو أننا مجرد أناس في الجسد لجاز اشتراكنا في هذه الميادين اشتراك الإنسان الطبيعي الخاطئ المجرم الهالك. أما ونحن مسيحيون فلسنا لذواتنا بل قد اشترينا بثمن، قد خلصنا وأتى بنا إلى الله لكي نعيش لا لأنفسنا فيما بعد بل لذلك الذي مات لأجلنا وقام، وقد دعينا لكي نصنع مشيئة الله في الوقت القصير الذي نحياه على الأرض في وسط عالم شرير. إن علاقتنا ونسبتنا لهي أسمى بكثير من ربط الأرض.

كان إبراهيم بحاجة إلى الحماية، وقد وجدها كاملة في الله باسمه الكريم "كالقدير" ويا له من اسم يتفق والعلاقة الجديدة التي أصبح فيها إبراهيم وخاصته؟ لقد كان أعداؤه يعيشون بالقرب منه ويملئون الأرض حواليه وكان من اليسير أن تسلل إليهم الأخبار أن نسله سيرث أملاك الأموريين وغيرهم فما من شك أن كثيراً من الإسرائيليين كانوا يذيعون أن الله قد أعطى كنعان لآبائهم ونسلهم إلى الأبد أو على الأقل كان مجيء إبراهيم وإقامته في تلك الأرض نذير شؤم للكنعانيين وباقي الشعوب هناك، أفلم يكن استقراره في تلك الأرض بمثابة إعلان إخلاء ونذير قضاء؟ وهل من المحتمل أن تلك الشعوب قابلت ذلك براحة وهدوء بال؟ صحيح أن الجنس المختار كان قلة في بادئ الأمر، غير أن ذلك ما كان ليخفي الحقيقة التي ولا شك راحت تظهر وتتجلى كلما تكاثر الشعب واشتد ساعده، سيمتا بعد خروجهم من مصر بتلك الذراع الرفيعة وذلك العمل الفدائي الجبار بعد أن تضاعف عددهم رغم كل الجهود التي قام بها ذلك الملك الخبيث لإبادة الذكور.

ثم جاء بنوا إسرائيل إلى جبل سيناء وهناك، بل حتى قبل أن يصلوا إليه، وفي سياق عملية خلاصهم من مصر – خلاصاً خارجياً طبعاً – أشار الله ضمناً سيعلن نفسه لشعبه باسم جديد، وكان هذا الاسم هو "الرب-الكائن" أو الرب. أما اسم "الآب" فلم يكن ليصدق عليهم لن معظمهم كانوا غير متجددين، فإن المسألة يومئذ لم تكن مسألة تجديد بالنعمة بل أن الله اختار شعباً ليملك عليهم ويحكم، والحكم ليس بحاجة إلى شعب حاصل على حياة إلهية بل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

العكس هو الأصح فإن الحكم يفترض وجود شر يكبته ولذلك اتخذ الله في مبدأ علاقته معهم اسم الحاكم الإلهي إله آبائهم وهاهو الآن يعرف باسم "الرب-الكائن" الرب. لقد تعهد الشعب عند جبل سيناء أن يطيعوا الله كشرط مقامهم أمامه وبركته لهم. لكنه تعالى كان يعلم جيداً أنهم سوف لا يخضعون لناموسه بل سينحرفون أكثر فأكثر إلى التمرد والعصيان. فمن المؤسف والمذل حقاً أن اهتمام الجسد أو الذهن الجسدي لا يعرف إلا مبدأ الإرادة الذاتية ولن يخضه لله بل بالعكس عداوة له ويبغض مشيئته. ولهذا كان من المحقق – وكان موسى يعرف ذلك مقدماً – أن المسألة كلها ستنتهي بالفشل الذريع وأنهم سيتركون الرب ويركضون وراء آلهة غريبة وأنهم لذلك سيطردون من الأرض الجيدة. ويا له من درس تتلقاه الأمم عن شعب كان الله يجري معهم أعظم أعماله ويعاملهم بأوسع مراحمه ولكنهم الآن قد صاروا على عصاة متمردين فحسب بل ملحدين مرتدين استحقوا أقصى أنواع القصاص على مرأى من العالم أجمع وعلى أيدي شر أعدائهم الذين كانوا أداة انحطاط وإذلالهم.

كل هذا أظهرته أعلنته معاملات الرب-الكائن في نطاق العلاقة أو النسبة اليهودية إلى أن ظهر ابن الله. وقد حدث منه بعد ذلك ما هو أشنع وسيحدث ما هو أنكى وأشر في مستأنف الدهور. ولكن ابن الله قد ظهر في صورة إنسان وهي الطريقة الوحيدة التي كان يمكنه أن يظهر بها بالنعمة ليتمم الغرض من ظهوره بل هي الطريق الوحيدة التي كان لابد – طبقا للمكتوب – أن يظهر بها. ذلك لأنه في تلك الطبيعة التي في كل من عداه قد أثمرت الشر باستمرار قد ظهر ابن الله ليس فقط ليأتي بالله إلى العالم بل لي يرفع الخطية من العالم ولو أن ذلك في الواقع ما كان ليتم في الحال ودفعة واحدة. على أن الأنكى والأشر ما أظهره اليهود في شناعة عدم إيمانهم إذ رفضوا الرب يسوع باعتباره مسيح الرب أو مسيا الرب-الكائن في الوقت الذي قدم لهم فيه أدلة ساطعة وبراهين قاطعة على أن المسيا بحق. ومع ذلك فان إرادتهم المتمردة العاصية أبت أن تقبله ولذلك كانوا الأدلة الرئيسية في الإتيان به إلى الصليب الأمر الذي أحجم عنه الرومان الوثنين. لقد كان بيلاطس معروفا بين حكام الرومان بالقسوة والصرامة ومع ذلك فما أعظم الفارق بينه وبين رئيس كهنة اليهود وشيوخهم وكتبتهم وسائر طوائفهم، لا فرق بين جماهيرهم أو مجامعهم، عامتهم أو خاصتهم، فالكل قد ملأهم العداء والحنق ضد مسيحهم وقد أعمت الإرادة الجسدية عيونهم ومع ذلك فهذا ما يسمه الناس "حرية الإرادة".

ولكنها حرية إرادة الشيطان والخاطئ. وإلا فأخبرني أي حق للإنسان، كإنسان، إن تكون له إرادة حرة؟ أليس هو ملتزماً – بوصفه مخلوقاً ًعاقلاً – أن يكون عبداً لله؟ إذن فدعوى ممارسة حرية الإرادة إنما هي دعوى باطلة و غير معقولة. وكخاطئ وساقط، أليس هو عبداً للشيطان؟ أليست هذه الحالة التي ولدنا عليها وعشنا فيها – أنا وأنت أيها القارئ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وجميع الناس الآخرين – إلى أن اخذ الله بناصرنا أعطانا أن نتقبل حكم الموت على نفوسنا وبالإيمان نحصل على حياة جديدة في ذلك الذي جاء من السماء، الذي هو ابن الله وابن الإنسان، قد أعلن لتلاميذه يوم كان يخدمهم على الأرض أن هناك اسماً جديداً لله يعلمه للمؤمنين، وهو ذات الاسم الذي كان يعرفه هو ويحبه ليس فقط حينئذ بل منذ الأزل اسم "الآب". هذه هي العلاقة الجديدة التي أدخلنا فيها له المجد والتي أعطانا أن يكون لنا معه فيها نصيب – هو بحقه الإلهي ونحن بالنعمة الغنية المطلقة.

هذه هي ثمرة المحبة التي وصلت إلى قلوبنا التي كانت يوما مظلمة، وهي الثمرة التي يشير إليها الرسول هنا كشيء يستحق أن ننظر إليه باستمرار معجبين ساجدين "انظروا أية محبة أعطانا الآب حتى ندعى أولاد الله" – ليس فقط أن نحصل على الغفران وتبرير بل أن ندعى أولاد الله. وكأن الوحي المبارك لم يكتف بالعدد الأول من إصحاحنا العجيب هذه الحقيقة الهائلة فيردفه بالعدد الثاني مؤكداً في صراحة ووضوح تام أننا هكذا منذ الآن، فليس هو لقبا سيتحقق تحقيقاً في السماء أو في حالة القيامة فقط بل "الآن نحن" أولاد الله. ولنلاحظ كما قلنا قبلاً أن لقب "أبناء" ليس هو الذي يصفنا به الرسول هنا بل "أولاد". أية علاقة أو نسبة يمكن أن تكون اقرب إلى الله من هذه النسبة؟ إن الإنسان لا يستطيع قط أن يجعل الغريب عنه ولداً له. أما الله فيستطع، وهو يفعل ذلك، وهذه هي العلاقة أو النسبة التي صارت لنا بالنعمة. نعم فان لم يدع الله أباه فقط بل قال أن أباه هو أبونا، وقد أضاف على ذلك انه "إلهه ألهنا" بعد أن احتمل كفاريا دينونة خطايانا وقام من بين الأموات. وانه لمما يدعو إلى تأمل عميق انه لم تكن من عادة سيدنا أن يتخاطب مع الله كالله بل كالآب، وعندما قام من الأموات، بعد أن أكمل عمل الفداء، لم يقل "أبوكم" فقط بل "ألهكم".
ونستطيع أن نلمس قوة هذا التعبير وندرك مغزاه وجماله بأكثر وضوح إذا قارناه بالوقت الذي نطق فيه سيدنا بتلك العبارة العظيمة "إلهي إلهي لماذا تركتني". ففي أيام جسده، وحتى وهو على الصليب قبل أن ينطق بهذه الكلمة الرهيبة، كان دائما يتكلم عنه أو معه كالآب. بعد أن جعل خطية، وكان من اجل ذلك متروكا من الله، عاد مرة ثانية يخاطبه "كالآب" حتى قبل موته وتسليم روحه، ذلك لكي نعرف أن كل ما كان ضدنا قد تسوى وانتهى، لأنه كان قد انحنى بخطايانا تحت ثقل تلك الدينونة الرهيبة وإذا أحس بروحه أن عمله قد تم وصار مقبولاً استطاع أن يقول "يا أبتاه" قبل لحظة الموت لأن العمل كان قد انتهى فعلاً. أما القيامة فكانت البرهان العلني على إتمام السلام. ولكنه قبل أن يموت قال "يا أبتاه في يديك استودع روحي". فالإله القدوس الذي التقينا به عند الصليب هو نفسه أبونا!

وبناء على ذلك صار لنا هذا الامتياز العجيب وهو أن الآب قد أعطانا لقب "أولاد الله". هذه هي ماهية اللقب، ولكن لكي يوضح أكثر أنه ليس مجرد لقب بل طبيعة حقيقية موهوبة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لنا يضيف القول "أيها الأحباء، الآن نحن أولاد الله" بعد أن سبق وقال بصفة عامة أن كل من يصنع البر – كما انه بار هو – "مولود من الله".

وهذه كلها أمور هامة وطيرة للغاية والغرض منها وضع أساس راسخ وأكيد لبرنا فإنه ليس صحيحاً على الإطلاق أن هناك مجموعة معينة من الواجبات علينا أن نتممها لكي نحصل على البر. ذلك كان أساس الإسرائيلي الذي وضع الناموس أمامه واجبات معينة كان عليه أن يتممها ليحصل على الحياة، ومع ذلك فهو لم يتمم تلك الواجبات مطلقاً ولم يستطع الناموس إلا أن يدينه ويحكم عليه، لكن الأمر مختلف عن ذلك كل الاختلاف فيما يتعلق بالمسيحي وهذا يوضحه لنا الوحي عندما يؤكده لنا أننا أولاد الله وأن الله أبونا كما أنه أبو ربنا يسوع المسيح مع هذا الفارق وهو أنه أبو ربنا يسوع في حدود استحقاق شخصه الإلهي أما نحن فبأفضال النعمة وحسب، ولكن أليست علينا واجبات؟ وما هي؟ إنها واجبات أولاد الله، لقد جيء بنا إلى نسبة تسمو فوق جميع الواجبات وإلا فهمها أدينا من واجب هل يمكننا أن نصل بذلك إلى الدرجة تقارن بنسبة صيرورتنا أولاد الله؟ طبعاً كلا، ولذلك فنحن دائماً فوق مستوى الواجبات. لقد صرنا قريبين إلى الله قرباً لم يستطع أن يوصلنا إليه أي واجب نوفيه. وقد حصلنا على هذه النسبة العجيبة بفضل النعمة السامية حينما كنا في أردا حالاتنا – أبناء الغضب كالباقين، ولكن الله تبارك اسمه، أعطانا حياة في ابنه، وإنها لحياة تقصر دونها جميع الواجبات.

هذه حقيقة مباركة على الكثيرين أن يعرفوها، وهي أن واجباتنا تصدر عن نسبة قائمة قد صارت لنا فعلاً، لا أننا نقوم بها لنحصل على تلك النسبة، إن واجباتنا لا تدخلنا في النسبة بل النسبة هي التي تحدد نوع الواجبات التي تلائمها وتليق بها. ونسبتنا القريبة المباركة – وما كان ممكناً أن يكون لنا أقرب منها – مؤسسة على كوننا أولاده. وهي حقيقة ثابتة لا يستطيع شيء أن يغيرها، إلا أن يدعي شخص بأنه مسيحي ويظهر فيما بعد أن شيئاً من المسيحية لم يكن متأصلاً فيه لأنه ترك المسيح وتخلى عنه، وهذا مما سيعطي عنه حساباً ويكون شاهداً عليه في دينونته ولكن واضح جداً أنه مبدأ عام ومن اليسير إدراكه حتى فيما يتعلق بالواجبات الطبيعية، ومنه نرى خطأ أهل العالم الذين يبنون عليه نظرياتهم الأخلاقية إذ هم لا يقيمون الواجب على أساس العلاقة بل على أساس قوة الإنسان الأدبية، فهم يزعمون أن الإنسان يستطيع أن يؤدي واجبه إن أراد، ولذلك فليس من واجب الإنسان ما يحسب له أي حساب سوى استطاعته وقدرته. غير أن الحقيقة المؤلمة بكل يقين هي أن الإنسان يفسد دائماً في واجباته نحو الله. ولكن هذا لا يهم الفلاسفة في كثير أو قليل، ومنه نرى أن نظام الأخلاق عندهم لا يستمد مصدره أو أساسه من الإعلان الإلهي بل من الإنسان الساقط، ولذلك كان أساساً واهياً فاشلاً إذ هو لا يعرف حق الله ولا حقيقة الإنسان كما هو في نظر الله.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

خذ توضيحاً لذلك، العلاقة الأبوية. ما هو أساس واجب الولد نحو أبويه؟ أساسه العلاقة الأبوية لا شك. فلأنه ابن أبيه لذلك هو تحت التزام أن يحب الذي ولده وأن يعطيه. وليس من يستطيع أن يحل محل الوالد. فلو أن الولد بدأ يعد الآخرين في درجة المساواة مع أبيه، أو لو أنه سمح لهم أن يسلبوا أباه منزلته ومكانته، لكان في ذلك الدليل أكبر على أن هناك خطأ أساسياً في نسبة الولد. خذ أيضاً علاقة الزوج بزوجته، فليس أوضح منها في تفسير ما نحن بصدده إن من واجب الرجل أن يحب امرأته حباً لا يجدر بغيرها حتى ولو كانت تبدو متعبة في بعض الأحيان، كما أن من واجبها أن تعطيه ولو عانت في سبيل ذلك أحياناً.

إن الواجبات شيء مستقل كل الاستقلال عن الظروف العبرة، وهي ليست متوقفة على إرادة الرجل أو إرادة المرأة بل مهما كانت أفكارهما أو مشاعرهما فإن واجب أحدهما نحو الآخر مستمد من العلاقة القائمة بينهما وسواء أقام كل منهما بواجبه أم لم يقم فالعلاقة هي التي تنشئ الواجب وتدعو إليه، وكذلك في علاقة الخدم بأسيادهم نجد شيئاً من نفس المبدأ وإن كان ضعيفاً في طبيعته وبخاصة في أيامنا الحاضرة حيث الخدم يتبرمون بأسيادهم والأسياد يتبرمون بخدمهم وقد يستغنون عنهم لأتفه الأسباب. ولا عجب فإن علاقة الخادم أو العبد كما يقول الرب في (يو ٨) علاقة وقتية وليست دائمة. أما العلاقتان الأخريان (العلاقة الأبوية والعلاقة الزوجية) فهما باقيتان مدى الحياة ولذلك فإنهما خير الأمثلة لتوضيح العلاقات التي أنشأتها النعمة والتي لن تنتهي.

ونحن من حقنا بموجب كلمة الله أن نؤمن بهذا، ولكن طالما الجسد فينا فإننا بحاجة إلى النعمة (وهو يعطي نعمة أعظم) لكي نتمم الواجبات اللائقة بعلاقتنا سواء بالله أو بإخوتنا، فإن أصغر العلاقات تنطوي على واجب يتفق معها، ولكن أعظمها وأهمها هي التي تعتمد على حقوق الله العليا. وهنا نرى الله يأخذ مكان المحبة التي لا مثيل لها. "انظروا أية محبة". فهي محبة تسمو فوق كل عاطفة يمكن أن يتصورها الإنسان، ولم تكن ممكنة إلا لله وحده وقد أعطانا إياها تحت اسم الآب كما عرفه الرب يسوع وكما أعلنه لنا بعد موته وقيامته. ولذلك فإن هذه البركة التي تسمو فوق كل فكر بشري والتي صارت من نصيبنا الآن وهي التي تشجعنا على تأدية الالتزامات التي تقتضيها تلك العلاقة العجيبة السامية.

أي ليس للعلاقة إذن دخل كبير في البر العملي؟ وإذا كن الأمر كذلك، فهلا نستطيع أن نرى على الفور مبلغ ما في هذه الأعداد التي أمامنا من مناسبة وجمال وقوة إذ تحدثنا عن علاقتنا بالله وما تقتضيه هذه العلاقة من سلوك يليق بها. فها هو الوحي يحدثنا هنا أكثر مما يفعل في أي مكان آخر عن حقيقة علاقتنا في كل سموها وفي كل قوتها ونعمتها الغنية الحاضرة إذ يؤكد لنا أننا الآن نحن أولاد الله، بل إنه يذهب بها إلى المستقبل الأبدي، إلى حضور الرب ورؤيتنا إياها بالعيان ويوم نكون مثله لأننا سنراه كما هو. وهكذا تسطع علاقتنا بنور إلهي كامل ينير جواب الموضوع كله. وقد قصد بذلك أن يكون لنا من وراء

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

النظر والتأمل في هذه العلاقة السامية العجيبة حافز على القيام بواجب البر العملي وباعث لفرح مقيم وتعزية في جميع الظروف.

وهل يفوتنا الخطر الذي ينجم عن إهمالنا لعلاقتنا أو التشكك في بنوتنا لله؟ ألسنا نكون في هذه الحالة مهيئين للعالم والوقوع في الخطية؟ في الواقع أنه لا يوجد مكان للعجب إذ كنا نتحول إلى مسالك شريرة ما دمنا لا نتمتع بعلاقة حاضرة حية وأبدية مع الله. ولكن إذا تمتعنا بهذه العلاقة فلا يكون حينئذ أي عذر للوقوع في الخطية. فهناك الطبيعة الجديدة، والرابطة الوثيقة القريبة، والمحبة التي تفوق كل وصف، كالباعث على حياة البر. إن الطبيعة الجديدة يمكن أن ينظر غليها عاملة بالارتباط مع العلاقة أو مستقلة عنها، ولكن الطريقة الأكمل والأفضل هي الإتيان بهما معاً ليكون لهما تأثيرهما في الموضوع الذي نحن بصدده وهذا ما يفعله رسولنا بطريقته الخاصة العجيبة في الثلاثة الأعداد الأولى من الإصحاح الثالث كجملة عرضية بين العدد الأخير من الإصحاح الثاني (وهو العدد الذي استهل به الكلام عن البر العملي) والعدد الرابع من الإصحاح الثالث حيث يستأنف الحديث عن هذا الموضوع الخطير.

فبعد أن أشار الرسول إلى محبة الآب وإلى علاقتنا كأولاد وما يتبع هذه العلاقة من رجاء منير، يعود مرة أخرى إلى الجانب الأدبي متعمقاً إلى أصل الخطية، الأمر الذي لم يفعله من قبل. وهو لا يسمى الخطية "تعدي الناموس" وذلك لأسباب على أعظم جانب من الأهمية. فهو مزمع أن يتناول الخطية من ناحية أوسع من مجرد علاقتها بالناموس أو اليهود. لقد كان اليهود يعرفون معنى الإثم أو البر إلى حد ما ولو أنهم أساءوا فهم البر بسبب عدم إيمانهم، ومع ذلك فقد قرأوا الشيء الكثير عنه في الكتاب ولم يسعهم إلا أن يعجبوا لعمق معنى البر عندما سمعوا عنه من الرب نفسه حينما أضاء بينهم كالنور الحقيقي.

أما الأمم فما هو مبلغ فهمهم للبر؟ إن الأمم لم تكن لهم علاقة بالله الذي كان بالنسبة إليهم إلهاً مجهولاً، ولئن كان ينتابهم شيء من الشعور الأدبي في حضرة أوثانهم التي كانوا يوقرونها ويعبدونها فلم يكن هذا الشعور سوى بالخوف. ولم تكن لديهم أقل فكرة عن أن الله هو إله المحبة، أما آلهتهم فلم يكونوا سوى سدنة للرذيلة والدعارة، لا يتسامون قط فوق الأنانية ومحبة الذات. وإن تصادف ونزل أحد إلى الأرض حيث الإنسان فذلك كان في الغالب لأغراض سافلة ومنحطة. وهم الإغريق القدامى، هل استطاعت دياناتهم الوثنية أن توصلهم إلى شيء أسمى من آلهة منحطة لا ذرة فيها من القداسة أو المحبة؟ هل كان منهم واحد بالعدد لم يكن بذيئاً ردياً من زفس إلى ما دون؟ إن آلهتهم لم تكن إلا صورة مكبرة لأشخاصهم وأخلاقهم. أما هنا فنجد حق الله، عاملاً بالنعمة المطلقة ليباركنا دون أدنى استحقاق من جانبنا، فإن المسيحي يستطيع في غير حرج أن يأخذ مكانه الجدير به

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وهو مكان لفشل والخراب التام في الإنسان الأول ثم البر الكامل والنعمة المطلقة في المسيح يسوع، فإن كل فضيلة وكل كفاية وكل بركة إنما تأتي من الله الذي يهب كل شيء بسخاء ومجاناً للإيمان في المسيح. وهل كان هناك ما يستطيع أن يفعله إلهنا وأبونا للمؤمن لإنكار الذات والتخلي عن كل معطل أكثر من أن يجعله يعترف باسم سيده ومخلصه ويتمتع ببركة نسبته الوثيقة للآب في حياة جديدة معطاة بالنعمة؟.

إن حقيقة كون المؤمن باراً باعتباره مولود من الله وبالتبعية شريكاً مع المسيح في بغض الخطية هو شيء عظيم حقاً، لأن العمل يتبع الحياة والمسئولية تتبع المقام وكل من يصنع البر مولود من الله ويعرف أن له نسبة وثيقة لأنه موضوع محبة الآب التلقائية الكاملة. وهكذا نرى الطبيعة والعلاقة تتلاقيان وتسيران معاً يداً بيد وهو ما يفسره لنا الرسول هنا. ولكنه ولقد أوضح الجانب المنير في كل بهائه وقوته سواء في حقيقته الراهنة أو ما يرتبط به من رجاء فائق مبارك فإنه يتقدم مبيناً بكل حزم وإصرار النتيجة الحتمية لذلك وهي مجافاة طبيعة الله سواء في المسيح أو فينا لكل خطية.

يقول "كل من يفعل التعدي أيضاً. والخطية هي التعدي" (عدد ٤)[٥] إن عمل الخطية يقصد به عادة اقتراف عمل عين كما لو قلنا فلان عمل خطية. أما "فعل الخطية " فمعناه كما هو المقصود هنا مبدأ الإنسان، خطته وسلوكه فليس في طبيعته سوى الميل لفعل الخطية. وعمن يتكلم الرسول؟ يتكلم عن كل إنسان بالطبيعة. لأن هذا هو بالضبط ما يفعله كل إنسان بحسب نظر الله. والأمر في ذلك يس قاصراً على الأممي بل يشمل اليهودي أيضاً. لأنه من هذا الوجه لا فرق بين الاثنين، ولو أنه من المحتمل أن يقاوم أحدهما الآخر ويبادله الكراهية والاحتقار. هكذا كان الحال، وقبل أن يعلن الله في المسيح لم يكن هناك أدنى مجال للافتخار. فإن الإنسان كخاطئ مكانه في التراب.

فمن هو الخاطئ إذن سوى كل إنسان في حالته الطبيعية. وألم تكن هذه هي حياتي وحياتك أيها القارئ قبل أن نتعلم المسيح؟ لقد كانت نفوسنا تجهل الله جهلاً تاماً إلا من ناحية الخوف منه – الخوف من أن يلقي بنا إلى جهنم النار يوماً ما. وإذا قيل بحق أن الله لم يكن في أفكارنا فإن الخطية كانت فيها. وماذا يكون طابعها الحقيقي حينئذ؟ لا شيء سوى التعدي أو فعل الإرادة الذاتية بالاستقلال الكلي عن الله ومن عجب أن الإنسان يشق عليه أن يستقل عن زملائه بينما لا يجد صعوبة قط في عدم المبالاة بالله إطلاقاً. يا لها من حقيقة غبية أثيمة مرعبة! إن الله ليس في أفكاره، وهذه هي الخطية. وفي اللحظة التي فيها تأتي بهذا التعريف الصحيح للخطية كما هو معلن هنا فإنك واجد على الفور أنها تنطبق بكل يقين على كل إنسان، يهودياً كان أو أممياً. لقد كان اليهودي يدعي البر لأنه كان تحت الناموس. لكنه إن أخطأ كان يضيف ذنباً آخر على خطيته وهو كسر ناموس معروف هو ناموس الله، فهو من أجل ذلك "متعد" الأمر الذي لم يكن ممكناً أن ينطبق على الأممي لأنه بصفة عامة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لم يكن يعرف شيئاً عن الناموس، بل إن أغلبهم لم يسمعوا عن الناموس ولو مجرد سمع الأذن. فمن الخطأ في التطبيق إذاً أن نتحدث عن الأمم كما لو كانوا متعدين. والكتاب لا يتحدث عنهم هكذا مطلقاً وإنما يدعوهم بلا ناموس (Lowless) أو خطاة كقول الرسول مثلاً في رسالة غلاطية "من الأمم خطاة" (غل ٢: ٥).

أما الآن فنقرأ لا عن تعدي الناموس بل عن فعل الإرادة الذاتية (Lowlessness) حتى فيما يتعلق باليهودي الذي إن لم يؤمن بالمسيح فهو أيضاً يكون "بلا ناموس" رغم كل تفاخره بالناموس لأن فعله للخطية دليل على أنه عائش بدون الله. لما كان الهيكل موجوداً كان يدخل اليهودي ويقدم قربانه. كل يهودي كان يفعل ذلك، لأن الناس – حتى أفظعهم شراً – يحبون أن يتحلوا بشيء من الدين، فقايين لم يحب العالم فقط كما بدأه بل أحب كذلك ديانة العالم بحسب فكر الإنسان، فلم يكن قايين واحدا من أولئك الذين ليس لهم كنيسة أو معبد على طريقتهم الخاصة. بل بالعكس نراه حريصاً على تقديم قربان من ابتكاره، قربان لم يكن يحمل في طياته سوى إهانة حقيقة لله الذي من حقه وحده في كل زمان ومكان أن يرسم طريق خط عبادته. قدم قايين هذا القربان الباطل متجاهلاً أنه خاطئ، فجاء للرب بثمار الأرض وزهورها. والناس في الوقت الحاضر يفعلون شيئاً من هذا القبيل في الجنائز التي يعتبرونها مواسم للزهور حتى عند القبور. والواقع أن الإنسان لا يمكنه أن يتصور شيئاَ مستهجناً أكثر من الزهور فوق النعوش،ففي محاولة من الإنسان لتغطية خطورة الموت وآثاره الرهيبة. فما هو الموت بالنسبة للقديس سوى انطلاق للوجود مع المسيح؟ وما هو الموت بالنسبة للخاطئ سوى الإيذان بدينونة عادلة لا محيد عنها؟ فما قيمة الزهور بالنسبة لأحدهما أو للآخر؟ هل نعجب إذا وجدنا أنه حتى من بين العقلاء من أهل العالم من يرسلون بطاقة النعي إلى أصدقائهم "مع رجاء عدم إرسال الزهور". على كل حال إنها عادة غبية، ولو أنها أمر طبيعي للبستاني وتجارة رابحة تتوقف على المزاج لا أكثر ولا أقل.

"وتعلمون أن ذاك أظهر لكي يرفع خطايانا وليس فيه خطية". بعد أن حدثنا الرسول عن الخطية في طبيعتها الأصلية باعتبارها فعل الإرادة الذاتية وهي شيء لا يخلو منه إنسان بحسب الطبيعة، يقدم لنا على الفور الجانب المناقض لهذا على خط مستقيم. فأين نتوقع أن نجد شخصاً خالياً تمام الخلو من فعل الإرادة الذاتية؟ واحد فقط، هو أعرف من أن يعرف، بحيث لم يكن الرسول بحاجة لأن يذكر اسمه بصراحة. نعم، فنحن نعلم أن ذاك "ربنا يسوع المسيح وليس آخر" قد أظهر لكي يرفع خطايانا. ويا له من عمل يوافق أقنوماً إلهياً هو في الوقت نفسه إنسان حقيقي كامل! فهو وحده الذي كان يبغض الخطية وهو وحده الذي يقال عنه هنا بعد الإشارة إلى إتمام عمله "وليس فيه خطية" – ليس فقط أنه "كان" بلا خطية قبل مجيئه وأنه "سيكون" بلا خطية بعد قيامته بل على طول الطريق "ليس فيه خطية".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

هذه هي حقيقة مطلقة غير مقيدة بزمن. على أن هذا الشخص الكامل المنزه عن الخطية هو بعينه الذي جعله الله خطية لكي نصير نحن (الذي كنا خطاة فعلاً) بر الله فيه، والجزء الأول من العدد يتناول العدد الفريد الذي أكمله على الصليب والغرض العظيم من موته الكفاري بينما يشير الجزء الثاني إلى طابع حياته الكاملة القدوسة التي أظهرت وامتحنت في هذا العالم فظهر مجدها الأدبي الفريد لكل ذي عينين، إلا من كانت عينه عمياء أو رمداء.

"كل من يثبت فيه لا يخطئ" نعم، إنه لا يوجد علاج ضد الخطية غير الثبات فيه والتوكل المستمر عليه والثقة به. وليس الوقاية أو الحفظ في مجرد ادعاء باسم الرب ولو أن ذلك بداية حسنة ولكنها ليست كل شيء فإن كثيرين من الذين يقولون الآن "يا رب يا رب" سيقال لهم في ذلك اليوم "لم أعرفكم قط"، أما الثبات في الرب فهو برهان الإيمان الحي بالمسيح، الإيمان الذي ليس بلا ثمر بل العامل بالمحبة كما قيل للغلاطيين الذين تظاهروا بالناموس. هذا هو السبيل الوحيد الذي لا يوجد غيره. "مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا (الإنسان العتيق) بل المسيح يحيا فيّ. فما أحياه الآن في الجسد فإنما أحياه في الإيمان: إيمان ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي". وهو لا يستحي أن يدعون إخوة وقد برهن على محبته لنا إلى المنتهى بطريقة اختص بها وحده ولكنها كانت طريقة لازمة لابد منها. فالآب والروح القدس لم يتجسدا لكي يظهروا كمال الطاعة في الحياة أو ليحتملاه في الموت دينونة خطايانا من يد الله العادلة. أما هو فقد فعل ذلك. وفي هذا دافع قوي لنا على البر العملي وبخاصة وقد أعطينا طبيعة بارة وعلاقة وثيقة بالله لم يكن لغير محبة الآب السامية أن تهبها لنا.

والآن نأتي إلى الأربعة أعداد التالية التي لم نستكمل إيضاحها قبلاً (ع ٧ - ١٠). "أيها الأولاد لا يضلكم أحد". نعم، فأين هو الموضوع الذي تحصل بشأنه أخطاء وأضاليل أكثر من هذا الموضوع؟ بل أين هو الموضوع الذي يتعرض فيه الناس أكثر من أي موضوع آخر ليس فقط للخطأ فيما يتعلق بذواتهم بل لتضليل الآخرين ممن يثقون بهم؟ وإلى من نذهب إزاء هذا كله؟ إن أمننا وسلامتنا في المسيح وحده، في كلمته وفي روحه. وماذا يجدي العلم هنا؟ أقول بل أن التقوى ذاتها لا تجدي كثيراً ما لم تكن مصحوبة بالثبات الصحيح في المسيح. "بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً" ومن هنا كان القول أننا إن ثبتنا فيه فإن الشرير لا يمسنا لأننا وإن كنا نتعرض دائماً لحيله لكننا لسنا نجهل أفكاره. إنه لا يخشنا ولكنه يخشى المسيح قاهره، وإيماننا وثباتنا في المسيح يضع المسيح بيننا وبين إبليس الذي سرعان ما يرى المقاومة بهذه الصورة حتى يهرب منا. ليس الأمر أن طبيعتنا القديمة، الجسد، قد تحولت بالنعمة والحق إلى طبيعة صالحة كلا، فإن الجسد بل ونفس اهتمام الجسد هو شر لا يمكن شفاؤه. وقد نفذ الله عليه الدينونة بحسابنا نحن الذين نؤمن بالمسيح كذبيحة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

خطية. والآن وقد مات وقام أعطانا من حياة قيامته خليقة جديدة، ليس الخليقة القديمة محسنة ومصلحة فهذه قد طرحت جانباً إلى الأبد ودينت في صليب المسيح، وما هي حياة المسيح التي أعطانا منها؟ هل وجدت بها ذرة واحدة من الخطية لطختها وشوهت جمالها؟ هل تسرب إليها قط شيء ولو طفيف من الدنس؟ من فضول الكلام أن نقول كلا وألف كلا. وهذه هي الحياة التي لنا الآن، ومن أجل هذا تستقر علينا أفراح محبة الله كأولاده – أولاد الله الآب. إذاً فنحن لنا الطبيعة الجديدة، وهي طبيعة بارة، قبل أن نطالب بفعل البر الذي هو شيمة تلك الطبيعة والتي لا يعرف الإثم إليها سبيلاً لأنه غريب عنها.

أما في حالة الإسرائيلي فكان الناموس يخاطب إنساناً له طبيعة خاطئة لأن الناموس كان يفترض فيه مثل هذا الاستعداد ومن أجل ذلك قد أحيط بمجموعة من الروادع والنواهي. فكان عليه ألا يعترف بآلهة الكاذبة ولا أن يكون له تمثال أو صورة للإله الحقيقي لأن السجود وقف على الإله الحقيقي الوحيد الغير المنظور الذي أخرج إسرائيل من أرض مصر والذي كان على الإسرائيلي ألا ينطق باسمه باطلاً كما كان محظوراً عليه أن يأخذ أملاك الغير ولا حتى أن يطمع في شيء مما لقريبه أو جاره. وأن يحفظ السبت في اليوم السابع وأن يكرم والديه. وكل ذلك خشية عقوبات صارمة يوقعها الله عليه. لماذا؟ لأنه إذا كان في طبيعته ما يضاد مشيئة الله فهو لذلك غير بار . وكان الناموس يعد بالحياة ويتوعد بالموت: الحياة لمن يطيع والموت لمن يعصي. وملعون الإنسان الذي لا يقيم كلمات هنا الناموس ليعمل بها - ويقول جميع الشعب آمين. ولأجل ذلك قد صدر حكم الموت على إسرائيل منذ زمان طويل. ولكن سيأتي يوم فيه هم أيضاً سيحيون ومن ثم يفعلون البر نتيجة للحياة. إن النفس التي تصنع البر، والطبيعة التي تحب البر لها حياة جديدة في المسيح، حياة يهبها الله من محض نعمته وبلا أي مقابل من جانبنا وروحه القدوس هو الذي يعمل فينا للتوبة والإيمان بالإنجيل. وبهذه الحياة الجديدة تبدأ المسؤولية المسيحية الجديدة. لأننا نكون مطالبين حينئذ أن نسلك كما يحق للمسيح الذي أعطيت لنا حياته البارة "من يفعل البر فهو بار كما أن ذاك بار" لأن طبيعة المسيح لا تفعل سوى البر، كما أن طبيعة الإنسان الساقط لا تفعل سوى الخطية.

يتقدم الرسول بعد ذلك إلى ما هو أعمق فيكشف عن مصدر الشر كله. "من يفعل الخطية فهو من إبليس" لقد أرانا مدر البركة، وها هو يكلمنا عن أقصى منابع الخطية – لا ما فعله آدم وحواء فحسب، بل ما نفثته الحية في قلبيهما. وما الذي يشغل بال إبليس من ذلك الوقت إلا أن يزيد عن خطية الرأس إثماً جديداً لكل واحد من الجنس؟ وهنا يقال "من يفعل الخطية فهو إبليس". فهو الزعيم الذي ينضوي الإنسان تحت لوائه، قد يفاخر الإنسان بأجداده، ولكن هناك آخر لم يكن أباً له حرفياً. غير أن الإنسان الساقط قد جعل الشيطان إلهه في الواقع ولذلك فإن الكتاب يسميه إله هذا الدهر، ورئيس العالم. فما أصدق القول "من يفعل الخطية

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

فهو من إبليس". ليس فقط إنساناً خاطئاً بل "من إبليس" هذا هو قول الله وليس قول إنسان. "لأن إبليس من البدء يخطئ" أي من الوقت الذي لم يقنع فيه بأن يكون أحد ملائكة الله فأخذ يتصرف في كبريائه بالاستقلال عن الله. من ذلك الوقت كانت بدايته كإبليس، وكان ذلك بالطبع لاحقاً لتاريخ خلقته كملاك. وهنا أيضاً نرى أن عبارة "من البدء" لا تعني "في البدء" فهذا الاصطلاح الأخير قيل فقط عن الكلمة الابن في الأزل قبل الخليقة أو في أول سفر التكوين مشيراً إلى عمل الله وليس إلى وجوده. أما عبارة "من البدء" فإنها تعني كيفما وردت وحيثما وردت الوقت الذي فيه بدأ الشخص المتكلم عنه يظهر نفسه. فحينما قيل عن المسيح "الذي كان من البدء" فالمقصود هو الوقت الذي فيه أظهر المسيح نفسه. وعل هذا القياس نفهم من القول "إبليس من البدء يخطئ" إنه الوقت الذي ابتدأ يظهر فيه إبليس ليس صفاته كملاك بل كبرياء ضد الله أولاً ثم الحقد بعد ذلك، وهو ثمر كبرياء المؤكد في الآخرين أيضاً.

"لأجل هذا أظهر ابن الله لكي ينقض أعمال إبليس". من الواضح أن هذا القول لا يقصد به مجرد رفع خطايانا. لا ريب أن هذا الغرض العظيم – أي نقض أعمال إبليس – يتناول أيضاً رفع خطايانا ولكن لنتذكر جيداً أن لموت المسيح مدى أبعد جداً من مجرد رفع خطايانا. صحيح أن رفع خطايانا هو كل شيء بالنسبة إلينا، أو في القليل هو أول أعمال نعمة الله فيما يتعلق بخطايانا. ولكن المسيح صار عبداً لله وبذلك صار بطله الجبار ضد الشيطان عدو الله وعدو الإنسان الذي لا يكف عن المقاومة والمناهضة، وقد أظهر المسيح ليس فقط لكي يصالحنا مع الله بموته بل لكي ينقض كل ما عمله الشيطان في تاريخه الطويل السود. وهكذا سيفعل في المستقبل فنحن نعلم أن للشيطان شأناً كبيراً بالحروب والمجاعات والزلازل والأوبئة وما إلى ذلك كما نتعلم من مطلع سفر أيوب وغيره من الأسفار الكتابية. صحيح أن الله يحول للخير جميع هذه الأشياء يعملها الشيطان للشر. ولكن قلب الشيطان طافح بالأذى في كل زمان لا يهدأ حتى ينشر مساوئه وويلاته، في حين أن لنا محبة الله التي لا تكف عن فعل الخير لجميع الذين يستمعون إليه. وبخاصة في ما أعلنه عن الرب يسوع. "كل من هو مولود من الله لا يفعل خطية". البر هو حياته للسلوك كما للتقوى. والمؤمن متميز بالطبيعة الجديدة التي لا تخطئ. ولنضرب مثلاً: رجلاً كان منذ ولادته عبداً، وفي يوم من الأيام تدخل إنسان شريف من رعايا دولة قوية مستقلة وأنقذه من أغلال عبوديته – فالرجل يصبح على الفور حراً طليقاً بمقتضى قانون تلك الدولة التي ينتمي إليها محررة، وهو جميل لا يقوم بثمن في نظر العبد. فعندما يفكر أو يتكلم عن نفسه من تلك اللحظة هل يظل يفكر في أنه لا يزال عبداً مأسوراً؟ كلا طبعاً. فكرة كهذه لن تخطر له على بال. مرة كان عبداً مغلولاً أما الآن فقد صار رجلاً حراً، هنا قد يتعرض واحد بالقول أن الإنسان العتيق لا يزال في المسيحي. وجوابي هو أن الله قد حرره من ذلك العتيق بموت المسيح. فالمثل الذي ضربناه فيه من أوجه الشبه ما يكفي لتبرير استخدامه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

هنا. ولكن مما يؤسف له أن حظ الأمور الروحية من فهم الناس وإحساسهم هو أقل من حظ الأمور الطبيعية.

"كل من هو مولود من الله". هذه هي نقطة البداءة فالولادة منه هي البداية الحقيقية ليس من ناحية المشورات الإلهية بل من ناحية عمل الله في النفس. والرسول لا يتكلم هنا عن الحياة الطبيعية القديمة، بل عن كل من ولد بطبيعة لا تخطئ. فمهمتنا هي ألا نسمح للطبيعة القديمة بالظهور بل أن نقمعها ونخضعها تحت قوة موت المسيح ونميت كل ما يتصل بها، وبالنعمة لا ندعها تعمل. قد نفشل، ولكن الذنب يكون ذنبنا لأن لنا الروح القدس ساكناً فينا لكي يقاوم حتى أننا بلا عذر إن كنا ننهزم. على أن البر هو مبدأ حياتنا من أولها، وإنها لحقيقة مباركة أن صار لنا كذلك باعتباره طبيعتنا الجديدة فهو ليس شيئاً نتوقعه كجعالة خارجة عنا نظير الإسرائيلي، بل هو فينا وقد جعلته النعمة السامية ملكاً لا، ليس فقط لأجلنا من حيث التبرير كما يخبرنا الرسول بولس بل فينا كطبيعة جديدة كما نرى هنا. لقد أعطانا الله البركة ولذلك وجب علينا أن نتصرف بما يليق بها معتمدين على الله مصدرها وعلى الرب يسوع مجراها وواسطتها، لنثبت فيه، وذلك لكي نأتي بثمر كثير لمجد الآب كل الطريق.

"كل من هو مولود من الله لا يفعل خطية لأن زرعه يثبت فيه". إن الرسول لا يقول أنه ينبغي ألا يفعل خطية بل هو فعلاً لا يفعل خطية. إن كل مخلوق يعمل طبقاً لطبيعة، ومن خواص طبيعة المسيحي الجديدة أنه لا يستطيع أن يخطئ هذا هو شأن الطبيعة الجديدة بكل يقين. أما الخطية فهي الأثر المحزن لإطلاق الحرية للطبيعة الساقطة الفاسدة لأن تعمل عملها – الأمر الذي هو مخالف كل المخالفة لمشيئة الله الذي يريدها مخضعة تحت موت المسيح. ألم نمت عنها من الأول يوم انتقلنا من الموت إلى الحياة؟ أليس في معموديتنا شهادة على ذلك؟ أن الشيء الدنس الميت يجب أن يوارى من أمام عيوننا ويجب أن يبعد عنا ما أمكن. "ولا يستطيع أن يخطئ لأنه مولود من الله". لاشك أن الرسول يستعمل هذا الأسلوب القاطع المانع مستنداً على خواص الطبيعة الجديدة.

"بهذا أولاد الله ظاهرون وأولاد إبليس. كل من لا يفعل البر فليس من الله". وليس ذلك فقط، بل هناك امتحان آخر هو امتحان المحبة ومن هنا يضيف الرسول قوله "وكذا من لا يحب أخاه" فإذا ما انعدمت ظاهرة المحبة فذلك دليل على أن صاحبها لم يحصل على الطبيعة الجديدة التي تحب البر وتعيش فيه.

وهنا أود أن ألفت النظر إلى اللغة الحازمة التي يستخدمها الوحي في الكلام عن هذين الفريقين – فمن عادة الكثيرين من المسيحيين الأفاضل أن ينكروا على القديسين حقهم في ممارسة هذا الحكم مستندين في ذلك إلى قول الرب في (مت ٧: ١ - ٢) "لا تدينوا لكي لا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA
All rights reserved © 2008-2018
info@arabicbible.com

تدانوا. لأنكم بالدينونة التي بها تدينون تدانون وبالكيل الذي به تكيلون يكال لكم". غير أنهم مخطئون في هذا التطبيق، ذلك أن الرب هنا لا ينحي باللائمة إطلاقاً على التمييز الروحي للأشخاص أو الأمور، الأمر الذي هو امتياز عظيم للمسيحي ولازم له جداً سواء لإرشاده هو شخصياً أو لمساعدته للآخرين أو تحذيرهم. وعلى هذا يقول الرسول في رسالة كورنثوس (١ كو ٢: ١٥) أن الروحي (بعكس الطبيعي) يميز أو يحكم في كل شيء أما هو فلا يحكم فيه من أحد. أما الرب فكان يحذر التلاميذ ضد عادة المراقب والانتقاد التي تؤدي غالباً إلى اتهام الآخرين ببواعث شريرة لا أساس لها والتي لا تتفق وغرائز المحبة المقدسة. ولكننا نخمد أنفاس المحبة إذ نحن سلمنا برأي القائلين بعدم التحقق ممن هم أولاد الله. فلو أن حيل بيننا وبين تمييزهم فكيف يتسنى لنا أن نحبهم؟ الواقع أن القرينة ذاتها تدل على أننا نستطيع الحكم والتمييز ومن واجبنا أن نحكم ونميز لأن الرب يفترض أن هذا التمييز ليس فقط شيئاً ممكناً بل ضرورياً وواجباً يقول تبارك اسمه "لا تعطوا القدس للكلاب ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير". فإذا كنا هكذا تحت التزام أن نميز الطاهرين، فما أسعدنا بالأحرى أن نعرف ونميز غنم مرعى الله وخرافه، وأن نأخذ بأيديهم بباعث المحبة ونساعدهم عند الحاجة بقدر طاقتنا.

ولكن لا داعي للابتعاد كثيراً عن آية تأملنا لنعرف أين الحق في هذا الموضوع "بهذا أولاد الله ظاهرون وأولاد إبليس". إن الرسول يرى الفارق واضحاً بحيث لا يحتاج إلى شرح كثير. وهو كعادة ينظر إلى الأدلة العريضة الواضحة العملية، غير عابئ بمرباء قد يوجد هنا أو هناك ويظل كذلك وقتاً مادون أن يكشف أمره أو ينفضح ستره، لأن اهتمام الرسول هو أن يحول أنظار عائلة الله إلى ما له أهمية دائمة وما هو نافع لجميعهم. والواقع أنه لا توجد صعوبة لتكون رأي صحيح فيما يتعلق بالأفراد الذين نعرف أخلاقهم سواء كانوا من السالكين بالبر أو العائشين في الشر. على أنه ليس جائزاً لنا أن نسيء الظن فنزعم أن هنالك شراً خفياً بينما لا يكون في الظاهر شيء من هذا، أو نبالغ في حسن الظن فننسب إلى البعض الآخر أفضالاً من نتاج التصور والخيال. أما الحكم العادل – سيما في تطبيق عام كهذا التطبيق – فيقوم على أسس واضحة لا يمكن لأية نفس مستقيمة كريمة أن ترتاب فيها.

ولئن كان الإنسان العادي يعيش محيطاً نفسه بهالة من الغموض والتظاهر الباطل، فليس للمسيحي أن يكون هكذا وهو الذي عليه أوضح واجب بكم علاقته بالله والقديسين أن يتصرف تصرفاً مناسباً، فهو يتعامل كل يوم وكمبدأ عام مع أناس هم إما أولاد الله أو أولاد إبليس. والمحبة الإلهية العاملة فيه لا يمكنها أن تقف موقف الحياد وعدم الاكتراث بالنسبة للفريقين بل تتخذ حيال كل منهما موقفاً يختلف عن الآخر كل الاختلاف. والرسول على كل حال لم ير عائقاً في هذا السبيل وها هو يشجعه أن يعمل لله وللآخرين معطياً إياه الأسانيد

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

التي تحفظه من التسرع في تكوين رأيه على أسس غامضة فيقول "بهذا أولاد الله ظاهرون وأولاد إبليس". ولنتأكد أن البر والمحبة لا يمكن أن يكونا بلا آثار منظورة أمام الجميع. فكلاهما ظاهر بلا ريب في أولاد الله. وكلاهما منعدم في أولاد إبليس إن لم يكن فيهم ما هو عكسهما على خط مستقيم.

وإنه لمن المؤلم حقاً أن نرى القديسين ينزلقون في هذا الخطأ الجسيم فيحورون جزءاً من الكتاب ويهملون جزءاً آخر فما أكثر الأقوال الإلهية التي يتبين منها إنه في ميسور حتى أبسط المؤمنين أن يميزوا إخوتهم ويحبوهم، بينما هم في نفس الوقت تحت التزام أن يربحوا المتهاونين فيخلصوهم من الخطر المحدق بهم وينذروا الساخرين المستهزئين. ولكن حالة الخراب التي سادت في النصرانية هي علة التهاون في هذا الواجب المقدس مع أنها كان يجب أن تكون أدعى إليه. فالعالم أصبح كنسياً والكنيسة أصبحت عالمية وهكذا ضربت الفوضى أطنابها على حالة القديسين الفعلية فاختلطوا بقوم مجردين من كل باعث روحي ولا يمكن أن ينتظر منهم إلا أن يؤثروا بظلمتهم على أولئك الذين كان ينبغي أن يظلوا أحراراً للرب ظاهرين أنهم له. وهل من يرتاب في أن القديس لا يستطيع أن يرفع رفيقة غير المتجدد إلى مركز الشركة مع فكر الله؟ وهل نرتاب أيضاً أنه متى وجد الروحي تحت نير مع الطبيعي فإن الثقل الميت لهذا الطبيعي لابد وأن يغوص بشريكه الروحي إلى درجة التشبه بأفكاره وطرقه الرديئة؟

الرسالة الأولى: الخطاب العاشر

١ يو ٣: ١١ – ١٧

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

"لأن هذا هو الخبر الذي سمعتموه من البدء أن يحب بعضنا بعضاً. ليس كما كان قايين من الشرير وذبح أخاه. ولماذا ذبحه؟ لأن أعماله كانت شريرة وأعمال أخيه بارة. لا تتعجبوا يا إخوتي إن كان العالم يبغضكم. نحن نعلم أننا قد انتقلنا من الموت إلى الحياة لأننا نحب الإخوة. من لا يحب أخاه يبق في الموت. كل من يبغض أخاه فهو قاتل نفس. وأنتم تعلمون أن كل قاتل نفس ليس له حياة أبدية ثابتة فيه. بهذا قد عرفنا المحبة أن ذاك وضع نفسه لأجلنا فنحن ينبغي لنا أن نضع نفوسنا لأجل الإخوة. وأما من كانت له معيشة العالم ونظر أخاه محتاجاً وأغلق أحشاءه عنه فكيف تثبت محبة الله فيه".

لقد لاحظنا الجزء الأخير من العدد العاشر السابق لهذه الأعداد كان بمثابة حلقة الاتصال أو بالحري حلقة انتقال من الكلام عن البر إلى الكلام عن المحبة. إن الناس يضعون كلاً من هذين الشيئين موضع المناقضة للآخر، ولكنهما متحدان تمام الاتحاد في المسيح الذي هو كمال البر وكمال المحبة. ومن هنا كانت القاعدة منطبقة على المسيحي تمام الانطباق لأن المسيح هو حياة المسيحي. ونحن قد قبلنا بالحق وبالفعل بواسطة الإيمان تلك الحياة التي كانت في الرب نفسه، لا حياة آدم التي لجميع الناس بل حياة جديدة لم تكن في أي واحد منا قبل أن نؤمن بالرب يسوع. إن الحياة ليس لها علاقة خارجية كالأشياء المادية المحسوسة، ولا هي شيء منظور يقدم نفسه لنا بطريقة ملموسة، ومع ذلك فنحن نعرف مكان وجودها من أعمالها وآثارها. فإن كان الأمر كذلك فيما يتعلق بالحياة الطبيعية فكيف ينتظر أن يكون الأمر أقل من ذلك فيما يتعلق بالحياة الروحية التي هي فوق الطبيعة؟ إنه ليس لنا أن نتساءل عن ماهية الحياة لأننا لا نعرفها. على انه مهما تكن صعوبة تعريف الحياة وتحديد معناها فإن كل إنسان يعرف أنه متى أدبرت الحياة حل الموت. قد يعمل الموت في أجسادنا قبل أن نرحل، بل من المحقق أنه يعمل هكذا منذ دخلت الخطية إلى العالم، وهذا ما يعبر عنه في كلمة الله لأن الجسد "مائت" (mortal) أي قابل للموت. أما الموت نفسه فيجيء عندما تتم هذه القابلية دورها. ويستطيع كل إنسان بصفة عامة أن يعرف إذا كان كائن ما قد مات أم لا. قد تحدث استثناءات من حين لآخر، كما لكل قاعدة استثناء، وكما لكل حقيقة صعوباتها، ولكن الصعوبات لا تعرف سبيلها إلى كلمة الله مع الفطنة الروحية لا شك أن الذين ليست لهم معرفة بالله يصطدمون بالصعاب هنا وهناك ولكن شكراً لله فإن هذه المعرفة تعطى لنا بإيمان المسيح كما قال له المجد "هذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته".

ومن هو الذي يملك الطبيعة الجديدة؟ يملكها كل مسيحي من بدء طريقه، ويظل مالكاً إياها إلى الأبد، يملكها الآن وفي أكمل صورة لأن سيدنا وهو هنا على الأرض تكلم عن امتلاكنا لهذه الحياة الأفضل "أما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل". وما أجمل هذه الكلمة "أفضل". كم كنا نتمنى أن تسعفنا اللغة البشرية بوصفها بحيث يشعر أولاد الله

 All rights reserved © 2008-2018

بعظمة هذه الحياة التي صارت لهم بفضل إتيان الرب إلى أرضنا وبفضل موته وقيامته لأجلنا. وما هو الفرق بين شقي هذا العدد؟ وما هو الفرق بين "لتكون لهم حياة" وبين "لتكون لهم (هذه الحياة) أفضل"؟ يتجلى الفرق إذاً ما قارنا حياة التلاميذ قبل موت المسيح وحياتهم بعد قيامته وصعوده. إن الحياة التي حصل عليها التلاميذ حينما كان سيدنا على الأرض لم يكن في مقدورها أن تنفصل علناً عن الهيكل وعن النظام اليهودي ولكن بعدما مات ربنا يسوع وقام – وهو الذي تنازل وأخضع نفسه للنظام اليهودي فيما يتعلق بالناموس بصفة عامة – هل كان له شأن مع الناموس فيما بعد.

كلا.لقد انقطعت علاقة سيدنا بالناموس وكل طقوسه منذ لحظة قيامته ه المجد، وما كان ممكناً أن نقرأ بعد ذلك عن ذهاب المسيح المقام إلى الهيكل أو مساهمته في شيء من طقوس اليهود كالأعياد وخلافها ولو أن شيئاً من هذا القبيل قد قيل لكان موضع استغرابنا جميعاً. وهذا بالضبط ما كان مقصوداً أن يتعلمه التلاميذ وكان حرياً بهم أن يتخذوا منه درساً، ولكنهم لم يستطيعوا أن يحققوه كاملاً من أول الأمر. فنحن عرضة للتباطؤ في تعلم مثل هذه التغييرات العظيمة، وللقديم دائماً سطوته على نفوسنا. غير أن حياة المسيح، حياة القيامة، موجودة في المؤمن وبها قد مات لهذه الأمور جميعها. فالمسيح لم يمت فقط لأجل خطايانا بل لأجل الخطية التي لم تكن فيه البتة ولكنها كانت متأصلة فينا نحن. ومع ذلك فما عاد للمسيح أي شأن بالخطية فيما بعد، إذ قد مات لها مرة واحدة وإلى الأبد. لقد كان خالياً منها خلواً مطلقاً وما كان لحركاتها أي سبيل إلى نفسه البارة القدوسة، وكل ما استطاعت أن تعمله طوال حياته هنا على الأرض وهو استدرار حزنه ورثائه لأولئك الذين كانت تغرر بهم وتضلهم. أما عندما مات فقد أتم أعظم وأقوى عمل كان يمكن لله أن يعمله من جهة الخطية.

وحتى عندما يأتي ثانية في مجده، فسوف لا تكون مظاهر ذلك المجد سوى إعلان فضائله مصلوباً، وذلك بطرقة علنية وقوية. إذن فهذه الحياة الجديدة، ولو أنها ليست ذات طابع خارجي محسوس، وهي حياة ذات قوة لا تنحل ولا تضمحل. قوة معطاة لها بالروح القدس الذي ليس هو روح الخوف بل روح القوة والمحبة والنصح. لقد قبل للرسل أنهم سينالون قوة، وذلك لأنهم كانوا عتيدين لا أن يصبحوا شهوداً للآخرين فحسب، بل أن يتعلموا لأنفسهم أموراً كثيرة وعظيمة لم يكونوا يستطيعوا أن يتحملوها يومئذ. وقد برزت هذه الأمور جهاراً يوم أن نالوا لا حياة القيامة فقط بل الروح القدس المرسل من السماء. وحذار أن نخلط بين الأمرين أو أن نحصر أو نقيد عمل الروح القدس في دائرة الألسنة والآيات أو غيرها من القوات والمعجزات التي لم تكن سوى علامات خارجية لإثبات حقيقة واقعية. أي نعم أن قوة الروح الداخلية كانت أعظم بكثير من كل العلامات الخارجية التي رافقتها. إن العلامات الخارجية قد سحبت من المشهد عندما تراخت الكنيسة وفشلت في المحبة والحق

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

والنور. وكيف كان يمكن أن يستقي الله ختم رضائه على حالة غير لائقة كهذه؟ أننا نجد أنه حتى الكنيسة في أفسس كانت مهددة، وذلك لأنها كانت قد سقطت وتركت محبتها الأولى يوم أن كتب يوحنا رسالته إليها في سفر الرؤيا. وهذه في الواقع هي صورة الحالة العامة التي أعقبت رحيل يوحنا الحبيب لأن الرسل أثناء وجودهم كانوا حائلاً كبيراً وسداً منيعاً ضد تيار الانحراف الذي كان يهدد الكنيسة في أيامهم بمثل هذه القوة.

ونحن نصنع حسناً أن نتأمل في الحياة الجديدة بهذه الصورة لأنها تربط ما بين بر المؤمن العملي ومحبته العاملة. فالرسول يتكلم هنا لا عن محبة الله، ولو أن هذه لها قيمتها في الموضوع، ولكن عن محبتنا نحن، كما أنه لا يتكلم عن البر في المسيح الذي هو خارج عنا ولازم لتبريرنا، بل عن برنا نحن، برنا العملي. وواضح أن هذا البر يتكون من أثمار جيدة وكيف يمكن أن تكون هناك أثمار جيدة بدون شجرة جيدة؟ أما المحقق فهو أنه ليس في حالتنا الطبيعية ما يمكن أن يكون شجرة جيدة، وإنما كانت شجرتنا رديئة تحمل ثمراً رديئاً فلكي نثمر الثمر الجيد لابد من توصيل طبيعة إلهية إلينا. إن الأمر لا يمكن أن يكون غير هذا، وهذه الحياة الجديدة، الحياة الأبدية، هي موضوع مشغولية يوحنا هنا. ليس البر المحسوب لنا، أي البر الخارجي الذي لم يكن لنا شيء منه والذي صرناه في المسيح، بل البر الداخلي الذي ينشئ برنا العملي يوماً فيوماً. إن الناس قد لا يحبون سماع الحق ولكن ها هو واضح وصريح في أقوال الرسول.

فمن الخطورة والحالة هذه أن نرى البعض يستخف ويستهين بحقيقة ما حصلنا عليه مع أن الواقع أنه ما من مسيحي حقيقي إلا وله في المسيح (خارجاً عنه) والطبيعة البارة في داخله التي هي الطبيعة الجديدة بفضل استحقاق المسيح وما يليق به. إذن فنحن لنا البران: أولهما ما نسميه اصطلاحاً البر "الموضوعي" أي الخارج عنا وثانيهما البر "الشخصي" أي ما نحن، وذلك لأن المسيحيين لهم بالضرورة حياة المسيح. وهذه الحياة لا تختلف عن شخصه الكريم، وق أعطانا إياها لكي نحياها ونحيا بسببها، وهي ذات الحياة التي عاشها المسيح وكانت فيه.

ومن هنا بدأ الرسول قوله "لأن هذا هو الخبر الذي سمعتموه من البدء" ولعل القارئ يذكر أننا في العدد الخامس من الإصحاح الأول التقينا بنفس هذه العبارة في قول الرسول "وهذا هو الخبر الذي سمعناه منه" وهنا نلتقي بنفس العبارة مرة أخرى ولمن في أكثر تحديد. فالمسألة لم تكن قبل البدء بل "من البدء". وكلا التعبيرين يجعلان الأمر محدداً، وكل ما زاده الناس على ذلك أو ابتدعوه لا قيمة له على الإطلاق، وأما هذا فهو الذي يبقى إلى الأبد، حق المسيحية الذي لا يتغير، وهو حق كلي الأهمية، سيما وأنه يتعارض تماماً مع أوهام الناس وأفكارهم البشرية،وبخاصة مع ما يسمونه التطور، تلك النظرية الباطلة من أساسها والتي هي في الأمور الروحية أكثر بطلاً منها في الأمور الطبيعية، فهي ضرب من

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الحدس الوثني القديم راح البعض يستعيده مؤخراً فيما يتعلق بالطبيعة، وهي نظرية تنكر سلطان الله ومشيئته في تحديد الأجناس.في حين أن الأجناس وتنوعها، شأنها شأن سائر النواميس الطبيعية الأخرى الثابتة، هي في ذاتها الأساس الصحيح لعلم الحيوان وليست مجد تقسيم بشري مبني على المشابهات الخارجية السطحية. فنظرية التطور والحالة هذه تتعارض على خط مستقيم مع الخلق بمعناه الصحيح، أي مع حقوق الله في الخليقة، ولكن كم هو مخجل حقاً أن فكرة وثنية جريئة كهذه تجد لها مكاناً بيننا إلى يومنا هذا، لقد كان أمراً طبيعياً أن تتسلل قديماً إلى أفكار قوم كانوا جالسين في الظلمة الحالكة "لا يعرفون الله" فكانت تداعبهم وتبللهم أفكارهم قبل داروين وأشياعه بأزمان طويلة، لكن ها هي اليوم – مع الأسف الشديد – قد ملكت على البعض لبهم وأصبحت هواية وفتنة من يدعون "فلاسفة" ومن يسيرون في ركابهم من أتباع، هم جميعاً عبيد أذلاء لفكرة خاطئة هي وليدة الوهم والخيال. وهي وإن كانت نظرية شريرة في تطبيقها على الحيوانات الدنيا إلا أنها أشر وأنكى في تطبيقها على الإنسان فلو أن المسألة كانت قاصرة على الحيوانات لهان الأمر لولا مساسه بحقوق الله، فللقوم أن يتصوروا ما شاء لهم التصور كيف أن فأراً أو قرداً أو أي حيوان آخر قد تطور. أما والأمر يمس الإنسان وعلاقة الإنسان بالله فهنا الخطورة وكل الخطورة. فالقول بأن الإنسان سليل عشب من أعشاب البحر أو ما على غرارها مما يسر القوم أن يجعلوه الأصل في الطبيعة، فهو قول لا يقبله العقل السليم بل هو ضلال خطير بقدر ما إنه يقضي على الضمير وينزع مسئولية الإنسان الأدبية ويلغي مطاليب الله وحقوقه على البشر باعتبارهم ذريته. إن الكفر والإلحاد الذي تنطوي عليه نظرية التطور هو الذي يجعلها بغيضة غير محتملة وهو الذي دعانا لأن نناقشها بمثل هذه الصراحة.

وهنا موضوع شيق جديد لأن هذا هو "الخبر" نظير الخبر السابق الذي طالعتنا به كلمات الإصحاح الأول الافتتاحية بعد الحديث عن ظهور المحبة الإلهية والحياة في ابن الإنسان على الأرض. هناك كان فحوى الخبر أن الله نور، وأن لهذا النور علاقته بنا وتأثيره علينا، وهو حق أكيد من حقائق المسيحية كالحق الآخر تماماً الذي فحواه أن الله محبة. والواقع أن الحق الأول وهو أن الله نور جاء ذكره قبل الإعلان الفعلي للحق الثاني وهو أن الله محبة. فمع أن الأربعة الأعداد الأولى تضمنت بكل وضوح أن اله محبة، إلا أن هذه الحقيقة لم تذكر صراحة وتعلن بعبارات فعلية إلا بعد ذلك وهذا ترتيب إلهي لا بد منه لأنه من الأهمية بمكان أن الإنسان وقد أتت به النعمة المطلقة إلى الله يظل ذاكراً ولا ينسى أبداً أن الله نور، وأن اقتبالنا الحياة الأبدية في المسيح ما كان ليقلل من أهمية قداستنا العملية. فإن بركتنا الجديدة التي ننالها من الله من شأنها أن تجعل الخطية بغيضة لنفوسنا كما برهن الله أنها كذلك في نظره يوم أن ترك الرب يسوع وهو حامل على الصليب عبئها الثقيل الذي لا يطاق. وإذا كان هو قد أعطانا تلك البركة التي لا تقدر فلا يسعنا الهروب من المسئولية

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الأدبية التي تفرضها علينا وهي السلوك كما في النور. وهي في الواقع ليست مسئولية فقط بل امتياز عظيم أيضاً. فكم هو جليل ومبارك أننا نحن الذين كنا قبلاً ظلمة بسبب الخطية قد انتقلنا إلى ذلك النور العجيب، ليس أننا سننتقل عندما نذهب إلى السماء بل قد انتقلنا الآن فعلاً ونحن هنا في هذا العالم وقد دعينا لأن نسلك بموجب هذا الانتقال، ولو أننا تركنا لنسير في هذا الميدان بدون ملاحظة الآب المستمرة واستقرار عينه علينا لكان الأمر فوق طاقتنا وكنا ننفصل عن الله كلما وقعنا في خطية. إن الخطية تعطل الشركة لا محالة ولكنها لا تلاشي حياة المسيح فينا. إن حياة المسيح تختلف عن كل حياة أخرى في أنها لا تستطيع أن تفشل. فهي في طبيعتها أبدية – الأمر الذي يعزينا جداً ولو أنه يؤثر على قلوبنا وضمائرنا تأثيراً قوياً.

على أن الرسول يعود ثانية فيقول "هذا هو الخبر الذي سمعتموه من البدء". وما هو هذا الخبر الذي سمعوه من البدء؟ هو أن المسيح جاء بالمحبة وأنه أعطانا حياة وأننا مدعوون ليس فقط أن نؤمن بمحبة الله لنا بل أن يحب أحدنا الآخر كما أحبنا هو.

وإنها لبركة، وإنها لدعوة عجيبة تليق بالمسيح وتفترض تغييراً كاملاً، فإنه إذا كان هناك شيء يتميز به الإنسان الساقط فهو أن ذاته هي دائماً محور أفكاره ومشاعره. والذات بكل تأكيد ليست هي المحبة. ولكن ها هم أهل العالم، حتى في لغتهم الدارجة، يطلقون على الذات "رقم واحد" نعم، فإن "رقم واحد" بالنسبة للإنسان، ليس هو الله، بل الذات البائسة التاعسة الساقطة، فهي معبود الإنسان وإلهه. على أن الواحد الأحد، هو، ويجب أن يكون الله الصمد. أي نعم، أن "رقم واحد" يجب أن يكون مكان الله في نفسي، وقد كان من الطبيعي أن يكون الأمر كذلك لو لم أكن إنساناً ساقطاً خاطئاً، أما الآن فقد وضع الرب حداً لكل هذا البعد الفاصل بيني وبين الله وذلك بواسطة دعوة النعمة التي هي ثمرة تنازل الله في شخصه الكريم ليكون مباركنا، ليس فقط يعمل قام به لأجلنا بل بحياة يحياها ويمنحنا إياها، وهكذا أصبحت المسيحية العملية عيشة لله وطبقاً لكلمته ليس مجرد اتكال وراحة على المسيح وعمله خارجاً عنا فقط بل حصولنا على المسيح في داخلنا أيضاً. وكلا الأمرين حق وهما حق منذ بكور التاريخ المسيحي، لأنه "من البدء" قد سمع الخبر، ولا يمكن أن يعتريه تغيير إلا للشر. وكم واضح من هذا أن "من البدء" شيء مختلف كل الاختلاف عن "في البدء" حيث كان اللاهوت موجوداً وحده، وحيث لم يكن من يسمع ما يدور بين أقانيم اللاهوت حتى ولا ملاك وبالأحرى الإنسان، أما إذا قيل "من البدء" سمعتم هذا الخبر فواضح أنه يقصد به من الوقت الذي ظهر فيه المسيح بيننا على الأرض. ثم أن فحوى هذا الخبر ليس أن يحب أحدنا قريبه كنفسه فذلك كان صوت الناموس قبل المسيح أما دعوة المسيح فهي شيء أسمى من ذلك بكثير كما سنرى مما يلي:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إن "قريبك" الذي كان الناموس يقصده وكما يجب أن يفهم هو أولاً وقبل كل شيء الشخص اليهودي، هكذا كانت تفهم هذه الكلمة فإن اليهود لم يحبوا الأمم. ربما لم يجدوا صعوبة كبيرة إزاء الأمم الذين كانوا يأتون ليحتموا تحت جناحي إله إسرائيل لأن أفراد كهؤلاء قد يحسبون أقرباءهم بالنعمة. على أن هؤلاء الأقرباء من الأمم مجموعين معاً كانوا قلة بالنسبة لباقي البشر. كانت راعوث واحدة منهم إذ جاءت تستظل تحت جناحي إله إسرائيل. ومع أنها لم تكن من نسل إبراهيم فقد اقترنت بشخص خطير وعظيم في إسرائيل استطاع أن يشركها معه في سلسلة الانتساب التي كان معيناً أن يأتي منها راعي إسرائيل الرب نفسه – فأمثال راعوث كانوا عملياً أشخاص إسرائيليين. مع ذلك فلسنا بحاجة هنا لمناقشة هذه النقطة إذ الكل يعلم أن "تحب قريبك" كانت حتى مجيء المسيح تنصرف إلى أضيق دائرة. لقد وسع الرب تخومها يوم أثار احد الكتبة هذه المشكلة "من هو قريبي" كما هو الحال دائماً حين يسطع الحق ولا يستطيع السامعون أن يتخلصوا منه بسهولة فيلجأون إلى الأسئلة التي يظنونها محيرة. ومن أجل ذلك نطق الرب يومئذ بذلك المثل الجميل المعروف، مثل السامري الصالح. ويا له من مثل كان كالخنجر في قلب الكبرياء اليهودية! فهو ليس مثل " الإسرائيلي الصالح"، وهنا قوة المثل. فلم يكن سامرياً آخر هو الذي كان بحاجة إلى معونة ذلك السامري الصالح. بل شخصاً إسرائيلياً تحول عنه الكل ما عدا هذا السامري غريب الجنس. حتى أن كان لاوياً هو الذي رأى البائس المتألم، أو لأن كان كاهناً هو الذي رآه – فما شأن كل منهما به. إن الأمر لا يعنيهما ولا يدخل في دائرة اختصاصهما. وهكذا تجاهل كل مهما قريبه مع أن الظرف كان يتطلب محبة وعطفاً. أما السامري فلم ينح نحوهما، بل ضمد جراحه وعنى به. ألم يكن هذا السامري رمزاً مناسباً للرب نفسه؟ ويا له ممن مثل مبارك إذ كان الرب قد قصد بإعطائه أن يكون رمزاً له، فإن ذاك الذي أخلى نفسه وتنازل ليكون "عبداً" لم يكن ليضيره أن يستتر في صورة "سامري". لقد جاء ليحمل خطايانا في جسمه على الخشبة، يحملها وحده، ويتألم عنها وحده، البار من أجل الأثمة، لكي يمحوها إلى الأبد فلا عجب إن لم يخجل من أن يكون سامرياً في المثل. ولكن كم كان الأمر محطاً في نظر اليهود الذين لقبوه بهذا الاسم ازدراء وتحقيراً!

غير أن المحبة المسيحية نوع آخر على الإطلاق فهي محبة من نوع محبة الله ومستمدة منها. ولمن أظهر الله محبته أولاً إظهاراً كاملاً؟ لأولاده، ولا شك أن قليلاً من الإدراك لهذه المحبة يكشف عن مبلغ الانحراف الذي انحدرت إليه النفوس في النصرانية وبخاصة في هذه الأيام الأخيرة. إن أضعف مسيحي يكن في قلبه عطفاً غير قليل نحو الخطاة الذين هم في خطر الهلاك. ها هو شعور المسيحيين الحقيقيين بصفة عامة من نحو الخطاة ولكن قلما يهمهم أمر قديسي الله وهل هم يمجدون الله وابنه أم لا. إنهم يرون في تجديد الخطاة غايتهم القصوى، أما ما عدا ذلك فأشياء ثانوية. أفليس أمراً محزناً الوقوف عند هذا الحد؟ هل هو شعور الله؟ وهذا هو كل ما عنى به ابنه العزيز يوم كان على الأرض لقد كان له المجد

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

غرض محبة الله ورضاه كل حياته قبل أن يأخذ مكاننا كخطاة ويحمل خطايانا على الصليب، وهكذا كان تبارك اسمه الإعلان الكامل لمحبة الله فكيف به لا يحب أولاد الله؟

والآن – فيما خلا الكفارة – قد حللنا محله وصار لنا مكانه. فنحن أولاد الله ونفس المحبة التي استقرت عليه تستقر الآن علينا كما يخبرنا الرب في ختام (يو ١٧). وهذا شيء أعظم بكثير مما يتصوره مع الأسف معظم أولاد الله فيما يتعلق بأنفسهم صحيح أنهم لا ينكرون كلمات سيدهم ولكن هل يبدو عليهم أنهم يفهمونها، وأنهم يتكلمون ويتصرفون كما لو كانوا يشعرون بقوتها، وأنها تحمل في طياتها نموذج امتيازهم ومسئوليتهم؟ ولا شك أن شعورنا بأننا محبوبون بهذا المقدار وبهذا النوع من الحب يجعل قلوبنا تتجه بالمحبة نحو أولئك الذين هم غرض ذلك الحب نظيرنا بالسواء.

ولكن من المهم أيضاً أن نفهم أن محبة مثل محبته هذه كانت شيئاً جديداً لم يسبق لها مثيل. فمن ذلك اليوم فقط، أي منذ أن ظهرت هذه المحبة الجديدة، صارت الوصية أن يحب أولاد الله بعضهم بعضاً، وقد أسماها الرب "وصية جديدة"، والواقع أنه كان شيئاً جديداً أن نعلم أن الله آخذ الآن في تكوين عائلة، وعائلة تجمع معاً في واحد – هم أولاد الله الذين كانوا متفرقين ذلك كان شيئاً جديداً كل الجدة لم يعمل مثله قبل ذلك قط، ولكن هو ما يعمله الله الآن في صورتين خاصتين، فهي وحدة عائلية في كتابات يوحنا، وهي جسد المسيح الواحد في كتابات بولس وكلتا الصورتين تتفقان معاً في كونها وحدة إلهية بطريقتين متميزتين: إحداهما أن المسيح قد جاء بطبيعة الله ليهبها لمن يقبلها على الأرض، والذين قبلوها، أولاد الله، يجمعهم إلى واحد وهذه هي الوحدة العائلية، والثانية صورة الجسد الواحد لأن المسيح ممجد في السماء ونحن بالروح قد اتحدنا به في الأعالي، وهذه هي وحدة الرأس والجسد فرأس الجسد هو الإنسان الممجد، ومركز العائلة هو يسوع ابن الله والمسيح في الأعالي هو كلاهما.

فهنا إذن نرى حدود تلك المحبة وهي أن نحب أحدنا الآخر، فهي ليست المحبة التي تحمل الإنجيل للناس الهالكين، ولا هي محبة الناموس أو محبة القريب، إنما هي محبة العلاقة الإلهية متجهة نحو أفراد عائلة الله. والمحبة لأولاد الله هي لجميعهم على السواء في أقاصي الأرض كما لمن يحيطون بنا عن قرب. فهم جميعاً أعضاء جسد المسيح على السواء. ومطلوب منا تطبيق هذه الحقائق على البعيدين منهم كما على الذين هم بمقربة منا، وإذا لم نعمل بها فإننا حينئذ نكون مقاومين لكلمة الله أو مزدرين بها، ونحزن الروح القدس الذي فينا ليعيننا على تتميم مشيئة الله في حياتنا.

وهنا ينتهز الرسول الفرصة لكي يتعمق أكثر، فيوازن بين أولاد الله وأولاد إبليس موازنة قوية حاسمة، متعقباً كلاً منهما إلى اصل البذرة، فلا يكتفي بأن يسمي الفريق الآخر أشراراً

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أو أبناء الغضب كالباقين بل يدعوهم هنا "أولاد إبليس". وهذه التسمية تحدد الأمر تحديداً قاطعاً وتجعل الفارق خطيراً مرعباً، ومما يزيد في خطورة الأمر أنه يرجع إلى أوائل أيام الإنسان الساقط على الأرض بعد أن ولد أولاد لآدم وحواء فيبدأ بأكبر الولدين إذ يقول "ليس كما كان قايين من الشرير". فقايين ليس هو قياسنا الذي نحتذيه. بل يجب أن نبتعد عنه ونتحاشاه. ولماذا؟ لأنه "ذبح أخاه" مدفوعاً بشره وحقده. لا شك أن ذلك لم يكن حباً بل بغضاً وكراهة، وهذا ما يريد يوحنا أن يبينه ويبرزه. فهو لا يسمح بحالة وسطى بين المحبة والكراهية، ولا يوافق على ذلك الخليط من المشاعر والأفكار الذي يروق بعض الناس ويستهويهم. فإن كل محاولة لتبرير فعلة قايين والتماس العذر له إنما هي تشويه للحق. ومن الأهمية مكان أن نعرف أنه لابد من إقامة فاصل واضح وحدد بين ما هو من الله وما هو من إبليس، وهذا ما نراه هنا.

ومما هو جدير بالملاحظة كشيء عجيب يبين مدى خطورة الحق الذي يعالجه الرسول هنا أن قايين كان القائد والزعيم لابتكارين أو تجديدين.فهو أول من أنشأ الديانة الجسدية أو الطبيعية، إن قايين لم يكن ما يسميه الناس رجلاً لا دينياً، إذا كان المقصود من ذلك أنه لم تكن له ديانة. يوافقه في هذا رجل يومنا الذي يذهب بانتظام إلى كنيسته أو معبده. إن ديانته كانت مجرد ديانة الجسد أو الطبيعة، فلم تثر في نفسه أقل تساؤل عما إذا كان قربانه يوافق حالته أو يطابق فكر الله والناس بوجه عام لا يهتمون بذلك على الإطلاق ويكفيهم أن آباءهم كانوا يذهبون إلى تلك الكنائس أو المعابد وقد أخذوا هم عنهم. لقد تعمدوا، وتثبتوا، وتناولوا الأفخارستيا أو أصبحوا – على حد تعبيراتهم – أعضاء في الكنيسة أو الجماعة. وهي كلها أشياء تليق بالإنسان الراقي المهذب.

هكذا كان قايين الذي اختار لنفسه نوعاً من العبادة بها يقترب إلى الله بطريقته الخاصة فربما قال في نفسه: هوذا لا يوجد فضل من الأزهار والأثمار التي أبدعها الله في هذا العالم الجميل، وقد غاب عنه أنه عالم ساقط وأنهم جميعاً مطرودون من الجنة ولكنهم سرعان ما نسوا ذلك، وسرعان ما نسوا السبب في ذلك. لقد نسى قايين الخطية الخاطئة المتمردة التي اضطرت الله أدبياً أن يصدر أمر الطرد على آدم وحواء. ومن هنا رأى أن واجبه الديني يحتم عليه أن يقدم ما ظنه أفضل نتاج الأرض، ولا شك أن ذبيحة أخيه هابيل أفزعته وربما قال في نفسه: يا له من غر بليد! إنه يزمع أن يقدم حملاً صغيراً يذبحه قدام الرب! ما هذا العمل! كم هو مفزع للرب، وكم هو وحشي في حد ذاته! وأي ذنب فعله الحمل! ولماذا يتخذ الذبيحة من أبكار غنمه ومن سمانا! لا ريب أنه أخطأ فهم صفات الرب. فهل هو يسر بالدم أو الشحم؟ هل يلتذ بذبح حيوان مسكين بريء سبق أن منحه الوجود؟

هذه خواطر وأفكار لابد جالت حينذاك في رأس قايين كما تجول في رأس الكثيرين اليوم بصفة عامة. وهذه بالضبط أساس كل ديانة طبيعية جسدية من أي نوع كانت وفي أي زمان

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وجدت. ديانة منشأها تفكير الإنسان في ما يوافقه ويروقه شخصياً ويروق الآخرين في علاقتهم بالله ولكن بما أن الإنسان هو مصدرها الوحيد فلا شيء فيها من الله، بل كل ما فيها ادعاء الإنسان واعترافه الأجوف.

وماذا عن هابيل؟ لقد فكر هابيل بالإيمان في هذه الأمور تفكيراً عميقاً، ولقد اهتدى على الأقل إلى تلك الحقيقة المرعبة وهي أنه إنسان خاطئ قدام الله فلا شك أنه كان قد تعلم من أبويه ما قاله الله عن السقوط، كما تعلم أيضاً أن الله قد تكلم عن شخص آخر عتيد أن يتوسط في المشهد، وهو نسل المرأة الذي سيتمم عملاً لم يكن في مقدور أي مخلوق أن يقوم به، ألا وهو إبادة الحية ونسلها اللذين هم أعداء كذلك. بل أكثر من هذا فلم يكن أمراً تافهاً لدى هابيل أن يسمع أن الله قد ألبس أبويه أقمصة من جلد بدلاً من أوراق التين. هذا العمل لم يكن له أية أهمية في نظر قايين. أما هابيل فقد أدرك بكل يقين على حق هام وعظيم. لقد أدرك فيه الموت بكل معانيه. الموت! وكيف يتسنى الاكتساء بثماره؟ لا شك أنه ليس موتي أنا الذي هو أجرة الخطية بل موت شخص آخر غامض وعجيب! ذلك أن الرب-الكائن الرب كان يشير في نعمته – كما آمن هابيل وكما نؤمن نحن أيضاً. إلى الكساء الوحيد للإنسان الساقط الخاطئ، رجلاً كان أو امرأة، أولئك الذين كانوا برغم أوراق التين (أي لباس الطبيعة) عراة في خطيتهم. فقبل أن يقع أبوانا في الخطية كان عريهما بريئاً، أما بعد السقوط في التعدي الجريء فقد انكشف عريهما إلى أوراق التين يستتران بها على أنهما لم يكونا أقل من قايين التماساً للحيلة. مع فارق واحد وهو أن الله تنازل وصحح تصرفهما وهما من جانبهما قبلا التصحيح. "وصنع الرب الإله لآدم وامرأته أقمصة من جلد وألبسهما" – وكان لباساً مؤسساً على الموت ومن هنا تعلم هابيل بالإيمان أن يجمع هذه الأمور معاً، وبمقتضى ما أدركه أحضر أبكار غنمه. "إنه بدون إيمان لا يمكن إرضاء الله"، والإيمان يستند ويستريح على شهادة الله أنه ليس أي ولا لك أن نحدد مدى ما وصل إليه إيمان هابيل، غير أن الشيء الذي لا شك فيه هو أن فطنته كانت فطنة إيمان، أما قايين فلم تكن له هذه الفطنة. قد تكون فطنة محدودة ولكنها واضحة وحقيقية بقدر ما هنالك من نور وإعلان. وهذه هي النقطة المهمة، أن يكون الإيمان حقيقياً ومن الله.

لقد كان إيمان هابيل على جانب عظيم من البساطة ولكنه تميز في الوقت نفسه بالإدراك الروحي. لقد أحضر من أبكار غنمه حملاً ليموت. لم يكن قربان قوة، لا ذئباً ولا أسداً ولا دباً ليصارع الحية، بل على العكس حملاً صغيراً ليموت. "فنظر الرب إلى هابيل وقربانه". نعم، ألم ير فيه، كعهده من قبل وطوال الأزل، ما كان بعد غامضاً حتى في نظر أي مؤمن؟ ألم ير فيه الحمل الذي بلا عيب ولا دنس المعروف سابقاً قبل تأسيس العالم ولكنه العتيد أن يظهر في المسيح وفي دمه لأجلنا في الوقت المعين؟ هنا تبدو بذرة الحق الإلهي وبها قد

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

استمسك هابيل رافضاً الأفكار البشرية. أما الرب فلم ينظر إلى قايين ور إلى قربانه المأخوذ من ثمر الأرض.

لقد لاحظنا من قبل كيف أن قايين كان أول من ابتدع مباهج العالم، ولكن هناك ما هو أهم من هذه المظاهر الخارجية بكثير إذ كان هو أول من أدخل ديانة العالم أيضاً. وهذه النقطة الأخيرة هي مشغولية الروح البارزة في رسالة يهوذا التي تشبه رسالة يوحنا الأولى أكثر من أية رسالة أخرى مع ما بينها وبين رسالة بطرس الثانية من مشابهة عجيبة.ووجه المشابهة بين رسالة يهوذا ورسالة يوحنا هو أن كلتيهما تشيران إلى الارتداد، هذا هو الخط الأسود الحالك الذي يميز كلتا الرسالتين، ذلك الشر الدفين، روح الارتداد العامل في السر (الذي مع ذلك ما كان ممكناً أن يخفي عن عيني ذاك الساكن في الكنيسة) والذي هو نذير الارتداد الأكبر القادم فإن يوحنا يتكلم في رسالتيه عن أضداد كثيرين للمسيح قد ظهروا في يومه، هم طلائع ضد المسيح الأكبر، ولكن يهوذا، أخو يعقوب وعبد يسوع،يتكلم عن "طريق قايين" وطريق قايين غير محصورة في قتل أخيه، بل نرى فيها الشر الديني كما في بلعام وقورح سيما وأن المسألة الدينية كانت الباعث المباشر للقتل. زد على ذلك أن قايين كان في أخلاقه العامة رجلاً سوراً داعياً شريراً، كما يقول الكتاب أن "أعماله كانت شريرة وأعمال أخيه بارة" فهو والحالة هذه كان خير رجل يصلح لأن يكون مؤسس "العالم" والديانة الطبيعية ولا عجب إذا كان يرى وطنه يضيق به، وكأن لسان حاله يقول: تباً للوحدة والعزلة. إن الاتحاد قوة. فلنتحد. وإذا كان رجلاً نشيطاً فقد استطاع أن يقنع آخرين ويحملهم على الاتفاق معه، وفد كانت إرادته أقوى من إرادتهم، فكان أول من بنى مدينة ولك أن تثق أنه كان حاكم المدينة عندما بدأت تظهر. وهذه هي طبيعة ا؟لإنسان ومشيئته. فهو يحب القوة والنفوذ، وقد رأيناهما في قايين ولكنه قبل ذلك أدعى التدين أيضاً. وهذه كانت بصفة خاصة المناسبة العلنية لسقوطه لأنها كانت نقطة انفصاله عن الله ومنشأ جريمة القتل التي نتأمل فيها والواقع أن ديانة العالم وحضارته تسيران معاً جنباً إلى جنب. صحيح أن آدم وحواء لم يكونا همجيين كما يقول بعض الأردياء، ولكن من ذا الذي يزعم أن حالتهما كانت نوعاً من الحضارة؟ على أن العيشة طبقاً لمشيئة الله هي بلا شك أسمى بكثير من الحضارة. وما هي قيمة كل هذا التقدم الذي يتفاخر به الناس؟ وما هي قيمته في نظر الله، أو ما هي قيمته لخير النفس والروح؟

إن العالم جذلان اليوم لما أصابه من تقدم وها هو الكتاب يرينا أن بواكير هذا التقدم كانت اختراعات قايين. ففي أسرته قام من اخترع العود والمزمار والآلات القاطعة من نحاس وحديد أو بعبارة أخرى آلات الرفاهية والطرب والفخفخة والعيشة المريحة الهنيئة في الحياة الأرضية، ولما كان التقدم لا يستقيم ما لم تصاحبه صناعة التعدين، فقد نشطت سرة قايين لتوفير الخامات اللازمة في غير إبطاءأسرة قايين لتوفير الخامات اللازمة فيغير

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أأأأ   أتناتناعناعنأسرة قايين لتوفير الخامات اللازمة في غير إبطاء. ثم جاء لامك وأدخل مبدأ تعدد الزوجات. والغريب أن أول نظم شعري نسمع به في التاريخ البشرية نطق به الرجل موجهاً إياه ليس إلى الله في تسبيح أو توبة بل إلى زوجتيه.

هناك أنشد هذا الرجل قطعة صغيرة من شعر الأغاني لامرأتيه عادة وصلة يبرر فيها فعلته ويعظم ذاته ويهذي من روعها في نغمة تنم عن التحدي وغير خالية من الادعاء الآثم بموافقة الله ومصادقته حيث يقول أنه إذا كان ينتقم لقايين سبعة أضعاف فسبعة وسبعين ينتقم له، وهكذا يحول لامك كل شيء لتعظيم ذاته.

هذا هو العالم وهذه هي ديانته وهي بعد في أكمامها. ولكن هنا تربض الحقيقة "ولما ذبحه؟ لأن أعماله كانت شريرة وأعمال أخيه بارة" في هذا العدد يكشف لنا الروح القدس عن حالة كل منهما الأدبية سواء قبل التقدمة أو قبل ابتناء المدينة، أعمال قايين كانت شريرة وأعمال أخيه بارة، أعني أن هذه كانت حالتهما العادية قبل المناسبة التي أثارت سخط قايين. ولكن من المفيد أن نرى السبب المباشر في ثورته وانفجاره. كل ما هنالك أن الرب قبل هابيل وقربانه ورفض قربان قايين. هذا كل ما حدث، وهذا ما لم يطقه قايين ويحتمله، وقد زاد اشتعالاً ما كان عليه من كبرياء. ولم يقف سخطه عند حد. وحيث أنه لم يكن في استطاعته أن يفعل شيئاً ضد الرب شخصياً فقد تحول بغله وغيظه إلى أخيه. إنما الضربة كانت موجهة في الحقيقة إلى الرب، لأن رفض الله إياه كان في عينيه أشنع بكثير من قبول أخيه ولو أن هذا ضاعف من غيظه وهياجه. ولم يكن ضميره يحس بالخطية ولا بالله.
فالإحساس بالخطية والإحساس بالله يساير أحدهما الآخر، لأن الإحساس بالخطية هو الذي يستحضر الله أمام النفس، ويستحضره كديان للخطية. فماذا تكون عاقبة ذنبنا في عينيه؟ القضاء والإدانة لا محالة. ولكن أليست هناك رحمة للخاطئ؟ نعم هناك رحمة، بل إلى الأبد رحمته، كما يعرف المسيحي، وكما سيعرف إسرائيل بكل يقين في يوم قادم بالنعمة. إلا أن قايين لم يؤمن بهذا، ولذلك تحول من العناد إلى اليأس. وإذا كان شريراً في ذاته فلم تكن لديه أية فكرة عن وجود صلاح في الله حتى لشرير الذي يرجع إلى الله عندما يدعوه بالنعمة. لقد عرف جيداً واختبر في نفسه أنه إذا أخطأ في حقه شخص ما فلن يجد عنده ذرة من الرحمة. وإذا لم يشعر قط بحاجته إلى مخلص ولم يتقبل من الله بيد الشكر أو أشد من حيث عدم الرحمة بالمذنب.

وبعد ذلك يأتي التطبيق. "لا تتعجبوا يا إخوتي إن كان العالم يبغضكم". ومن المهم أن نلاحظ الفروق في التعبيرات. فقد سبق أن خاطب "الأولاد" بصفة عامة، كما خاطب الآباء والأحداث والأولاد الصغار بصفة خاصة، وهاهو الآن يخاطب "الأخوة". وليس من العسير أن ندرك صلاحية كل واحد من هذه التعبيرات فإنه مزمع أن يتحدث عن المحبة الأخوية ولذلك أخذ يخاطبهم كإخوة. وينبغي ألا نمر على أية كلمة من أقوال الله دون أن نزنها

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ونعيرها لاهتمام اللازم لنعرف لماذا استخدم الله هذه الكلمة دون غيرها. والإيمان يعلم أن طريقة الله هي دائماً الأحسن والأصوب.

"لا تتعجبوا يا إخوتي إن كان العالم يبغضكم" وهنا نحن نتساءل: ممن يتكون العالم؟ ومن هم أولئك الذين يشير إليهم الرسول بصفة خاصة؟ مبدئياً على الأقل هم أولئك الذين كانوا مرة في شركة الكنيسة ثم هجروها. وهم دائماً شر الكارهين. لأن الذين يتحولون عن الحق يبغضون لا الحق وحده بل ومن يتمسكون به إذ هم لا يطيقون أياً منهما. لماذا؟ لنفس السبب الذي أثار قايين، وهو وجوب إدانة الذات، فلا شيء يستفز المرتد الشرير إلا أن يقال له أنه يستحق الدينونة أو أنه يجب أن يدان. فهو يحاول أن يستبعد كل شبهة تتعلق بشره إذ قد أعماه العدو وبما أنه واقع تحت أكذوبة الشيطان فإنه أيضاً يشاركه في روحه القتالة.

هذه إذن هي روح العالم، وبخاصة أولئك الذين كانوا مرة يعترفون بالحق وقد هجروه. أمثال هؤلاء هم الذين يشار إليهم بصفة خاصة خلال هذه الرسالة. لقد ظهروا مرة بمظهر من تركوا العالم وراءهم، وهاهم قد عادوا أدراجهم إلى ذلك العالم الذي كانوا قد رفضوه ظاهرياً. إنما كان ذلك انفصالاً سطحياً لا غير، والرابطة التي كانت تربطهم بالعالم لم تنقطع انقطاعاً حقيقياً، ومن ثم فقد عادوا بقلوبهم – التي لم تعد تستهويها جدة الحق – إلى حبيبهم الأول، وكان في ذلك البرهان كل البرهان على أن اسم يسوع لم يربحهم لله قط ولو أنه له في بعض الأحيان تأثيراً واضحاً حتى على غير المتجددين.

ومن المهم بهذه المناسبة أن نرى تأثير المخلص على بعض الغارقين في العالم. خذ مثلاً طبقة الفنانين، الذين لا يسعك إلا أن تحكم على الفور أن التقوى ليست من خصائصهم كفريق، بل هم على العكس غارقون في الاستهتار والمتع العالمية من كل نوع. نحن نعرف بالطبع أنه وجد عدد غير قليل من الرسامين المسيحيين، لذلك لست أفكر في أن أتجاوز الواقع فيما يتعلق بهم إذ أتكلم عن الرسامين كفريق. ثم خذ طبقة الشعراء. إن صديقنا المفاضل مستر كوبر الشاعر كان يرى في زملائه رأياً قاسياً للغاية. فقد قال فيهم أنهم طغمة فاسدة بصفة عامة، ليس هناك على ما نعتقد من يحق له أن يصفهم الوصف الصحيح مثل كوبر. فمع أنه كان شاعراً أصيلاً من الطراز الأول إلا أنه سر أن يبرئ نفسه من كل أنواع المشاركة مع زملائه لأنهم – نظير الرسامين – ميالون لأن يشبعوا غريزة البطل والغرور في الرجال والنساء بكاذب المديح والإطراء وأن الكثيرين منهم في الواقع يتعيشون من ذلك، سيما وأن الآباء بطيعة الحال يهمهم كثيراً أن يحتفظوا برسوم أبناءهم. على أن الرسامين قد تأثروا كثيراً بصورة الرب يسوع التقليدية الخيالية. فكل من له إلمام بتماثل القدماء لا يسعه إلا أن يحكم أن تماثيل اليونان كانت شهوانية نظير أصحابها تماماً. فقد كانت تماثيلهم صورة حقيقية لأخلاقهم. ولكن نقوش العصور الوسطى (أي بعد دخول المسيحية) وبخاصة المتأخر المشهور منها الذي وصل إلى أيدينا في الوقت الحاضر قد

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

تأثر تأثيراً عجيباً بصورة المسيح التقليدية. وما أعظم الفرق بينها وبين تماثيل القدماء. فإنه حتى في هذه النقوش والرسوم تستطيع أن تلمح جمال القداسة معكوساً بقدر ما استطاع إنسان عالمي أن يظهرها كفكرة. هناك تستطيع أن ترى وداعة التواضع وإمارات التوكل على الله غير المنظور. هناك أيضاً لا تعود ترى تلك الصور الماجنة التي تلطخت بها العصور القديمة. فاختلفت صورة أفروديت وأبولو التي عبثت بأخلاق الإغريق وأحدرتهم إلى مهاوي الفساد، وحلت محلها صورة العذراء وطفلها، مما حمل الكثيرين على توقير الطهارة وتمجيدها أكثر من كل ما كان يخطر بال أولئك القوم من قبل. ومع ذلك فحاشا لي أن أرى في هذا كله أكثر من تأثير سطحي. بل على العكس أن قلب الإنسان هكذا شرير حتى أنه استغل هذه الصورة فهوى إلى عبادة الوثنية في الأم على حساب ابن الله الجدير وحده بكل عبادة وإجلال.

غير أن هذا على كل حال كان مبلغ تأثير اسم الرب يسوع (ذلك التأثير القوي وإن كان سطحياً) على أولئك الفنانين والشعراء الذين لم يتساموا قط فوق ما هو بشري ولم يكن لهم الإيمان الحقيقي بالآب والابن.

فلا يدهشنا الأمر كما قدمنا أن نرى الأشخاص الخادعين نفوسهم الذين دخلوا الكنيسة خلسة قد تأثروا تأثراً عميقاً بكل ما يحيط بهم وبما لذلك الاسم المبارك من تأثير روحي عظيم. ولكنها تأثيرات لم تتعد عقولهم. فالمسيح لم يكن حياتهم وإلا فما كانا ليتركوه، وما كان ليتركهم. "لأنهم لو كانوا منا لبقوا معنا".وما داموا لم يبقوا فماذا كان من أمرهم؟ أخذوا تدريجياً موقف المقاومة العلنية وبخاصة عندما رفض المسيحيون أن يخلعوا اسم المسيحية عليهم وعلى المرتدين أمثالهم. ولذلك "لا تتعجبوا يا إخوتي إن كان العالم يبغضكم". لقد أصبحوا جزءاً من ذلك العالم القاييني الذي بدأ بالادعاء الديني وانتهى بالقتل.

ولكن الرسول يفارق بين هذه الحالة وبين المسيحية الحقيقية فيقول "نحن نعلم إننا قد انتقلنا من الموت إلى الحياة لأننا نحب الاخوة". وهذه عبارة جديرة بكل تقدير واهتمام لأنها ترتبط مباشرة بأقوال أخرى خطيرة جاءت في الإنجيل. ففي (يو ٥: ٢٤) استخدم الرب نفسه الفقرة الأولى من العبارة مطبقاً إياها على المؤمن الفرد دون الجمع حيث يقول "الحق الحق أقول لكم إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية ولا يأتي إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة".

إذاً فنحن أمام مشابهة لفظية بين عددين مختلفين. ولكن المشابهة اللفظية ليست كل شيء، يقولون أن ما يميز الإنسان الذكي هو مقدرته على كشف المشابهة بين الأمور المتخالفة مما يثير دهشة الكثيرين وإعجابهم، ولكن هناك ما هو أفضل بكثير من الذكاء وهو الحكم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الصحيح الذي يمتاز باكتشاف الفروق بين الأمور التي تبدو متشابهة وهو مع الأسف ما يفشل فيه الكثيرون.

فما الفرق بين العددين؟ في الإنجيل نرى الرب يوضح كيف يحصل الإنسان الآن على الحياة الأبدية بواسطة تصديق شهادة الله عن ابنه، حتى أنه بذلك لا يأتي إلى الدينونة التي هي مصير كل إنسان بعيد عن المسيح. هذا ما يقوله سيدنا والواقع أن كل من يأتي إلى الدينونة لن يستطيع الخروج منها. فالدينونة معناها احتمال الإنسان ما يستحقه. وما الذي استحقه أنا وأنت أيها القارئ؟ ألم نكن مجرمين فجاراً عديمي القوة على فعل الخير والصلاح إلى أن خلصنا بالنعمة؟ فلا تظن أن أي إنسان يستطيع أن يذهب إلى الدينونة كما هو ثم يخرج منها. كلا. فإن مآل الدينونة بحيرة النار التي لا مفر منها. ولكن ليس هكذا يعامل الله الذين يؤمنون. إن المؤمنين لهم حياة أبدية ولا يأتون إلى دينونة. هذا ما يقوله الرب بفمه الطاهر بكل صراحة ووضوح، وذلك لأنه له المجد احتمل في نفسه دينونة خطايانا على الصليب. إن فكرة الدينونة مع الحياة الأبدية فكرة شنيعة ولا معنى لها في الواقع. إذ كيف يتأتى أن يكون للإنسان حياة أبدية ثم يؤتى به إلى دينونة؟ ولتأييد هذه النعمة وتدعيمها أكثر يقول السيد "وقد انتقل من الموت إلى الحياة" إن الموت كان قبلاً حالته الهالكة بسبب الخطية أما الآن فهو حي بحياته (أي حياة المسيح). وهذا التغيير قد تم للنفس من الآن ولو أنه لم يتم للجسد بعد ولكنه مضمون له ومؤكد في قيامة الحياة كما نقرأ في (ع ٢٩).

إذاً فالعدد ٢٤ الوارد في الإصحاح الخامس من الإنجيل ينطوي على كلمة مباركة جداً للخاطئ المسكين الذي يريد أن يعرف كيف يحصل على الحياة الأبدية. ولكن هذه ليست على الإطلاق القضية التي تتناولها الرسالة فالموضوع هنا ليس الإيمان للحصول على البركة بل ما نعلمه "نحن" الإخوة المؤمنين فعلاً، وبرهانه العملي أننا نحب الاخوة. لا شك أننا لم نكن أكفاء لهذه المحبة بدون الحياة الأبدية باعتبارها الطبيعة الإلهية التي تحب بحسب الله. ومن هنا كان التحديد بضمير المتكلم "نحن" مشيراً إلى الاخوة المؤمنين فقط واضحة لا تقبل الشك ولذلك فالعدد ١٤ في الرسالة يختلف كل الاختلاف عن العدد ٢٤ في الإنجيل. ولكن ليس معنى هذا الضمير "نحن" ينصرف إلى الاخوة المؤمنين في جميع الأحوال، فالقرينة هي التي تحدد معناه ومن الجهالة بالمكتوب الزعم بأنه متشابه في كل مكان. أما هنا فيقصد به جماعة المؤمنين على وجه التحديد إذ يقول "نحن نعلم (علماً باطنياً) إننا قد انتقلنا من الموت إلى الحياة لأننا نحب الاخوة". وما أعظمه من فارق!

فما الذي يعرفه غير المؤمن عن هذا التغيير؟ ومن أين له أن يعرفه؟ إن عديم الإيمان هو في الموت والخطايا، وإلى الدينونة يمضي. والإيمان وحده هو الذي يتناول البركة التي يقدمها المسيح هنا. أما الاخوة فيحبون بعضهم البعض كإخوة في عائلة واحدة هي عائلة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الله وكمن قد آمنوا فعلاً. فالمفروض أننا نحن الذين آمنا للحصول على الحياة الأبدية نحب إخوتنا، وإذ قد انتقلنا من الموت إلى الحياة فإن محبتنا لهم هي البرهان على هذه الحقيقة. نحن لنا هذا العلم الشعوري، ويجب أن يكون لنا، بالمفارقة مع أولئك الذين اصطنعوا من أوهامهم وخيالاتهم علماً فارغاً مجرداً من كل عاطفة إلهية. فالمؤمنون وحدهم، الاخوة في الرب يستطيعون دون سائر الناس على وجه البسيطة أن يقولوا "نحن نعلم" إننا قد انتقلنا من الموت إلى الحياة لأننا نحب الإخوة. وهذه المحبة هي الشهادة على هذا الانتقال والبرهان العملي عليه، غير أن الإيمان وحده هو الذي أدخلنا بنعمة المسيح إلى دائرة هذه البركة، فنحن لم نحصل على الحياة الأبدية أو ننتقل من الموت إلى الحياة بسبب محبتنا للاخوة، فإننا في ذلك الحين، قبل الإيمان، كنا نبغض الاخوة إذ كنا أمواتاً في الخطايا. لكننا إذ آمنا بالله، انتقلنا من الموت إلى الحياة الأبدية وعندئذ فقط عرفنا الاخوة لنحبهم من تلك اللحظة فصاعداً وإلى الأبد.

لذلك رأينا الرسول يضع هذه البديهية المسيحية "من لا يحب أخاه يبقى في الموت". يا لها من نتيجة خطيرة! فلا حياة، ولا انتقال من الموت، إن كان الإنسان لا يحب على هذا المنوال. ولكن لماذا يقول الرسول "أخاه"؟ إنه تعبير مطلق ينصرف إلى جميع المعترفين بالمسيحية. والرسول يتلذذ بمثل هذا النوع من التعبيرات التي يحرص مدعو المعرفة على تجنبها ولكن حاشا للرسول أن يتقيد بالحرف إنه يحاسب الإنسان على أساس اعترافه ويعلن أن "من لا يحب أخاه يبق في الموت" لأن مثل هذا الشخص يبرهن على أنه ليس أخاً حقيقياً بهذه الكراهية عينها ولاحظ دقة التعبير. فهو لا يقول فقط أن من لا يحب أخاه ميت بل يبق في الموت فمهما يكن اعترافه فإنه كان دائماً ميتاً روحياً ويبقى في الموت، وآية ذلك إنه لم يحب الذي دعي لأن يحبه باعتباره من عائلة الله. لم تكن عنده محبة في حين أنه كان لابد أن تكون عنده محبة لو إنه حصل على حياة المسيح في نفسه.

ثم يعود الرسول فيصيغ القضية في أسلوب أشد "كل من يبغض أخاه فهو قاتل نفس". هذه عبارة شديدة الصرامة، لأننا هنا أمام شخص لا يكتفي بأن يقف الموقف السلبي فلا يحب بل يتجه إلى الناحية الإيجابية فيبغض. إن أقواله القاسية على "أخيه" وتصرفه الساخط يكشفان عن بغضائه وبذلك يسمى "قاتل نفس" والرسول هنا يتناول الأمور من أصلها وأساسها. فبما أن روح هذا الشخص تتميز بالبغضاء ساعة التجربة والامتحان فإنه قاتل نفس من حيث المبدأ. شأنه شأن الرجل الذي يصفه الرب بأنه زاني لتركه الشهوة تعمل في قلبه بدلاً من أن يدينها ويتذلل من أجلها. إن الله يتعامل في المسيحية مع القلب وليس مع الظواهر فقط.وكل معترف يحاسب على أساس حركاته الداخلية ونتائجها الخارجية مهما كان هذا مستحيلاً وغير معترف به في المحاكم العالمية. "أنتم تعلمون أن كل قاتل نفس ليس له حياة

 All rights reserved © 2008-2018

أبدية ثابتة فيه". هذه صورة مناقضة كل التناقض للمسيح ومشابهة كل الشبه لإبليس. فأي شيء غير هذا يمكن أن يكون أكثر شبهاً بخصمنا الذي هو كذاب وقاتل منذ البدء؟

"بهذا قد عرفنا المحبة أن ذاك قد وضع نفسه لأجلنا". وهنا أيضاً نلاحظ الدقة في التعبير. فهو لا يقول "قد عرفنا محبة الله" بل يكتفي بالقول "قد عرفنا المحبة" ثم يتبعها بالقول "لأن ذاك قد وضع نفسه لأجلنا". لا شك أنها محبة الله أيضاً ولكن الرسول يخلط متعمداً بين الله والمسيح، ولو أن المسيح وحده هو الذي وضع نفسه لأجلنا. وهذا ما رأبناه مراراً وتكراراً قبل ذلك.فالله قد بين محبته في الصليب والصليب هو البرهان الأعظم الذي لا يدحض على المحبة اللانهائية، المحبة الغير المحدودة، المحبة التي من الله، ولو أن المسيح هو وحده الذي أظهرها وبينها إذ وضع نفسه لأجلنا.وإنه لمن الفضول القول، ومما يضعف قوة وجلال هذه العبارة، أن نقارن عمل سيدنا بما يفعله صديقه بدافع المحبة العظيمة أو يخاطر بحياته ليخلص شخصاً غريباً. أيها الأخ العزيز تأمل فقط في ذاك الذي صار إنساناً لكي يتمم العمل ويتجرع كأس الموت في أشنع الآلام وأرهبها! وذلك كله لأجلنا حينما كنا هالكين ولا نملك سوى خطايانا!

"فنحن ينبغي لنا أن نضع نفوسنا لأجل الاخوة". لقد كانت محبة المسيح فريدة في نوعها، عميقة جداً لا يسبر غورها، ولا يمكن أن يعدلها شيء من أي وجه من الوجوه. ومع ذلك فقد صارت النموذج أمام الذين هم للمسيح. وهل للمحبة حدود؟ إن المقصود بالمحبة أن تتخطى كل الصعاب، ومن شأن محبة الله التي اتجهت إلينا ونحن بعد في خطايانا أن تخلق فينا محبة ليس فقط لله بل لأولاده الذين هم إخوتنا، "فنحن ينبغي أن نضع" ولا يقول "فنحن نضع...." ولو أنه وجد قديسون وضعوا حياتهم ليس فقط لأجل المسيح بل لأجل إخوتهم، لكنه يقنع بالقول إنه "ينبغي" وذلك لأن محبتنا باعتبارها من الله قادرة على هذا النوع من التضحية. فإذا كان في موتي فائدة لأخي، فينبغي أن أكون مستعداً للبذل.

على أن الرسول يعلمنا أنه بجانب هذا البرهان النادر، وبدون الحاجة إلى الذهاب في ميدان التضحية إلى هذا الحد الأقصى، هناك من الدواعي ما يمس قلوبنا عن قرب وفي متناولنا أن نستجيب لها يوماً فيوماً. فبالقرب منا، وعلى كلا الجانبين، مطالب تدعونا لممارسة المحبة التي في قلوبنا دون الذهاب بعيداً. قد لا يتوافر لنا في الحياة أن نبذل نفوسنا لأجل الاخوة ولكن هناك أعواز يعرفها كل منا في دائرته أخ أو أخت في حالة العوز الشديد فما هو تقديرك لهذه الحالة وما هو جواب محبتنا لآلام أخينا الفقير أو أختنا المحتاجة؟

"وأما من كان له مشيئة العالم" أي خيراته وموارده "ونظر أخاه محتاجاً" أي لم يره فقط مجرد الرؤية العابرة بل نظر وتأمل وأخذ فكرة صحيحة عن حاجة أخيه. ربما لم يظهر الأخ أية علامة لم يشك إطلاقاً ولم يذكر تجربته لآخر. فهل تقف المحبة مكتوفة اليدين؟ إن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

هذا الصمت من جانب أخينا المحتاج ينبغي أن يكون فيه أقوى صوت لقلوبنا وأكبر دعوة للعون والنجدة. فهو محتمل الضغط بلا تذمر، وهي تعاني وتحتمل الضيق دون أن تخبر به أحداً سوى الله، ومع ذلك فإننا ونحن ننظر حاجة أخينا وأختنا وعيوننا مفتوحة لمشاهدة ضيقته أو ضيقتها نقف جامدين مترددين. تتوفر لأحدنا وسائل المعونة والنجدة ولكن بدلاً من مد يد المساعدة "يغلق أحشاءه". "فكيف تثبت محبة الله فيه"؟ إن الرسول يعالج الأمر بحرص وهدوء ولكن بخطورة وعمق. "كيف تثبت محبة الله فيه"؟ إنه لا يطالبني بأن أموت لأجل أخي ولكنه يطالبني بأن تمتلئ يدا محبتي بالوسائل التي تزيد عن حاجتي الضرورية لقدمها للأخ المتألم من البرد أو المرض أو الجوع أو أي علة أخرى. فإذا كان في مقدور إنسان أن يمد يد العون ليخفف عن أخيه ولا يفعل "فكيف تثبت فيه محبة الله"؟

فكما أن المحبة هي نشاط طبيعة الله فهي كذلك بالنسبة لطبيعة أولاد الله الجديدة، ومقصود بها أن تكون في جريان مستديم نحو الآخرين، ليس فقط في المناسبات الكبيرة بل في أصغر أمور الحياة. ليتنا لا يفوتنا ما لغة الرسول من لياقة وجمال. فقد كفاه في عدد ١٦ أن يذكر المحبة بغير تحديد في حين جاءت الأقوال التي بعدها تبين جلياً أنها محبة ذاك الذي وضع نفسه لأجلنا. وفي الإصحاح الثاني لم تكن "المحبة" فقط بالمفارقة مع العالم ولا "محبة الله" بل "محبة الآب" أما في العدد الذي أمامنا فلم يكن من دقة القول أو المناسب أن يستخدم "محبة الآب" بل "محبة الله" التي تعني وتهتم بأصغر مخلوقاته والتي من شأنها أن توبخ كل ابن له يغلق أحشاءه عن أخيه المتضايق.

ختاماً أود أن نلاحظ كيف يتنوع تطبيق موت المسيح في هذا الإصحاح ففي العدد الخامس كان الباعث على الموت لكي يرفع خطايانا كفارياً، وفي العدد الثامن لكي ينقض أعمال إبليس، أما العدد ١٦ فنراه له المجد يضع حياته لأجلنا كنموذج المحبة لنا ولأجلنا كل ذلك اجتمع في موته كما نرى بأكثر إيضاح في (عب ٢: ٩، ١٠، ١٤، ١٧).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الرسالة الأولى: الخطاب الحادي عشر

١يو ٣: ١٨ ــ ٢٤

"يا أولادي لا نحب بالكلام ولا باللسان بل بالعمل والحق. وبهذا نعرف أننا من الحق ونسكن قلوبنا قدامه. لأنه إن لامتنا قلوبنا فالله أعظم من قلوبنا ويعلم كل شيء أيها الأحباء إن لم تلمنا قلوبنا لنا ثقة من نحو الله. ومهما سألنا ننال منه لأننا نحفظ وصاياه ونعمل الأعمال المرضية أمامه. وهذه هي وصيته أن نؤمن باسم ابنه يسوع المسيح ونحب بعضنا بعضاً كما أعطانا وصية. ومن يحفظ وصاياه يثبت فيه وهو فيه. وبهذا نعرف أنه يثبت فينا من الروح الذي أعطانا".

هنا نطرق موضوعاً جديداً لم يتناوله الرسول من قبل ولكنه مرتبط بالمحبة المتبادلة بين أولاد الله التي كنا نتأمل فيها قبلاً. فيخاطبهم الرسول أولاً بصفتهم الأولاد الأعزاء وهي كلمة تعني هنا كما في كل مكان آخر عائلة الله بأكملها بما فيهم الآباء والأحداث والأطفال.

وهو هنا يدعونا لأن نحب لا بالكلام أو اللسان بل بالعمل والحق. وبهذه الكيفية يقودنا إلى الموضوع الجديد فيقول "بهذا نعرف أننا من الحق". ومن الخير أن نعلم أن هذه المعرفة متوقفة على نوع سلوكنا، ولا نشير إلى حالتنا في المسيح فالحياة الأبدية مثلاً التي امتلكناها الآن في شخصه الكريم هي حقيقة ثابتة ومعرفتها ثابتة كذلك. أما هنا فهو ينظر إلى ثقة القلب التي ننالها بالسلوك المستقيم قدام الله في حياتنا اليومية وبخاصة في المحبة،لأن هذا التزام يخدع الكثيرون فيه أنفسهم. فليس أيسر علينا من أن نطالب الآخرين بالمحبة ونشكو نقصها لديهم، ولكن الواقع هو أن أكثر المتذمرين ضد الآخرين هم أقل المؤمنين اهتماماً بالمحبة ومقتضياتها من جانب أنفسهم. فهم يحسبون أنفسهم جديرين بأن يكونوا موضوع المحبة، في حين أن الطريقة الصحيحة هي أننا أنفسنا نحب إن كنا نريد حقيقة أن نحب. إن اتجاه القلوب بالطبيعة والصلاح وبدون غرض أناني يفعل في القلوب الأخرى، بينما التي تسارع للكلام عن المحبة تنتهي عند تلك النقطة. ومن أجل هذا رأى الروح القدس أن يجعل من هذه العبارة حلقة اتصال تربط بين الأقوال السابقة والأقوال اللاحقة.

"لا نحب بالكلام ولا باللسان". لا شك أن كل مسيحي مهما كانت حالته يعرف أن هذه ظاهرة ينبغي عليه أن يرفضها، ولكنه إن لم يكن في حالة عملية طيبة مع الله فإن محبته تكون جوفاء وبلا تأثير. إن الإنسان الطبيعي يتكلم عن المحبة بطريقته الخاصة، أما المسيح فقد برهن عليها في كامل حقيقتها ومن واجبنا نحن الذين نعترف به أن نسلك في نفس البساطة والحقيقة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

واضح أن هذا كله ينبع من الحياة الأبدية التي نمتلكها إن كنا نؤمن به، وهي الحياة التي يسميها بولس باصطلاحه الفريد "حياة الله"(أف ٤: ١٨) أو "المسيح حياتنا" (كو ٣: ٣ و ٤) أو عبارات مماثلة في (غلا ٢: ٢٠). ومن أجل هذا رأينا يوحنا يخلط بين الله والمسيح بحيث نكاد لا نفرق مَن من الأقنومين المباركين هو المقصود بالذات. ولكنه يفعل هذا عمداً ولقصد جليل. فإن الابن هو الله كما أن الآب هو الله ولا رسول يوحنا يريدنا أن ننسى ذلك على الإطلاق بل أن نحمله في بالنا على الدوام. فلا يظنن أحد أن كتابته بهذه الطرقة ترجع إلى أي إهمال أو عدم دقة في الأسلوب. إن الرسول يوحنا كان يعرف جيداً ما يفعله وكان يقصد أن يقول ما كتبه تماماً بالحرف الواحد. إنما القوم الأغبياء الواثقون في أنفسهم هم الذين يجسرون أن يقولوا شيئاً غير ذلك عن الرسول الملهم. أما السبب الحقيقي فهو أن الآب والابن هما الله. ومع أن المسيح صار إنساناً إلا أنه بقي في اللاهوت ويبقى إلى أبد الآبدين كالآب والروح القدس على حد سواء،فإن بمجيئه في ثوب الاتضاع بقصد تمجيد اله وبركة الإنسان لم يفقد مجده الإلهي لحظة واحدة. كان هو الإله الحقيق يوم تنازل ليولد من امرأة. ومع ذلك فنحن نعرف كم يعتمد الطفل الوليد اعتماداً مطلقاً على أمه أو مرضعته، فليس من كائن على وجه الأرض مدين لعناية المحبة ورعايتها أكثر من الطفل وليد المرأة. ولكن المسيح حتى في هذا الظرف كان الله الحقيقي كما كان تماماً يوم أن أقام لعازر أو أي شخص آخر من الأموات. وكذلك عندما مات كان هو نفسه الإله الحقيقي، رغماً عن كل الظروف المناقضة. فما كان ممكناً أن يتوقف عن أن يكون الإله الحقيقي وما كان ممكناً لموته أن يؤثر في حقيقة لاهوته، فإنه حتى في حالة الإنسان لا تتأثر النفس والروح بالموت، فما الموت سوى انفصال الحلقة التي تربط الجسد بالإنسان الباطن، من باب أولى تصدق هذه الحقيقة – بل وأكثر منها بكثير – على الرب يسوع الذي كان الابن دائماً.
صحيح إنه دعي يسوع المسيح بعد صيروورته إنساناً ولكنه والكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد، تماماً نظير الآب والروح القدس الذين لم يتجسدا قط.

قلنا أن المحبة هي ما يميز نشاط الله، ويا لها من حقيقة مباركة في ذاتها بالنسبة لنا! فالدينونة ليست طبيعته وما كانت لتسرى على الإنسان إلا بعد ظهور الخطية، وما كان هناك إي مجال لمعاملة كهذه سوى عن طريق الخطية، أما الله فكان دائماً محبة، ولما جاءت اللحظة المناسبة لإظهار محبته في تجسد المسيح وعمله الكفاري تجلت أعمال المحبة بطرق لا مثيل لها، تجاوزت حدود إحسانه في الطبيعة بأسرها وعظمت جداً فوق كل ترتيبات حكمته ورأفته، مع عُظمها وجلالها جميعاً، من نحو جميع المخلوقات من نبات وحيوان، وفاقت بالأكثر حينما نقارنها بمواد صلاحه في الخليقة من نحو الإنسان.

إننا نفعل حسناً أن نتأمل في ما يحيط بنا. لقد أشار أحياناً إلى أشيا خارجة عنا قائلاً إنه إذا كان الأمر معها هكذا فكم بالحري يكون معنا. فكم من دروس عظيمة يتلقاها التلاميذ من

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مشاهدتهم طيور السماء أو زنابق الحقل. أشياء تدل جميعها ليس فقط على القوة الإلهية بل على الحكمة والصلاح والرعاية التي تهتم بكل صغيرة وكبيرة – وهو صلاح يدوم ويبقى رغم خطية الإنسان وشره. فقد كان ممكناً – بعد أن سقط الإنسان – أن يغير الله خضرة الحقل الجذابة إلى حمرة دامية مؤذية كإشارة مزعجة للدينونة العتيدة، ولكنه تبارك اسمه لم يحدث تغييراً كهذا فالحقل الأخضر لازال هو الحقل الأخضر والزنابق والأزهار لازالت جميلة وجذابة تملأ الجو برائحتها العطرة المنعشة. لسنا نقول إنها اليوم كما كانت جميعاً في الفردوس إذ أن كل شيء على الأرض قد تأثر بالسقوط يقيناً لكن لا جدال في أن المثل الأعلى لازال هو هو مما لا يتسنى أن يصل إليه أي إنسان. فسليمان في كل مجده لم يكن يلبس كما تلبس زنابق الحقل دون أي دخل في الإنسان على الإطلاق.

على أنه من المهم أن نرى المحبة الإلهية خارجة بالكلية عن نطاق الخليقة وأسمى بالضرورة عن الطبيعة البشرية المجردة فهي فوق الطبيعة نظير الحياة التي هي الطبيعة الجديدة ومركز عمل روح الله. نعم، فلابد من أن تكون هناك طبيعة تحمل ثماراً تليق برضاء الله، وأنت لا يمكنك أن تأتي بأي ثمر بغير ينبوع حي. فمن أين يصدر ذلك الإحساس الجيد والنشاط الفريد اللذان يختلجان في النفس المتجددة ويقصر دونهما الإنسان كإنسان؟ ما هو ذلك الينبوع في المؤمن الذي يصدر عنه كل ما هو محبة من نحو الله والناس؟ هو الحياة الأبدية. وبدون هذه الحياة لا يمن أ، تكون هناك طبيعة تثمر ثمراً جيداً. ولسنا نحن أنفسنا شهادة كافية على هذه الحقيقة؟ لقد كنا مرة أناساً مميزين بكل المؤهلات المدهشة التي يضفيها الله على الإنسان، وهي في الواقع مؤهلات عظيمة بغض النظر عن الخليقة الجدية وامتيازاتها الخاصة. ومن هذه الامتيازات الأخيرة لم نكن نملك شيئاً عندئذ، وما كنا نفهم ما يقال عن النعمة مما لا يرى فيه الإنسان الطبيعي سوى هراء وثرثرة، كما هو الحال دائماً، ولو أن شيئاً من الذوق قد يمنع اللسان من التصريح بهذا. ولكن الناس يشعرون أنهم بعيدون عن فكر الله، ولا يستطيعون الدخول في رحابه. بل حتى روح الإنسان – وهو أفضل ما فيه – لا يستطيع أن يعي فكر الله، إن روح الإنسان تحلق فوق مستوى طبيعته الأدنى ومع ذلك فإن أسمى جزء في طبيعة الإنسان لا يستطيع أن يفهم أمور الله (يو ٣: ٣ - ٦)نعم. إن روح الإنسان لا يستطيع أن يسمو فوق أمور الله (كو ١: ٩ - ١١) أكثر مما يستطيع حيوان أن يفهم حركات الساعة مثلاً. فالحيوان له طبيعة الحيوان وليس طبيعة الإنسان الذي يمتاز بذكاء متجدد على الأيام والذي يمارس حذقه الشخصي مستعيناً بخبرة الآخرين ومسترشداً بالمسببات والوسائل الميكانيكية المختلفة حتى يصل في النهاية إلى هدفه الجديد المحدود وهو صنع الساعة. قد تصبح هذه العملية على مر الأيام وبفضل المران عملية ميكانيكية لا تقتضي من الإنسان جهداً كبيراً أو تفكيراً جباراً ولكن هذا لا ينسينا ما بذله من فكر وجهد ومهارة الإنسان الذي صنع الساعة الأولى. ربما كانت تلك الساعة ضخمة الحجم، غير جميلة الشكل، وكثيرة الخلل. ولكن هذا لا يمنع

 All rights reserved © 2008-2018

أن الجهد الفكري الذي بذل في اختراعها كان أعظم بكثير من كل المهارة التي أمكنها فيما بعد أن تخرج أحسن ساعة عرفها العالم. ومع التسليم بكل هذه الجهود الفكرية والنشاط الذهني فهنالك أيضاً الإحساس بالمسؤولية نحو الله والشعور الأدبي الذي هو أسمى بكثير من النشاط الذهني، وهي مميزات قد اختص بها الإنسان وحده دون سائر المخلوقات على وجه الأرض.

والخلاصة أن أمور الله تسمو فوق إدراك أفضل الناس بحسب الجسد وفوق أسمى جزء في الإنسان بقدر ما يسمو تركيب الساعة أو أية آلة مماثلة فوق طبيعة الحيوان أو أي غريزة من غرائزه. وكم هو محط لنا أدبياً أن ننسى هذه الحقيقة أو نتجاهلها! وأنه في الحق لفارق كبير وبالغ الأهمية ولا يسعنا متى أحسسنا به إحساساً صادقاً إلا أن نرفع الشكر لإلهنا، بينما هو في الوقت نفسه يعظم نعمة الله ويكشف عن أعماقها، لأنه تعالى وهبنا نحن المؤمنين حياة قادرة على الدخول في أفكاره وعواطفه وإدراك مقاصده ومشوراته، بإرشاد روح القدوس الذي يفحص كل شيء حتى أعماق الله.

فإنه من المسلم به إننا بحاجة إلى روح الله في هذا الأمر أيضاً. فليس يكفي أن نولد من الروح، لأن قديسي العهد القديم كانوا مولودين منه، لكنهم لم يكونوا ليستطيعوا إلى ذلك الوقت أ، يحصلوا على الروح القدس نازلاً من السماء ليسكن فيهم، وهو لم يعط لأي قديس قبل إتمام فداء المسيح، ولا ينال أي إنسان عطية الروح القدس الآن ما لم تستقر نفسه على الفداء. ولما كان بعض المسيحيين بالاسم يخلطون بالفداء أموراً أخرى من تراث العهد القديم، فقد أعوزهم الروح القدس مقيماً ماكثاً فيهم، وهذا هو سبب ما تراه فيهم من جهل وقصور روحي فهم لا يستطيعوا أن يتجاوزا أركان الحق الإلهي أو عناصره الأولية وذلك لأنهم لم يحصلوا على قوة الروح وبالتالي لم يفوزوا بعد بالسلام التام مع الله. قد يكون لهم شيء من المعرفة المسيحية ولكن حقيقة الأمر هي أنهم ليسوا مستقرين على فداء المسيح ومن ثم ليس لهم ثمر ذلك الفداء وهو السلام التام، فهم يسعون وراء حاجة نفوسهم ويجاهدون كما يقولون ليحصلوا على ما لم يمتلكوه، وقد فاتهم أن السبيل الوحيد للحصول على الحرية التي في المسيح إنما هو التخلي عن الذات وجهودها قطعياً والاستقرار الكلي على المسيح وعمله الفدائي، وذلك لأن العمل الكفاري قد تم وما عليهم إلا أن يقبلوا نتائجه المباركة بالإيمان.

وهذا القصور في الإيمان، أو هذه السطحية الجوفاء فيه دخلت كطوفان بعد رحيل الرسل، ففي أيام الكنيسة الأولى لم يكن ليسمح لأي شخص أن يدخل في شركة الكنيسة إلا من كانوا مختومين بالروح القدس ولكن بعد أن بدأت الكنيسة تستقر في العالم وبد أن هدأت فورة الاضطهاد، وبعد أن انضم إلى جماعة المؤمنين كثيرون من الحكماء والأغنياء والأقوياء والنبلاء صار من الأهداف التي تستحق الاعتبار أن يتآخى الإنسان مع مثل هذه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الشخصيات الكبيرة التي صارت بحكم المحبة المسيحية أقرب إلى المودة والألفة والأخاء أكثر جداً مما لو كانوا في العالم، فكان ذلك باعثاً لنفر غي قليل أن يتبعوهم، كما رأى بعضنا في تاريخنا القصير شيئاً من هذا القبيل. لكن سرعان ما تذبل المحبة في مثل هذه الأحوال، ومن هنا نفهم ضرورة قول الرسول "لا نحب بالكلام أو باللسان بل بالعمل والحق".

"وبهذا نعرف إننا من الحق" أي متى سلكنا في المحبة. هذه تعزية كبرى للمؤمن ولكن كم هو خطأ أن نضعها أمام النفس الغير المتجددة كطريقة الحصول على الغفران! إن أي شخص يعرف الإنجيل لا يمكنه أن يطلب من أمثال هؤلاء أن يظهروا ثمار المحبة هذه. أما بالنسبة للقديسين فهو ذات الشيء الذي ينبغي أن يحسوه في نطاق ما يسمى بحق حكومة الله الأدبية ذلك إننا متى جئنا إلى الله نصبح موضوع اهتمام الله كأب يحكم على تصرفاتنا كل يوم (١ بط ١: ١٧) وقد أبرز الرب هذه الحقيقة في رمز الكرمة والكرام (يو ١٥) معلناً نفسه الكرمة الحقيقية وتلاميذه الأغصان. ولاحظ أن هذا الرمز ليس خاصاً بالولادة الجديدة التي موضوعها (يو ٣: ٣-٦)ولا بالوحدة كما يظن البعض خطأ. ففي كلتا الحالتين (أي الولادة الجديدة والوحدة مع المسيح) لا يمكن أن يوجد شيء كضياع الحياة الأبدية أو قطع أعضاء المسيح. وهو فارق يكفي لدحض هذا التطبيق الخاطئ ونقضه من أساسه. أما الكرمة فتعلمنا ضرورة الشركة العملية مع المسيح لأن الثبات فيه وهو فينا هو قوة الإتيان بالثمر. إذ ماذا يعين التلميذ على الإتيان بالثمر أليس الاعتماد على المسيح وثبات أقواله فينا مع الصلاة (يو ١٥: ٧)؟ فالمسيح هو مصدر كل ثمر والأغصان إنما تحمل الثمر باعتمادها عليه وبدونه لا تستطيع شيئاً. والآب هو الذي ينقي الغصن لكي يأتي بثمر أكثر. ولكن الكرمة (المسيح) هو الذي يمد الأغصان المرتبطة به بكل العصارة التي هي قوة الحياة المثمرة.

لاشك أن سيدنا صنع ما هو أعظم من ذلك بكثير ولكن هذا هو ما يصنعه في سبيل الإتيان بالثمر، فإن أنت فصلت الغصن عن الكرمة فماذا تكون الحال؟ هل يقدر أن يثمر عنباً مرة أخرى؟ وهل يزداد ثمره؟ كلا. لقد قرأنا عن أناس كانوا يوماً يسيرون مع المسيح فجاء عليهم وقت لم يسيرون معه ومعنى ذلك إنهم فصلوا أنفسهم عنه، ولم يعودوا أغصاناً في الكرمة. لسنا ننكر أن واحداً هنا أو هناك قد يتوب ويطلب الرجوع، حاشا لنا أن ننكر أنفسنا أو نثبط عزيمتها ولكن الذين يتركون المسيح يصبحون بصفة عامة قساة ومقاومين إلى درجة ما. والواقع إنه من النادر نسبياً أن يرجع إلى الرب من يعطيه القفا يوماً من الأيام. أما إذا عملت التوبة عملها الحقيقي، فما أرحب الصدر الذي يقبلهم! إنه لا يوجد حد لمحبة المسيح أما الذين نشير إليهم هنا فإنهم عوض أن يحكموا على أنفسهم قد ملأوا أدمغتهم وقلوبهم بأفكار قاسية عن المسيح وتخلو عن كل مظاهر التوقير والإجلال لشخصه الكريم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

محاولين الخفض من قدره والاستهانة بعمله مدللين بذلك على إنهم لم يحصلوا إلا على عقائد دون الحياة الأبدية.

لذلك كان من الخطورة بمكان أن نعي في بالنا أن حكومة الله الأدبية تتعامل مع النفوس الآن ولها عمل مزدوج. فمن الجهة الواحدة يشرف الله على كل قديس ويحكم على كل خاطئ ولكن في أمانة المحبة. ومن الجهة الأخرى هناك من يسيئون الظن به فلا يحتملون معاملاته ولذلك ترهم يقاومون أو يحقرون التجارب التي يستخدمها الله كوسائل لرد نفوسهم. فإنه يؤدب، وكل تأديب لا يرى للفرح في وقت التأديب (لأن الفرح في هذا الظرف معناه نكران صفات الله) ولكنه نافع، وأخيراً يعطي الذين يتدربون به ثمر بر للسلام. والخلاصة أن الله كاب يحكم الآن على كل واحد منا بحسب عمله، وهذه هي حكومته الأدبية. هكذا هو يتعامل مع أولاده أو على الأقل مع الذين يعترفون أنهم أولاده، فإن الله يعامل الناس من هذا الوجه على أساس اعترافهم. أما الذين لم يحملوا قط اسم الرب يسوع فإنه يعاملهم بطريقة تختلف عن ذلك كل الاختلاف.

لذلك كان لازماً على كل من يسمى اسم الرب أن ينفصل عن الإثم وهكذا يستيقظ ويتخلص من فخ إبليس لئلا يسيطر في النهاية على نفسه، ويا لهول سيطرته! وكلما طال الانتظار كلما ساء الحال، وهذا التسويف أمر رديء للغاية في حالة أولئك الذين يظنون إنه في مقدورهم أن يعيشوا كوحدات مستقلة منعزلة ويخشى أن كثيرين يقنعون بهذه العزلة كما لو كان ذلك يخليهم المسؤولية وسط الفوضى الضاربة أطنابها في النصرانية وهم يرون في أخطاء المسيحيين الآخرين مبرراً لاعتزالهم وتجنبهم متاعب السير برفقة القديسين كإخوة، يحصون عليهم تقصيراتهم التي ما أسرعهم إلى رؤيتها، وفي غير رحمة. غير أن حالتهم هذه خالية من الإحساس بما هو جدير بمجد الله. ويا لها من حالة تعيسة أن تبرر أنفسنا بأخطاء آخرين! ولكن هل تصرف كهذا أفضل حقاً من تصرف الذين لم يعترفوا قط بالمسيح؟ وليس شأنهم في هذا مع الأسف من يسلكون بنور نارهم وبشرارة من وقودهم؟ فليحذروا من أن يضطجعوا في الغم والوجع. إن مسلكهم ليس مسلك البر ولا مسلك المحبة، ونعلم أمن المسيحية تربط الاثنين معاص بحسب حق المسيح.

إذاً فقط تعلمنا أنم سر قوتنا في سلوكنا كقديسين هو الاعتماد على المسيح وأليست الكرمة تعلمنا هذه الحقيقة أكثر من أي رمز آخر؟ فتش في كل دائرة الطبيعة فلن تجد شجرة نظير الكرمة يتمثل فيها مبلغ حاجة الأغصان للثبات في الكرمة واعتمادها عليه للإتيان بالثمر، وهذا هو المبدأ عينه مع المسيحي بالنسبة للمسيح، وهكذا هو الحال هنا. فإذا كانت المحبة مجرد كلام ولسان، وإذا لم تكن بالعمل والحق، ألا تكون مُسيئة لله؟ألا تكون إهانة لروح الله؟ فإذا كنا نسلك كأولاد نور، فإننا أيضاً ننفذ مبدأ المحبة الإلهي أي إننا نطلب خير بعضنا البعض بلا غرض أناني هذا هو نوع المحبة التي نعرفها في الله، وقد صار المسيح

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إنساناً ليظهرها بطريقة لم يكن مكناً إظهارها إلا بالتجسد. فهل من عجب أن نرى الله يغار غيرة دافقة على اسم ابنه يسوع ربنا؟ لقد تجلت المحبة الإلهية في اتضاع المسيح إذ صار إنساناً احتم الآلام التي اقتضتها تضحيته بنفسه إلى حد احتمال دينونة الله للخطية التي وضعت عليه. وهذا لم يكن ممكناً أن يفعله الله كالله، غير إنه ذات الشيء الذي صار لنا من الله في كفارة المسيح عن خطايانا. هنا أضاء نور الله ومحبته وحقه بطريقة تسمو فوق فكر الإنسان وهذه هي المسيحية.

ولكن الجانب العملي في المسيحية ليس مجرد البر أو الطاعة كما رأينا، بل هناك جانب آخر ضروري هو في الواقع أساس الأمر كله. ذلك الجانب هو المحبة، فقط لتكن عملية كما يقول الرسول. ومتى كانت كذلك فإننا "نعرف" إننا من الحق. والرسول هنا يضم نفسه مع سائر أولاد الله، الأمر الذي يضفي على أقواله جمالاً خاصاً. "بهذا نعرف (أنا وأنت، الرسول وجميع القديسين) إننا من الحق". ولكن مع الضمير الغير الصالح تختفي خدمة المحبة وكل ما يصدر عن الحياة الإلهية. ولست أقصد من هذه الإشارة أولئك الذين ليسوا أولاد الله بل أقصد أولاد الله. فهم وحدهم الذين تضيق خطواتهم بسبب الضمير الغير الصالح وهم وحدهم الذين يتألمون بما يخسرون إذ يتوقف فرحهم حينما تتعطل شركتهم. قد يظنه البعض أمراً عجيباً أن الشركة حساسة إلى هذا الحد حتى إنها تتأثر بأي شر من جانبنا في حين أن الحياة التي وهبها لنا لله في المسيح هي حياة أبدية. والحق أن شركتنا حساسة للغاية بحيث إنها تتعطل فور سقوطنا من أية جهالة من جهالاتنا مهما كانت صغيرة.
ولماذا؟ لأن الشركة معناها التمتع المتبادل بالبركة. فكيف يتسنى لله أن يقاسمنا أو يشاركنا في أي جهالة ولو كانت صغيرة؟ إنه لا يمكنه أن تكون له شركة مع أي نوع من الخطايا كما أنه لا يمكن أن نكون في هذه الحالة سالكين في المسيح. والنتيجة أن التمتع بالشركة يتوقف في الحال. حاشا لله أن يقول إننا فقدناها أو أضعناها بحيث لا نستطيع استعادتها من جديد. ومع أنه في استطاعتنا أن نحمده ن أجل الحياة الأبدية التي لا ينطبق عليها مبدأ الاستعادة لأنها أبدية، فإنه من الضروري أن نعود إلى الشركة التي يعطلها أي نوع من الشر. قد يكون هذا الشر مجرد فكر رديء أو شعور غير طيب، ولكن الشركة تتعطل حتى يدان مثل هذا الشر الخفي. أما إن سمحنا له بالاستمرار فهو كفيل بتعطيلنا كأي شر ظاهر أو علني.

من أجل ذلك يقول الرسول "بهذا نعرف إننا من الحق ونسكن (أو نطمن) قلوبنا قدامه". إن كوننا "من الحق" هو أساس الصدق في السلوك، لأن فقدن الحق أو إهماله يستتبعه على الفور السلوك في طرق كاذبة تعرض الإنسان للمحبة بالكلام أو اللسان بدلاً من المحبة بالعمل والحق. ليس معنى هذا أنه كان عليهم أن يرجعوا للوراء للتثبيت ما إذا كانوا مختارين أو متجددين. فلم يقصد الله من هذه الحقيقية أو تلك أن تمدنا بالتعزية والتشجيع

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

حينما يكون مهاناً من جانبنا من هذه الصورة بل العكس هو الأصح لأن يقيننا بأننا متجددون يكون في مثل هذه الأحوال مدعاة لخجلنا. أفليس من المحزن أن شخصاً قد أتى به إلى الله إتياناً حقيقياً يتصرف هذا التصرف الشائن؟ أما إذا كنا بالعكس ساهرين متيقظين قدام الله ونحب إخوتنا بكل تواضع، فحينئذ "نعرف أننا من الحق". وهذا يوحي إلينا بالشجاعة أو الثقة أمام الله، وهو المعنى الذي يقصد إليه الرسول هنا. فليس المقصود التثبت من مقامنا أو التأكد من إيماننا، بل ثقة القلب أمام الله في السلوك بالمحبة العاملة بلا رياء. "بهذا نعرف أننا من الحق ونسكن (ليس فقط نطمن أو نركز بل نقنع) قلوبنا قدامه". هذا هو المعنى الحرفي للكلمة وهو يوضح لنا قصد الروح القدس منها ومدى ما لها من تأثير وقوة على نفوسنا ومبلغ الثقة نمتلئ بها أمام الله بفضل سلوكنا بالإخلاص القلبي البسيط في المحبة المسيحية الحقة.

إن بعض المسيحيين مع الأسف لا يدركون الحياة الأبدية في المسيح ويتصرفون أكثر من اللازم إلى عواطفهم الخاصة. لاشك أن نعمة الله في الإنجيل تترك مجالاً فسيحاً لأحر العواطف وأعمقها فللمشاعر الروحية مكانها اللائق بها ولكن أعظم منها بما لا يقاس النعمة والحق اللذان بيسوع المسيح واللذان يخلقان هذه المشاعر ويوجهانها ومع ذلك فالمفروض على جميع القديسين أن يكونوا أصحاء بحسب كلمة الله وروحه. ولكن لنحذر من الجهة الأخرى أن تطرف إلى الجانب الآخر الذي يظن أن الأمر كله ينحصر في شيء واحد وهو التثبت من حقيقة كوننا مختارين وبذلك يكون لنا الحق في كل تعزية مهما كانت حالتنا العملية. فمثل هذا التعليم يخفي حكومة الله الأدبية تحت أطباق الانصراف إلى حقيقة الاختيار. لا ريب أن الاختيار حقيقة عظيمة ومباركة نحمد الله من أجلها، ولكن ليس المقصود بها أن تكون باعثاً لنا على الاستخفاف بإهانتنا لله بأي تصرف من تصرفاتنا. ولماذا نطلب التعزية لنفوسنا رغم الحقيقة أننا أسأنا إليه؟ إن هذا لا يليق بنا كأولاد الله الذي يريدنا أن نتذلل بسبب ذلك، وهو عين ما نراه هنا على الفور. "لأنه إن لامتنا قلوبنا" – نعم، فإن هذا ما تفعله قلوبنا حينما نسلك سلوكاً غير مرضى ونحزن روح الله ولم نحكم على ذواتنا قدامه. وإذا عرفنا أن قلوبنا تلومنا فإننا نستنتج بحق أن الله يعرف أكثر مما نعرفه مما يقتضي ملامتنا. "فالله أعظم من قلوبنا ويعلم كل شيء". ومن أس أن البعض يفسرون هذا القول هكذا: إن لامتنا قلوبنا فإن الله في نعمته لا يلومنا!! كم هو محزن حقاً أن تخسر النفس ما في كلمة الله من فائدة بمثل هذا الانحراف المنظم عن معناها الواضح! أما المعنى المقصود فهو إنني إذا كنت أدين نفسي فإن الله أعظم مني، فهو يعسلم الكل في حين إنني لا أعلم إلا الجزء.

ولعلهم يخشون أن يؤثر هذا التفسير على ثبات مقامنا. ولكن الأمر هنا لا دخل له مطلقاً بمقامنا في المسيح وإنما هو يتعلق بحالتنا اليومية. إنه يتناول فقدان الشركة ويدعونا للحكم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

على ذواتنا في نور محضر الله وأمام عينيه بدلاً من الرجوع إلى الوراء للتثبت من الاختيار أو المقام. إن الاختيار والمقام ثابتان لا يتزعزعان. ما في شك على الإطلاق، ومن الخطأ أن يرتاب مؤمن في أيهما. ولكن إن لامه قلبه فليثق أن الله أعظم منه علماً بكل شيء وعليه أن يتذلل ويضع وجهه في التراب قدامه وبذلك ينال العون الإلهي لاستكشاف دقائق قلبه فيمقت تهاونه وإهماله لأنه موضوع نعمة عظمى كهذه.أعني إننا نحكم على حالتنا الرديئة ونحن ممسكون بحقيقة مقامنا في المسيح المعطى لنا من الله، فهذا المقام يبقى ثابتاً واضحاً ولكن حالتنا هي التي ساءت والله يريدنا لا أن نخفيها أو نبررها بل أن نحكم على أنفسنا بلا رفق أو مهانة.

إنه لأمر مؤسف للغاية أن يقع المؤمن بين براثن هذه الأنظمة البشرية. لاشك أن بين هذه الأنظمة عدداً غير قليل من قديسي الله المحبوبين ولكنهم يعانون الكثير من جراء هذه التعاليم التي لا سند لها من الحق تعاليم من لا يعطي المجد الكافي لنعمة الله في الحياة الأبدية، أو الذي لا يعطي للشركة الشخصية مكانها اللائق الأمر الذي يستتبعه غالباً الارتياب في حقيقة اختياره. كما قال أحدهم مرة "إن كنت لا ترتاب في نفسك فأنا أرتاب فيك" فهم إما أن يخفوا خطاياهم أو ينادوا بنظرية التشكك. لقد كان رجلاً تقياً ذلك الذي قال هذا القول وله عدة ترنيمات من تأليفه، ولست أستطيع إلا أن أرجو مخلصاً أن تكون ترنيماته أفضل من تعليمه لأن مثل هذا الشك غير جدير ليس فقط بالمسيحي بل بالأحرى بشخص المسيح إذ هو نكران صحيح للإنجيل الذي يعلن الخلاص بنعمة الله ويدعونا للتمتع به في ملء السلام. ومن هنا في الواقع ضعف البعض ممن يشغلون أنفسهم بقضية الاختيار أكثر من مشغوليتهم بمحبة الله للعالم أو بمعدات النعمة لنفوسهم. فالاختيار يحتل في عقيدتهم المكان الأول بحيث يجعلون منه السند والمرجع لكل عمل، ولكن هذا قصور شنيع في إدراك نعمة الله وحقه. إن في المسيح مجالاً فسيحاً لكل ما يتمسك به الفريقان من حق، ولأكثر جداً مما لا يتمسك به كل منهما، إنه لمن المؤلم حقاً أن قديسي الله لا يسقطون من حسابهم هذه النظريات العقائدية الجزئية ليتمسكوا فقط بإعلان الله كاملاً غير منقوص طارحين كل ما عداه وغير راضين بغيره بديلاً. إن المسيحية متسعاً لكل حاسة نبيلة ولكل حكم سليم ورأي سديد، وبالاختصار لكل ما على الإيمان أن يقبله من الله وما على المحبة أن تعمله لمجده طليقة غير مغلولة.

إن ملامة القلب هنا مردها الشعور بالتقصير في طرقنا والإيقان بأن الله في سياسته الأدبية لنفوسنا يعرف عن طرقنا أكثر مما تعرف قلوبنا. وهذا أيضاً متضمن في القول الكريم "اغفر لنا ذنوبنا كما نحن نغفر للمذنبين إلينا". فالإشارة هنا أيضاً ليست إلى غفران خطايانا الكامل الذي ننلناه بالإيمان بالإنجيل بل إلى مراقبة الله لأولاده وعينه الساهرة باستمرار على طرقهم وتصرفاتهم. وهذا لا دخل له إطلاقاً بحاجة الخاطئ المسكين، لأنه واضح أن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الإنجيل لا يقدم غفراناً للخطايا على أساس روح الغفران والتسامح مع الآخرين، وإنما النعمة هي التي تهب مغفرة الخطايا على أساس الإيمان بالرب يسوع – الأمر الذي لا يتعرض له سيدنا في قوله الكريم الذي أشرنا إليه والذي يعني إنك إذا فشلت – أنت أيها المسيحي – في التصرف بروح الغفران مع الآخرين فإن الله لا يسر بك. وإنك بهذا تعطل شركتك معه وإنه لن يعيد إليك هذه الشركة حتى تحكم على نفسك وتدين الخطأ إدانة صحيحة. انعدام الشركة هذا هو منشأ إدانة القديس لنفسه ودليل اللوم من جانب الله.

لهذا كان من الأهمية بمكان أن نميز بين أساس النعمة الذي عليه نقف للحياة الأبدية والفداء، وبين تطبيق معاملة الله الأدبية معنا كل يوم حيث لابد أن يحكم على طرقنا الخاطئة ويؤدبنا لكي نشترك في قداسته، وهذا يقودنا إلى إدانة انحرافنا وتصرفاتنا النابية وإلى جعل مسلكنا مطابقاً لفكر الله من حيث كراهته للخطية وتشجيع كل ما هو من المحبة والبر والحق.

يقول الرسول "أيها الأحباء إن لم تلمنا قلوبنا فلنا ثقة من نحو الله" (عدد ٢١). نعم إن قلب الله يميل نحو الذين يسلكون باستقامة قدامه والرسول لا يقول هنا "أيها الأولاد" بل "أيها الأحباء" فهو يسر أن يرى المحبة قد تحققت في قلوبهم وهو لذلك يشجعهم على ممارسة نشاط المحبة في الصلاة حينما تكون حالتهم هكذا حسنة. أما حينما تكون الأمور على غير هذا الوضع، وحينما نلزم روح الله لأن يشغلنا بتقصيرنا فإننا لا نستطيع أن نسأل بحرية نعماً جديدة. فلا بد لنا إذن من الخضوع لهذا المبدأ المذلل وهو أننا إذا كنا نلوم أنفسنا فيما يتعلق بطرقنا فإن الله يلومنا أكثر. أما إذا كنا بقوته نتمتع بالشركة في هدوء فإن قلوبنا تستطيع أن تطلب بثقة نعمة أعظم. "أيها الأحباء إن لم تلمنا قلوبنا فلنا ثقة من نحو الله. ومهما سألنا ننال منه لأننا نحفظ وصاياه ونعمل الأعمال المرضية أمامه". هذه حالة سامية ليس فيها ما يعرقل نشاط المحبة، أو ما يعوق هبات النعمة، فإن الطريق أمام خيرات النعمة تكون مهددة ومفتوحة لأننا نكون سالكين في نور الله والقلب غير مشغول بملامة النفس أو متحول إليها. وبعبارة أخرى نكون حينئذ قد فرغنا من الذات لنتمتع بالمسيح. وهنا خيرنا الأعظم.

هذه هي الحالة التي يليق بكل مسيحي أن يسلك فيها يوماً فيوماً وهي ما نرجوه ونسعى إليه ولكننا مع الأسف كثيراً ما نفشل فيه. ولكن شكراً لله فإن هذا هو بعينه ما تدعونا إليه النعمة. إن حياة السلام والثقة وبساطة العين لا يمكن أن تتحقق إلا بالسلوك قدام الله طبقاً لحياتنا في المسيح. إما أن نعزي أنفسنا في حالة السقوط بأننا حاصلون على الحياة الأبدية فذلك ما لا يليق بالله ولا ينفعنا في حالتنا. فإن كنا نحيا بالروح فلنسلك أيضاً بالروح. وأمامنا بهذه المناسبة اختبار بولس عما حدث في نفسه، ومن واجبنا لا أن نؤمن فقط بما قاله الروح القدس بفم ذلك القديس بل أن نحقق اختباره في نفوسنا أيضاً "مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ. فما أحياه الآن في الجسد فإنما أحياه في الإيمان: "إيمان ابن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي"" (غل ٢: ٢٠) فالتقليد باطل والطقوس لا نفع فيها. وها هي قوة صليب المسيح قد وصلت إلى القلب. وها هو بولس يربط بالإيمان نفسه – فيما يتعلق بحياته القديمة – بذاك الذي مات فوق الصليب لكي يعتقه منها، وها هو الآن يحيا في ذاك الذي هو حي إلى الأبد، حياة في الإيمان في محبته. جداً أن نلاحظ أن هذا التخصيص الفردي ليس أمراً شائعاً كثيراً في الكتاب حيث نجد أن محبة المسيح وبذل نفسه ووضع حياته على الصليب تقال عادة إنها للقديسين بصفة عامة كما (أف ٥: ١ و ٢). أما هنا فالحديث فردي شخصي، وهو حديث ثمين حقاً، ولو أنه من القصور أن نكتفي بما هو شخصي دون إدراكنا وتقديرنا لشركتنا مع الآب ومع ابنه في بركة عائلة الله بأسرها – شركة جميع أولاد الله.

إن السلام مع الله، سلام الضمير، وإن كان شيئاً ضرورياً لابد منه، ليس هو كل البركة التي تريدنا نعمة الله أن نتمتع بها، ولا هي قاصرة على اليقين بغفران خطايانا جميعها. فهذا نلناه كمن قد آمنا بإنجيل الله ولكنه ليس الموضوع الذي نتحدث عنه في الأعداد من ١٩ – ٢٢ في إصحاحنا. إن ذلك اليقين كان رحمة عظمى وضرورية لكل نفس في مطلع حياتها المسيحية ولذلك فمن الخطأ في طريق الإيمان أن يسأل عن النفس إذا كانت هي مؤمنة حقاً أم غير مؤمنة فإن الكتاب لا يعرف شيئاً عن مثل هذا الشك في شخص يؤمن بالمسيح ولا هو يطلب إليه في أي مكان أن يرجع إلى ما هو في داخله ليستند عليه، ذلك لأنه في طبيعته هالك ولهذا السبب عينه (أي لأنه هالك) يوجه الله التفافه إلى ابنه كمخلص، وكالمخلص الكامل الذي لا يمكن أن يحوم حول كماله أي شك في قلب المؤمن. أما العدد الذي أمامنا فهو خاص بمسلك المسيحي يومياً وثقة القلب العملية المرتبطة بهذا السلوك. فقد أصبحنا بالنعمة في حالة من القرب الوثيق بالله بحيث إن أقل شيء، غير لائق بأبينا وإلهنا لا يمكن أن يحتمل أو يطاق ومن أجل هذا قد أعدت النعمة بكل حرص وعناية كافة الضمانات والوقاية ضد كل شيء من هذا القبيل مما يتنافى مع مقامنا.

كثيرون منا يعرفون في محيط عائلاتنا شيئاً من هذا الاختبار إذ ما تصرف ولد من الأولاد تصرفاً طائشاً أحياناً. أليس من فارق إذ كان الولد ذا عاطفة حقيقية؟ ألا يبدو الولد في حالة من القلق حتى إذا كان أبواه يجهلان السبب؟ فبدلاً من أن يسارع لملاقاتهما بابتهاج كعادته تراه يحس بأن شيئاً قد حدث يعرقل خطواته. وعلى قدر استقامة الولد يكون شعوره بالانقباض والخجل. وهكذا هو الحال في علاقتنا بإلهنا وأبينا مع الفارق وهو أنه لا يفشل أبداً وأن كل شيء معروف لديه ومن هنا كان أهمية الحكم على الذات الذي لا غناء عنه بسبب ما نحن عليه. فإذا ما تصرفنا التصرف الصحيح في حالة سقوطنا وحكمنا على ذواتنا عادت النفس إلى التمتع بالشركة التي كنا بالأسف قد خسرنا لذتها. فالحالة اللائقة بنا هي حال الثقة من نحو الله. وهذه الثقة ليست بشأن مقامنا الذي هو دائم وثابت في المسيح

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بل حالة القلب المعرضة للتعطل والاضطراب بسبب التهاون والإهمال، فعندما نكون سالكين بالروح تكون هذه الثقة من نحو الله حالتنا السعيدة، وهي الحالة الوحيدة اللائقة بالمسيحي وكم هو محزن البقاء في غيرها والاستسلام لحالة الافتقار إليها والعلاج الوحيد هو بكل يقين الصراخ الحار إلى الله يقودنا لاكتشاف العوامل التي أدت بنا إلى ما نحن فيه، وحينئذ سوف لا يطول صراخنا فإن محبة الآب تريدنا أن نتذوق ونستمتع كل حين بحلاوة ولذة الشركة وتعزياتها ونشعر بمرارة الحرمان منها، ذلك الذي تسببه أية غلطة غير محكوم عليها. ولنا في ربنا يسوع شفيع عند الآب هو ملجأنا ومستودع مواردنا بدلاً من الالتجاء إلى شفيع أرضي يأخذ مكان الرب وليست فيه الكفاية لهذه الخدمة الدقيقة الصعبة. وإنه لمن امتياز أن نتقدم على الفور وبغير تردد بواسطة المسيح إلى عرش النعمة بل إلى محبة الآب التي لن تسقط أبداً.

وجميل جداً أن يستطرد الرسول قوله بعد ذلك "ومهما سألنا ننال منه" – وهو مثال آخر للطريقة المطلقة التي يحب يوحنا أن يتكلم بها. فهو لا يتكلم عن أي قيد قد توجبه ظروف عارضة أو أي عائق قد توجده طوارئ خاصة. هو يتجاوز عن هذا كله ويسقط من حسابه الحالات الشاذة. وهو يفترض وجود حالة لا أثر فيها لملامة القلب، وإن الثقة متوفرة من نحو الله وإننا متمتعون بالشركة معه. وما هو أثر الشركة؟ إنها تستبعد كل طلبة مغلوطة فلا نسأل حينئذ أمراً غير متفق مع مشيئة الله، بل نطلب ما يوافقنا وهو المجد لا يمنع خيراً عنا ويجد لذته وسروره في تمتعنا بكل ما هو لمجده. وهذا كله وجدناه في المسيح الذي هو على الدوام مركز الجاذبية وحلقة الاتصال. نعم فالمسيح هو الذي يختار لنا كل شيء. وما من نور أو نبع في قلوبنا إلا وهو مستمد من المسيح، وهذا هو عين ما أعطانا إياه الله، وإذا كان الله قد أعطانا ابنه فكيف لا يهبنا معه كل شيء؟ إذن فمهما سألنا ننال منه لأننا في هذه الحالة لن نطلب شيئاً غير لائق، والسبب يرينا إياه الرسول هنا "لأننا نحفظ وصاياه". وهنا نرى أن أولئك الذين لا يعتقدون بأن الموضوع الذي يتناوله الرسول خاص بسياسة الله الأدبية إزاء حالة المسيحي العملية يسقطون في خطأ الخلط بين هذه السياسة وأساس الخلاص فيجعلون هذا الخلاص مستنداً على شروط. ولكن هذا يبطل نعمة الله في خلاص الخطأ. أما الكلام هنا فليس عن النعمة بل عن الحكم وهو بالضرورة شرطي في حين أن نعمة الله التي تخلص نفوسنا وتمحو خطايانا كاملة ومجانية ومطلقة، والشرط الوحيد هنا – إن جاز لنا أن نسميه شرطاً – هو إنكار نفوسنا كفجار وقبولنا هبة الله المجانية في المسيح.

أما موضوع الكلام في الفصل الذي أمامنا فشيء آخر على الإطلاق وخلطه بموضوع النعمة هو آفة ما يسمونه "علم اللاهوت" – ذلك اللاهوت المنظم الذي هو أشبه بكومة من الأزهار والأوراق قطفت من الشجرة وجفت فلم يعد فيها أثر للنضارة أو الحياة، في حين أن الكتاب نفسه هو "روح وحياة". هكذا هو الرب يسوع، الحي وكان ميتاً وها هو حي إلى

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أبد الآبدين. وهكذا هو الروح القدس، روح الحق الذي يحيي والذي أخذناه ليس فقط للحياة بل ليحفظ لكل جزء من الحق نضارته وقوته، وهكذا هي محبة الآب الدائمة الجريان أن الإنسان يجعل أو يحاول أن يجعل من الإعلان الإلهي علماً. ولكن ما أبعد الفرق بين الإعلان والعلم! وهل من أحد وجد حياة أو سلاماً في اللاهوت المنظم؟ إنه يحاول أن يحيط هذا الحق أو ذاك بسياج من الأسلحة البشرية جاعلاً من عقائده قلعة خيالية للإيمان ناسياً أن هذا كله ينحصر في المسيح عاملاً فينا بالكلمة وروح الله. إننا في الكتاب وحده نجد الحق، كل الحق، ولا شيء غير الحق، ولنا الروح القدس الذي كتب الكل ليرشدنا إلى كل الحق. ولذلك فإن ثقتنا هي في الله وفي كلمة نعمته.

الكتاب هو دستور والروح القدس قوتنا المرسل من أسماء ليمكث فينا ومعنا إلى الأبد فيا لها من امتيازين عظيمين، فضلاً عن عطايا نعمة المسيح في الخدمة لكل عضو في الجسد كبيراً كان أو صغيراً. ونحن مستودعون لهذا، والله يريدنا أن نحكم على كل معطل وهو ما يعالجه الرسول في هذه الأعداد. فإذا كنا نستفيد في الإيمان والمحبة يتم فينا القول إنه "مهما سألنا ننال منه لأننا نحفظ وصاياه ونعمل الأعمال المرضية أمامه". وهذا بطبيعة الحال لا يمكن تطبيقه على موضوع الخلاص أن العبارة الأخيرة هي عين ما قاله الرب عن شخصه الكريم وما يعمله دائماً (يو ٨: ٢٩). ولا غرو فهو الكمال المطلق في كل ما نيط به. يقول تبارك اسمه "لأني في كل حين أفعل ما يرضيه". وبما أن الله يرى ويسمع كل شيء فإنه يلاحظ أولاده ملاحظة خاصة، ليس كمن هو ضدنا بل كمن هو لنا، وإذا كان الله لنا فمن علينا وحيث إنه لا يتغاضى عن أية غلطة فلا حاجة بنا أن نأخذ (يو ١٧ أو رو ٨) ستاراً تختفي وراءه بل بالحري نذلل نفوسنا من أجل كل ما أحزن روح الله القدوس الذي به ختمنا ليوم الفداء. وبهذه الكيفية تستعيد قلوبنا لذة الثقة من نحو الله، فتكون لنا الحرية والدافع على الصلاة بحيث نطلب لا شيئاً واحداً بل "مما سألنا" ننال منه. ولاشك إننا إذا سألنا الاعتماد على المسيح. فإن الله يسمع لنا، مشجعاً إيانا على الاستمرار أكثر في الصلاة بالاستفادة أكثر من كلمته فهذه أشياء بحسب مشيئة الله كما إنها وسائل ممارسة الحياة الأبدية والتمتع بها. وهذه الحياة هي قوام رسالة يوحنا بأجمعها.

"وهذه هي وصيته أن نؤمن باسم ابنه". فما المقصود بالإيمان باسم ابنه، باعتبار أن الكلام موجه إلى عائلة الله المؤمنين فعلاً؟ في الكتاب المقدس تعبيرات مختلفة فيما يتعلق بالفعل "يؤمن". فتارة نقرأ عن "الإيمان بالله" وأخرى تصديق شهادة الله عن ابنه، وعندما يرد ذكر المسيح نقرأ عن "الإيمان بالمسيح". هذه هي لغة الكتاب بصفة عامة (وإن كان حرف الجر في اللغة العربية لا يبدو مختلفاً كما هو الحال في اللغات الأخرى أو لغة الكتاب الأصلية). وهنا نقرأ عن الإيمان اسم ابنه. فحينما يكون عن تصديق شهادة الله عن المسيح فهذا معناه الإيمان بما سجله الله عن المسيح، الإيمان بما يقوله الله لي عن المسيح فعندما

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يقال إذن الإيمان باسم ابنه أفليس هذا معناه الإيمان بما يتضمنه ذلك الاسم؟ إن الاسم هو إعلان الله لشخص الرب، أي لحقيقة ما هو، وما فعله، وهو تعبير جميل حقاً. ليس المقصود أن اسمه كإنسان كان يسوع، أو مجرد لقبه كالرب، أو أية صفة من صفاته الأخرى الكريمة بل الإيمان بالاسم. أي بالإعلان الإلهي أو شهادة الله عن ابنه يسوع المسيح الذي هو موضوع الإيمان العظم. ونحن نؤمن باسمه كما لو كان اسمه هو شخصه. ليس فقط بما بدأنا به يوم آمنا حيث كان إيماننا يومئذ بالرب، بل يود الرسول ويلذ له أن يتكلم عن شخصية المسيح وعن كل ما نناله فيه. وبواسطته كمؤمنين به. ولذلك يستخدم هذا التعبير الفريد "نؤمن باسم ابنه". إيماننا الابتدائي كان اعتماداً على المسيح، أما هنا فهو إيمان باسم ابنه يسوع المسيح، بكل ما يحمله ذلك الاسم المبارك من إعلانات الله في كلمته. نؤمن باسمه.

هناك قراءتان متعادلتان فيما يتعلق بكلمة "نؤمن" كما وردت في الأصل ففي رأي بعض الثقاة تعني الاستمرار في الإيمان، وعند البعض الآخر تعني الإيمان مرة واحدة وإلى الأبد. ولكن عندما نأتي إلى "المحبة" لا نجد إلا قراءة واحدة لا ظل لأي خلاف فيها، وهي المحبة العملية يوماً فيوماً. هذا واضح وأكيد. ولكن الاثنين – الإيمان والمحبة – يمتزجان ويجتمعان في وصية واحدة هي وصية المسيحية العظمى بالمباينة مع وصية الناموس. هذه كانت توصي بمحبة الله والقريب. أما وصيتنا العظيمة فهي الإيمان باسم يسوع المسيح والمحبة بعضنا لبعض نحن أولاد الله. وكم من المؤسف أن نخلط بين أولاد الله وقريبنا! هذا ليس المعنى المقصود، وإن كانت المحبة ليس لها حدود، ولكن القصودين بالمحبة هنا هم أولئك الذين لا يعرفهم العالم كما لم يعرف ذاك الذي يؤمنون باسمه. وما من شك في أن هذا أمر يفوق أفكار الإنسان. وإلا فما رأيك في شخص يطالبك في أن تحب أولاد لندن كما تحب أولادك؟ لاشك أنك تعتبر شخصاً كهذا ناقص العقل، وهذا المثل الضعيف قد يساعد على إدراك سمو "وصيته" التي نحن بصددها. إن هناك فوارق كثيرة بين أولاد الله وأولاد إبليس كما رأينا. قد يسكن بجواري شخص من ألد أعداء المسيح. فمثل هذا لا يدخل في نطاق هذه الوصية. لا شك إنه يجب على أن أبدي نحوه عواطف الإشفاق وأن أطلب له من الله أن يقبل كلمة الحق إنجيل الخلاص، فإن مقاومته القاسية وتحديه لله إنما تقودنا أكثر لسكب التضرعات من أجله أمام الله لعله يرحمه وتبارك اسم إلهنا فلقد طالما استجاب الصلاة في حالات كهذه وأكرم إلحاح الصراخ الذي ارتفع إليه في إيمان وتواضع من أجل نفس آثمة. والأمر يقتضينا قدراً فمثل هذا الجار لا يدخل بحال من الأحوال في نطاق هذه الوصية التي إنما تنطبق على "بعضنا بعضاً" كما أعطانا وصية. إنها المحبة المسيحية المتبادلة بين أولاد الله ولاشيء غير ذلك.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وهنا نلتقي بمثال آخر من أمثلة الأسلوب الذي يختص به يوحنا وهو عدم التفرقة بين الله والمسيح ففي مستهل العدد نقرأ بصراحة عن الله، فهو الذي منه نسأل ومنه ننال ما نطلب، ونعمل الأعمال المرضية أمامه "وهذه هي وصيته أن نؤمن باسم ابنه يسوع المسيح ونحب بعضنا بعضاً كما أعطانا وصية". ونحن نعلم جيداً أن المسيح هو الذي أعطى الوصية. ومع ذلك فالضمير واحد لم يتغير في سياق الكلام كله. وما كان ممكناً أن يصح هذا الأسلوب لو لم يكن المسيح هو الله بالحقيقة نظير الآب تماماً. وهذا هو السر في الأمر كله. وقد استخدم يوحنا هذا الأسلوب قاصداً متعمداً لإكرام الابن كما لإكرام الآب، ولم تكن مسألة زلة قلم من جانبه وليدة الغفلة أو الإهمال فإن الكتاب المقدس لا يخالطه ما قد يخالط أشهر المؤلفات البشرية وأرقاها من غفلة أو نسيان. ذلك أن الغرض الإلهي والحكمة التامة يسيطران في الكلمة المكتوبة.

"ومن يحفظ وصاياه يثبت فيه". هنا ننتقل إلى موضوع جديد هو موضوع ثباتنا في الله وثبات الله فينا. وهنا لا مجال لأي غموض. فبدون الطاعة لا يمكن أن يكون هذا الامتياز العجيب. ومعنى هذه العبارة من الوجهة التفسيرية هو أن من يحفظ وصاياه يثبت في الله والله فيه، ولكنها تنطبق أيضاً على المسيح وقد وردت كذلك في مكان آخر، إذن فالعدد في ذاته يصح انطباقه سواء قلنا "يثبت في المسيح" أو "يثبت في الله" لأن ثباتك في المسيح هو ثبات في الله كما أن ثباتك في الله هو بالضبط ثبات في المسيح. لكن اضطرارنا لتفهم مجرى القرينة قد يحملنا على اختيار أحدى الصيغتين خضوعاً لمبدأ التفسير الدقيق. هذا من المهم أن نراه دائماً وهو سهل ميسور ولكنه من النافع والمفيد من الجهة الأخرى أن نتجنب الأخطاء فيما يتعلق بالكتاب وأن نرى المميزات بلا فوارق أو اختلافات وأخيراً يختم الإصحاح بالقول "وبهذا نعرف أنه يثبت فينا من الروح الذي أعطانا" ومن هنا نفهم أن عطية الروح القدس هي القوة والبرهان على ثبات الله في المسيحي. وبهذه الطريقة يثبت الله فيه إذ أعطاه الروح. أما الثبات في الله فهو الاعتماد الروحي عليه والسلوك وهذا لا يتم ما لم يكن الروح القدس الساكن في القديس عاملاً فيه غير محزون لكي يحفظه على الدوام معتمداً عليه مستمداً من موارده التي لا تنضب. أما إذا أحزنته فمعنى ذلك أنني لست في تلك اللحظة ثابتاً في الرب بل قد تسلك من حضرته وقد أكون سائراً إلى حين في هدى أفكاري وبحسب مشيئتي الخاصة وفي طريق رسمتها لذاتي، ولكن مهما يكن تصرفي، سواء كان زلة عابرة أو غلطة استمرت وقتاً ما، فأنا على حال قد ابتعدت عن التمتع بحضوره ولست ثابتاً فيه.

على أننا نلاحظ أن النصف الأخير من العدد الذي أمامنا لا يحدثنا عن الحقيقتين (ثبوتنا فيه وهو فينا) كما هو الحال في النصف الأول بل فقط عن ثبوت الله فينا وأساسه الوحيد الروح المعطى لنا. نعم فعلى سكنى الروح القدس وحده يتوقف ثبات الله فينا، وهو مؤسس على

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفداء وثابت بكل تحقيق ثبوت الفداء، غير أنا ثبتنا نحن فيه مسألة تتوقف على حالتنا الروحية ويتناولها الرسول بالشرح الكامل في الجزء الأخير من الإصحاح الرابع، الذي نجد أن الأعداد الستة الأولى منه هي بمثابة فقرة اعتراضية لها أهميتها القصوى من حيث كونها أساساً لكلا الحقين – ثبوتنا في الله وثبوت الله فينا. ففي العددين الأخيرين (٢٣ و ٢٤) من الإصحاح الثالث يصور الرسول مركز ومكان المسيح تصويراً دقيقاً كاملاً، وذلك مع أقل إشارة ممكنة للجانب السلبي الذي كان موضع مشغولية الرسول بصفة خاصة في أقواله السابقة. أما في العددين المشار إليهما فهو يحدثنا عن بركة امتيازاتنا من ناحيتها الإيجابية التي يضعها أمام جميع القديسين بنفس البساطة والعمق اللذين تتصف بهما رسالته من أولها إلى آخرها. ففي العدد ٢٣ نرى سمات المسيحي الجلية الواضحة، وفي العدد ٢٤ نرى الحقيقة التي قد تكون أقل وضوحاً للعيان ولكنها لا تقل عن الأولى من حيث وجودها الفعلي وهي نشاط الحياة الداخلي بقوة روح الله الساكن فينا والعامل في تلك الحياة مع الإشارة الخاصة كما رأينا إلى الأثر السيئ الذي يجلبه التهاون في السلوك على تمتعنا بثقة القلب أمام الله وهي الثقة التي يجب أن تكون من نصيبنا على الدوام.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الرسالة الأولى: الخطاب الثاني عشر

١يو ٤: ١ – ٦

"أيها الأحباء لا تصدقوا كل روح بل امتحنوا الأرواح هل هي من الله لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم. بهذا تعرفون روح الله. كل روح يعترف بيسوع المسيح إنه قد جاء في الجسد فليس من الله. وهذا هو روح ضد المسيح الذي سمعتم أنه يأتي والآن وهو في العالم. أنتم من الله أيها الأولاد وقد غلبتموهم لأن الذي فيكم أعظم من الذي في العالم. هم من العالم لأجل ذلك يتكلمون من العالم والعالم يسمع لهم. نحن من الله فمن يعرف الله يسمع لنا ومن ليس من الله لا يسمع لنا. من هذا نعرف روح الحق وروح الضلال".

قبل أن يواصل الرسول موضوع ثبوت الله فينا معروفاً بواسطة الروح المعطى لنا كما قرأنا في نهاية الإصحاح الثالث (عدد ٢٤) نراه يتحول إلى الموضوع الخطير الذي أمامنا محذراً إيانا ضد هجمات العدة على أساس الإيمان وذلك بتذكيرنا بالحق الخاص بشخص المسيح وبإعلان الله الصريح عنه بفم الرسل الملهمين والأنبياء الذين هم عطايا الرب الممجد وكما هو مدون في كتب العهد الجديد.

فالكلام هنا ليس كما في تعليمه السابق عن العلامات التي تميز المسيحي الحقيقي عن المدعين أو الخادعين نفوسهم، ولكن إشارته إلى الروح القدس في ختام الإصحاح السابق قادته إلى الخروج قليلاً عن خط سيره – كعادته كما رأينا – ليحدثنا عن موضوع له خطره البالغ فيما يتعلق بالحق الأساسي خاصاً بالعلامات التي نستدل منها على الحق ذاته. وهذه العلامات اثنتان: شخصية ذاك الذي ظهر في الجسد، ثم إعلانه بواسطة شهود مختارين من الناس لكي يتسنى لنا، وقد كان له المجد إلهاً كاملاً وإنساناً كاملاً، أن نحصل على الخبر الخاص بتلك البركة السامية الفائقة – الخبر الإلهي نظيره – مطبوعاً بطابع سلطان الله بواسطة أناس ملهمين ومعينين لهذا الغرض* فهو الذي على قبوله تتوقف الحياة الأبدية وكل امتيازات المسيحي وامتيازات الكنيسة التي كان الرسول بولس خادماً لها بصفة خاصة. وهو الذي يترتب على رفضه حلول غضب الله على جميع رافضيه (يو ٣: ٣٥ و٣٦). وبما أنه جاء من السماء، وبما أنه هو الحق بالنعمة المطلقة لذلك عنى الله بأن يهيئ للإنسان بواسطة الإنسان سمع أو لم يسمع – أضمن إعلان في صورة مناسبة لضمير وقلب الإنسان ولكن بحراسة وإرشاد الله الذي لا يمكن أن يخطئ.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وإذا كان الله قد سر على أساس الفداء أن يعطي الروح القدس للمسيحي بصورة وكيفية لم تكن ممكنة قبل موت المسيح وقيامته وصعوده، فإن الشيطان نصب نفسه لتقليد وتزيف العطية السماوية ومعاكسة الآب والابن والروح القدس وذلك بواسطة أشخاص مرتدين، أنبياء كذبة كثيرين ليسوا فقط يضلون الآخرين ويقودونهم إلى التهلكة بل يذخرون لأنفسهم نقمة أشد وأقسى مما يصيب اليهودي المجرم أو الأممي المظلم. ومن هنا كانت عناية الرسول بتقديم بينة الحق المزدوجة في بساطة تامة لمعاونة كل مسيحي يحتاج إليها.

"أيها الأحباء لا تصدقوا كل روح بل امتحنوا الأرواح هل هي من الله". فالأمر هنا ليس تمييز المسيحيين الحقيقيين بل أولئك الذين يدعون أنهم يتكلمون بالروح. فهذا قد قلده العدو، وله في هذا الميدان قدرة عظيمة على الإقناع الماكر منذ تجربة الإنسان الأول في الجنة. "ذاك كان قتالاً للناس من البدء ولم يثبت في الحق لأنه ليس فيه حق. متى تكلم بالكذب فإنما يتكلم مما له لأنه كذاب وأبو الكذاب" (يو٨:٤٤) ولقد كانت هناك أرواح شريرة أكثر من ذي قبل لمقاومة روح الحق لأن أرواحا ً نجسة كثيرة قد طردها قدوس الله ممن كانت ساكنة فيهم يوم كان له المجد هنا على الأرض.

والواقع أن إخراج الأرواح النجسة كانت أول معجزة يدونها لنا إنجيل خادم الله والإنسان (إنجيل مرقس) - الخادم الإلهي المبارك - ومنها نفهم أن كلمة المسيح كانت فيها القوة لبركة الإنسان وطرد الشيطان. والآن وقد مضى رسول الغرلة الباسل المقدام فها هو تحذيره لشيوخ كنيسة أفسس قد أخذ يتحقق سراعاً " لأني اعلم هذا أنه بعد ذهابي سيدخل بينكم ذئاب خاطفة لا تشفق على الرعية، ومنكم أنتم سيقوم رجال يتكلمون بأمور ملتوية ليجتذبوا التلاميذ وراءهم" (أع٢٠: ٢٩ و ٣٠).

وقد تعاظمت موجة الشر أمام عيني آخر الرسل (يوحنا الحبيب) ولذلك هو يهيب بكل قديس مناشداً إياه بحق أيمانه وبكلمة الله، مجرداً البدعة الإبليسية من كل رونق جذاب ومن كل حاسة عاطفية خداعة يخفي العدو وراءها أخطر تعاليمه الهدامة التي هي في الواقع ليست سوى ابتعاد عن الله وإنكار لكلمته تحت ستار الإدعاء بحق جديد أسمى. فالبعض من أضداد المسيح أنكروا ناسوت المسيح الحقيقي والبعض الآخر أنكروا لاهوته الحقيقي وآخرون أنكروا اتحاد اللاهوت والناسوت في شخص واحد. وبهذه الطريقة أو تلك كانوا يحاولون تقويض حقيقة شخص سيدنا وبالتبعية حقيقة عمله أما القديسون فقد عرفوا الآب ويسوع المسيح الذي أرسله وكان لهم الروح القدس لمعاونتهم. وهكذا كأولاد لله بسطاء لم يكونوا مسؤولين فقط بل وبالنعمة قادرين على امتحان طبيعة الروح العامل في تلك "الأنوار" الجديدة وقد كانوا تحت التزام من أجل اسمه ومن أجل خير نفوسهم أن يغربلوا ما تنطوي عليه تعاليمهم من بدع ومستحدثات "لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم". أكان أولئك المغرورون أنبياء؟ لقد أعطى المسيح "الرسل والأنبياء" الحقيقيين الذين يكونون

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

معاً أساس الكنيسة تعليمياً. فعندما مرقس ولوقا (فضلاً عن يعقوب ويهوذا كاتبي الرسالتين اللتين باسميهما) اللذان (أي مرقس ولوقا) لم يكونا رسولين بل نبيين. وقد قام الشيطان يقلد هذا، مستعينا في تقليده بأولئك الأشخاص غير المؤمنين اللذين خرجوا إلى العالم ليضلوا ويتلفوا ويهلكوا. و هكذا كان " أنبياء كذبة كثيرون".

والعلامة الأولى أو الامتحان الأول خاص بالروح. "بهذا تعرفون روح الله كل روح يعترف بيسوع المسيح (أنه قد) جاء في الجسد فهو من الله". و هنا أقرر بأن الصيغة الحالية لهذا العدد - سواء في بعض النسخ الإنجليزية أو في النسخ العربية – لا تساعد كثيراً على تأدية المعنى الذي يريده الرسول. فان عبارة " أنه قد جاء" ليس فقط لا يتطلبها الأصل بل تجعل الأمر كأنه مجرد اعتراف بحقيقة تاريخية في حين أن الكلمة الرسولية تعني الاعتراف بشخص الرب متجسداً. وإلا فهل صحيح أن أي روح شرير ينكر الحقيقة التاريخية بأن يسوع المسيح قد جاء في الجسد؟ ألا يعترف المسلمون بهذه الحقيقة بغير تردد إن كان اليهود لا يسلمون بها؟ بل من المحقق أن جانباً من أكثر الملحدين تطرفاً وأشدهم خطراً يسلمون بهذه الحقيقة ويثنون على الرب بطريقتهم الخاصة باعتباره المعلم العظيم وأفضل من وطأت قدماه وجه الأرض.

ولكن ليس هناك اعتراف حقيقي بشخص الرب كما يرسمه الرسول هنا إلا بروح الله. ولئن كانت كلمات الرسول قليلة وموجزة إلا أنها تصل إلى صميم الموضوع لقد تسمى كثيرون باسم "يسوع" في الفترة بين يشوع بن نون ويسوع ابن مريم العذراء. ولم يكن أولهم – بحسب منطوق الكتاب – إلا رمزاً ليشوع أعظم منه بكثير. ومن المحتمل أن كثيرين سموا بعد ذلك بهذا الاسم الكريم ولم يكونوا به جديرين. وبالأخص ذلك "الباراباس" الذي فضله اليهود المجرمون على رب المجد. إذا كنا نصدق ما يقوله عنه الكثير من كتب التقليد. أما المؤكد فهو أنه كان يلقب باراباس (أي ابن الآب) تقليد إبليس لابن الآب الحقيقي.

وفي الإصحاح الأول من إنجيل متى يعطينا الروح القدس ترجمته لهذا الاسم الكريم بالقول "وتدعوا اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم" فو إن كان يشوع استطاع أن يقود إسرائيل إلى كنعان رغم حشود الأعداء الذين كانوا يترصدون لهم في كل مكان فإن المرموز له وحده (الرب يسوع) هو الذي استطاع أن يخلص شعبه من خطاياهم. فهو ياه، الرب-الكائن، الرب السرمدي، الأبدي المطلق، الأزلي نسبياً وتاريخياً. وحيث أنهم كانوا شعبه فهو الذي كان عليه أن يخلصهم من خطاياهم الأمر الذي لم يكن يستطيعه سواه، الذي هو أيضاً عمانوئيل، الله معنا، وليس غيره كان يحق له أن يتخذ هذا اللقب. وإذا كان شعبه قد رفضه فجلبوا على أنفسهم الخسران الموقوت، فإن نعمته تتجه إلى الأمم المسلوبين المساكين ولو على الأقل إلى الذين يسمعون صوته منهم. نعم فإلينا نحن الأمم (- كما كنا قبلاً) اتجه هذا الخلاص. على الأمم وقد انتفخوا في عدم إيمانهم وكبريائهم لابد أن يقطعوا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كما قطعوا اليهود جزئياً لكي ندخل نحن. ولكن أخيراً سيرجع إسرائيل إلى مسياهم الذي صلب، الممجد عندئذ والمرتفع والمتسامي جداً، ويتحررون من كل خوف داخلي أو خارجي "وهكذا سيخلص جميع إسرائيل" فإن محبته تكون قد صبرت عليهم طويلاً وظلت أمينة لهم وفية لعهدها بلا كلل ولا ملل حتى وصلوا إلى أعماق شرهم وآلامهم، لأن إلى الأبد رحمته، وهباته ودعوته بلا ندامة.

هذا هو "يسوع المسيح" الذي يعترف به كل روح من الله. مع هذا الفارق وهو أنه الآن معروف في المسيحية معرفة أعمق وأوثق مما كان مقدماً لإسرائيل الذين سيعرفونه في أمجاد ملكوته العتيد المنظورة. على أن الذي جاء في الجسد هو ياه المخلص (يسوع) كما هو أيضاً مسيح الله أو المسيح. هو الذي يمجده روح الحق ويبغضه روح الضلال "وكل روح لا يعترف بيسوع المسيح جاء في الجسد فليس من الله".*

إن اسم يسوع هو التعبير عن كل ما في ذاته الكريمة كما أعلنه الله، وذلك لصالحنا إذ نجد فيه كل ما يعوزنا، وكل ما فيه غبطتنا الأبدية. وليس هذا الاسم المحبوب معبراً فقط عن السمو الفائق الذي لكل ما فيه أو ما ينال بواسطته بل هو وحده الذي يكشف لنا عن حقيقة كل شخص وكل شيء. فهو الحق موضوعياً(أو خارجياً) كما أن الروح القدس هو الحق داخلياً أي القوة الباطنية التي تعيننا على التعرف بالمسيح والاستمتاع بكل ما فيه أو ما ينال منه (١يو٥: ٦) فهو (أي المسيح) وحده الذي يقودنا إلى معرفة صحيحة بالله. هو الذي يرينا الآب، وهو الذي يعلن لنا – وليس للعالم – الروح القدس. أعني أنه يعلن الثالوث الأقدس، وفي المسيح وحده نعرف النور والحياة و المحبة كما هي من الله، وفيه نعرف الطاعة والبر والقداسة والوقار والاتكال والأمانة و التواضع والوداعة. ونعرفها كلها في كمالها المطلق. وفيه نرى الإنسان موضوع لذة الله. وفي نور حياته نرى الإنسان في عدائه لله تحت سطوة الشيطان – أي حقيقة الإنسان كما هو بحسب الطبيعة. وكذلك بواسطته نعرف ما هو الشيطان في بغضائه وخداعه. وبدون المسيح لا يكون لدينا سوى ظلال الفداء والكفارة، الذبيحة والتقدمة، الكاهن والقدس. فهو وحده حقيقتها وتمامها جميعاً، معطياً لكل شيء صفته الحقيقية ونسبته الصحيحة لله، وهو نفسه مركزها جميعاً وهكذا في المسيح وبالمسيح نعرف الله والإنسان والشيطان وكل شيء. فهل أنت في شك من جهة أمر ما؟ أدخل المسيح في القضية وسلط نوره على المعضلة فحينئذ سينجلي لك الحق من كل جوانبه. أليس هو محك الحق وقياسه الكامل؟

وهكذا بينما نرى عشاق الجدل والنقاش يهيمون في بيداء الحدس والتخمين طلباً لمعرفة الحق الذي يشق على أصلب العقول الطبيعية عوداً، إذا بالنعمة تهب الحق في المسيح لأبسط مؤمن يعتمد عليه كمن هو كل شيء له. وهذا هو سر المسألة: إن المسيح هو الحق موضوعياً كما أن الروح والحق كقوة داخلية لإعانة روح الإنسان. ولئن كان أولئك

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

"الأنبياء الكذبة" الأنانيون المنتفخون يقولون "للأولاد الصغار" أنهم لا يقدرون أن يستغنوا عنهم لن عندهم وحدهم "الروح" في حين أن الأولاد لا يملكون سوى "الحرف" فان المؤمن يعلم إن له المسيح الابن ظاهراً في الجسد، ويأتي أن يفرط في ما سمعه "من البدء" وهو الحق المدون الآن في كلمة الله المكتوبة هو لا يدعى بأنه يحقق في نفسه في وقت واحد كل ما هو مكتوب عن الحق وإنما يعلم أنه وقد فاز بالمسيح الحق، فقد امتلك الحق كاملاً في شخصه المحبوب ويعتمد على مسحة الروح للتطبيق والاستفادة العملية على قدر الحاجة. ومن أجل ذلك هو يشعر بأهمية ثباته هو في الابن وفي الآب. أما التفريط في المسيح المعلن على هذه الصورة فمعناه التجرد من المسيحية. ولذلك فعندما كان العدو يستعمل معول الادعاء بحق أسمى ليهدم به شخص سيدنا نرى الروح القدس يعيد النفوس إلى ذاك الذي كان ولا يزال هو الحق. وإذ هو كذلك فلا مجال فيه للتطور أو التدرج الذي لا يعدو أن يكون أكذوبة شيطانية تعلن عن حقيقتها بواسطة نكران الحياة الأبدية كشيء معروف ومدرك باعتبارها هبة الله في الوقت الحاضر. أما الأكذوبة فلا تقدم سوى "آراء" ونظريات جوفاء.

وإزاء ذلك تعطينا النعمة محكاً أكيداً مضموناً به نعرف متى يكون الله معلماً الحق ومتى يكون روح الضلال موحياً بالأكذوبة العظيمة. وهذا هو المحك: أن روح القدس يمجد الرب يسوع، أما روح الضلال فيطري العالم باعتباره الأداة التي يستخدمه إبليس للخداع والتضليل بقدر ما يستطيع. وإن كان لا يقوى على تضليل المختارين، فإن على اتهامهم قدير، يحاول أنت يظهرهم قوماً متزمتين متعصبين ضيقي الفكر، وكل ذنبهم أنه لم تغرر بهم الأولان البراقة التي يضفيها الشيطان على أعماله الشريرة، وإنهم يصدقون الله فيما شهد به عن ابنه وهنا يجب التفرقة بين الإيمان والتسليم الأعمى الذي ليس هو إلا تصديق الإنسان فلا يمكن بحال من الأحوال إيجاد علاقة ورابطة بالله إلا على أساس تصديق الله وذلك عن طريق كلمته المكتوبة. فإذا قد شهد الروح القدس للرب كابن الله المتجسد فما على الإنسان إلا أن يصدق كلمة الله ويؤمن بالرب يسوع المسيح الحياة الأبدية أما معرفة أية حقيقة عنه مهما كانت صحيحة وهامة فهي ليست الإيمان به والاعتراف بشخصه. إن الحياة هي في ابنه. وقد جاء الابن في الجسد، ولهذا كان يسوع "أعجوبة النعمة الإلهية ومحك الحق الإلهي". وبالاعتراف به معناه الإقرار بحقيقة شخصه كمن جاء في الجسد.والفرق هائل وبالغ الأهمية. وهو ليس هاماً وخطيراً فقط بل وحيوياً أيضاً. ليس الإيمان بحقيقة ميلاده بل الإيمان بشخصه الأزلي مولوداً بهذا الاعتبار. وهذا هو الاعتراف الذي يعترف به كل من هو من الروح القدس.

يظن كثيرون أمن المراد هنا إنما هو حقيقة التجسد. لا شك أن التجسد متضمن فيها وهو حق خطير الشأن من حقائق المسيحية الجوهرية وثمرة النعمة الغنية، وقد كان هناك من قام

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بنكره حتى في تلك الأيام القديمة نازلاً به إلى مستوى الأديان الأخرى التي تقول بنظرية التشبه. وهنا ليسمح لي القارئ أن أشير إلى ذلك الكتيب الخرافي البالي الذي يقال إنه اكتشف حديثاً باسم "إنجيل بطرس" وهو كتيب ليس فقط زائفاً ومزوراً بل هرطوقياً من الدرجة الأولى – وإن دل على شيء فعلى صدق أقوال يوحنا إذ هو يحمل في طياته الشهادة على وجود روح الظلال القتال منذ الأيام الأولى، ويحزننا أنه كتب على الإطلاق، ذلك لأنه ينطوي على ضلالة لا يمكن أن تخرج من فم مسيحي عادي فكم بالحري من بطرس. لكن بطرس الذي ظلموه كان محبوباً لغيرته، ولعل الكثيرين ممن كان يصعب عليهم استيعاب تعاليم بولس استيعاباً كاملاً كان يشوقهم جداً أن يستمتعوا بكرازة بطرس وقد استغل المزور الأثيم صيت الرسول (على الأرجح بعد موته) ومهد لقبول أسطورته الأغنوسطية تحت ستار اسمه، وذلك لأن محصل تلك الأسطورة هو أن المسيح لم يأتي في الجسد لكي يموت على الصليب بل إن من اتخذ الجسد خيمة كما يسكن الإنسان في بيت، بمعنى أن الجسد المادي لم يكن جزءاً من شخصه، وإنه بعدما عاش في الجسد فترة من الزمن. وإذ اقترب من الصليب ترك ذلك المسكن ومضى إلى السماء.

أو لا يرى القارئ شبهاً لهذه الضلالة في دين ما؟ فهناك يزعمون أو يتصورون أنه في اللحظة الأخيرة الحاسمة استعمل الله سلطانه واستبدل يهوذا الإسخريوطي بالرب يسوع الذي رفعه إليه. فالبدعة الأغنوسطية وأختها التي أشرنا إليها تزعمان أن الرب لن يأتي فوق الصليب، ولو أن أصحاب هذه النظرية الأخيرة يعتقدون أن الرب سيأتي مرة ثانية ليدين العالم وأنه سيجد كل العالم حينئذ في حالة الارتداد. وهم في ذلك أحسن من كثيرين من الجهلة في النصرانية ممن ينادون في كل مكان لتحسين مطرد في العالم ويمنون أنفسهم وسامعيهم بحالة من الكمال الإنسان على الأرض بدون المسيح. وليس مخجلاً ومذلاً أن ينادوا بملكوت بغير ملك؟ لا ريب في أن البعض يتوقعون انسكاباً آخر للروح – انسكاباً اعظم من الأول – لتحقيق هذا التحسين والكمال المنتظر المنشود، ولكن الواقع المستفاد من كلمة الله هو أن الروح القدس سيسكب هكذا مرة ثانية تكريماً لملك المسيح على الأرض.وهناك دين من الأديان (وهو الذي أشرنا إليه سابقاً) يعتقد أصحابه أنه في الأزمنة المقبلة سيكون قد هجروا كتابهم كما سيهجر اليهود العهد القديم والنصارة العهد الجديد (أي الارتداد العام) والكتاب المقدس يرينا أن النصرانية تسير صوب هذا الارتداد بسرعة، ولعل أقوى حافز وعامل على هذا الاتجاه يقوم في تلك النظرية اللا دورية التي تنكر صحة الوحي والتي تسود في النصرانية منذ الآن.

ولكن أمامنا هنا محك الحق "كل روح يعترف بيسوع المسيح جاء في الجسد فهو في الله" فالروح الصادق الحقيقي يعترف بشخص المسيح. ومن المهم جداً أن نفهم هذا الحق، لأن مجرد التشديد على حقيقة أنه "جاء في الجسد" قد تؤدي إلى نسيان من هو الذي جاء هكذا.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لا شك أن مجيئه في الجسد حق خطير وهام ولكن أخطر منه وأهم حقيقة ذاك الذي جاء هكذا. فمن هو الذي جاء في الجسد؟ إنه لا يمكن أن يقال عن أي إنسان بشري أنه جاء في الجسد. خذ أعظم الأباطرة الذين شادوا الإمبراطوريات العظيمة – نبوخذ نصر أو كورش أو الإسكندر أو القيصر وخذ أشهر الأسماء التي لمعت في عالم الأدب أو الفلسفة أو الخطابة أو العلوم وما إليها. لا يستطيع أحد أن يقول بحق أن أياً منهم جاء في الجسد. والسبب بسيط، وهو أنه لم يكن ممكناً لهم أو لنا أ، نظهر في عالم الوجود بالمرة ما لم نولد في الجسد. أما العجب، والحق، والنعمة اللانهائية. فهي أن سيدنا جاء في الجسد . فهو أقنوم إلهي، ابن الله الخالق الذي به كل شيء كان وبغيره لم يكن شيء مما كان. ومجيئه في الجسد هو شيء مجيد للغاية لله وللإنسان في وقت واحد. والحق أن شيئاً في الأزل السحيق لا يقارن بمجيئه متجسداً سوى موته على الصليب، أما في الأبد العتيد فليس لهذه الحقيقة الفريدة من مثيل.

لكن الأمر الجوهري ليس مجرد ما صار له المجد، بل من هو الذي صار جسداً. كان في مقدوره بكل تحقيق أن يأتي في غير هذه الصورة. كان في مقدوره. أن يأتي في مجده الشخصي، أو في مجد ملائكي (كما ظهر فعلاً مراراً في هذه الصورة في أزمنة العهد القديم لفترات عابرات) غير أنه سر أخيراً أن يأتي في الجسد ليمجد الآب ويبرر الله كالله، ويبارك الذين يؤمنون، ويدين الذين يرفضون، ويرد الخليقة، ويبيد إبليس وينقض أعماله. وكل هذا يدور حول كيانه الأزلي ومجده الإلهي. وهذا هو تعليم يوحنا في رسالته كلها كما في إنجيله، ونبوياً في سفر الرؤيا. وهو متضمن هنا في المحك الذي يزودنا به للتمييز بين روح الله وروح الضلال.

إن روح الضلال لن يعترف به. ذلك لأن جميع هذه الأرواح ترهب الرب يسوع وتخافه خوفاً عظيماً والسبب في هذا الخوف الطبيعي فيها هو إنها تعرف يقيناً أنه أقنوم إلهي وإنه الشخص المعين ليس فقط ليدين العالم بل على وجه خاص ليعاقبها باعتبارها الأداة الماكرة الخبيثة التي لا تكف عن مقاومة الله وإيصال الأذى للإنسان. ومن هنا كان خوفها الرهيب وارتعادها العظيم كلما ألفت نفسها في حضرة الرب أو كلما وجهت بطلعته البهية. كما هو مكتوب في رسالة يعقوب "الشياطين يؤمنون ويقشعرون". ومن الأسف أن الإنسان لا يساويهم في هذا. فهو لا يؤمن ولا يقشعر. ولكن سيأتي يوماً فيه يتحتم عليه ذلك ولا مفر. إذاً فقد عرفنا المحك الأول. وهو شخصية ذاك الذي جاء في الجسد. والواقع أن الحق الخاص بيسوع المسيح يضيء في هذه الرسالة من مطلعها حتى نهايتها.وهو هنا يقدم لنا في كلمات قليلة مركزة باعتباره المحك الذي به نميز روح الحق الذي جاء ليمجد المسيح.

بعد ذلك يقدم لنا الجانب العكسي. "وكل روح لا يعترف بيسوع فهو ليس من الله". وهذه هي الصيغة المختصرة التي يقرها أبرز النقاد، وهي في هذا الوضع تعزز الأقوال السابقة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وتوضح جلياً أن الاعتراف بشخص المسيح – لا بمجرد حقيقة متعلقة به – هو المقصود هنا، لأن غواية روح الضلال لا تقوم على إنكار حقيقة مجيء المسيح في الجسد بل تدور حول إنكار شخصية الرب يسوع الأزلية ومن هنا كان ذكر الاسم الكريم فقط "يسوع" في هذا العدد مسبوقاً كما قلنا في الأصل اليوناني بأداة التعريف "أل" أي بالشخص السابق وصفه. هذا الاعتراف وحده هو الكفيل بالكشف عن روح الضلال. ليس فقط أنه جاء وأنه كان إنساناً حقيقياً وأنه سيأتي ثانياً. هذا كله يعترف به أصحاب الدين الذي أشرنا إليه ومع ذلك فهم – كما يسمون غيرهم – غير مؤمنين، وذلك لأنهم لا يؤمنون بمجد شخصه. وإنما هم يعتبرونه نبياً، رجلاً عجيباً، يفضل جميع أبناء البشر، والمعين دياناً للعالم يوم يأتي ليملك سبع سنين! ولكنهم لا يؤمنون بلاهوته أو انه أخلى نفسه من مجده الإلهي ليظهر نعمة الله.

فإذا سلمنا بهذه الصيغة المختصرة فإننا نجد أنها لا تجعل فارقاً بين الجانب السلبي والجانب الإيجابي من الاعتراف، وإن كانت في الحقيقة تؤيد إلى أقصى حدود التأييد أن الاعتراف الذي يتطلبه روح الله ليس اعترافاً بمجرد حقيقة من الحقائق بل بشخص سيدنا ذاته، لأن العدد الثالث المتعلق بالجانب السلبي من الاعتراف لا يذكر إلا الاسم الكريم ولو أنه يتضمن الاعتراف الأكمل الوارد في العدد الثاني والخلاصة أن النبرة هي على حقيقة الشخص وليس على حقيقة المجيء.

هذا هو إذاً المحك الأول: شخص الرب يسوع المسيح كمن جاء في الجسد. كل روح يعترف به هكذا هو من الله، وكل روح لا يعترف به هكذا ليس من الله، "وهذا هو روح (أو مبدأ) ضد المسيح الذي سمعتم أنه يأتي والآن هو في العالم". فليس الناس فقط هم الذين كانوا يعملون مفسدين بل الأرواح الشريرة أيضاً. ولذلك فإن الرسول وهو يتكلم بلغة المحبة العميقة يستخدم أسلوباً عظيماً للغاية. ولا عجب فإن كان شخص إلهي تنازل في طريق المحبة للإنسان ليولد من امرأة، كيف يكون هذا موضع ريبة وجدل؟ إن عدم الاعتراف به معناه محاربة الله.

ولذلك فبجانب المحك الأول نجد المحك الثاني الذي نتبين فيه هداه الحق المعطى للمسيحي. لا شك أنه هو شخصياً الحق (يو ١٤: ٦) الكلمة الذي صار جسداً وحل بيننا. غير أن الله في غنى نعمته شاء أن يعطينا إعلانا جديداً محوره ومركزه شخص ربنا يسوع المسيح. وهذا الإعلان هو كلمته التي هي الحق. وهي التي يدور حولها الكلام هنا. إنها كلمة الآب، وهي تعلن الآب والابن بالروح القدس وأين نجد هذا الإعلان؟ نجده في كتب العهد الجديد التي هي مجموعة تعاليم رسله وأنبيائه القديسين. والأمر الغريب أنه حتى في ذلك الوقت قام أنبياء كذبة يدعون بأن لديهم نور الله الأكمل ولم يسلموا بأن "تعليم الرسل " هو كلمة الله. قد يكون هذا التعليم حسناً كبداية، أما الحق الكامل فعندهم هم . كانوا يشبهون جماعة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الكويكرز في الوقت الحاضر الشغوفين بالشهادة، ولكنها شهادة هي وليدة أفكارهم الخاصة. وهناك آخرون أيضا ممن يعتمدون على الرؤيا والأحلام لتريهم المسيح أو لتدلهم على واجبهم كمسيحيين أكثر من اعتمادهم على كلمة الله المكتوبة. وعندنا العقليون الذين ينكرون على الكتاب أنه كلمة الله، ولو أن جانبا منهم يسلم بأن في الكتاب بعضاً من أقوال الله ولكنهم ينكرون أنه في مجموعة كلمة الله. على أن عدم إيمانهم هذا من شأنه أن يزعزع كل شيء في الكتاب إذ من ذا الذي من حقه في هذه الحالة أن يقرر ما هو من كلمة الله وما ليس منها ما دامت الكتابات التي بين يديك غير مؤكدة؟ هذه دعوى المتشكك التي يحبها ويرتاح إليها لأنه يرهب سلطان الكتاب، ويفزع من الخطر الذي يحذر منه جميع الذين لا يطيعون الله. أما إذا كان الكتاب هو كلمة الله، كما هو كذلك بالحقيقة فيالها من إهانة لله أن تقف موقف المتشكك فيه ويالها من إهانة بصفة خاصة للروح القدس الذي أعلن سيدنا أنه لا غفران لمن يجدف عليه!.

ولاشك أن الذين كان يخاطبهم الرسول أحسوا خطورة أقواله ولذلك نراه على الفور يضيف محكاً آخر من نوع مماثل هو كلمة الله الجديدة، إعلانه الأخير المؤسس على يسوع الرب وعمله الفدائي الذي تم وقبله الله، فيقول " أنتم من الله أيها الأولاد (الأعزاء) ". ومن الخير أن نعرف أن هذا هو معنى الكلمة المستعملة هنا " الأولاد الأعزاء" ذلك أن الرسول يستعمل ثلاث كلمات في هذا الصدد: واحدة معناها الأولاد بصفة مطلقة وهي الواردة في (ص ٣: ١ و ٢) وفي القول " أولاد الله" والثانية معناها " الأطفال أن الأولاد الصغار" وهي المستعملة في (ص٢: ١٣ و ١٨) والثالثة معناها " الأولاد الأعزاء أو الأحباء" ويقصد بها الطبقات الثلاث التي تتكون منها مجموعة عائلة الله. وهنا نلاحظ أن لفظ " الأولاد" المذكور في (ص٣: ١و٢) يضم كل العائلة حيث ندعى أولاد الله، وفعلاً نحن كذلك من الآن، ومن الخطأ أن يقال "أبناء الله" مع أننا أبناؤه أيضاً غير أن المقصود هنا "أولاد" الله، ليس الأبناء بطريق التبني، بل مولودون من الله ولذلك فإننا أولاده. أما الكلمة الثالثة فعبارة عن مصغر كلمة "أولاد" وتعبر عن المودة والمعزة نظير ألقاب التدليل التي نستعملها أحيانا مع أولادنا إظهاراً لمودتنا نحوهم، ولذلك كان من الخير أن نترجمها هنا " الأولاد الأعزاء" تمييزاً لها عن تلك المترجمة " أولاد" من جهة والأطفال أو "الأولاد الصغار" من الجهة الأخرى.

إذاً الرسول يخاطب عائلة الله جميعاً بالقول "أنتم من الله أيها الأولاد الأعزاء" مشدداً النبرة على ضمير المخاطب "أنتم". فمع إن الأنبياء الكذبة كانوا يعمون أنهم هم القادة الموثوق بهم إلا أن الرسول يفند زعمهم وكأنه يقول ما معناه. كلا إنهم أعداء المسيح وسفراء الشيطان، أما "أ،تم" فأولاد الله بالمفارق مع هؤلاء الأدعياء والقادة الكذبة والأردياء الذين يحتقرون الأولاد الأعزاء. والله في المسيح هو لكم مصدر كل بركة: الحياة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الأبدية والغفران والانتساب إلى الله نفسه كالآب وعطية الروح القدس الساكن فيكم "أنتم من الله أيها الأولاد الأعزاء وقد غلبتموهم" أي الأنبياء الكذبة. ولكن مرجع هذه الغلبة ليس إلى شيء فيكم تفتخرون به كما من حكمتكم أو قوتكم أو قداستكم الخاصة بل "لأن الذي فيكم أعظم من الذي في العالم" ذلك أن مصدر قوة المسيحي هو روح الله الماكث فيه. الله نفسه ماكث فيه وذلك بواسطة روحه الساكن فيه. ولذلك استطاع الرسول أن يقول "لأن الذي فيكم أعظم من الذي في العالم" أو كقوله في (ص ٥: ١٩) "العالم كله قد وضع في الشرير" وهذا معناه بكل وضوح أن إبليس هو العامل بهذه الأرواح الشريرة.

وهكذا يتبين أن النبرة على "أنتم" تحمل في طياتها تعزية كبرى وتثبيتا عظيماً إذ يخاطبهم الرسول بأنهم بكل يقين "من الله" بمعنى إنه مصدر كل بركاتهم. وإذا كان الله هو مانح البركة فهو تعالى لا يتغير، وهبات الله هي بلا ندامة من جانبه. قد يقال إنه "ندم" حينما لا يكون الأمر متعلقاً بهبة أو دعوة من الله، كما ندم على الخليقة (تك ٦: ٦) وأهلكها، لأنها لم تكن هبة بل مجرد عمل مهما كان خطيراً. ولكن عندما يدعو لنفسه في مطلق محبته خطاة بائسين لكمي يجعلهم خاصته، وحينما يهب الحياة الأبدية أو مغفرة خطايانا أو منزلة الأولاد فمثل هذه العطايا هي هبات الله ودعوته، وجميعها بلا ندامة. وهنا لن يتغير فكره. قد يظهر الأولاد جهالة وغباء وانحرافاً محزناً، ولكنه تعالى لا يتغير.

لا شك أن لأقوال الرسول هنا قوتها الخاصة. فلم يكن الأمر قاصراً على أن القديسين نالوا هذه البركات جميعها من الله، بل إنهم هم (هم أنفسهم) من الله، "أنتم من الله". مولودون من الله، ومحبوبون منه باعتبارهم أولاده، وثابتون في هذا المقام باعتباره كيانهم الجديد. وإذا كانوا قد "غلبوهم" (أي آلات خداع الشيطان) فذلك "لأن الذي فيكم أعظم من الذي في العالم" وإن كان رئيسه وإلهه. ولئن كان الأنبياء الكذبة يستمرون في غيهم وضلالهم وشرهم الروحي فإن القديسين قد غلبوهم. ذلك أنهم لم يتحولوا نحوهم بل ظلوا بمعزل عنهم. سمعوا صوت الراعي الصالح وتبعوه، عرفوا أنه وحده يستطيع أن يهب الحياة والحرية والطعام (يو ١٠: ٩) وإنه جاء مرسلاً من الآب في مهمة محبة الله هذه ومن تلقاء محبته هو لخاصته. وإن ابن الله وحده يستطيع أن ينطق بمثل هذه الأقوال، كما أنه هو وحده الذي وضع حياته عنهم في الكفارة. آمنوا بذاك الذي يدعو خرافه الخاصة بأسماء وهي تتبعه لأنها تعرف صوته. أما الغرباء فهي لا تعرف صوتهم بل تهرب منهم ولا تتبعهم. والآن وقد استقرت نفوسهم على فداء المسيح فإن الله نفسه أصبح فيهم بروحه ويثبت فيهم.

وبعد ذلك يصف الرسول هؤلاء الأنبياء بعبارات قاطعة حازمة دامغاً إياهم بوصمة مرعبة وشنيعة وواضعاً نبرة أخرى عليهم بالقول "هم من العالم" بمعنى إن مصدر كل تعليمهم وسلوكهم وأهدافهم ليس من الله بل العالم الذي هو عداوة لله. إذاً فالأمر كله من تحريض

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الشيطان الذي هو منشأ جميع الأكاذيب التي تزعم أنها الحق "من أجل ذلك يتكلمون من الله". العالم الذي طرد الله في المسيح وصلبه هو مصدر وينبوع كل تعليمهم. هم لا يتكلمون عن العالم كموضوع بل يتكلمون منه كينبوع. "والعالم يسمع لهم" لأن العالم يحب خاصته فعلاً، وإذ ليس له معرفة الله ولا معرفة الخطية التي تقتضي تدخله بواسطة الرب يسوع لمنح الحياة الأبدية والفداء الأبدي، فإنه يكتفي بفلسفة المتفلسفين وخيالات ومضاربات العميان المتحذلقين التي تترك الله وتمجد الإنسان. والواقع أن هؤلاء العميان أو الأنبياء الكذبة لم يسمعوا صوت ابن الله قط بل هم أموات ويستمدون حقائقهم من دائرة الموت.

بعد ذلك يتحول الرسول إلى نبرة أخرى. "نحن من الله" وهو شيء مختلف ومتميز عن التوكيل الأول "أنتم من الله". فإن كانت "أنتم" تنصرف إلى مجموع المسيحيين الحقيقيين، وإن كانت "نحن" تساهم مع "أنتم" في البركة العامة، غير أن الله هو مصدر القوة الإلهية التي جعلت الرسل أكفاء ليكونوا أبواق كلمته، بحيث أننا نسمعه إذ نسمعهم. إذاً "نحن" يقصد بها الرسول والأنبياء المرسلون من المسيح والمعطون لبركة قديسيه. لقد ألهموا من الله ولذلك علمونا الحق كما هو في يسوع. والعهد الجديد يتضمن هذه التعاليم الإلهية بصورة ثابتة مستديمة. فكما علموا هكذا كتبوا. وكما كتبوا هكذا نطقوا. وبما أن العهد الجديد يجمع بين دفتيه عدداً من الأجزاء أضيف بعضها إلى بعض تدريجياً ولم تكن يومئذ مجتمعة في مجلد واحد كما هي الآن، فربما كانت هناك صعوبة لدى البعض. أما سلطان الرب فكان نهاية كل مشاجرة فيما يتعلق بالعهد القديم في نظر جميع رجال الإيمان. ولربما قيل في تلك الأيام الأولى أن الأقوال الجديدة كانت مختلفة عن أقوال العهد القديم من حيث عمق تلك وبساطة هذه، اختلافاً كان يصعب معه القول عن جميع الكتب الصغيرة التي كانت متداولة يومئذ – الأناجيل والرسائل – إنها موحى بها من الله بكل تأكيد. ولذلك فعن كلمة الله الجديدة هذه المتضمنة فيما نسميه العهد الجديد يتكلم الرسول هنا باعتبارها المحك الأخير الذي يقدمه لنا الله لاختبار الحق وتمييزه. فكل ما شهد به الرسل والأنبياء في الروح القدس عن الآب والابن في وقته المعين قد تذخر في هذا المستودع الجديد من مستودعات الوحي. والرسول يشير هنا إلى شهادتهم المشتركة بوصفها الحق كم أن المسيح هو الحق. فالمسيح هو الحق مشخصاً. والعهد الجديد الذي هو سجل شهادة هؤلاء الشهود المختارين هو الحق مكتوباً. لذلك يقول عن هؤلاء الشهود "نحن من الله" كأنه يقول للقديسين: "لقد رسمنا لكم بقلم الروح القدس حق المسيح من الأول للآخر. ونحن من الله في هذا العمل ولأجله فمن يعرف الله يسمع لنا".

وإنه لخطأ جسيم وضار للغاية تطبيق مثل هذا القول على كل مسيحي يكرز بالكلمة مهما كان مبلغ إخلاصه وصحة دعوته، أو كل معلم للحق مهما كانت كفايته ودرايته. ومن هو

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المبشر أو المعلم الذي يستطيع أن يدعى لنفسه مثل هذه المنزلة؟ حشا لأيهما أ، يدعى بأن أحداً من أصحاب هذه المواهب الذين يعطيهم الرب لكنيسته في هذه الأيام قد يرتفع على هذه الدرجة وشكراً لله لني شخصياً لم ألتقي في حياتي بأي خادم حقيقي يدعي لنفسه مثل هذه اللغة التي تخص أواني الوحي دون سواهم. تأمل جدياُ أيها القارئ في ما يقوله الرسول "من يعرف الله يسمع لنا". هل لي خادم على الأرض أن يتوقع هذه الحالة بصفة مطلقة؟ كلا. ليس فقط انه في حالة الانقسام التي عليها النصرانية في الوقت الحاضر لا يستطيع أي إنسان أن يتوقع مثل هذا الاستماع بل أن الأمر في حقيقته لم يتعدى في يوم من الأيام دائرة خدمة الرسل والأنبياء. إن الرسول يتكلم هنا فقط عن الأشخاص الذين كانوا يشغلون مركزاً مثله في تلك الأيام التي فيها وضع أساس المسيحية، وكان من الصواب واللازم أن يعرف المؤمنون من ذلك الوقت فصاعداًّ مبلغ السلطان الإلهي الذي يضيفه الله على التعليم الرسولي ويصر عليه، ولكنه سلطان قاصر على أواني الوحي في العهد الجديد كما كان قاصراً على أواني الوحي في العهد القديم. وكل ما في الأمر انه يوجد في الوقت الحاضر كما كان في ذلك الوقت إرشاد الهي بالروح القدس لكل كارز أو معلم بالحق، غير أن للوحي صفته الخاصة وهي تحرره من كل خطأ في ما أعطى كقاعدة الإيمان وأساسه.

وفضلا عن ذلك فقد عني الله في نعمته أن يحتفظ لنا – حتى بعد أن مضى الرسل والأنبياء – بأقوالهم المعطاة من الروح، لا مجرد شهادتهم بل ذات الكلمات التي أعطاهم الروح القدس أن ينطقوا بها، حتى كما كانت حينئذ "من الله" لا تضيع أبداً بل تبقى طالما بقي مسيحي ليستفيد منها. فهذه رسالة يوحنا الأولى مثلاً، هاهي بين أيدينا بالضبط كما كانت بين أيدي الذين كتبت إليهم، ولنا أيضاً نفس روح الله التي كانت لهم والذي يبقى إلى الأبد. غير أنه كان من نصيب الملهمين الموحى إليهم أن يضعوا الأساس، ولا يوجد على الأرض الآن مثل هذه الطبقة من خدام الله ولكن لنا الخدمة التي أتموها بصفتهم كتبت الوحي، وهي دستور المسيحية والكنيسة المكتوبة. والرسول هنا يتكلم فقط عما قالوه وأذاعوه وسمعه القديسون، وكان معظمه مكتوباً يومئذ ولو أن بعض منه بقي من حصة هذا الرسول أن يضيفه ولكنه لم يتردد في القول أن "من يعرف الله (أي كل مسيحي) يسمع لنا" رافضاً الأنبياء الكذبة كمن هم من الشيطان وليسوا من الله. "يسمع لنا" كمن أقامنا الله وخصصنا لإعلان الحق المتضمن الآن في العهد الجديد

إن أقوال الرسول هذه لها خطورتها وأهميتها البالغة فهناك من تجاسروا على القول أنه لا يوجد في العهد الجديد ما يدل على أنه يدعي لنفسه سلطان الله، وإنما هو جهلهم الذي أعمى عيونهم عما يقول الله هناك طابعاً العهد الجديد بسلطانه الإلهي وليس ما يقوله الرسول يوحنا هنا هي الشهادة الوحيدة لهذا الحق، بل هناك شهادات أخرى عديدة من هذا القبيل في طيات العهد الجديد. وأول هذه الشهادات التي نسوقها للقارئ نجدها في (١كو ٢)، فإنه حتى

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

في تلك الأيام الأولى كانت الشياطين تعمل بنشاط وقد عني الرسول بولس في الإصحاح الثاني عشر بحماية المؤمنين ضد كل روح يأتي أن يقول يسوع رب. غير أن العدد ١٣ من الإصحاح الثاني من نفس الرسالة يأتينا من الله "معلناً" بالروح كانت مكتومة حتى على الأنبياء القدامى. وأما وقد جاء ابن الله، فقد جاء الوقت الذي فيه يعلن لنا بالروح حتى "أعماق الله". وبد ذلك يضيف إشارة إلى الوحي الذي عهد إليهم أن يبلغوه للمؤمنين "الأمور التي نتكلم بها أيضاً لا بأقوال تعلمها حكمة إنسانية بل بما يعلمه الروح" – ليس أن الروح أوصل إليهم مجرد الأفكار فقط، لأنه بمثل هذه النظرية الفاسدة يحاول الكثيرون تقويض الوحي أو التقليل من شأنه حيث يزعمون أن الأفكار جاءت من روح الله، أما اللغة أو الأقوال التي صيغت فيها الأفكار فقد ترك لأناس صالحين أن يبذلوا أقصى جهودهم لاختياره.

ولا عجب إن كان الأمر كما يعلمون أن يقع الناس في أخطاء، غير أن زعمهم هذا هو باطل بعينه. فالرسول بولس يقول هنا بصريح اللفظ أن الأمور المعلنة هي نفسها لا يتكلمون بها أيضاً (أي الرسل)، وذلك بأقوال من تعليم الروح القدس بدلاً من تركهم للضعف البشري أو الحكمة الإنسانية. وبالاختصار كان الروح الذي أعلن الحقائق حريصاً في نفس الوقت على صياغة الأقوال "قارنين (أي شارحين أو موصلين) الروحيات بالروحيات" أي موصلين الأمور الروحية بأقوال روحية وبعبارة أخرى إن وسيلة التوصيل كانت أقوالاً علمهم إياها الروح ولم يترك أمرها للإنسان الضعيف. وهكذا يخبرنا هذا العدد بكل وضوح أن الأقوال وليس فقط الأفكار كانت موحى بها.

وإليك شهادة أخرى بنفس المعنى من آخر الرسالة كتبها الرسول بولس وهي رسالته الثانية لتيموثاوس. فهو يروي هناك أن الوقاية الصحيحة التي تحفظ القديس في الأيام الأخيرة الصعبة ليست في التقاليد الغامضة المجهولة المصدر بل بالثبات في الحق الذي تعلمناه عن اقتناع تام ونحن عالمون مصدره، والمتضمن في اليوم في الكلمة المكتوبة. فيقول لتلميذه لاحظ الذين يتكلمون كيف يسلكون وما هي سيرتهم وحياتهم، ومن ثم يقول "وأما أنت فقد تبعت (أو عرف تماماً) تعليمي" بالمقابلة مع أولئك الناس الأردياء الأدعياء الذين يقارنهم بسحرة مصر الوثنية – "وأما أنت فقد تبعت تعليمي وسيرتي وقصدي وإيماني وأناتي ومحبتي وصبري واضطهاداتي (لا ترحيب الجماهير بي) وآلامي مثل ما أصابني في أنطاكية وإيقونية ولسترة. أية اضطهادات احتملت ومن الجميع أنقذني الرب. جميع الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى في المسيح يسوع يضطهدون" – هذه هي علامة المسيحي الحقيقي الآن كما كانت في كل أوان – "ولكن الأشرار المزورين سيتقدمون إلى أردأ مضِلين ومضَلين. وأما أنت فأثبت على ما تعلمت وأيقنت عارفاً ممن تعلمت". ومن هذه الأقوال نرى أهمية الدور الذي تلعبه أخلاق الذين ينادون بالحق وصفاتهم، فإنه مهما يكن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

سمو الحق الذين ينادون به، ومهما تكن مهارة المتكلمين به ولباقتهم ونعومتهم فلا قيمة مطلقة لكل ذلك ما لم يكونوا عائشين في الحق لدى ضمير مختاري الله.

ثم يقول له "وإنك منذ الطفولة تعرف الكتب المقدسة (أي كتب العهد القديم) القادرة أن تحكمك للخلاص بالإيمان الذي في المسيح يسوع". هذا ما يقوله في عدد ١٥. أما في عدد ١٦ فيقول "كل الكتاب every scripture وهو موحى به من الله" وكلمة "كل" هنا لا يقصد بها كل الكتاب المقدس all scripture كما كان مكتوباً حينئذ (وإن كان هذا صحيحاً) لأن جزءاً من الكتاب – على الأقل كتابات يوحنا – لم يكن قد كتب بعد، بل المقصود هو كل كتاب أي كل جزء من الكتاب (every) وبذلك يترك الباب مفتوحاً للأسفار الإلهية التي لم تكن قد كتبت بعد فليس فقط أن الكتبة كانوا ملهمين، موحى إليهم، بل إن كل ما هو من الكتاب سواء كان سفراً أو فصلاً أو عدداً هو موحى به. وللمرة الثانية نفهم أنه ليست فقط الأفكار موحى بها بل ذات الأقوال التي صيغت فيها هي موحى بها كذلك، ولولا أنه كذلك لما بقي لنا شيء يمكننا الاستناد عليه تمام الاستناد.

ولندع جانباً أصحاب الحلول الوسط الذين يحاولون أن يوفقوا بين الأناجيل وبعضها توفيقاً مصطنعاً فيخلطون بين الوحي والأضاليل. لندع هؤلاء وشأنهم، أما نحن الذين نؤمن أن وحي الله منزه ويستبعد كل نقص استبعاداً كاملاً فإننا مدعوون لأن نرفض النظريات ونتقبل الحقائق ولكننا في الوقت نفسه ننكر اعتراضاتهم التي لا أساس لها.

ولعله لا توجد بين كل نظرياتهم واحدة عرجاء خالية من روح التوقير مثل تلك التي تقول بوجود وحي إلهي تتخلله أخطاء ومتناقضات تعم جزءاً حيوياً من الكتاب هو الأناجيل الأربعة وسفر أعمال الرسل. وكيف يعقل – ولو كان الأمر كما يزعمون – أم مجموعة مشوهة وكثيرة الأخلاط يمكن أن تحمل سلطان الله أو يجوز لها أن تسمى كلمة الله؟ الواقع أن ما يبدو لأول وهلة كأنه تناقض أو اختلاف يرجع إلى غرض الله في كل إنجيل وإلى الهدف الذي أعطى لكل كاتب أن يستهدفه وهو يكتب، مؤهلاً كل كاتب بالنعمة للخدمة المعينة له بحيث استطاع أربعتهم أن ينتجوا بمهارة الروح القدس الفائقة تلك الشهادة الغنية المشتركة لمجد الرب يسوع، وهي الشهادة التي فاقت أفكارهم الشخصية، والتي بقيت على المن سنداً للإيمان المسيحي في كل عصر وجيل . أما أن نسلم بأن الله أوحى إلى البشيرين الأربعة وقادهم لإتمام غرضه في تمجيد المسيح بقوة الروح القدس ثم نزعم بعد ذلك بأنهم تركوا يتورطون في أخطاء فتلك بكل يقين أعرج وأسخف نظرية يمكن أن تخطر على بال إنسان عاقل ولا يمكن الدفاع عنها ولو حتى من الوجهة المنطقية فضلاً عن كونها غير لائقة إطلاقاً بالروح وبذلك الذي هو الحق. والواقع أن هذه النظرية المبتورة – كسائر نظريات الحلول الوسط والتوافق المصطنع – لا يمكن أن تقف على قدميها إلا في مخيلة مخترعيها، وعلى الأرجح لا يمكنها أن تستقيم في مخيلتهم هم أيضاً فكلنا نعلم أن الرب

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وعد الرسل بنوال قوة الروح ليعلمهم كل شيء وليذكرهم بكل ما قاله لهم. وعلى ذلك يكون مؤدي هذه النظرية العرجاء أن الروح قد ذكرهم بأقوال السيد بطريقة عرضتهم للأخطاء والنقائض المزعومة. وهذا لاشك تجديف على الروح القدس وانتقاض لأمانة الرب في ما وعد به الرب قد أنجزه الروح القدس تماماً وإن كل الكتاب every scripture جدير ليس فقط بمن كتبوه بل بالله مؤلفه الحقيقي.

إذن فمن القول أن كل "من يعرف الله يسمع لنا" ينتج أن كل مسيحي يتقبل العهد الجديد باعتباره من الله. وبالتالي كل من لا يتقبله هذا القبول ليس مسيحياً حقيقياً بل ملحداً، فإن سماع رسل العهد الجديد وأنبيائه أمر غير منفصل الآن عن معرفة الله. إن هذا المحك الثاني المتعلق بالحق الكتابي يذهب في تدليله إلى أبعد مما إذا كان الشخص مسيحياً حقيقياً أم لا لأن مجرد الاعتراف بالمسيح مع رفض كمال الوحي هو من عمل الأرواح الشريرة. إن الإلحاد يبدأ عادة بالعهد القديم ولكنه يتجاوزه إلى العهد الجديد فيهاجمه ويرفضه هو أيضاً ولعله من أغرب ما يروي أني التقيت مرة بشخص كان يشغل مركزاً هاماً في نظر أهل العالم وله نشاط موفور في مدارس الأحد ومعروف بأنه مسيحي غيور، أعلن لي فجأة ونحن تتجاذب أطراف الحديث أنه وإن كان يؤمن بالعهد القديم إيماناً كاملاً إلا أنه لا يؤمن بالعهد الجديد! ومثل هذا التصريح كان كفيلاً بأن يجرح أي مؤمن جرحاً يجل عن كل وصف. والحق أن التجرؤ على قتل إنسان بغدارة هو في نظري خطية أهون من هذا التهجم الجريء على كلمة الله. وأليس مرعباً أن يصدر مثل هذا الإلحاد الشنيع من شخص معترف به كمعلم مسيحي؟ "من هذا نعرف روح الحق وروح الضلال".

وحسن أن نلاحظ إلى أي مدى ينطبق المبدأ الذي يقرره الرسول هنا بكيفية حازمة وقاطعة "من يعرف الله يسمع لنا ومن ليس من الله لا يسمع لنا". فإنه مبدأ يبهج نفس المسيحي الذي يجد أدسم طعامه الروحي لا في العهد القديم فقط (مع أنه كذلك موحى به من الله وحياً كاملاً) بل بالأحرى في العهد الجديد حيث لم يعد المسيح بعيداً أو مستتراً بحجاب بل معلناً في ملء مجده ونعمته في جلال الله ووداعة ألطف إنسان وطأت قدماه وجه الأرض. إننا نسمع الله متكلماً قديماً بعبيده الأنبياء، ولكنن نسمعه كالآب متكلماً في الابن، كأبيه وأبينا وإلهه وإلهنا. وهذا يدين الإنسان متديناً كان أو ملحداً ويعطى الله مكانه ويضعني في مكاني. يدين خرافات المتدين كما يقضي القضاء المبرم على إلحاد الملحد وعلى كل شكل من أشكال عدم الإيمان الذي يأبى أن يسمع لصوت الله في أقوال رجاله المهمين بصفة عامة وفي أقوال رسل المسيح وأنبيائه بصفة خاصة. ولعله لا يفوتنا أن نلاحظ أن الرسول بولس لا يقل شعرة واحدة في تأكيد الوحي لكتاباته عما يؤكده يوحنا بالنسبة للرسل جميعاً "إن كان أحد يحسب نفسه نبياً أو روحياً فليعلم ما أكتبه إليكم إنه وصايا الرب. ولكن إن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يجهل أحد فليجهل" (١ كو ١٤: ٣٧ و ٣٨) ويا له من توبيخ صارم للمسيحيين المنتفخين باطلاً (أمثال أولئك الكورنثيين) الذين يقفون على أساس منزلق وهم لا يدرون.

"إن كلمة الله حياة فعالة وأمضى من كل سيف ذي حدين وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميزة أفكار القلب ونياته وليست خليقة غير ظاهرة قدامه بل كل شيء عريان ومكشوف لعيني ذاك الذي معه أمرنا" (عب ٤: ١٢ و ١٣) فهل نحن في حاجة لأن تقول لنا الكنيسة أن سيف الروح هو كلمة الله حينما تخرق هذه الكلمة أستارنا كما لا يستطيع شيء سواها؟ وكما قال الرب في حديثه الأخير مع اليهود الغير المؤمنين "إن سمع أحد كلامي ولم يؤمن فأنا لا أدينه. لأني لم آت لأدين العالم بل لأخلص العالم. ومن رذلني ولم يقبل كلامي فله من يدينه. الكلام الذي تكلمت به هو يدينه في اليوم الأخير" (يو ١٢: ٤٧ و ٤٨). وهنا في رسالة يوحنا (١ يو ٤: ٦) نرى الروح القدس يوحي لرسولنا لأن يؤكد هذه الصفة للكلمة التي جاءت بواسطة الرسل والأنبياء. فهل نحن في حاجة بعد ذلك لأن تقول لنا الكنيسة أن الرسول نطق بحق الله لبركة المؤمن وهلاك الأنبياء الكذبة وكل من يرذل كلمة الله؟ إن الملهمين كانوا خداماً للمسيح ووكلاء سرائر الله، ولكن الكلمة التي تكلموا بها أو كتبوها كانت كلمة الله نفسه كما لو كلن هو تعالى الناطق بها في أذن من سمعها.

إن كلمة الله موجهة للكنيسة وللفرد المسيحي مباشرة وعلى حد سواء. وهذا واضح لأول وهلة من عنوان رسائل العهد الجديد، فإنها جميعاً كتبت لمجموعة المؤمنين فيما خلا بعض الرسائل القليلة والقصيرة جداً التي كتبت لشركاء في خدمة لم يكن المؤمنون أكفاء لها بصفة عامة، وإنما عهد بها لأشخاص مزودين بسلطان خاص. وهاهي جميع الرسائل باقية للمؤمنين الآن كما كانت لهم تماماً وقتذاك، وإذ ما اعترضتهم فيها الآن بعض الصعاب كما اعترضت المسيحيين الأوائل فعندهم نفس المفسر الحي الذي كان مع إخوتهم الأقدمين. ولكن المبدأ الجوهري للإيمان هو أن يتكلم الله إلى أولاده مباشرة في كلمته. أما إقحام الكنيسة أو الإكليروس بين كلمة الله وأولاده فليس إلا تمرداً وعصياناً ضد الله. وليست كل حجتنا في هذا أن من حق كل إنسان أن يسمع كلمة الله المكتوبة بل أن من حق الله نفسه أن يخاطب ويعلم ويعزى ويوبخ أهل بيته، بل من حقه أكثر من ذلك أن يتكلم إلى ضمير كل إنسان كما تكلم الرب ورسله وكما يتكلم خدامه بصفة عامة.

وإذا زعم البعض أن الرسول إنما تكلم هنا عن الكلمة الشفوية، فليعلموا أنهم على ضلال مبين وأنهم بذلك يسيئون إساءة غير كريمة إلى الكلمة المكتوبة. ولسنا نسوق هذا الكلام من عندياتنا بل هاهو الرب نفسه يضع القاعدة الإلهية وهي أن الكتاب أعلى سلطان من أي كلام شفوي. من أجل ذلك قال الرب يسوع لليهود المتماحكين "لا تظنوا أني أشكوكم إلى الآب يوجد الذي يشكوكم. وهو موسى الذي عليه رجاؤكم. لأنكم لو كنتم تصدقون موسى

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لكنتم تصدقونني لأنه ه، كتب عني. فإن كنتم لستم تصدقون كتب ذاك فكيف تصدقون كلامي؟" صحيح إن كليهما كانا كلمة الله التي لا تدحض، إحداهما مقولة والأخرى مكتوبة بالروح القدس غير أن سيدنا في طريق تحديد سلطان الله اللازم للإنسان يعطى المكانة الأسمى للكلمة المكتوبة باعتبارها الشهادة الدائمة عن الفكر الإلهي والتي تسمح للإنسان بالتأمل والتفكير قدام الله أكثر مما تسمح به الأقوال الشفاهية.

إن كلمات الرسول يوحنا التي نحن بصددها تختم الموضوع وإنها لخاتمة جديرة بكل إعجاب. فسواء من جهة الاعتراف بالمسيح كما هو في حقيقته، أو من جهة سلطان الكلمة التي أعلنته، فلنا في كليهما الحق في أبسط صورة، الحق في شخصه والحق الصادر عنه. هذا هو روح الحق. ولكن هناك أيضاً روح الضلال وإبليس هو مصدره القتال. ومن الطبيعي أن الأشخاص الذي لا يؤمنون بحضور روح الله لا يؤمنون كذلك بالدور الخطير الذي يلعبه الشيطان في الكوارث التي تصيب العالم بصفة عامة سواء الأفراد أو الشعوب أو القبائل البربرية. ولكن أسوأ جانب من شر إبليس هو ما يمارسه في المسيحية، أو ما يوسوس به ضد ربنا يسوع المسيح وحق الله المعلن يسمى في هذه الحالة "روح الضلال" وهو أخطر أنواع الشر، فهو ليس فساداً فاضحاً مكشوفاً. ولا ظلماً سفاكاً للدماء، بل هو خداع وتغرير من الخارج ومكر ودهاء من الداخل. جزء صغير من الحق في مقدمة أكذوبة ضخمة، إباحة للإرادة البشرية وانعدام لتدريب الضمير، لا اعتراف بالرب يسوع بل تحريف لشخصه المحبوب مع جهل للآب. ذلك هو عمل روح الضلال. ومنه سيخرج الارتداد ويولد إنسان الخطية.

ولكن ما أعظم نعمة الله وما أكرمها في مواجهة انحراف الاعتراف المسيحي والخراب الشامل والدينونة التي تنتظره بعد أن ضاع كل رجاء في الشفاء: ما أعظمها حين أعدت العدة لضمان سلامة المؤمنين وفرحهم لكل التجارب التي يتعرضون لها. وما عدتها إلا الاعتراف الحقيقي بالرب يسوع والإيمان به. ثم كلمة الله وكلاهما بواسطة روح الحق. وهذه هي خلاصة وجوهر العبارة الاعتراضية التي نتأمل فيها الآن.

معلوم أن بين النصارة قوماً يعتمدون في إرشادهم وسلامتهم على الفرائض والوظائف الرسمية ومع ذلك فإنهم يواجهنك دائماً بالقول "يسمع من الكنيسة" والغريب أنهم لا يفكرون في تطبيق هذا القول الكريم من أقوال سيدنا في (مت ١٨: ١٧) كما يريده أن يطبق له المجد. فهناك كان الرب يتحدث عن التأديب اللازم اتباعه في حالة ما يخطئ أخ ضد أخيه في أمر شخصي قد لا يتعداهما في مبدأ الأمر ولكنه أخيراً يصل إلى مسامع جميع القديسين بسبب عناد الأخ البادئ بالخطأ، ومن ثم تصبح الجماعة أو الكنيسة هي المرجع الأخير، وعلى المخطئ عندئذ أن "يسمع من الكنيسة" ولكن أهذا ما يفعله ولو مرة واحدة في حياته أولئك الذين يقتبسون هذا العدد لتعزيز ما لم يقصده الرب هنا ولا في أي مكان آخر؟ إنهم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

في والواقع يقصدون بالكنيسة الكاهن أو مجموعة الكهنة أو – في الحالات القصوى – البابا زعيم الجميع. ولكن هذا خطأ، خصوصاُ إذا كانوا عن معرفة وتعمد يسيئون تطبيق أقوال سيدنا له المجد.

أما الكتاب فإنه يذهب إلى أبعد من ذلك فيرينا أنه قبل ارتحال آخر الرسل كان الانحراف قد بدأ بصورة ملموسة حتى أن الرب أخبر يوحنا بالروح أن يكتب للسبع الكنائس التي اختارها لتوجه إليها الرسائل الأخيرة. وأول هذه الرسائل موجهة إلى أفسس، الكنيسة التي كانت لامعة في الأيام الأولى، ولكنها كانت حينئذ مهددة بزحزحة منارتها، وآخرها ينتهي بتقيؤ كنيسة لاودكية من فم الرب كشيء كريه تعافه النفس. في ذلك المشهد من سفر الرؤيا لا نرى الرب يخدم بالنعمة بل يقضي في الوسط ولذلك يبدو كابن الإنسان متسرباً بثوب إلى الرجلين ليس مشموراً أو مخلوعاً للخدمة. ولكل كنيسة من هذه الكنائس التي اختيرت إعلان أدوار الكنيسة على الأرض كما في سر قبل أن تختفي من المشهد الأرضي يوجه الرب كلمته الأخيرة (مع وعد قبلها أو بعدها) "من له أذن فليسمع ما يقوله الرب بالكنائس" فمنذ أيام الرسول وللرب عتاب خطير وحساب عسير مع الكنائس لأنها كجماعات كانت تتجه نحو الخراب وقد هددها أخيراً بالرفض والاستنكار، بل أن النبوة في الإصحاح التالي مباشرة ترينا أن الإطار الخارجي – أو الصورة الكنسية الظاهرة – لم تعد بعد موضع اتصال بالرب، وإن الغالبين قد صاروا في السماء ممجدين حول عرش يرسل الدينونة الإلهية على اليهود والأمم فيما خلا بقية من كلا الفريقين ولم تعد الكنيسة ظاهرة بعد على الأرض، بل ضربات غضب وسحق ترى على الشعوب. هذا ما هو وشيك أن يكون ولابد أن يكون "بعد هذا" (أي بعد فترة الكنيسة).

والآن ماذا نرى؟ إن رسالة تأتي من الرب إلى كل "من له أذن" هي بكل تأكيد رسالة قوية وخطيرة للغاية وهي رسالة تهدم على الفور تفسير القوم المغلوط لقوله له المجد "يسمع من الكنيسة" وتدعو كل مؤمن أمين أن "يسمع ما يقوله الروح للكنائس". إن الكنيسة لم تكن في يوم من الأيام قياساً للحق، وإنما كلمة الله هي وحدها الدستور وهي القياس. لاشك أن الكنيسة (وليس اليهود أو الأمم أو سواهم) هي شاهدة الحق المسؤولة أن تكون أمينة له بالقول والعمل. ففيها وحدها، وفي عهدها دون غيرها، شهد "لسر التقوى" مع فائق عظمته. غير أن الكنيسة ليست الحق بل عمود الحق وقاعدته. لأن المسيح هو الحق موضوعاً، والروح هو القوة التي تعمل في الداخل لتطبيقه وتأييده في القلب. ولكن بعد ظهور الانحلال والهرطقة والبدع لم تعد الكنيسة الاسمية الخارجية شاهدة يؤمن إليها. من أجل ذلك يأمر الرب كل من له أذن طائعة أن يسمع ما يقوله الروح للكنائس.

إن سلطان الحق مرتكز في ذاك الذي كلماته إلهية. وليس الأمر هكذا مع العمود والقاعدة الذين حملا مرة تلك الأقوال لكي ترى من الناس وتسمع (١ تي ٣) أن العمود قد يخدش أو

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يشوه ولكن الحق يبقى سليماً إلى الأبد في المسيح، في الروح وفي الكلمة، وقد حدث ذلك فعلاً فإن رسالة تيموثاوس الثانية (ص ٣) تتحدث عن أناس لهم صورة التقوى وهم منكرون قوتها، وتدعونا أن نعرض عنهم. وسرعان ما يحدثنا التاريخ عن قيام كنيستين متنافستين، وليس ذلك فقط بل راحت إحداهما تحرم الأخرى وتنعتها بالأناثيما. وكان من شأن هذه الأوضاع أن حفزت جميع المسيحيين – إلا القوم المتهاونتين – لضرورة معرفة الحق حتى يحكموا أي الكنيستين هي الكنيسة الحقيقة، هذه أو تلك، أو ربما لا هذه ولا تلك. ومن هنا كانت أهمية النصيحة السباعية التي نصحنا بها الرب أن نسمع ما يقوله الروح للكنائس. ولم تفقد هذه النصيحة أهميتها بعد حركة الإصلاح حيث لم يقتصر الأمر على ادعاء ملوك وشعوب بحق تأسيس كنائس وطنية خاصة بهم ومتميزة بعضها عن بعض بل قام زعماء وقادة يطالبون بنفس الحق لجمعياتهم وهيئاتهم الدينية، وهكذا ضاعت فكرة الكنيسة ذاتها عند الكثيرين في العالم المسيحي.

ولا عجب إذا كان القوم – وقد كفوا عن الإيمان بحضور الروح القدس وعمله في الكنيسة – قد خسروا بجانب هذا سلطان الكلمة ليس فقط من حيث التصرف بل من حيث المبدأ حتى راحوا ينكرون كفاية نورها الذاتي لضمير الإنسان ويؤكدون ضرورة الكنيسة لتأييد سلطان الكلمة. ولكن اعوجاجهم في هذا واضح لأنهم يستغلون كل ظل من ظلال تفسيراتهم الخاطئة لبعض الأقوال الكتابية ليقيموا عليها معتقداتهم ويدعموا بها أنظمتهم. غير أن مبدأ استخدام الكنيسة للمصادقة على كلمة الله هو بلا شك مبدأ كافر يثبت على مقرريه خطية الانحراف عن سلطان الله ففي يوم الخمسين ذاته نرى بطرس الرسول يؤيد حقيقة عطية الروح القدس بأدلة من كلمة الله ولم يحاول هو أو أي رسول آخر أن يلجأ إلى سلطان الكنيسة. إن كلمة الله لا تحتاج إلى مصادقة. والادعاء بغير ذلك هو التجديف بعينه وهاهو الرسول بولس يكرم العهد القديم حين يمتدح يهود بيرية ليس فقط لأنهم تقبلوا الكلمة بذهن صاح ونشاط بل لأنهم كانوا يفحصون الكتب كل يوم ليحكموا هل هذه الأمور هكذا. كانوا يعرفون أن أقوال العهد القديم من الله، وقد فعلوا حسناً إذ امتحنوا في ضوئها الكرازة الشفوية من شخص لم يكونوا يعرفونه حتى وجدوا وتأكدوا بالبحث المتواصل أن تلك الكتب القديمة تؤيد شهادته. ولهذا هو يمتدحهم. أعني أن الكلمة القديمة المكتوبة كانت المقياس الذي قادهم بالأكثر لقبول الكلمة الجديدة بكل ترحاب ونشاط.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الرسالة الأولى: الخطاب الثالث عشر

١ يو ٤: ٧ – ١٠

"أيها الأحباء لنحب بعضنا بعضا لأن المحبة هي من الله وكل من يحب فقد ولد من الله ويعرف الله. ومن لا يحب لم يعرف الله لأن الله محبة. بهذا أظهرت محبة الله فينا (أي في حالتنا) إن الله أرسل ابنه الوحيد إلى العالم ولكن لكي نحيا به. في هذا هي المحبة ليس أننا نحن أحببنا الله بل إنه هو أحبنا وأرسل ابنه كفارة لخطايانا".

بعد القصة العارضة الاستطرادية، كما يمكن أن نسميها، التي تناولها الرسول في الأعداد الستة الأولى من هذا الإصحاح، نعود إلى الموضوع الجديد الذي كان قد مهد به الرسول في نهاية الإصحاح الثالث، فقد أبان هناك أن محبتنا لاخوتنا كعاطفة إلهية ليست فقط ضرورة ومطلوبة بل أنها بالغة الأهمية والخطورة بحيث أنها تقرر في الواقع إذا كنا مسيحيين على الإطلاق أم غير مسيحيين. وهذا من شأنه أن يجعل الأمر في غاية الأهمية لنفوسنا حتى نكون على حذر من خداع قلوبنا "أيها الأحباء لنحب بعضنا بعضاً لأن المحبة هي من الله وكل من يحب فقد ولد من الله ويعرف الله".

إن كان هذا الاستنتاج الإلهي أكيداً وقوياً. وهو كذلك في الحقيقة، فلا عذر لأحد أن يفشل في المحبة. فقط علينا أن نذكر أن المحبة ليست مجرد عاطفة رقيقة نحو قديس شريك، بل هي أيضاً أمانة من نحو الله، ومن أسف أن هذه الأمانة في المحبة لأي خطأ يقع فيه والذي يعتبر أمانة أخيه متعارضة مع المحبة هو بحاجة إلى حذر، لأن إعراضه عن أمانة أخيه وانغلابه من روح النفور من هذه الأمانة – كما يحدث أحياناً – قد يؤدي به إلى نتيجة تنهض دليلاً على أنه مجرد من هبة الحياة في نفسه. فكثيراً ما نجد أن الانحراف عن المحبة ولو بقدر يسير، إن استسلمت له النفس، هو علامة خطيرة للغاية، وقد يكون من أعراض ما يمكن أن يسمى بالبرص الأدبي في الإنسان، لأن كلمة الله تعلمنا هنا أنه لا يوجد شيء من الله حقاً ولا شيء سليم بالمرة في الإنسان الذي لا يحب.هذا من جهة الاختبار. وهل يوجد ما هو أصح من هذا وأوضح من جهة المبدأ؟ أن البغضاء ليست من الله بكل يقين، أما المحبة فهي منه لأنها صدى نشاط طبيعته. أن النور، إن جاز لنا هذا التعبير، هو مبدأ طبيعته الأدبي. هو الطهارة الكاملة الذي يكشف ويرفض كل شر لأنه في الله مرتبط بالقداسة ارتباطاً مطلقاً، وهو كذلك في المسيحي أيضاً حيثما وجدت الحياة الأبدية. أما المحبة فهي نشاط الطبيعة الإلهية. هي السعي في الخير دون أن يكون في

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الأشخاص المحبوبين ما يحفزها على العمل سوى ما في ذاتها من صلاح وجود. ومحبة الله ليست فقط تعطى الكل، بل أيضاً تغفر الكل. وما كان ليتم لنا ذلك إلا عن طريق الوسيط، لأن الله لا يمكن أن يتناقض مع نفسه ومع طرقه، فحيث توجد الخطية لا بد أن يكون أمام محبته أساس للتبرير وإلا فإن المحبة لا تكون أمينة. أين يوجد ذلك؟ طبعاً ليس في الإنسان الخاطئ. ولكن الله عرف في نفسه أين سيوجد البر الكامل حتى في الأيام التي كان يسود فيها الإثم.

لقد كان قبل الطوفان وبعد الناموس يتطلع إلى الأمام، إلى مسيحه، وفي يوم شرير تكلم بفم نبيه عن خلاصه الآتي وبره الذي كان عتيداً أن يستعلن (أش ٥٦: ١). لم يكن البر يرى على الأرض في أي مكان، ولكن الإيمان كان يتوقعه على الدوام. لم يكن للبر أي أساس في الإنسان، ولا حتى في قديسي الله الحقيقيين، لا في أخنوخ ولا في إيليا، ناهيك عن الآخرين. هم أيضاً كانوا جميعاً ينتظرونه ويرجونه. لكنه لم يكن في يومهم حقيقة واقعة قد تمت فعلاً بل كان اعتماد كل قديس يستند استناداً كلياً على ذاك العتيد أن يأتي لأنه كما تعلم، قد أعلن للإنسان فور سقوطه وصيرورته خاطئاً. هذا ما قدمه الرب الإله لأبوينا الأولين المذنبين وبطريقة مؤثرة للغاية، لأنه لم يكن في خطاب مباشر للساقطين بل في سياق القضاء على الحية. ومن غير الله كان يمكن أن يفكر في حكم يصدره على العدو، أن يضمنه أيضاً إعلاناً عن مخلص؟ وهكذا في كامل القداسة ألمع له المجد إلى الإعلان عن مخلص يسحق قوة الشر لينقذ من بين براثنه فرائسه المسكينة، لكنه مخلص يحتمل أيضاً الآلام في كامل المحبة لتميم ذلك الخلاص. ومن سوى عديم الإيمان لا يرى بكل وضوح أن هذا هو معنى سحق العقب؟ غير أن "نسل المرأة" – رغم آلامه هذه – يسحق رأس الحية. فهو إذاً قضاء مبرم وهلاك كامل لم تقوم للشرير قائمة بعده.

إن "المحبة" المقصودة هنا لا نبع لها في المخلوق بل هي "من الله". ولو لم يكن الله هو المصدر والقوة لما استطاعت نفس أن تخلص، ولما استطاع أن يسلك في محبته. إن المحبة تعرف كيف تهيئ موارد النعمة حيث يكون الإنسان غارقاً في الحمأة والخراب الكامل. انظر إليها في المسيح الذي مات لأجل خطايا المؤمن مغفورة، إذ لو كان ذلك هو الكل، لجاز أن يقال أن القديس إن أخطأ لزم أن يبدأ طريقه من جديد. ولعلنا لا نجهل أن هناك مسيحيين يزعمون أنه إذا أخطأ المؤمن فإنه يخسر كل شيء وعليه أن يبدأ من جديد. ولكن من الواضح أن من يظنون هكذا لا يؤمنون في الحياة الأبدية باعتبارها ملك المؤمن في المسيح منذ الآن. ويؤلمنا من الجهة الأخرى أن نشير عرضاً إلى فريق آخر من النصارى ينكرون الحياة الأبدية ولو بأسلوب يختلف عن السابق. ولكن مهما تكن أساليب الإنكار فهي بلا شك خطية كبرى ضد حقيقة جوهرية من حقائق المسيحية.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بعد ذلك يقول الرسول "كل من يحب فقد ولد من الله" فكوننا من الله، هذا يتضمن أيضاً وجود المحبة فينا كأولاد. وحيث أن الأولاد حاصلون على طبيعة الله أبيهم. فكل من لا يحب لم يولد من الله. لكن قد ترى واحداً يكون تعليمه الكتابي ناقصاً أو مغلوطاً ولم يتعلم بعد كيف يحكم على فورات الجسد فلا يعرف بالتبعية أن شعوراً من البغضاء لا يتفق مطلقاً مع المسيحي لأنه لا يتفق مع الله ولا مع الحياة التي في ابنه. "إن المحبة هي من الله، وكل من......" – ليس أوضح من هذا – "وكل من يحب فقد ولد من الله ويعرف الله". أو ليس عجيباً أن يقال هذا عن إنسان على الأرض؟ أننا نعرف القليل جداً عن بعضنا البعض، ومن الأدلة على جهلنا حتى بأقرب أصدقائنا وأقاربنا أننا نفاجئ من وقت لآخر بأمور صغيرة تثير فينا الدهشة والحيرة وتسبب عنها آلام وأحزان لا آخر لها على الأرض. نعم فلو كنا نعرف بعضنا بضاً معرفة صحيحة، ولو كنا نحمل بين جنوبنا طبيعة حبية، إذاً لانتهت هذه المفاجآت واختفت هذه الهنات الهينات. فكم هو عجيب حقاً، أننا نحن الذين هذا مبلغ جهلنا بأوثق أحباءنا وأقرب أقربائنا، نكون كفاة لأن نعرف الله؟ إننا قد نعرف القليل جداً عن إخوتنا. والسبب في ذلك ضعف محبتنا، فلو كانت محبتنا قوية بالإيمان، والحياة الجديدة عاملة عملها بغير عائق أو معطل لتوافرت لنا وثاقة المودة والإلفة وجميعهم ولاشتركنا معهم في آلامهم مع المسيح ومن أجل اسمه بطريقة ترضي الله وتطيب خواطرهم وتجلب البركة لنفوسنا. لأن الثقة وليدة المحبة. والمحبة المدركة تولد الثقة، كما رأينا بالنسبة لله وأولاده. ومن منا يجهل قلة الثقة نسبياً حتى بين أولاد الله؟ الواقع أن نقص المحبة أمر مخجل للغاية لا يليق ولا يتفق مع عائلة الله. ولكن هاهو هنا يرينا فكرة في كلمات قليلة وواضحة للغاية.

توجد في هذا العالم صعوبات خطيرة تضاعفها حالة الخراب السائدة في النصرانية فهناك عدو ماكر يعمل بلا انقطاع، وقد رأينا هذا عند تأملنا في العداد السابقة، "لا تصدقوا كل روح" إلخ... أن الروح القدس مرسلة من الآب والابن. وكما أنت مهمة الشيطان معاكسة الرب يسوع وإزعاجه حينما كان على الأرض، لذلك لم يلبث أن أرسل أرواحاً شريرة لتقليد روح الله ولم يكن ذلك فقط للأرواح النجسة بل فقي التعليم الزائف المقوض للمسيح نفسه. فكما أنا المسيح أعطى رسلاً وأنبياء ومعلمين لبنيان وأعضاء جسده بقوة الروح القدس كذلك الشيطان أيضاً يقلد هذه الإرساليات ويعاكسها. ومن هنا كان القول "لا تصدقوا كل روح" متبوعاً بالمقاييس والاختبارات التي بها نعرف ونمتحن بها كل روح – وهي المقاييس والاختبارات التي سبق أن تأملنا فيها، ولكن الكلام هنا عن سلوكنا في المحبة. فليس الأمر متعلقاً بمهاجمات ضد الحق، بل بحياة المؤمن العملية التي يريدها الله مميزة بالمحبة أكثر من أي شيء آخر في أولئك الذين ولدهم بكلمة الحق. إن البر مفروضاً في حياة القديس، وكذلك الطاعة، لكن لابد من أن تكون هناك محبة وكما أن المحبة هي القوة النشطة في طبيعة الله، كذلك هي القوة العاملة التي لا غناء عنها في حياة المسيحيين من

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

نحو بعضهم البعض، حتى لقد تكون هي الصفة البارزة المميزة لهم أكثر من أي شيء آخر فهل الأمر معك هكذا أيها الأخ العزيز؟ وهل الأمر معي هكذا يا نفسي؟

والآن يستهل الرسول هذا الموضوع كما فعل قبلاً في مستهل الإصحاح الرابع الذي نحن بصدده بالقول "أيها الأحباء" إنه لنداء محبب يوجهه الرسول بصفة خاصة إلى عواطفهم ولو أنه كان يحمل في طياته إنذاراً وتحذيراً، إذ كان مهموماً ومشغولاً بالخطر الذي أحاط بهم يومئذ. فها هي الأرواح الشريرة قد راحت تنفث سمومها في كل مكان. وأخوف ما يخافه الرسول وكل محب لسلامة القديسين أن يوجد بين بعض الجماعات المسيحية – كما هو حاصل للآن فعلاً – عدم إيمان بالروح القدس من جهة وبحقيقة وجود الشيطان وسفرائه من جهة أخرى. والواقع أن العالم اليوم يذخر بالأرواح الشريرة أكثر من أي عهد مضى، وهي لا تعمل فقط في الممالك الوثنية، مع ما تجيش به من خرافات مظلمة وقاسية، بل في العالم المسيحي ذاته يتخذ روح الضلال شكلاً جذاباً مدعياً بحق أرفع وأسمى. ولسان حال ألئك الأدعياء يقول "أو لسنا نملك لم يسمع به من قبل، وهو مع ذلك من أعظم الحقائق وأخطرها؟ حسن أنكم حصلتم على بر الله والدعوة السماوية وسر الكنيسة وما إلى ذلك، أما الآن فلدينا ما هو أفضل بكثير. قديماً كانوا يهيئون الأوتار، أما اليوم فقد بدأت الموسيقى الحقة ونحن رجالها!" بمثل هذا الكلام الأرواح الشريرة ويالها من دعوى فارغة جوفاء، كلها صلف وكبرياء، بالمفارقة مع الرب الوديع، رب الجميع. على أنهم يهدمون الحق ولا يبنون النفوس التي تثق بهم، وهم شر أردأ حتى من أولئك الذين يقول عنهم الكتاب أنهم "يخدمون بطونهم". هم من العالم، ومن العالم يتكلمون، ومن الذات يستمدون بواعثهم.

ولكن الحقيقة السامية المتعلقة بالمحبة التي من الله هي أن الباعث كله مستمد من صلاح الله،لأنه ليس في طبيعة الإنسان سوى عكس هذا الصلاح. أما المؤمن فإنه كخاطئ هالك يقبل النعمة في كل كمالها باعتباره غرضها وغايتها، وإذ ينال الحياة الأبدية في المسيح فإنه ينالها فائضة فيه باستمرار. فهي إذاً من الروح القدس عاملاً في طبيعته الجديدة كمولود من الله. ومن حقه أن يفتخر بالله كما يفتخر أيضاً بمحبة الله التي اتجهت إليه في غير ما سبب أو باعث سوى ما لله من صلاح يلذ له أن يوصله للآخرين. وهكذا هم المسيحيين الذين بالإيمان بالمسيح قد امتلأوا أولاً باليقين بأنهم محبوبون بمحبته وثانياً بالرغبة القلبية في ممارسة تلك المحبة بروح الله تجاه إخوتهم (لأن هذا هو الاتجاه المقصود هنا). ولكن المبدأ واضح للغاية وهو أن المحبة غير منفصلة عن الولادة من الله لدرجة أن كل من يحب يقيم الدليل بعمله هذا على أنه ابن لله. وهذا النوع من المحبة لا دخل له إطلاقاً بالعواطف الطبيعية التي نعلم كلنا أنها قد تكون قوية وشديدة حتى في أشر الرجال والنساء. فمع أنهم أعداء لله ألداء، منغمسون في الشهوات الدنيئة والمشاعر والانفعالات المنحطة، لكن قد يوجد فيهم الكثير من حلاوة الشمائل ورقة الخصال الطبيعية بل قد حب الخير والإحساس

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أيضاً. ولكن شيئاً من هذا ليس محبة الله، ولا يشار إليه هنا في كثير أو قليل، ولا إلى أي شيء آخر سوى ما أضاء في ربنا يسوع

إن المحبة كما يقول الرسول "هي من الله" فكل ما هو من ذواتنا ليس من الله وهذا حق حتى بالنسبة للمؤمن. فالمحبة ليست من تصميم ذاته الطبيعية، بل هو يستمدها كاملة من فوق، فهو مولود من الروح، ومن كان كذلك فهو روح وليس جسداً. هو مولود من الله، والله محبة.

والأعداد التي أمامنا مرتبطة بالأعداد الأخيرة من الإصحاح الثالث لأول مرة في هذه الرسالة نسمع عن روح الله، لقد حدثنا الرسول هناك عن ثبا الله في المؤمن، والبرهان على ذلك الثبات هو الروح الذي أعطانا. فالروح المعطى للمؤمن يثبت فيه، وهو البرهان أن الله ثابت فيه، وهذه حقيقة تفوق كثيراً عن حقيقة نوال الحياة الجديدة، فمع عظمة هذه الهبة، هبة الطبيعة الإلهية التي نشترك فيها، فإن أعظم منها بكثير ثبات الله فينا، وهذا يتم ويتحقق بعطية الروح القدس الذي هو العلامة المميزة للمسيحي.

إذاً فالهدف الذي يرمي إليه الرسول هو تقوية محبة المسيحيين المتبادلة بإرجاعها إلى منبعها الأصلي وإلى الطبيعة التي متى كانت عاملة لا بد أن تلائمها. لكن هناك عوائق تتعارض مع المحبة وتصدمها بشدة، من داخل ومن الخارج. ومن أجل هذا يحتاج القديسون لثبات الله فيهم لكي يتسنى للمحبة أن تعمل عملها الكامل بحرية، ولهذا فإنه يعوزنا ليس فقط أن نكون مولودين من الله، بل أن تكون لنا أيضاً القوة الإلهية، لا بل أن يثبت الله فينا، حتى نستطيع أن يحب أحدنا الآخر بحسب الله، إذ لو كنا فقط مولودين من الله، لبقي هنالك عائق قوي في طريق المحبة الكاملة وهو جهلنا بالفداء، فلابد أن يوجد فينا الإيمان بعمل المسيح لأجلنا، الإيمان بدم المسيح الذي يطهر من كل خطية. ولا يدهشنك هذا القول، فإن عملاً إلهياً قد يجري في النفس قبل أن تستريح راحة كاملة على الفداء الذي بالمسيح يسوع والأدلة كثيرة في الكتاب على هذه الحقيقة:

خذ مثلاً حادثة المرأة الخاطئة المذكورة في إنجيل لوقا (ص ٧). تلك التي يصفها الروح القدس بهذه الكلمات القليلة التي تنطوي على حقائق كثيرة "امرأة في المدينة كانت خاطئة". ومع ذلك فقد جاءت إلى بيت سمعان الفريسي حيث كان الرب متكئاً مع تلاميذه، الأمر الذي أدهش صاحب البيت كثيراً. فإنه رغماً عن الظروف المانعة استطاعت أن تدخل ذلك البيت وهي التي كانت تخشى أن تدخله في أي وقت آخر. فما الذي شجعها وقوى عزيمتها؟ إنها إذا نظرت إلى الرب بالإيمان لم يستطع أي شيء أن يعيقها عن اقتحام ذلك البيت في مثل هذه الظروف نقول "اقتحام" لأنه هكذا كان يبدو للعين المجردة ولابد أن هذا ما يقوله كل واحد بحسب الطبيعة. ولكن قوة الإيمان تحطم العراقيل وتشق طريقها غم العوائق الجبارة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ومع ذلك فلم تكن تعرف حتى ذلك الوقت أن خطاياها مغفورة. ولا كانت خطاياها مغفورة فعلاً. ولكنها كانت تسير في طريق المعرفة. لقد أحبت الرب ولعلنا لا نغالي إذا قلنا إنها أحبت التلاميذ أيضاً فهناك عمل قوى آخر من أعمال الله يخلق هذه العواطف في دورها. ولكن الرب كان قد اجتذبها لنفسه بعامل إلهي جديد. وهذا هو الإيمان العامل بالمحبة. إن نعمته قد خلقت فيها عاطفة لم تكن تعرفها من قبل. وكانت موقنة أن الرب مملوء بالمحبة المقدسة. وإلا فلماذا كان يجول هكذا في كل البلاد يصنع خيراً؟ وماذا كانت القوة الدافعة له في كل حياته، في أقواله وفي أعماله؟ أليست هي المحبة الإلهية؟

وهكذا كانت الحياة قد بدأت تعمل في هذه المرأة التي كانت إلى ذلك الوقت معروفة أنها خاطئة مليئة بالدنس ولها سمعة شائنة. ولكنها كانت قد آمنت بالرب وقد أحبت كثيراً كما شهد الرب لها أمام سمعان وأمام الجميع. قد وجدت فيه حياة جديدة، وقد نشأت فيها صفة جديدة فضل ذلك الشخص المبارك. وهاهو الآن في مدينتها وقريب منها. قد لا تراه على الأرض مرة ثانية وقد لا تتاح لها فرصة أخرى مناسبة مثل هذه، رغم أنها قد تكون غير مناسبة في أعين الآخرين.إن هذه فرصة نفسها وقد تكون فرصتها الوحيدة وقد استغلتها أحسن استغلال. وهذا هو دائماً الحال حينما يعمل الإيمان البسيط ويستحث القلب. ليس هناك وقت تضيعه، وليس هناك أي عذر للتسويف، بل على الفور دخلت البيت وهناك "وقفت عند قدميه من ورائه باكية". ويالها من وقفة طبيعية غير متكلفة تسطع بالجمال الأدبي العظيم. إنها بكل يقين لم تتعلم هذا الأدب المقدس من حياتها الماضية بل كان من عمل الإيمان بالمسيح في نفسها. هناك ابتدأت تبل قدميه بالدموع وتمسحهما بشعر رأسها. وكان الرب يعرف كل ما جرى دون أن يلتفت لينظر إلى التي وراءه. نعم، كان يعرف كل شيء معرفة كاملة، أكثر من أي شخص آخر. غير أن عملها كان مدعاة لتهكم سمعان على الرب واحتقاره، لأن الإحساس السئ من غير المؤمن يتجه إلى الرب أكثر منه إلى اتباعه، ولو أنه لا يقول ذلك دائماً إنه كذلك. ومن الممكن أنه حتى سمعان لم يكن يسمح أن يعرف عنه الشعور ولكن الواضح أن هذا هو كل الاستنتاج الذي استخلصه من هذه الحادثة، وهو استنتاج لاشك من إملاء الشيطان "لو كان هذا نبياً لعلم من هذه المرأة التي تلمسه وما هي، إنها خاطئة".قال ذلك في نفسه، ولكن الرب سمع وأجاب. ألم يأت ليخلص ما قد هلك، وليخلص سمعان أيضاً إن هو اتضع كما اتضعت هي؟ ولكن الوقوف موقف الخاطئ أمام الله بإخلاص هو أمر أشق على نفس فريسي متكبر معتد ببره الذاتي منه على امرأة خاطئة مسكينة لم يكن لديها من البر الذاتي ما تخسره.

ولكن النعمة والحق يستطيعان أن يحطما إرادة أمثال شاول الطرسوسي من جهة كما يستطيعان أن يشعرا الفاسد بعظم خطيته من الجهة الأخرى وهنا ما الذي حطم إرادة المرأة وخلق فيها المحبة؟ إنه يسوع للإيمان والمحبة الإلهية الظاهرة في يسوع. لكن المرأة كانت

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بحاجة إلى أكثر من ذلك، كانت بحاجة للغفران، وقد أعطتها النعمة حاجتها على الفور، وهو اليقين بغفران خطاياها فليس أبهج للقلب حقاً من أن يعرف غفران الخطايا في حضرة الله. والرب في محبته لا يترك الخاطئ يستنتج هذه الحقيقة لنفسه بل يعلنها واضحة صريحة، وهاهو ينطق كلمة الله التي تتلهف عليها النفس "مغفورة ك خطاياك". وقد كان حقه أن يفعل ذلك. صحيح أنه لم يكن قد تم العمل الذي عليه يقوم غفران الخطايا، غير أن ديان الأحياء والأموات لا يمكن أن ينطق إلا حقاً كما أن ديان كل الأرض لا يمكن أن يصنع إلا عدلاً. وهكذا يدافع السيد عن المرأة موبخاً عدم إيمان الفريسي، فقد أظهر له المجد أنه رب الأنبياء، ثم نطق بغفران الخطايا كما يحق لله وحده. ومن فيض نعمته أخبر المرأة أن إيمانها خلصها، ومن ثم أرسلها في سلام.

فما لم نعرف أن الإيمان قد خلصنا وأن خطايانا مغفورة، تظل مسألة سلامنا شاغلة أذهاننا مستولية على تفكيرنا وهي بلا شك المسألة الهامة التي تواجه النفس بمجرد إحيائها. وهل تستطيع النفس التي استيقظت أن تجد راحة ما لم تعرف أن خطاياها قد محيت وأنها مخلصة؟ فإنه طالما تساور النفس الشكوك ويخامرها التردد والغموض فإن القلب يكون في حالة قلق وعدم استقرار. وما لم يكن لدينا اليقين بأن خطايانا قد غفرت، فمن الطبيعي أننا لا نكون في حالة تسمح للقلب بأن يتجه بالمحبة نحو الذين خلصوا من القلق واستقرت نفوسهم واستراحت، وإلى تلك اللحظة لا نستطيع أن نتخذ بالضبط مركز أولاد الله. وكما نالت المرأة هذا اليقين من شفتي الرب، ننالهُ نحن بالإيمان من كلمة الله. وإذا لم يكن لنا في نفوسنا يقين علاقتنا الجديدة بقوة المكتوب، فلابد أننا حينئذ نتصرف بمقتضى حساسيتنا الخاصة أو أفكارنا الشخصية، أو ربما أفكار إنسان لا يعرف أفضل منا. على أنه حتى ولو كان هذا الإنسان أفصح الكارزين وأبلغهم، وحتى لو أنه لا يكرز إلا بالحق، فإننا مكلفون أن نقبل شهادة يمكن أن تفيد شيئاً في هذه القضية سوى شهادة الله وليس من قاعدة للإيمان سوى كلمته. إذن فلابد لنا أن نستمد الحق من الله، وكيف لي أن استمد منه؟ بالكلمة المكتوبة والمودعة الآن بين أيدينا.

إذاً فليس هناك من فأس يمكنك أن تضعه على أصل شجرة الحق أخبث وأشر من إنكار السلطان الذي للكتاب.

ومن أبرز علامات الإيمان في هذه الأيام هو ما يعتقده البعض أن الكتاب المقدس يضم بين دفتيه الكلمة ولكنه ليس كله الكلمة – كما يقول الملحدون الأكثر تواضعاً. ولكن الحقيقة هي أن ما علم به الرب والرسل هو الكلمة. وبما أن "كل الكتاب هو موحى به من الله" فإن الرب والرسل قد أقروا ما هو مكتوب لكنيسة الله. صحيح أنهم في تلك "الكتب النبوية" قد يذكرون ما يقوله الشيطان أو ما يقوله أناس أردياء لكنه أمر طبيعي أن هذه الأقوال لم تعط لنا لكي نتبعها بل لكي نعرف بها الأعداء بقدر ما تشاء إرادة الله – ولئن كان عدم الإيمان

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يقيم الصعوبات والعراقيل فإن المؤمن يتقبل من الله ما يقوله عن الشر كما يتقبل ما يقوله عن الخير. فالمكتوب هو بالحقيقة كلمة الله المعطاة لنا لكي نستفيد من حكمته ولكي نتحذر بها ونكون أقدر على تجنب كل شرك أو خطر يأتينا من جانب الشيطان أو الذهن الطبيعي المجرد.

منذ سفك دم المسيح، أو بعبارة أعم، منذ مات وقام، أصبحت الطريق التي بها تدخل النفوس إلى دائرة السلام هي طريق الإيمان بالإنجيل. ففي رسالة الإنجيل يعلن الروح نعمة الله المخلصة. والإيمان يجد في المسيح لا الحياة فقط بل السلام أيضاً. وهذا هو الإعداد الصحيح ليس فقط للطاعة بل لمحبة المؤمنين الذين هم أولاد الله مثلنا. لاشك أن الطبيعة الجديدة تحب، وإن الحياة الأبدية الموهوبة لنا لها القدرة والكفاية على المحبة، ولكن الجسد غير المدان إدانة صحيحة يقف عائقاً في الطريق. والنعمة تنادينا أن نلاحظ ونعرف هذا التناقض وعدم الانسجام قبل أن نتقدم خطوة واحدة إلى الأمام. فقد تكون هناك آلة بخارية جاهزة ومعدة بكل أجزائها للاستخدام ولكن لابد لها من البخار ليتسنى لها العمل والسير. وهذه صورة تشبيهية لما نراه في الأعداد التي أمامنا.

وهناك الجانب المظلم كذلك. "ومن لا يحب لم يعرف الله لأن الله محبة". فمهما تكن مواهب إنسان ما، أو مهما تكن جهوده ومساعيه، ومهما يكن صيته ونفوذه، فإنه إذا كان لا يحب فهو لا يعرف الله. والكلمة هنا قاطعة مانعة لا تدع مجالاً لأي خداع أو غرور. المولود من الله يحب أخاه ويعرف الله. إن مشاعره الإلهية الجديدة لها دائرتها الخاصة المحدودة، وهو له في نفسه تلك المعرفة بالله التي يقول سيدنا بصريح العبارة أنها الحياة الأبدية. وما قاله له المجد في (يو ١٧: ٣) نراه هنا مستعاداً في عبارة تعليمية مختصرة من الناحية السلبية "من لا يحب لم يعرف الله لأن الله محبة" فحيث لا محبة، لا معرفة بالله. والسبب واضح بقدر ما هو حاسم "لأن الله محبة".

والعددان التاليان يعلنان محبة الله في سمو نعمتها وكمالها، ذلك النهر المتدفق الذي يملأ القلب الخاوي ويجعله يفيض بالمحبة. فيحدثنا الروح القدس عن محبة الله في مظهرها الرائع في المسيح الابن مرسلاً إلى عالم الخطية والأنانية والظلمة. والواقع أنه يصورها لنا بعبارة يصعب العثور على ما يدانيها في جلالها وروعة بساطتها، "بهذا أظهرت محبة الله فينا".فهو لا يقول أنها أظهرت "إلينا" أو "إلى الكل" كما يقول الرسول بولس في (رو ٣: ٢٢). صحيح أن محبة الله قد ظهرت إلى كل إنسان من حيث المبدأ ولكنها هنا محدودة ومنصبة "على كل الذين يؤمنون" كما هو الحال في نفس العدد المشار إليه في رسالة رومية. إنها ظهرت "فينا" بمعنى أنها تمت فعلاً في حالتنا وعملت عملها لأجلنا. ولما كان المقصود في العدد التاسع هو إرسالية ابن الله واستمرار مفعولها للحياة الأبدية، أو على حد تعبير الكتاب "لكي نحيا به"، فإن الروح القدس بمهارته الفائقة يستخدم الفعل "أرسل" ليس

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

في صيغته الماضية البسيطة (Sent) بل في صيغته الدالة على الاستمرار (Hath sent) معبراً بذلك عن الأثر الدائم لعملية الإرسال الماضية البسيطة وفي ذلك حكمة تجل عن إدراك البشر. فو إن كان المقصود هو عملية الإرسال إلا أن الهدف كان أعمق وأعظم وأخطر ما كان يشغل الآب والابن سواء في الزمان أو الأزل. قد يكون الفارق طفيفاً، لأنه ليس سوى صيغة أخرى لنفس الفعل، ولكن بما أن كل الفوارق في الكتاب مرجعها الحكمة الإلهية فإنه يجمل بنا أن نتعرف المعنى المراد من كل منها. فالفعل "أرسل" في صيغة الماضي البسيطة يعبر عن مجد الحقيقة في ذاتها، ولو أنها حقيقية لها أثرها العظيم، أما الصيغة الأخرى الدالة على الاستمرار فتعبر عن الأثر الحاضر لعمل ماض وهو يتناسب مع إرساليته له المجد لكي نحيا به. فما أروع المكتوب وما أكمله!

"بهذا أظهرت محبة الله فينا أن الله أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكي يحيا به" وما أدق حرص الروح القدس في تقرير جد شخص سيدنا في هذه الحالة! "ابنه الوحيد" لم يكن ضرورياً أن يكرر هذا الوصف في العدد التالي ولو أن الابن" بطبيعة الحال هو نفس الشخص في الحالتين. ولكن الروح القدس قد رأى لزاماً وحكمة سامية أم يميز ذلك العمل العظيم، الخطير في نتائجه الباقية الأبدية، وأن يصفه بلغة غاية في البساطة حتى يستطيع بعظمته الفائقة المجردة من كل زخرف أن يؤثر على القلب ويملأه لدرجة الفيضان بمحبة الله. "أن الله أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكي نحيا به". هذا هو أول أعمال النعمة الإلهية، وهو عمل جوهري وكان لابد منه لسد حاجتنا الأولى إذا كنا حقاً أمواتاً روحياً. وهذا هو الحال مع كل نفس إلى الآن. إن المطلب الأول والبرهان الأول على محبة الله المدهشة أو أولئك الذين كانوا موضوع محبته حال كونهم أمواتاً يعطون الحياة. لم يكن ليهمهم أن يعرفوا الله وأن يعرفوا حالتهم. قد تكون لديهم بعض الآراء العقلية وليدة الذهن البشري، ولكن بدون نبضة حياة واحدة من نحو الله، ولو أن فيهم الضمير الذي يجعلهم يرتعبون منه تعالى أكثر من ارتعابهم من الشيطان.

ومع ذلك ففي مواجهة هذا التدهور والانحطاط "أرسل ابنه الوحيد إلى العالم" يالها من حقيقة!! وما أعجبها في حد ذاتها، وبخاصة ولم يكن لها من حافز سوى المحبة. إنها لم تكن شيئاً عمل في السماء، بل إلى العالم قد أرسل الله ابنه الوحيد ليعطي حياة يؤهلنا بها الله في ذلك المكان الذي منه جاء، فما من عمل كان يعمل في السماء ولو بالابن نفسه كان يرضي الله أو يفيد الإنسان، فكان طريق المحبة والحالة هذه أن يصير الابن إنساناً لكي يمجد الله ويهب الحياة في أسمى طبيعتها للإنسان الميت بواسطة الإيمان. كان هناك يهود، وكان هناك أمم، ولكنهم جميعاً كانوا على السواء أمواتاً في ذنوبهم وخطاياهم، وبالطبيعة أبناء الغضب. وكبشر كانوا أمواتاً وهو يعيشون على الأرض في صورة أحياء. لم تكن فيهم كراهة للخطية ولا محبة للنعمة. ولا ذرة من الاستقامة داخلاً أو خارجاً، فإن اهتمام الجسد،

 All rights reserved © 2008-2018

سواء في الختان أو الغرلة، ليس سوى عداوة لله، ومع ذلك فالله قد أرسل ابنه الوحيد مسرة الآب في كل الأزلية – أرسله إلى العالم لكي نحيا به. والحياة الموهوبة لنا هي حياته تبارك اسمه.

يخبرنا العهد القديم كيف سلك الجنس البشري بأجمعه، يهوداً كانوا أو أمماً، طوال الآلاف من السنين، مسلك العصيان أمام الله، ويحدثنا العهد الجديد بما هو أمر وأنكى. ومع ذلك فإن الله الذي كان يعرف كل شيء مقدماً أرسل ابنه الوحيد إلى العالم، ولأي غرض؟ هل لكي يدين العالم؟ كلا، بل لما هو عكس ذلك في خط مستقيم. لكي يحي النفوس الميتة بواسطة الحياة الأبدية التي في ابنه. وهذا هو الذي يعنيه القول "لكي نحيا به" فهناك كانت حياة جديدة لم يعرفها الإنسان كإنسان، ولا حتى آدم في حالة الطهارة الأولى في جنة عدن، يوم عصى هو محوط بالخير فجلب الموت والدينونة. وقد عرضت الحياة بعد ذلك للإنسان الطبيعي، لإسرائيل تحت الناموس، فإن هو أطاع الناموس عاش. ولكن نتيجة توسيط الناموس لم تكن سوى أنه صار خدمة موت ودينونة لأن إدخال الناموس أثار إرادة الإنسان ومن ثم صار متعدياً وبذلك أصبح بعد الناموس خاطئاً أردأ مما كان قبل الناموس فلكي تظهر الخطية أنها خطية أنشأت بالصالح موتاً لكي تصير الخطية خاطئة جداً.

وهكذا لم يستطيع الإنسان تحت الناموس أن يحصل ولو على إطالة حياته القديمة وكل ما حصده الخاطئ تحت الناموس إنما كان الخراب الشامل.

غير أنه كانت هناك حياة أخرى، الحياة الأبدية، وهذه الحياة كانت في الابن، الابن الوحيد الذي أرسلته محبة الله إلى العالم. هذا كانت فيه الحياة. لا شك أن الآب يقيم الأموات ويحيي من يشاء لأن ذلك من حق الله. ومن أجل ذلك فإن الابن أيضاً يحيي من يشاء. ولكنه إذ صار إنساناً – مع أنه لم يتوقف قط عن أن يكون الله – فإنه في كامل الاتضاع يتقبل كل شيء من الله كما يليق بالإنسان الكامل. ومن هنا نفهم معنى قوله الكريم "لأنه كما أن الآب له حياة في ذاته كذلك أعطى الابن أيضاً أن تكون له حياة في ذاته" (يو ٥: ٢٦) فالابن هو الذي أرسل ليصير إنساناً وخبيراً بالإنسان. لقد كان دائماً أبداً غرض الإيمان، وعندما صار إنساناً ظل هو هو ومن باب أولى موضوع الإيمان باعتباره يسوع المسيح والابن في شخص واحد. وكذلك وضح بصورة متزايدة لمن من الخلائق قد جاء له الجد في محبة الله. نعم، وضح وتجلى أنه من أجل الإنسان قد جاء وليس لأجل الملائكة، إذ "الحياة كانت نور الناس". ولكن مجرد النور لم يكن يكفي لسد حاجة الناس فمع أن المسيح لما جاء إلى العالم كان ينير كل إنسان، بل كان هو النور لكل إنسان فإن الأمر كان يتطلب ما هو أزيد من ذلك بكثير، كان يتطلب حياة للأموات، ومن أجل ذلك جاء المسيح باعتباره الحياة لكل مؤمن. وكل الذين قبلوه أعطاهم سلطان أن يصيروا أولاد الله. وهكذا ولدوا ليس من إنسان أو من أي مصدر من مصادر الطبيعة البشرية بل من الله ولكن لا يمكن أن يكون هناك

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إيمان أو ولادة جديدة دون الكلمة والروح. عم لابد من وجود كلمة الله لأن جوهر الإيمان أنني عوضاً عن تصديق أفكاري الخاصة أو أفكار الآخرين أصدق الله في كلمته (رو ١٠: ١٧، يع ١: ١٨، ١بط ١: ٢٣ - ٢٥) والمسيح هو الزرع الذي لا يفنى، بكلمة الله الحية الباقية.

عندما أخطأ آدم وحواء في الجنة، كان سبب ذلك نسيانهما لكلمة الله وعدم خضوعهما لها. فأغويت حواء بغواية الحية أما آدم فلم يغو بل بجسارة تعدى. كل ذلك لأن كلمة الله لم تسيطر على نفسيهما. فوجد العدو الماكر ثغرة استطاع من خلالها أن يبذر بذارة سوء الظن بالله الذي نهاهما عن الأكل من الشجرة قالت الحية أنهما لو أكلا منها يصيران كالله عارفين الخير والشر ثم أعقب ذلك دخول الشهوة واتجهت في قلب المرأة صوب تلمك الشجرة بعد أن لم تعد تخشى الحديث لفرصة أطول مع مخلوق قد وضح جلياً أن غرضه لم يكن إلا إغواء المرأة على عصيان النهي الإلهي، والشك في حقيقة الموت كنتيجة للعصيان. وكأني بتلك الحية القديمة تقول للمرأة: "ليس هكذا يا عزيزتي. حاشا لله أن يكون قاسياً إلى هذا الحد. تطلعي إلى جمال الشجرة وأبهجي عينيك بمنظر ثمرتها الكثيرة بأن تصير كما حكيمين. إن الله يريد أن يحتفظ بمعرفة الخير والشر لنفسه دون سواه. إنكما بالأكل من هذه الشجرة ستجدان أنكما قد انتقلتما إلى حال جديد يختلف عن الأول كل الاختلاف إذ يكون في مقدوركما مستقلين ومن تلقاء نفسيكما التمييز بين الخير والشر. إنكما لا تعرفان شيئاً عن هذا الآن، ولكنكما حين تأكلان من هذه الشجرة ستعرفان من مجرد وحي الضمير كما إذا كان الشيء خيراً أو شراً، فلماذا لا تسموان بنفسيكما إلى حالة الاستقلال عن ذلك الذي يزدري الإنسان، وتتمسكان بحقوقكما كسيدين لكل الخليقة التي حولكما".

إنها الذات، أصل الداء ومنبت الشر، ولكن ابن الله جاء بالمحبة ليقف في الثغرة ومن ثم فإن لضرورة الأولى هي إلى طبيعة من الله تتوق وتصرخ إلى الله ليهبها ما يقدمه الإنجيل ومعنى ذلك أنه لابد أن يولد الإنسان من الله قبل أن يرتاح راحة حقيقية على كفارة المسيح. ذلك لأنه إذ يحصل على الحياة الجيدة بهذه الكيفية يدرك في الحال ضرورة الكفارة وقيمتها الثمينة، وهكذا بالإيمان يأكل جسد المسيح ويشرب دمه، ولذلك يقال عنه أنه يؤمن بقلبه أن الله أقام المسيح من الأموات (رو ١٠: ٩). وهذا ليس معناه عاطفة جياشة معينة تستولي على الإنسان في وقت من الأوقات. كلا، دخل لمشاعر النفس وانفعالاتها في الأمر، بل معناها أن قلب الشخص المتجدد عوض أن يقاوم الحق أصبح طائعاً مرحباً ببشائر الخلاص التي يرسلها الله إليه، وكما أن القلب يؤمن به للبر المؤسس على تقدير الله لعمل الرب يسوع الكفاري، كذلك الفم يعترف به للخلاص وبهذا يكرم الله وابنه، الرب المرفوض.

ولكن أول مطاليب النفس وحاجتها القصوى هي الحياة، الحياة الأبدية في الابن. فقبل أن يحصل الإنسان على الحياة ألا يكون عنده الشعور الكافي بالخطية إذ كيف يتسنى له قبل

 All rights reserved © 2008-2018

ذلك أن يعرف طبيعة الله المقدسة معرفة صحيحة. إنه لا يعرف سوى الرعب من الله، وهذا قد يتوفر لدى الوثني، بل أن الشياطين تؤمن وتقشعر كما نتعلم من الكلمة وهو ما نجد فيه التفسير لحقائق كتابية كثيرة. ومبعث خوفها واقشعرارها أنها تعرف جيداً أن لا غفران لعصيانها. ومع أنها لا تعرف من هو يسوع فإن هذه المعرفة لا تفيدها شيئاً لأنه مقضي عليها بإهلاك إذا أخطأت خطأ لا علاج له، فلا أمل في خلاص أي روح شرير أو ملاك ساقط.

ولكن الأمر مختلف كل الاختلاف فيما يتعلق بالإنسان. فإن ذات ميلاد المسيح يشهد للمسرة بالناس، فكم بالأحرى موته الكفاري! على أنه لكي يتسنى لدمه المسفوك أن يطهر القلب والضمير لابد لنا من طبيعة جديدة نعطاها بقبولنا الرب يسوع. وهي ليست الراحة الكاملة على عمله الكفاري بل الإيمان بنعمته كمن جاء في الجسد وبمجده كمن جاء بهذه الإرسالية العجيبة وإرسالية محبة الله. وما إن يقبله القلب من الله على هذه الصورة حتى تنال النفس الحياة على الفور. فالحياة هي دائماً شيء يتم مرة واحدة وفي الحال ولكنها ليست دائماً مصحوبة بالسلام فإن النفس في الواقع قد تجوز بعد ذلك في اختبارات ليست بقليلة لا تكون في خلالها متمتعة بالسلام الحقيقي وقد تدوم هذه الحالة شهوراً بل أعواماً، ومع ذلك فإنها تكون شريكة الطبيعة الإلهية بواسطة الخضوع لابن الله ولو بدون سلام ثابت. ومثل هذه النفوس تكون حاصلة على الحياة من اللحظة التي فيها قبل القلب الرب يسوع، وبذلك يكون لها الإدراك الإلهي لحقيقة وجود الشر في الداخل والحكم الصحيح على طرقها الماضية ليس فقط ما فعلته بل ما هي في ذاتها وحقيقة طبيعتها، وهذه هي ثمرة نوال الحياة الإلهية. ومن هنا جاءت الإشارة إليها في الوقت المناسب والمكان المناسب، إذ يحدثنا عنها الروح القدس قبل أن يحدثنا عن تطبيق وتخصيص الكفارة لخلاص النفس من ثقل الخطية.

"بهذا أظهرت محبة الله فينا (أي في قضيتنا) أن الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكي نحيا به". ذلك أننا إلى ذلك الوقت كنا أمام الله أمواتاً روحياً مجردين إطلاقاً من أية رابطة حية مع الله سوى تلك المسئولية الرهيبة الناشئة عن كوننا بالطبيعة ذرية الله مع كوننا في الوقت نفسه أعداء الله بالأعمال الأثيمة. على كوننا ذرية الله بحكم خليقتنا (بالمباينة مع العجموات البائدة) لا يفيدنا شيئاً في خلاص نفوسنا التي أتلفتها الخطية. فقد سقط الإنسان وهو تحت المسئولية وما كان تعهد اليهودي بطاعة ناموس الله إلا ليزيد في مسئوليته ولم يستطع البتة إنقاذه من الغضب الآتي. وعندئذ اصبح العالم معسكرين: أحدهما الإنسان بدون الناموس عاملاً مشيئته الخاصة وثانيهما اليهودي تحت الناموس محاولاً جهده لكسب رضاء الله. ولكن النعمة المخلصة ليست في الخاطئ بل في المخلص. "الله بين محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا". هذا هو الإنجيل. ليس محبتنا نحن لله بل محبته هو لنا ونحن بعد خطاة – محبته التلقائية من نحونا.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وهنا أيضاً يتجلى هذا المظهر الثاني من مظاهر محبة الله، حيث يرسم لنا الرسول ما فعلته محبة الله إزاء ثقل خطايانا وليس فقط إزاء موتنا الروحي. نعم فقد عملت محبة الله ذات العمل الذي كان فوق كل شيء أقسى على قلبه وقلب ابنه من كل ما يمكن أن يخطر على بال. فالإنسان لن يستطيع أن يدرك معنى احتمال ربنا يسوع لدينونة خطايانا من يد الله، الأمر الذي فاق أيضاً أفكار القديسين، إذ حتى الرسل أنفسهم لم يروا إلا الناحية الخارجية للصليب إلى أن فتح الرب ذهنهم ليفهموا الكتب.

على أن الكتاب قد سبق فأشار برموز عديدة ومنوعة إلى الرب في نعمته الكفارية وآلامه التي لا حد لها، وذلك في كل أجزائه، في الناموس وفي المزامير وفي الأنبياء. فما من تلميذ من تلاميذ الرب إلا وقد سمع ذلك المزمور الفريد، الثاني والعشرين. وما من أحد منهم غلا وقد حيره الإصحاح الثالث والخمسون الذي ينطوي عليه. إلا أن قيام الرب يسوع بصنع الكفارة لخطايانا فيه حل اللغز المتضمن في هذه الفصول الكتابية الثلاثة. إن كلمة واحدة لم تخرج من فمه الحبيب قبل الصليب لتوضيح هذه الفصول أو لفتح مغاليقها. ولا حتى منظره مصلوباً استطاع أن يوصل الحق إلى قلوب تلاميذه. صحيح أن د صليبه صنع السلام في فكر الله، أما لديهم فكان سبب حزن مرير وخيبة أمل قاسية لأن أقواله السابقة قد وقعت عل آذان كانت بعد صماء عن إدراك معنى موته إذ كانوا لا يعرفون المكتوب أنه ينبغي أن يتألم لكي يحصلوا هم وغيرهم على بركة الفداء، وهاهم تلميذا عمواس العابسان يصوران في ذات يوم القيامة حالة جميعهم إذ يقولان للرب نفسه "ونحن كنا نرجو أنه هو المزمع أن يفدي إسرائيل" – هو ذات الشيء الذي وضع بالصليب أساسه الأبدي! ولكن بماذا أجابهما المخلص المبارك؟ "أيها الغبيان والبطيئا القلوب في جميع ما تكلم به الأنبياء. أما كان ينبغي أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده؟ " ومع ذلك فكان قد أخبرهم قبل هذا الوقت بقليل أنه "ينبغي أولاً أن يتألم كثيراً ويرفض من هذا الجيل" (لو ١٧: ٢٥).

دعنا في نور الرب المقام وفي ضوء شهادة الروح القدس نتأمل في أحد تلك الإصحاحات. ماذا تعنيه تلك الصرخة القوية التي صدرت لا من اللصين عن جانبي الصليب بل من المسيا المرفوض المعلق بينهما؟ "إلهي إلهي لماذا تركتني"إن أقسى مرارة في تلك الآلام التي لا مثيل لها هي هذه، العبد البار المحبوب، متروكاً من إلهه في الوقت الذي كان فيه مرفوضاً من شعبه، مستهزأ به من الأمم، مهجوراً من تلاميذه، أي نعم لماذا – بعد أن ظل الرب طوال خطوات طريقه في التجربة والأحزان متمتعاً بضياء وجه الله بلا انقطاع – لماذا يحجب عنه ذلك الضياء في الوقت الذي كان فيه أشد حاجة إلى إشراقه وتعزياته؟ لقد كان الرب يعرف السبب جيداً، ولكنه ترك الجواب للإيمان يستخرجه من قلوب أولئك الذين كانوا مرة أمواتاً ولكنهم استطاعوا الآن – بفضل ذاك الذي حمل هو نفسه خطاياهم في جسمه على الخشبة – أن يعترفوا بأنه لم يكن لديهم سوى خطاياهم. حقاً ما كان أعمق إثمنا!

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ولكن أعمق منه بكثير كانت محبة الله الذي أرسل ابنه فقط كحياة للأموات بل كفارة لخطايانا مهما كان الثمن، وقد كان أعظم من أن يقاس: تعييرات، وازدراء، وضحك، واستهزاء، وسهام سخرية تطعنه من كل جانب، من رجال الدين والسياسة والجندية، بل حتى من ذينك المجرمين المصلوبين، ثيران كثيرة، أقوياء باشان، اكتفنته، كلاب وجماعة من الأشرار أحاطت به، آلام بدنية زاده إحساساً بها ولم يخفف وقعها عليه كماله الشخصي، حينما انسكب كالماء وانفصلت كل عظامه، ذاب قلبه كالشمع ويبست مثل شقفة قوته ولصق لسانه بحنكه. ولكن ما هذا كله مجتمعاً بالمقابلة مع تركه من إلهه كما أحس هو واعترف به تبارك اسمه؟

لقد لاقى الكثيرون من قديسيه آلاماً بدنية مبرحة من الأمم ومن اليهود، وكانوا في ذلك العناء الثقيل مملوئين صبراً وسروراً، وقد رأينا في تاريخ الكنيسة بعد ذلك الكثيرين من تلاميذه يجرعون كؤوساً مترعة من التعذيب الجهنمي من أولئك الذين يحملون اسم المسيح ظلماً وعدواناً، سيما في عصور محاكم التفتيش المظلمة، ومع ذلك فقد انتصروا هم أيضاً باسمه الكريم على من يعتبرون بحق أشر المضطهدين على الأرض، أما سيدنا فهو وحده الذي يعترف بفمه أن الله تركه، ويعترف بذلك لله في شدة أوجاع الصليب وأهواله العنيفة باعتباره أعمق وأقسى وبل جازت فيه نفسه، ويعترف به بصوت عظيم وصرخة داوية حتى يسمعها الأعداء ولو أنهم لم يدركوا من معنى تلك الصرخة وذلك الاعتراف أكثر مما أدركه أحباؤه إلى أن أوضح الرب المقام كل شيء وأبده بعد ذلك الروح القدس بقوة لسلام المؤمنين والشهادة للجميع.

ولكن الرب الوديع صنع ما هو أكثر من ذلك، فمع إحساسه تبارك اسمه بوقع ترك الله إياه على نفسه القدوسة والمحبة، فإنه مع ذلك برر الله وهو يضربه ويسحقه بطريقة تجل عن تفكير كل مخلوق إذ يقول "وأنت القدوس الجالس بين تسبيحات إسرائيل". وأكثر من ذلك أنه يعترف – سمه كل المجد – أن ترك الله إياه كان الاستثناء الوحيد في كل معاملاته مع المتوكلين عليه إذ يقول "عليك اتكل آباؤنا، اتكلوا فنجيتهم، إليك صرخوا فنجوا. عليك اتكلوا فلم يخزوا، أما أنا فدودة لا إنسان. عار عند البشر ومحتقر الشعب". أجل، لقد كان لابد من ذلك إذ جعل نفسه كفارة عن خطايانا، لأننا نحن المذنبين ما كان ممكناً أن نخلص خلاصاً يتفق مع بر الله لولا أن الله جعل الذي لم يعرف خطية لأجلنا لكي نصير نحن بر الله فيه. هذا وهذا وحده، هو الجواب الصحيح للصرخة المريرة "لماذا" وهو الحل الوحيد الكامل لهذا اللغز الإلهي العجيب، لكنه لغز لا يزال طلسماً في عيون عديمي الإيمان وبخاصة لإسرائيل ولو أنه سيكون في يوم قادم أنشودة سبه دائم في أفواههم حين يرفع البرقع عن قلوبهم. وهكذا نرى النصف الثاني من ذات المزمور يعلن هذه الحقيقة في وضوح ويقين مبتدئاً بالقطيع المسيحي الصغير قبل أن يبزغ نور السماء على "الجماعة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

العظيمة" (عدد ٢٥) ويمهد السبيل المستقيم لأقاصي الأرض لتذكر وترجع إلى الرب، ولجميع قبائل الأمم ليسجدوا قدامه، وذلك ليس في أيام المسيحية والكنيسة، بل في أيام الملكوت حين يملك الرب بين الأمم، الأمر الذي لا ظل له في الوقت الحاضر.

وإنه لمن الأهمية بمكان عظيم أن تتجلى لأبصارنا هذه الحقيقة الخطيرة، أي ترك الله للمسيح في تكفيره عن الخطية، لأن هذا الموقف هو الأساس الوحيد لنعمة الله واستقرار سلامنا. وبهذا وحده نستطيع أن نقدر تقديراً صحيحاً ولو ضعيفاً عمق آلام رجل الأحزان والأوجاع التي تحملها لأجل الله ولأجلنا، ممجداً إيانا نحن الذين نؤمن. وهنا تزل أقلام بعض اللاهوتيين، حتى الأنقياء منهم، بحيث تعود الخسارة عليهم وعلى الذين يثقون بهم. وليس الأمر هنا قاصراً على التقليديين، ولكن خذ الإنجيليكانيين واللوثريين والمصلحين ومن على شاكلتهم ممن يتباهون بتحريرهم من التقليد والتعصب، ولعل أبرزهم متى هنري الابن الورع لآب ورع، وأشهر الشراح الإنجليز بلا منازع، فإنه انزلق ولم يفطن للمعنى الجليل الذي ينطوي عليه ترك الله ليسوع على الصليب، ذلك أنه في تفسيره للعددين الأول والثاني من هذا المزمور يقول ما نصه "في هذين العددين نسمع شكوى أليمة من احتجاب وجه الله. وقد ينطبق هذا على داود أو على أي واحد من أولاد الله حينما يحسون فقدان علامات رضوان الله ويشعرون بثقل وطأة الغضب الإلهي"، لاشك أن متى هنري كان يؤمن بانطباق ذينك العددين على المسيح مصلوباً وإلا فما يمكن حسبانه مسيحياً. على أن إيمانه بهذا المعنى سطحي كما لابد أن يكون الحال لدى جميع الذين يتجاوزون في التطبيق شخص المسيح إلى سواه من القديسين. إن المزمور الذي نحن بصدده إنما يتحدث عن المسيح وحده، فهو هدفه وهو محوره، وهو في مطلعه يرينا شخصه الكريم دون سواه متروكاً من الله باعتباره كفارة عن جميع القديسين السابقين واللاحقين. فما من أحد ساهم في هذا الموقف، موقف الترك من الله، الذي ما كان أحد غيره يستطيع أن يحتمله مع شدة قسوته عليه باعتباره قدوس الله أكثر بمراحل من قسوته على أي قديس ظهر على وجه البسيطة حتى أنه تبارك اسمه ينكر على سابقيه في العهد القديم مشاركة هذا الموقف (موقف الترك من الله) والروح القدس في العهد الجديد يستبعده عن كل مسيحي. ذلك أن المسيح ترك من الله لأجل خطايانا حتى لا نترك منه نحن الذين نؤمن، فمن الخطأ التام القول يعملون على إضعاف الإنجيل ضعفاً خطيراً وهم لا يدرون. فإنه حتى حينما تدعو خطية المؤمن إلى تأديب قاس فإن الله يعامله كآب يؤدب الذي يحبه ويجلد كل ابن يقبله لأننا في أشياء كثيرة نعثر جميعنا، لكنه قال "لا أترك ولا أهملك". هذا حق مطلق من حقائق نعمته، وكما أنه ينطبق على الصعاب الأرضية ينطبق بالأكثر على الصعاب التي تعترض علاقتنا الإلهية المؤسسة على فاعلية كفارة المسيح.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ولا داعي هنا للرجوع إلى الشهادة الرمزية التي ينطوي عليها يوم الكفارة وإنما أود فقط أن أشير إلى الظاهرة الجميلة التي تميز التيسين اللذين يرمزان معاً إلى التقدمة الكفارية الواحدة عن بني إسرائيل، أحدهما من نصيب الرب والآخر لعزازيل (وهو التيس الذي يتوه بعيداً). فكان التيس الأول يذبح ويؤتى بدمه إلى داخل الحجاب. أما التيس الثاني، وهو المكمل للأول، فكان الكاهن يعترف على رأسه بكل ذنوب بني إسرائيل وكل سيئاتهم مع كل خطاياهم، وكأنها وضعت جميعها على رأسه، ثم يرسله بيد من يلاقيه إلى أرض بعيدة، إلى البرية حيث لا يعود يرى مرة ثانية وهو شهادة لنيابة المسيح في حمل خطايانا إلى أرض النسيان، كما أن التيس المذبوح شهادة للتكفير عن الخطية المقضى عليها أمام الرب تبريراً لطبيعته تعالى وجلاله وكلمته وكلا التيسين يرمزان إلى عمل المسيح الكفاري الذي رأينا الله فيه غير مشفق على المخلص، ابنه الكريم، لكي يخلي طرف خطاة مذنبين نظيرنا. وألسنا نرى أن محبة الله في الآب والابن قد تجلت تماماً في ذبيحة المسيح التي قدمها لله نا لكي ننجو نحن ونخلص إلى الأبد؟

أما عن (أشعياء ٥٢: ١٣ – ص ٥٣) فنقول كلمات قليلة لأنه صريح في إشارته إلى مسيا المرتفع المتسامي جداً ولكنه المتألم أولاً عن الخطايا تكفيراً لشعبه الخاطئ لكي يتسنى لهم أن يساهموا في البركة والكرامة اللتين اكتسبتهما لهم نعمته السامية. صحيح أننا نقاسم المسيح آلام حياته، والبعض يقاسمونه آلام استشهاده، غير أنه تفرد في آلام الكفارة والنيابة. وهاتان فقط (الكفارة والنيابة) هما المرموز لهما في لاويين ١٦، وهما فقط اللتان جلبا عليه ترك الله له في مفتتح المزمور الثاني والعشرين. نعم فهو وحده دون سواه الذي احتمل دينونة الله للخطية ولخطايانا، وليس سوى هذه الدينونة يجلب الترك من جانب الله. قد نحتمل تأديباً قاسياً من أجل أخطائنا، ولكنه تأديب في محبة الله. أما المسيح فهو وحده الذي احتمل ذلك النوع الفريد من الألم باعتباره ذبيحة خطيتنا. فما معنى القول مجروح لأجل معاصينا؟ مسحوق لأجل آثامنا؟ تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا؟ وما معنى القول أن الرب وضع عليه أثم جميعنا؟ "ضرب من أجل ذنب شعبي". بل أكثر وأدق من ذلك أن "الرب سر بأن يسحقه بالحزن" (أو بالألم) "إن جعل (الرب) نفسه (أي نفس المسيا) ذبيحة الرب أثم". وما معنى هذا إلا عمله الكفاري؟ ثم ما معنى القول "وآثامهم هو يحملها" والقول "وهو حمل خطية كثيرين"؟ حقاً إن عدم الإيمان الأعمى العنيد وحده هو الذي يستطيع أن يتملص من المعاني التي يعلنها الله هكذا واضحة جلية على قدر سعة الكلام الذي يفهمه الناس.

"في هذا هي المحبة. ليس أننا تنحن أحببنا الله". لقد كان الناموس يطالب الإنسان بمحبة الله ولكنه لم يجدها منه كما لم يجد منه محبة القريب. ومن السهل على الإنسان أن يخدع نفسه من جهة تقدير محبته. فكم من يهود حاولوا أن يوهموا أنفسهم أو الآخرين بأنهم كانوا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يحبون الله والإنسان، ولكن المستوى الذي كانوا يقيسون به كان دون مقياس الله بمراحل كما أوضح ذلك الرب يسوع لما كان هنا على الأرض. فما لم يتحرر القلب بفداء المسيح ويكن له سلام مع الله فإنه يستحيل على المحبة أن تحطم حواجز الموت أو تخترق أغشيته السميكة. وحتى القديسون تحت الناموس يشبهون روحياً لعازر مربوطاً بأكفانه، حياً ولكنه بحاجة لمن يحله ويدعه يذهب. وكيف السبيل إلى ربح القلب؟ "في هذا هي المحبة ليس أننا نحن أحببنا الله بل أنه هو أحبنا وأرسل ابنه كفارة لخطايانا" فعلى قدر ما يكون الضمير حياً ونحن تحت الناموس بالروح ى قدر ما نكون أقل سعادة. فإن المؤمنين الذين يعانون اختبار رومية ٧ لا يسيرون خفافاً أحراراً أمام الله بل يشعرون بوطأة تقصيراتهم ويضنيهم الحزن والقلق على نفوسهم، إذ يقيسون موقف الله من جهتهم بمقياس موقفهم هم من جهته، ناسين أن الله الذي يبرر الفاجر بكفارة المسيح عن الخطايا قد أعطانا بذلك البرهان الأكيد الكامل على محبته لنا ونحن عد خطاة.

إن الحياة كما رأينا تسبق السلام. فقد يتنبه شخص بواسطة فصول كتابية نظير إنذارات الله وأقواله الخطيرة بخصوص الخطية والخطاة، وهذا نراه واضحاً في مثل الابن الضال الذي يرد مباشرة بعد الخروف الضال والدرهم المفقود. ففي مثل الدرهم المفقود يصور الرب حالة الهالك بصورة الميت، بينما يصوره في مثل الخروف بصورة المتحرك الضال فهناك حياة شريرة يكون فيها الإنسان عاملاً متحركاً. وهناك حياة يكون فيها خامداً ميتاً. هذان المظهران من مظاهر الموت نجدهما في المثلين الأولين، فالخروف الجاهل الذي ضل بلا اكتراث معرضاً نفسه لجميع المخاطر هو الإنسان الناشط المتحرك في حياة البعد عن الله. أما الدرهم المفقود فهو الإنسان الميت في خطاياه. والراعي يسعى ويكد محتملاً كل العناء باحثاً عن الضال، والنور يضيء بعمل الروح القدس حتى يوجد الدرهم المفقود، وليس هذا هو الكل ولا يقف الرمز عند هذا الحد. فلابد من الابن الضال ليكمل الصورة، وهنا يظهر عمل اعمل الله المزدوج. فأولاً نرى الضال "يرجع إلى نفسه" أي يتوب. يحكم على نفسه أنه خاطئ، ويعترف أنه أخطأ إلى السماء وقدام أبيه حسب منطوق المثل، فهو إذن سائر في الطريق الصحيح، يطلب الله. كان قبلاً يطلب شهواته أما الآن وقد رجع إلى نفسه فهو "يقوم ويذهب إلى أبيه". ولكنه غير متمتع بالسلام بعد. هو لا يزال بالروح تحت الناموس لأنه يريد أن يقول لأبيه "اجعلني كأحد أجراك" وهذا عين ما يفعله الناموس، فإنه عوض أن يقود إلى الحرية يقيد النفس بأغلال العبودية. أما الإنجيل فهو وحده الذي يخبرنا أن جميع الأغلال قد حطمها المخلص وأن العبد قد جيء به إلى حرية المسيح. انظر كيف يتجلى هذا في أسلوب النعمة مع الابن الضال. "وإذا كان لم يزل بعيداً رآه أبوه فتحنن وركض ووقع على عنقه وقبله". لاشك أنه كان قلقاً من جهة نفسه وأن الأفكار والتصورات قد نازعته عن كيفية استقبال أبيه له، ولكن العجب أن الآب هو الذي يركض لمقابلة الابن. الآب هو الذي يعانقه رغم شره وأسماله الرثة. أما الابن فما أبشع منظره الذي أوصلته إليه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

جهالته وخطاياه! وأما الآب فما أعظم محبته الغامرة الغالبة! إنه لا يسمح للابن أن يقول اجعلني كأحد أجراك بل يأمر بالحلة الأولى تخرج له والخاتم يوضع في يده والحذاء في رجليه والعجل المسمن يذبح وتعمل وليمة لم يشهد البيت نظيرها من قبل. كل ذلك لابن كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوجد.

وهكذا نتعلم تصويرياً ما نجده مشروحاً في الكتاب تعليمياً، وهو أن صلاح الله يقتاد إلى التوبة ويحول النفس من الاتجاه الصائب في حكم صحيح على الذات وعلامات أكيدة على الحياة الإلهية. ولكن لنلاحظ أن ذلك الابن لم يتمتع بالعتق من الخوف أو الناموس إلا بعد أن ضمه حضن بيه وأدرك البنوة إدراكاً كاملاً بالنعمة. حينئذ، وحينئذ فقط، أدرك أن الجو صاف وأن السلام موفور والفضل في هذا لحضن الآب الذي جعل كل شيء واضحاً وجلياً وأن كل هذه المعاملة الطيبة مصدرها ذلك الحضن الكريم المحب. هذا هو الحال في الإنجيل، ولكن من أسف أن الكثيرين يقفون عند العتبة. صحيح أنهم خرجوا من الكورة التي لم يوجد فيها من يشفق أو يرق لأشد عوز أو احتياج، ولكنهم لم يذهبوا بعد إلى الآب الذي مع الابن يمنحنا كل شيء بكرم وسخاء. وهذا هو المكتوب هنا أيضاً "في هذا هي المحبة" – حياة للأموات وكفارة للخطاة. أليست هذه بركة أعظم مما لو لم نكن خطاة؟ إن آدم في الجنة لم يكن له شيء مثل هذا فلم يكن لآدم حياة كحياة المسيح لأن هذه الحياة لم تعط للجنة. قد يكون حاصل عليها فيما بعد، شأنه شأن المؤمنين الآخرين من قديسي العهد القديم، لكنها لم تكن له قبل ذلك. فالواقع أنه حينما قدم الإنسان أردأ ما عنده قدم الله أحسن ما عنده. هذا هو المسيح ليس فقط آتياً ليعطينا حياة بل مائتاً ككفارة لخطايانا.

عندما نفكر في مجد سيدنا الذي مات كفارة لخطايانا وفي آلامه وبخاصة من يد الله. وعندما نفكر في جميع خطايانا وآثامنا التي حملها كفارياً – أقول عندما نفكر في هذا وذاك جنباً إلى جنب كم يتبدى لنا كمال ذلك الملء الذي به استطاع دون سواه أن يسد الثغرة الهائلة التي كانت تفصل بين الله والخاطئ. هذا هو المعنى المتضمن هنا "ليس أننا أحببنا الله" – قد نكون حاولنا أن نحبه، ولكن إن كنا فعلنا ذلك، فقد فشلنا فشلاً ذريعاً. ذلك كان شأن الناموس، أما الإنجيل فيعلن أنه "هو أحبنا وأرسل ابنه كفارة لخطايانا". لقد أكمل كل شيء بعمله الواحد وبذبيحته الواحدة. "المسيح أيضاً تألم مرة واحدة من أجل الخطايا. البار من أجل الأثمة لكي يقربنا إلى الله" (١ بط ٣: ١٨). لقد كان إنساناً، ولكن ألم يكن الله؟ بلى، هو الابن، وقد قام من الأموات. وفي قيامته الدليل المجيد على نصرته. وما كان ممكناً في الواقع أن يفشل. وهل يمكن أن الله يفشل؟ وألم يكن هو ابن الله الوحيد؟ إذا كنا نؤمن بالمكتوب فينبغي ألا نرتاب البتة في هذه الحقيقة. إن الخوف والفشل أمران طبيعيان في الإنسان الساقط، فهو خاطئ ولهذا هو يفزع من ديونة الله. ولكن الله لا يطالبك أن تثق بنفسك بل أن تؤمن بالرب يسوع المسيح. هو يعلم جيداً إنك لا تحبه، ومن أجل ذلك يأمرك

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أن تؤمن بمحبته الظاهرة في المسيح وفي موته ككفارة لأجلك. لا تقل أن شرك أكبر من أنلا يحتمل، أنت فعلاً شرير لأكثر درجات الشر، بل وأفظع جداً مما تظن. ولكن خذ موقف "الهالك" بكل إخلاص وأمانة، وهذا سيضع حداً لكل أفكارك عن شرك ورداءتك. فإنه من أجل الهالكين قد جاء المسيح ومات.

لقد ظن الابن الضال أنه عندما اعتزم أن يطلب إلى أبيه أن يجعله كأحد أجراه، أي كواحد من خدمه، ولكن الواقع أنه لم يكن أهلاً لمركز أجير. وإلا فهل تظن أن أحداً يقبل في خدمته شخصاً بيده شهادة سير وسلوك كشهادة الابن الضال؟ إن صفاتنا لا دخل لها في الموض١وع على الإطلاق فإن النعمة المطلقة تتسامى فوق كل خطية وإثم، وما على النفس إلا أن تأخذ مركز الخاطئ وتدع الله يظهر غنى نعمته ومحبته، فما يفعله الله في هذه الحالة هو أنه يمنحني ليس فقط الحياة لحس بما يليق بالله ويليق بأحد أولاده بل يمنحني أيضاً الكفارة التي تواجه كل خطاياي وتبعدها عني إلى الأبد. وإنما اعلم هذا وتذكره جيداً، إن الكفارة إما أنها تكفر عن كل الخطايا أو لا تكفر عن شيء منها على الإطلاق. الكل أو لا شيء. هذه هي طريقة الإنجيل التي يسوي الله القضية. وهذا هو المطلوب من كل مؤمن أن يرتاح عليه.

أيها القارئ العزيز، هل أنت مرتاح هكذا في المسيح؟ هل يخطر ببالك وأنت مؤمن بيسوع ابن الله الوحيد أن تقول "اجعلني كأحد أجراك"؟ إن ذاك الذي جاء كإنسان بالحياة الأبدية، يجعلك بنفس هبة هذه الحياة تشعر بوطأة خطاياك وفي الوقت نفسه تؤمن أنه كفارة لهذه الخطايا. لقد كان في النظام اليهودي ذبائح مستمرة وتقدمات متكررة، ولكن الآن في الإنجيل، ومنذ قدم الابن نفسه، يوجد غفران للخطايا وليس بعد ذبيحة عن الخطية (عب ١٠: ١٨) لأنه بقربان واحد قد أكمل إلى الأبد المقدسين، أي المفرزين لله، ليس بالناموس الآن بل بدم المسيح.

أيها الأخ الحبيب، هل هذا هو إيمانك؟ ليته يكون كذلك، وليتك تجد مسرتك فيما يعلنه الرسول يوحنا عن محبة الله الظاهرة في إرسال ابنه للغرض المزدوج: الحياة والكفارة. وهل من شيء آخر يمكن أن يبين بمثل هذه الصورة الكاملة حقيقة وطبيعة المحبة التي من الله؟ تلك المحبة التي لا شأن لها على الإطلاق بمجهودنا الشخصي؟ إنها تنبع من الله. على أننا إذا كنا مولودين من الله. فإننا نكون شركاء طبيعته. وإذا كنا شركاء طبيعته، فقد أعد الوسائل الكفيلة برفع كل ما من شأنه تعطيل ممارسة هذه الطبيعة. إن إنساننا العتيق لا يزال موجوداً كحقيقة واقعة، ولكننا نعلم أنه قد صلب مع المسيح ليبطل جسد الخطية لكي لا نعود نستعبد أيضاً للخطية.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

على أنه إذا تحولت العين عن المسيح فإن الطبيعة القديمة تعرقل خطواتنا لا محالة. ومن أجل هذا يعوزنا أن نعرف كيف تعامل الله مع المسيح مع خطايانا ومع الخطية التي هي أصلها ومصدرها. كذلك قد تتعرقل الحياة بسبب التناقض في علاقتنا بحيث لا تكون المحبة فائضة بحسب الله نحو أولئك الذين يريدنا الله أن نحبهم. فإن محبته توحي لنا بمحبة الذين له، أي أولاده، وتبارك اسمه فقد أهلنا لهذا بإيماننا وبالحياة الجديدة والروح الساكن فينا، وليس الأمر في ذلك أنني أحب صنفاً معيناً أو سلوكاً معيناً دون الآخر، ولكنه يتوقع منا رغم كل الصعاب أن نحبهم جميعاً بنفس المحبة التي من الله. وهو يطالعنا هنا بذينك المظهرين العظيمين للمحبة الإلهية (الحياة والكفارة) اللذين ندين لهما بعلاقتنا الجديدة ورفع خطايانا وذلك يؤهلنا أيضاً لأن يحب أحدنا الآخر كعائلة الله.

إلى هنا رأينا المحبة آتية في الابن من عليائها السماوي ومتنازلة إلى أعماق لا حد لها من أجلنا، وسنراها فيما يلي رافعة إيانا من الحضيض إلى ذلك العلياء فإلى اللقاء.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الرسالة الأولى: الخطاب الرابع عشر

١ يو ٤: ١ – ١٦

"أيها الأحباء إن كان الله قد أحبنا هكذا ينبغي لنا أيضاً أن يحب بعضنا بعضاً. الله لم ينظره أحد قط. إن أحب بعضنا بعضاً فالله يثبت فينا ومحبته قد تكملت فينا، بهذا نعرف أننا نثبت فيه وهو فينا أنه قد أعطانا من روحه. ونحن قد نظرنا ونشهد أن الآب قد أرسل الابن مخلصاً للعالم. من اعترف أن يسوع هو ابن الله فالله يثبت فيه وهو في الله. ونحن قد عرفنا وصدقنا المحبة التي لله فينا. الله محبة ومن يثبت في المحبة يثبت في الله والله فيه".

قد رأينا في الفصل السابق أن الرسول لكي يعطي المحبة التي دعينا إليها وصفها الحقيقي يذكرنا بها معلنة في المسيح لغرضين، أولاً لكي يهبنا حية بنما كنا أمواتاً وثانياً لكي يهبنا الكفارة التي رفعت كل خطايانا بعد إذ حصلنا على الحياة وأحسسنا بثقل خطايانا وشرها أكثر جداً من ذي قبل. وهذا هو الترتيب الصحيح لعمل الله في النفس. وهو يرينا كم هو هام للغاية نوال الحياة، لأنه بدون الحياة لا يكون هناك ما يسمع أو يستجيب في الأمور الإلهية إذ يكون الموت سائداً على النفس. والقول بأن روح الله يقوم بدور الحياة أو بالحري يعمل بدونها قول هراء، فإن روح الله إنما يعمل حيث توجد حياة يجري عليها عمله.

إن المسيح لا شك هو حياة المؤمن. وبالإيمان تعتبر "أنا" القديمة كأنها غير موجودة أمام الله. هي فعلاً موجودة ولكنها بنعمة المسيح لا حق لها أن تعيش. ونحن كمسيحيين ننكرها باسم المسيح ونعتبرها بلا قيمة على الإطلاق ونتركها باعتبارها كتلة شر في نظرنا الآن كما كانت دائماً في نظر الله مهما كان رأي الناس فينا. قد يكون الإنسان عبقرياً عظيماً، وقد يكون على جانب عظيم من الجد والنشاط حتى في أمور الله، ولكن الذات هي دائماً أبداً بدون الله وضده ولا يمكنها بحال من الأحوال أن تدخل إلى حضرته أو يكون لها مكان قدامه. فكيف يمكن والحالة هذه أن يكون الإنسان العتيق غرضاً للروح القدس يأخذه ويقدسه لله؟ إن هذا مستحيل ولذلك لا نرى الكتاب يحدثنا في أي مكان عن تقديس الحياة القديمة الساقطة وإنما يحدثنا عن الإنسان العتيق وإياه مصلوباً مع المسيح، وعن الخطية في الجسد وقد دانها الله في المسيح باعتباره ذبيحة عن الخطية ليبطل جسد الخطية كي لا نعود نستبعد أيضاً للخطية. فليست "أنا" الخاطئة فيما بعد بل "المسيح يحيا فيّ".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وهكذا توجد الحياة الجديدة التي يتسنى للروح القدس بفضل الفداء أن يتعامل معها ويقرن نفسه بها. ومن هنا تتضح ضرورة الحياة الجديدة في المسيح إذ بدونها لا يكون هناك سوى الإنسان العتيق. وفي الواقع كان جميع أفاضل العهد القديم حاصلين على الحياة ككل قديس في الوقت الحاضر. وهل من مؤمن يعرف حياة أخرى للإنسان الخاطئ غير حياة المسيح؟ ومع أن هذه الحياة – نظير الخلود – قد أنيرت بواسطة الإنجيل (بمعنى أن الإنجيل هو الذي أوضحهما وأنار حقيقتهما) لكنها كانت تعمل في جميع المؤمنين قبل الإنجيل، وغلا فما كان يمكن أن يعتبروا قديسين بدونها. ومهما كان الفارق الذي تم من حيث الشكل، فواضح أن نصيب الذين جاءوا بعدهم عندما صار سيدنا إنساناً هو النصيب الأفضل، لأنه واضح عندئذ أكثر من ذي قبل معنى الحياة الجديدة ومن هم الذين ينالونها بالإيمان. فهي للناس وليس للملائكة "والحياة كانت نور الناس" الناس فقط كما يقول الكتاب. إن الملائكة – أي المختارين منهم – لم يسقطوا، وإذ هم محفوظين من الخطية فلا حاجة بهم إلى حياة جديدة. أما الملائكة الذين سقطوا فلا توبة لهم ولا هبة نعمة إن للملائكة حياة لا نعرف عنها شيئاً ولا هو من شأننا أن نتدخل فيما لا يعنينا بعقولنا القاصرة، إذ مالنا ومثل هذه البحوث؟ (انظر كو ٢: ١٨). إنها محاولة عابثة أن ينشغل الناس بالملائكة. ومع ذلك فقد عرفت مسيحياً شغله هذا الموضوع لدرجة كبرى حتى تطورت مشغوليته إلى أن يتصور في وهمه تصورات خيالية زاعماً أنه يرى في كل ليلة ملائكة أخياراً وأشراراً، وأنه يعرف أسماءهم، ولكن هذه كلها لم تكن سوى مشاعر وخيالات. وما أكثر ما هنالك من حماقات مضحكة وأوهام خيالية غبية حول عالم الأرواح والكائنات الغير المنظورة.

ولكن هنا نجد الحقيقة المباركة عن مبلغ اهتمام الله وصنيع محبته في قضية الإنسان. أولاً وقبل كل شيء من الناحية المطلقة واهباً إيانا الحياة إذ كنا أمواتاً. وثانياً، بعد حصولنا على الحياة، منقذاً إيانا من كل ذنب وإثم، لأن الرب يسوع نفسه الذي جاء بالحياة صار هو أيضاً الكفارة لخطايانا. ذلك لأن الحياة المقدسة التي نلناها جعلتنا نحس بأن عبء خطايانا لا يطاق. لكن بدمه الذي أريق مرة فوق الصليب قد تمت الكفارة، ونحن مدعوون لأن نؤمن بنعمة الله ونتمتع بكل حقائقها المباركة.

على أن هناك أكثر من ذلك، ولو أن الرسول قصد أن يتدرج بنا للوصول إلى الحقيقة الباقية وهي التي بدأها في العدد الأخير من الإصحاح الثالث بقوله "من يحفظ وصاياه يثبت فيه وهو فيه". فالشخص الذي له هذه البركة شخص مطيع. هذه صفته وهذه شيمته، ومن هو الذي يطيع الآن؟ لا أحد بطبيعة الحال سوى المسيحي. ليس بعض المسيحيين بل جميع المسيحيين الحقيقيين. هؤلاء يطيعون الله كمن لهم طبيعته أي الحياة التي هي المسيح والتي أعطيت لهم.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ولكن الرسول لم يتوسع في شرح هذه الحقيقة عند ذكره ذلك العدد في ختام الإصحاح الثالث بل أجل الشرح إلى مكانه الخاص مكتفياً بأن أضاف إشارة صغيرة ولكنها خطيرة إلى الجزء الأخير من العدد إذ يقول "وبهذا نعرف أنه يثبت فينا من الروح الذي أعطانا". ولنلاحظ القوة في كلمة "يثبت". الله يثبت فينا هذه هي الحقيقة البسيطة المؤكدة. فهي ليست مجرد مرور أو زيارات عابرة لفترات قصيرة بل إقامة دائمة ثابتة. والواقع أن كلمته "يثبت" هي من مميزات المسيحية الدالة على أبديتها. لقد عرف إسرائيل شيئاً كان عظيماً للغاية ولكن لوقت معين، وقد أخذ منهم فعلاً، أو على حد تعبير رسالة العبرانيين "وأما من عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال". تلك كانت اليهودية التي كان لا بد أن تخلي مكاناً للمسيحية الثابتة الأبدية في ذاتها وفي نفوس مؤمنيها، إن الثبات هو صفة كل بركة مسيحية فيما خلا البركات القائمة على شرط، وأنت تعلم أنه يوجد أيضاً هذا النوع من البركات الشرطية. ولكن الأبدية هي طابع العهد الجديد ولاسيما الحياة التي لنا في المسيح ولذلك فهي تسمى بهذا الاسم العجيب. ويجدر بنا أن نتلذذ بها على هذا الاعتبار. وجميعنا والحمد لله قد وجدنا مسرتنا فيها ولا يسعنا إلا أن ننادي بها ونرفع الشكر لإلهنا من أجلها وإن كان يحزننا كثيراً أن نجد قوماً لا يفيضون بالشكر لله من أجل أعظم بركة ينالها المؤمن بيسوع المسيح ربنا، وذلك لا شك من عمل الشيطان الذي هو عدو النفوس وعدو كل خير.

ولكن هناك ما هو أكثر من الحياة الأبدية ولو أن الحياة في المسيح هي الطابع المميز لجوهر بركتنا. وهذه الحياة كانت شخصه له المجد معلناً في كل عمل من أعماله هنا على الأرض. وكان الاتكال المطلق على الله بالطاعة الكاملة الدائمة طابعها ومميزها. وإذا كان المسيح يدعونا لأن نطيع كما أطاع، وإذا كان قد أعطانا وصايا، فهذه كلها لا شأن لها بالوصايا العشر. إن الناموس كان يتعامل مع الجسد، لذلك كانت الحياة على الأرض وعداً ومكافأة لم ينالها إنسان قط "افعل هذا فتحيا". هذا كان صوت الناموس. أما وصايا المسيح فهي توجيهات لأناس قد وهبوا فعلاً حياة جديدة بالنعمة بالإيمان. أناس نالوا فعلاً أعظم وأسمى بركة بين جميع البركات بنوالهم لمسيح كحياتهم. والواقع أنه ليس هناك شيئاً مؤكداً ومضموناً أكثر من أن الله قد أعطى المسيح للمؤمنين. هذا حق عجيب، ولكنه بسيط للغاية. وهذه هي كلمة الحق، إنجيل خلاصنا. أما إذا استعاض الناس عن الإيمان بالوهم والتخمين فلا عجب إن كان يفوتهم حق الإنجيل الواضح الصريح.

ولهذا السبب عينه، أي لأن الحياة هي حياة اتكال، فإننا نحتاج بجانبها إلى حضور الله وقوته لأن الطريق محفوفة بالمخاطر والصعاب. فنحن من الواجهة الروحية نحتاج إلى القوة بجانب حاجتنا إلى الحياة. وإن لم توجد هذه القوة الدافعة فإننا نفشل في التغلب على العراقيل والصعاب،وتكون النتيجة أننا نقف حيالها مكتوفي الأيدي أو نستخدم نشاطنا الجسدي. ومهما كان الاتكال مباركاً في حد ذاته فهو ليس القوة. أما قوة المسيحي الحقيقية

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

فهي روح الله الساكن فينا، وليس الحياة كحقيقة معنوية ولو أن الحياة في المسيح هي أساس مقامنا الجديد وشرطه الجوهري. نعم فنحن نحتاج للروح القدس لإنشاء القوة فينا. عند إبداع الخليقة كان للروح القدس حصته في العمل. وعندما وقعت الواقعة وأصيبت الخليقة الأولى بالفوضى والخراب كان الروح يرف على مشهد الخراب والظلمة. ولما شاء الله أن يقيم لسكناه الرمزية خيمة في وسط شعبه، لم يترك لإسرائيل أن يعملوا تصميم المسكن طبقاً لحكمتهم بل رتب كل كبيرة وصغيرة بنفسه. وفضلاً عن التوجيهات والتعليمات، ليعملوا الذهب والفضة والنحاس، للنجارين والنساجين والموشين ومن إليهم .... وبالاختصار لكل من قام بدور في إعداد أجزاء المسكن المختلفة. لكن شيئاً لم يترك لابتكار الإنسان. الكل صنعه روح الله بواسطة الإنسان.

على أن لروح الله الآن هدفاً أسمى بما لا يقاس من ذلك الهدف القديم، إذ لم تعد المسألة بعد مسألة إقامة مسكن أرضي أو حتى هيكل فخم، مع علمنا بأن روح الله كان الموحي والمرشد في الحالتين. ولكن الأمر أمجد من ذلك الآن بكثير فإن روح الله متنازل ليسكن في المؤمنين. فهو الذي يختم كل مسيحي ليوم الفداء. امتياز لم يكن لقديسي العهد القديم، حتى أنهم مع حصولهم على الحياة لم يكونوا يعرفون عنها إلا القليل أو لاشيء على الإطلاق. أما ميزة المسيحية فهي إننا نستطيع الآن أن نقول أن الله قد أعلن لنا ما كان مكتوماً عنهم كما هو مكتوب "ما لم تر عين ولم يخطر على بال إنسان" قد أعلنه لنا الآن بروحه. فهو ليس لنا الآن روح القوة والمحبة والنصح. وحيث أن هذا هو عين ما كان يعوزنا،فهو أيضاً حينما وهبه الله لنا. "بهذا نعرف أننا نثبت فيه وهو فينا أنه قد أعطانا من روحه".

هنا نرى الرسول يمهد الطريق للحق الذي لم يشرحه بعد وهو الخاص بالمحبة الأخوية. وهو يفعل ذلك ممهداً له بصوت المحبة وندائها العذب "أيها الأحباء". هذه هي أيضاً كلمة الخطاب هنا. ذلك كان الشأن حينما خاطبهم الله في الأعداد السابقة محذراً إياهم من الأنبياء الكذبة المدفوعين بالأرواح الشريرة كان الرسول في تلك الأعداد يحدث القديسين عن خطر واهم تجلبه الأرواح الشريرة. كان الرسول في تلك الأعداد يحدث القديسين عن خطر واهم تجلبه الأرواح الشريرة إذا ما تصدى لها القديس بثقة الإنسان الأول عوضاً عن الإيمان بالإنسان الثاني. فإن يسوع وحده هو قاهر الشيطان وكذلك المؤمن يستطيع أن ينتصر ويعظم انتصاره وإنما بالذي أحبه ومات لأجل خطاياه. والعلامة المميزة للأرواح الشريرة هي عدم اعترافها بالرب يسوع. الروح القدس وحده هو الذي يعترف به آتياً في الجسد – أي جاء في الجسد. هنا الحصانة ضد الأنبياء الكذبة الذين يرفعون الإنسان الساقط ويخفضون الكلمة الذي صار جسداً. هذا هو موضوع الأعداد السابقة التي بدأها بالقول "أيها الأحباء لا تصدقوا كل روح". ولكنه يكرر هذا النداء الحبي عندما يدعو القديسين لأن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يحبوا بعضهم بعضاً في العدد السابع، أولاً "لأن المحبة هي من الله" وثانياً لأن الذي يحب يقيم الدليل على أنه مولود من الله وإنه يعرف الله، كما أن الذي لا يحب لم يعرف الله لأن الله محبة. وهنا، إذ يواصل نفس القضية في عدد ١١، يستعمل نفس النداء الحبي الجميل "أيها الأحباء".

"أيها الأحباء، إن كان الله قد أحبنا هكذا، ينبغي لنا أيضاً أن يحب بعضنا بعضاً". هو لا يقول في أي مكان أنه ينبغي لنا أن نحب الله بل يفترض دائماً أننا نحبه فعلاً. وهذا هو في الواقع شأن كل مؤمن عرف محبة الله من نحوه يوم كان في خطاياه وعدائه ضد الله، وتعلم في الإنجيل تلك المحبة التي اتجهت نحونا في حالتنا الأثيمة الهالكة، وبذلت المسيح ابن الله ليموت عنا "لأن المسيح إذ كنا بعد ضعفاء مات في الوقت المعين لأجل الفجار" (رو ٥: ٦). وهذا "الوقت المعين" للمحبة التي كنا بحاجة قصوى إليها، المحبة التي في ذاتها لا تستقصى، المحبة الجديرة بالله وابنه، كان يوم اتحد الإنسان، الأمم واليهود على السواء، وتضافروا معاً في صلب المخلص، وبذلك قطعوا أنفسهم من كل استحقاق للرحمة إلا على أساس نعمته المطلقة. كان اليهودي يفاخر بالناموس ولكنه تعداه وكسره في كل زمان وبصفة خاصة عندما قام بصلب مسياه. وكان الروماني يفاخر بقانونه وحكومته، ولكن، رغم شجاعته التي كان يدعيها، تبخرت هذه المفاخرة الجوفاء أمام صياح الجماهير التي كان يعلم يقيناً أن يسوع لم يكن مذنباً. وهكذا اتحد الأممي واليهودي في اقتراف الإثم الرهيب الشنيع ضد الله. عند هذه النقطة وفي ذلك الوقت عينه بين الله محبته لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا. فيا له من غباء إذاً أن يزعم إنسان أن الله يطلب من الخاطئ أن يحسن نفسه أما الله بعمل شيء صالح أو عظيم ناسياً أن الله هو في ابنه عمل الشيء الوحيد العظيم بل أحسن وأعظم شيء كان يمكنه أن يعمله لخلاص الخاطئ، وذلك في الذبيحة التامة التي قدمها نيابة عن كل من يؤمن. وحينما تقبل النفس هذه الحقيقة' يستطيع القلب الذي كان متكبراً ومظلماً، بل أشد القلوب كبرياء وظلمة، يستطيع أن يحب ولا يسعه إلا أن يحب.

وليس هذا هو السبب الوحيد الذي يجعل المسيح يحب الله. فهو بقبوله المسيح قد قبل الحياة الأبدية. ولد من الله وأصبح أحد أولاده. وهو لذلك يحب الله كأبيه وإذا كان الابن الطبيعي يحب والديه رغم ما قد يقع من أخطاء من الجانبين، فكم بالحري تكون الطبيعة الجديدة حافزة للمسيحي أن يحب ليس فقط أباه كلي الصلاح والنعمة بل كذلك إخوته الذين لهم نفس الحياة ونفس الروح.

"أيها الأحباء، إن كامن الله قد أحبنا هكذا ينبغي لنا أيضاً أن يحب بعضنا بعضاً". من السهل أن نرى أن كل ما ينطوي عليه الكتاب من التحريضات المسيحية تفترض أصلاً امتلاك النعمة الإلهية مقدماً. فالله لا يدعونا أن نحب إلا بعد أن أثبت محبته نحونا في

 All rights reserved © 2008-2018

المسيح وأعطانا أن نعرف محبته. وقد رأينا في العددين التاسع والعاشر كيف سدد الله حاجة الخاطئ المزدوجة (الحياة وكفارة الخطايا). فليس من المبالغة والحالة هذا نفهم السبب الذي من أجله لا نرى الرسول يحرضنا أن نحب الله أو المسي، فالأمر الواقع هو أننا نحبه لأنه هو أحبنا أولاً.

طبيعي أن الأمر ليس هكذا بالنسبة للإنسان بحس الجسد، كما كان حالنا قبل تجديدنا. فحتى نحن الذين كان لنا لحسن الحظ أبوان مؤمنان، وكان لنا امتياز كلمة الله والصلاة منذ الطفولة وبكور الحياة لم نتحرر من الضمير الشرير إلا بعد أن وصل الحق إلى أعماق قلوبنا. كنا نخاف من الله بسبب خطايانا، ومع ذلك فطالما أهملنا خلاصاً هذا مقداره، وكنا نفزع من الموت والدينونة كلما هفا أحدهما على خاطرنا لولا لحظة. إنه لمن المستحيل على النفوس في مثل هذه الحالة أن تحب الله الذي دينونته تلاحقها وترعبها من حين لآخر وهي لازالت تركض وراء اللذة والنجاح العالمي والثروة وما إلى ذلك من أمور الزهور وتعظ المعيشة التي نميل إليها بحسب الطبيعة. فإذا كان عندنا شيء من المحبة في ذلك الوقت فقد كانت في أفضل حالاتها من نتاج لطبيعة وبلا أية علاقة بقلب الله، ومثل هذه المحبة هي مجرد عاطفة تسمو في نوعها عن عاطفة الحيوان بقدر ما تسمو طبيعة الإنسان عن طبيعة الحيوان. أما محبة الطبيعة الجديدة فهي محبة فوق الطبيعة وتستمد نوعها وبواعثها ومصدرها من المسيح. ومن هنا خطأ بل وخطر نسبة الإحسان الطبيعي للنعمة، إن محبة المسيح هي من نوع محبة الله لنا يوم لم يكن فينا شيء يحب، لأننا كما نقرأ "كنا نحن أيضاً قبلاً أغبياء غير طائعين ضالين مستعبدين لشهوات ولذات مختلفة عائشين في البث والحسد ممقوتين مبغضين بعضاً بعضاً". هكذا يقول واحد كان من جهة البر الذي في الناموس بلا لوم. ولكن نور مجد المسيح الذي أشرق في قلبه كشف فساده، ومن ثم حسب هذه الأمور وكل ما عداها مما يتفاخر بها الإنسان نفاية، وظل يحسبها نفاية، بالمقارنة مع المسيح، حتى أنه لم يعبأ بأي ألم يصادفه في طريقه إلى القيامة من بين الأموات وبالاختصار في طريقه إلى المسيح في المجد.

يقول الرسول يوحنا أنه إذا كان الله قد أحبنا هكذا، ينبغي لنا أيضاً أن يحب بعضنا بعضاً. فمع أننا نتشارك في نفس الحياة المباركة في المسيح، وفي نفس الكفارة عن خطايانا، فإن الجسد والعالم يسببان مشاكل ومصاعب متنوعة. وأنه لمن عدم الإيمان الشنيع أن ننفر أو نجزع من إلهنا حتى ونحن نحاول أن نعترف له بأية جهالة أو خطية نكون قد انزلقنا فيها، لأنه تبارك اسمه لا يتخل عن نسبته كآب ونسبتنا كأولاد بينما يحاول العدو أن يبعدنا عنه. غير أن أولاد الله معرضون لفخاخ كثيرة بسبب الجسد. ففي عدم الحرص واليقظة يكونون عرضة للتجسس على أخطاء إخوتهم وتغطية أخطائهم هم. وهذه ليست محبة لبعضنا البعض على الإطلاق، ولا هي كما أحبنا المسيح التي هي مقياس المسيحي كما كان

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الناموس يفرض على الإسرائيلي أن يحب قريبه كنفسه، مع الفارق الكبير بين المحبة المسيحية والمحبة تحت الناموس، فقد كان إسرائيل شعباً في الجسد وتحت الناموس بينما نحن في الروح (رو ٨: ٩) وتحت النعمة (رو ٦: ١٤) إن كان روح الله ساكناً فينا، عندئذ تجيء المحبة لعائلة الله فائضة من نعمة الله التي اتجهت إلينا شخصياً، إن الناموس لم يكمل شيئاً (عب ٧: ١٩) ولا كان موضوعاً للأبرار بل للأثمة والمتمردين ومن على شاكلتهم لكي يدينهم ويقودهم إلى ملجأ الخطاة الوحيد.

ومن أسف بالغ أن النصرانية المنحرفة عن الحق اعتادت قديماً وحديثاً أن تضع الأبرار تحت الناموس الأمر الذي يصفه الرسول بأنه عمل غير قانوني. أما الواقع وحقيقة الأمر فهو أننا تحت النعمة التي تقوينا رغم كل العوائق لأن يحب بعضنا بعضاً.

إنه لا يسعنا بطبيعة الحال إلا أن نحب ذاك الذي أحبنا أولاً حتى بينما كنا نرتدي الأسمال ونحيا حياة الانحطاط بين الخنازير ولا نجد شيئاً من الرثاء والعطف من أولئك الذين تمتعوا بوفير خيراتنا ونحن في الخطية والجهالة ولكن عندما ابتدأنا نحتاج لم نجد من يعطينا شيئاً. هذا هو العالم، ولكن ليس هكذا الآب، فعندما فكر الابن الضال وحكم ولو بقدر طفيف على طرقه الشريرة ونتائجها المحزنة اتجه قلبه إلى ذاك الذي تركه طويلاً ونسيه. "أقوم وأذهب إلى أبي وأقول له يا أبي أخطأت إلى السماء وقدامك. ولست مستحقاً بعد أن أدعى لك ابناً، أجعلني كأحد أجراك فقام وجاء إلى أبيه. وإذا كان لم يزل بعيداً رآه أبوه فتحنن وركض ووقع على عنقه وقبله". هذه هي محبة الله كما صورها من عرفها أفضل من سواه والتي كان يعلنها للعشارين والخطاة الذين كانوا يدنون منه ليسمعوا أخبار النعمة العجيبة بين الكتبة والفريسيين المتذمرين. وإذا لم يقنع الآب بمجرد الغفران والعفو عن ابنه الضال، ولم يعطه فرصة لعرض اقتراحه في أن يكون مركزه بين العبيد الأجراء، دوى أمره الكريم ونطقه السامي العجيب "أخرجوا الحلة الأولى وألبسوه واجعلوا خاتماً في يده وحذاء في رجليه، وقدموا العجل المسمن واذبحوه فنأكل ونفرح. لأن ابني هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوجد". هذه نعمة لا ناموس. فيها نرى ما هو الله كآب في أقوال من نطق ابنه الكريم. وإذا هو كذلك بالنسبة لأشر الخطاة الضالين الذين يأتون إليه، فكم هو أمر محزن أن يكون هناك ارتياب في النعمة التي يقيم فيها المؤمنون، أو أي شك في محبته المشفقة العطوفة نحو مسيحي يضل الطريق، هو واحد من أولاده المحبوبين!

ولكن إن كان الآب لا يتغير فمن المحزن أن أولاده يتغيرون. ومن أجل ذلك كانت دعوة صائبة وضرورية أن يحبوا بعضهم بعضاً كما فعل الرسول الذي في اتضاع وتواضع يضم نفسه مع سائر لأولاد الله قائلاً "ينبغي لنا أن نحب بعضنا بعضاً". أنه يضع نفسه مع أولاد الله تحت هذا الالتزام المبارك الذي قد لا يكون القيام به سهلاً ميسوراً في جميع لأحوال كما يتصور البعض.لأن المحبة بحسب الله ليست مجرد "مودة أخوية" مهما تكن هذه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المودة سامية وفي محلها عند ممارستها ممارسة صحيحة. وها هو الرسول بطرس في (٢ بط ١: ٧) يضع خطاً فاصلاً بين المودة الأخوية والمحبة، معطياً للمحبة المنزلة الأسمى والأعمق "وفي التقوى مودة أخوية وفي المودة الأخوية محبة". فحيث المودة الأخوية تتقدم للتصافح قد تتأخر المحبة وتتراجع لأنها ترى شركاً خطيراً وخطية محزنة لم تستطع المودة الأخوية لفرط مشغوليتها أن تميزها في نور الله. فإن المحبة الإلهية تنظر دائماً إلى الجانب الإلهي عوض الاستسلام لمجرد العواطف والحساسيات. ومن واجبنا أن نقف عند النبع باستمرار إذ شئنا أن نكون في جدة الانتعاش لأنفسنا وأن نعيش الآخرين ونتعامل بالمحبة التي من الله بعين بسيطة. وحينئذ نستطيع أن نكون في مأمن ن عسل الطبيعة البشرية واللطف الإنساني الذي لا يؤثر على الضمير ولا يحول دون إتمام الإرادة الذاتية. "إن الذي يحبه الرب يؤدبه ويجلد كل ابن يقبله". هكذا هو الحال فيما يتعلق بمحبتنا بحسب الله فإنها دائماً تحس بإحساس الله وتعمل لأجل الله. ولكن إن كان هو قد "أحبنا هكذا، ينبغي لنا أيضاً أن يحب بعضنا بعضاً". هذا هو نبع المحبة وهذا هو مقياسها الصحيح. لقد عرف جيداً كل ما فينا من نقائص وتقصيرات كأولاده، كما عرف كل خطايانا وآثامنا يوم كنا أبناء الغضب، ومع ذلك فقد أحبنا حتى بذل ابنه لأجلنا. فمن واجبنا والأمر هكذا أن نحب بعضنا بعضاً باعتبارنا موضوع نفس المحبة الواحدة.

هكذا يقول الرسول بولس للقديسين في أفسس "فكونوا متمثلين بالله كأولاد أحباء. واسلكوا في المحبة كما أحبنا المسيح وأسلم نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة". فإن ما من شيء يستدر المحبة مثل المحبة ذاتها. كما أنه لا توجد محبة فعالة ومثمرة كمحبة الله في المسيح الذي هو كمال المحبة. ونحن قد عرفنا المحبة لا كمتفرجين نظير الملائكة بل باعتبارنا موضوع تلك المحبة في عمقها وفي علوها، على الأرض وفي الأعالي، بدرجة فائقة أمام عيون الملائكة. ألم نكن يوماً ما في أغوار الانحطاط والإثم والجسارة والرعناء؟ ومع ذلك فقد انحنى المسيح ابنه تحت عبء جميع خطايانا محتملاً من أجلها دينونة الله على الصليب. وألم يقم من الأموات ويرتفع فوق كل علو في المجد السماوي وملائكة وسلاطين وقوات مخضعة له لذاك الذي صرنا متحدين به بالروح القدس، روحاً واحداً مع الرب؟.

إن العدد الثاني عشر خليق بكل تأمل.فهو يذكرنا بما جاء في (يوحنا ١: ١٨) "الله لم يره أحد قط". وكيف سدد الله حاجة عظمى كهذه من حاجات الإنسان ألم يحس إله كل صلاح بحاجة الإنسان من هذه الناحية؟ لقد أحس بها وفي فرط غناه سددها وعرفنا بنفسه له المجد بطريقة ممجدة لذاته ولابنه، طريقة فعالة في ذاتها، مليئة بالمحبة للإنسان ومناسبة لحالته وظروفه، وذلك بإرسال ابنه صائراً إنساناً بين الناس. "الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبر (أي أعلن الله)".فلو أن كل نفس منذ آدم إلى اليوم سألت عن أفضل طريقة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يعلن الله بها ذاته أفضل إعلان وأضمنه، وفي أكمل محبة للإنسان في كل حاجته وتعاسته، لما استطاع أحد أن يجرؤ فيقترح طريقة تقارن بالطريقة التي رآها في حكمته ونعمته. ومع ذلك، يا للعجب، فإن الشيطان استناداً على شهوات الإنسان وميوله، وإرادته الذاتية وصوالحه المزعومة وديانته المبتكرة بصفة خاصة، استطاع أن يجد الوسيلة ليجعل الإنسان يتجاهل ويرفض ابن الله مما يؤدي إلى خرابه وهلاك نفسه.

على أن ابن الله الذي جاء بالمحبة الإلهية قد مضى إلى الآب. وها هو الرسول يردد نفس العبارة القديمة "الله لم ينظره أحد قط" مشيراً بوضوح إلى عبارة الإنجيل. ولكن الابن، الابن المرفوض، ليس هو بعد على الأرض ليعلن الله. فكيف السبيل الآن إلى تسديد نفس تلك الحالة القديمة في قلب الإنسان؟ اسمع الجواب "إن أحب بعضنا بعضاً فالله يثبت فينا ومحبته قد تكملت فينا". أليست هذه وسيلة عجيبة وخطيرة لسد الحاجة المشار إليها؟ أليست تتجه مباشرة وبكيفية فعالة قوية مؤثرة إلى قلوبكم يا إخوتي الأحباء وإلى قلبي وقلب كل ابن آخر من أولاد الله؟ أننا لم نغسل فقط من خطايانا بدم ابنه بل صرنا جميعاً بفضل نعمته أولاد الله وإخوة بعضنا لبعض، ومن امتيازنا بممارسة محبتنا المشتركة بحسب الله، أن نعرفه ونشهد له في عالم يجهله ولا يعرفه. إن من واجب الأولاد الآن أن يعكسوا محبة الله هنا على الأرض. لما كان الرب على الأرض قام بهذه المهمة إلى التمام، فماذا نحن فاعلون في دورنا؟ هل نعرف حقيقة محبة الله التي ظهرت في ربنا المحبوب، وهل نحن ثابتون فيها هكذا؟

ولقد تأملنا في الشطر الأول من جواب الرسول في هذا العدد والآن نتأمل في شطره الثاني. "إن أحب بعضنا بعضاً فالله يثبت فينا ومحبته قد تكملت فينا". إن محبة المسيحيين المتبادلة هي قوة الشركة والبرهان على أن الله يثبت فينا عوض أن يخنقها الجسد أو غرور العالم. إن الكرازة لعديمي الإيمان والتبشير للخطاة الهالكين ليس هو موضوع الحديث هنا ولا هو العلاج المطلوب للحالة التي نحن بصددها.فلن يقوم التبشير مقام المحبة الأخوية في إعلان الله. إذن فأين وكيف يمكن أن يرى الله الآن؟ إنه رغم كل جهود الشيطان في أن يثير أولاد الله بعضهم ضد بعض فإن محبتهم أحدهم للآخر كما أحبهم الله وكما أعلن المسيح هذه المحبة، هي الإعلان عن أن الله ثابت فينا وأن محبته قد تكملت فينا. فكم من التشجيع نجده في هذا العدد للسير بكل تواضع في الحبة التي هي من الله! ويا له من توبيخ لكل من يستهين بأهمية المحبة وبركتها!. على أن (١ يو ٤: ١٢) لم يكن ممكناً أن يتم بدون (يو ١: ١٨) وكذلك بدون ما أعقب ذلك من موت المسيح لأجلنا وعطية الروح لنا. فالمسيح يجب أولاً أن يكون حياتنا ليتسنى لنا تمثيل هذه الحياة هنا على الأرض. فنحن نعلم أن التلاميذ برغم أنهم لمسوا كمال المحبة في شخص المسيح لم يستطيعوا أن يحققوها أو أن يثبتوا فيها. صحيح أنه عندما مات وقام صارت لهم بها معرفة أحسن ولكنهم لما مسحوا بالروح

 All rights reserved © 2008-2018

تمتعوا بها على أكمل وجه واستطاعوا أن يسلكوا في المحبة وأن يثبتوا فيها باعتبار أنها نشاط طبيعة الله. وهكذا الحال معنا الآن من حيث المبدأ وكذلك من حيث العمل والسلوك طبقاً لدرجة روحانيتنا.

يظن بعض المبشرين أن أول غايات محبتهم هي السعي وراء تجديد النفوس. ونحن لا ننكر أن التبشير خدمة جليلة جداً إذ كنا نؤديها في الإيمان والمحبة للمسيح ولكنها ليست هي المحبة الأولى التي أوصى بها الرب باعتبارها أقرب شيء لقلبه.

وما أسهل أن نرى كيف أن محبة الله التي فينا من نحو إخوتنا تسمو فوق مجرد الواجب. فلو أن الروح القدس لم يكتب هذه الأقوال بواسطة الرسول لكان من الجائز أن نعدها مبالغة عظيمة أن تعطى المحبة الأخوية مثل هذه القيمة بحيث نقول أنه إذا كنا نحب بعضنا البعض فالله يثبت فينا ومحبته قد تكملت فينا.

فيا ليتنا بكل بساطة نؤمن بكلمته إيماناً تاماً حتى يتسنى لنا أن نحب هكذا ونقنع نفوسنا أنه كما أن المحبة هي من الله هكذا هو يثبت فينا لكي نسلك فيها بالانفصال عن العالم الذي إن اختلطت محبتنا بمبادئه بدلاً ممن أن تكتمل محبة الله فينا. هذا ونحن عالمون أنه ليس في متناول أحد أن يتقاسم هذه المحبة أو يفهمها ما لم يسلك بإيمان المسيح وبذلك يكون ناظراً إلى الأمور التي لا ترى و الأبدية لأن نظرة العيان وفكر الجسد يتلفان صفة المحبة وطابعها.

نحن مسئولون أن نعرف الله، والذين يؤمنون بالمسيح لهم فرح معرفة الله. وكل كلمة وكل عمل وكل نظرة من نظرات المسيح المسجلة في الكتاب إنما تزيد في معرفتنا والفتنا بالله، فإن كتبة الوحي لديهم الكثير مما يخبروننا به عن الله حتى في مجرد سردهم لطرق المسيح وأعماله هنا على الأرض، فهناك إعلان في كل منها لا فارق بين صغيرها وكبيرها. ولكن الرب قد مضى، والذي كان على الأرض يعلن الله هو الآن في السماء. أفليست لله بعد ذلك شهادة حية في الوقت الحاضر؟ إن الرسول يكرر هنا في الرسالة نفس العبارة التي ذكرها في الإنجيل. فما معنى ذلك؟ لقد ظهرت محبة الله في كمالها في سيدنا، ظهرت في كل كمالها بالمقابلة مع كل نقائص البشر فما هو حالي حالك نحن الذين جاء دورنا في الرسالة. نحن الذين كما أرسله الآب إلى العالم أرسلنا هو أيضاً إلى العالم؟ من أين تصدر الآن شهادة الله الحية؟ من المحبة الأخوية "إن أحب بعضنا بعضاً". أفليس هو أمر خطير أن يشير الله إلى المسيحيين كمن أصبحت في أعناقهم مسئولية تعريف العالم المظلم ما هو الله لقد دعينا خصيصاً بفعل المحبة الإلهية في نفوسنا وطرقنا لنكون شهود الله للعالم الذي يسوده الشك في كل ما يختص بالله.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لما كان المسيح يعلن الله على الأرض كان في كل شيء كاملاً كمال الله ذاته، فكيف الحال معنا رغم كل ضعف فينا؟ "إن أحب بعضنا بعضاً فالله يثبت فينا ومحبته قد تكملت فينا". والرسول ينظر هنا إلى المبدأ وليس إلى مبلغ فشل القديسين في تطبيقه، كما رأينا أن هذه هي طريقة يوحنا في كل كتاباته. فهو لا ينسى مطلقاً النبع الأصلي في الله والمجرى الذي هو شخص المسيح، هكذا يرسم أمام القديسين فيض النعمة بحسب الطبيعة الجديدة (بغض النظر عن متعلقات الإنسان العتيق وكل معطلاته).

ولماذا نقنع بالاعتراف المستمر بأننا لسنا نفعل الحق؟ لماذا نكتفي بالوقوف عند هذا الاعتراف؟ أليس في هذا ما يحزن روح الله؟ إننا نفعل حسناً لو فحصنا الأمر في نور حضرة الله وكمنا على أنفسنا قدامه، ذاكرين أم الكلمة قد سبق وحذرتنا ضد إحزان الروح وأن الجسد هو الذي بوجه خاص يقاوم الروح كما هو مكتوب: "اسلكوا بالروح فلا تكملوا شهوة الجسد لأن الجسد يشتهي ضد الروح والروح ضد الجسد وهذان يقاوم احدهما الآخر حتى لا تفعلون ما تريدون". إن الجسد هو المقاوم الأعظم للروح. فهو أحيانا يبدي لطفاً ومودة وقد يكون وهو يفعل ذلك بعيداً عن المحبة الحقيقية، وأحياناً قد يظهر الخشونة وعدم اللياقة وليس من يقول أن هذه أو تلك من مظاهر المحبة. أما إذا كنا نحب بعضنا بعضاً برغم جميع محاولات روح الضلال والخبث والرياء، فتلك هي محبة الله القائمة لا على أساس ما نراه في بعضنا البعض بل على أساس ما قبلناه جميعنا من الله في المسيح. تأمل فيما كنا عليه قبلاً نحن الذين أصبحنا أولاد لله. لقد كنا أشرار وخبثاء تماماً كالذين يهملون اليوم خلاصاً هذا مقداره، بل كان بعضنا أشد جرأة في الإثم وشراسة الخلق. هكذا كنا مهما قيل أننا كنا مؤدبين أو متدينين بحسب الجسد متفاخرين بما لم يكن يزيد ن كونه ستاراً يخفي وراءه آثاماً كباراً، بل كنا في نظر الله أردأ، بسبب الادعاء، من أصحاب الشر العلني. ولكننا قد "اغتسلنا بل تقدسنا بل تبررنا باسم الرب يسوع وبروح إلهنا". هكذا يكتب الرسول معترفاً بما فعلته محبة الله في كثيرين من نزلاء مدينة كورنثوس الفاسدة ولو أنه قصد بذلك أن ينبههم إلى انحرافهم الشنيع يومئذ، وقد فرح إذ علم فيما بعد أن محبته الأمينة (التي جعلته يتألم أكثر منهم) لم تكن عبثاً ولكنها أحزنتهم للتوبة، بل ولتوبة للخلاص بلا ندامة، لو أنه فيما بينه وبين نفسه في صراع عواطفه الشخصية ندم على الرسالة إلى حين، ولكنه الآن بالنعمة يذكرها بفرح مقيم ذلك لأن المحبة الكبيرة التي كانت فيهم، وعندئذ كم من الاجتهاد أنشأت في نفوسهم، وكم من الاحتجاج بل من الغيظ بل من الخوف بل من الشوق بل من الغيرة بل من الانتقام، في كل شيء مظهرين أنفسهم أبرياء حيث كانوا قبلاً جد ملومين! تلك ولا شك صورة قاسية ومؤلمة من صور محبتنا بعضنا لبعض ولكنها صورة حقيقية، وما أسعدنا بما لا يقاس أن نكون دائماً في غنى عن اللجوء إليها وذلك بالانتباه إلى كلمة الله وإطاعتها من القلب لكي نحفظ من كل شر.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

"إن أحب بعضنا بعضاً فالله يثبت فينا". هذه هي الطريقة العادية حيث يعمل الإيمان لا الجسد. وهذا يقود الرسول إلى افتتاح الكلام عن الحقيقة العظمى بشأن الروح المعطى لنا والذي به يثبت الله فينا.

وليس هذا هو كل ما يقول بل يضيف قائلاً "ومحبته قد تكملت فينا"، لقد سبق أن قال هذا القول وفي مناسبة أخرى. ففي (ص ٢: ٥) قال "وأما من حفظ كلمته فحقاً في هذا قد تكملت محبة الله". ذلك لأن حفظ كلمته هو طابع الطاعة والمميز الأكبر لها. فكل من يحفظ ليس فقط وصاياه في تفصيلاتها بل يحفظ كلمته في مجوعها "في هذا قد تكملت محبة الله". وهذا طبعاً لا يعني تلك الضلالة الغريبة الخاصة بكمال الإنسان الذاتي. إن الجسد لا يستأصل أو يباد طالما نحن نعيش على الأرض، ولكن الله قد دانه قي صليب المسيح، وقد صار علينا كمن لنا الحياة في المسيح أن نميت أعضائنا التي على الأرض، ولكن الجسد فينا وإن كان نحن لسنا فيه فيما بعد. والجسد لا يتغير أبداً إلى روح ولن يتلاشى طالما نحن هنا في خيمة اللحم والدم لكننا تحت التزام بالنعمة ألا نسمح له بالعمل، بل بالإيمان نضعه دائماً تحت قوة موت المسيح. بهذه الكيفية تتكمل محبة الله فينا بمعنى أننا ننفذها بحسب فكر الله. ليس لنا في ذواتنا ما نفتخر به. بل من القلب نطيع ومن القلب نحب، وذلك بقوة محبته نحونا وفينا. وهذا يفترض بالضرورة أننا نكون باستمرار متطلعين إلى الله وأنه يستجيب لصلواتنا وبهذا تتكمل محبته فينا. وهكذا تتم الطاعة وتجري المحبة بحسب فكرة.

والآن يتقدم الرسول إلى عطية الروح حيث يقول "بهذا نعرف أننا نثبت فيه وهو فينا أنه أعطانا من روحه".

نرى هنا شيئاً يزيد عما جاء في (ص ٣: ٢٤) بشأن عطية الروح القدس. فالأمر هنا ليس قاصراً على "الروح" بل "من روحه". لقد عمل الله في كثيرين بواسطة الروح لكن لا يقال عن أولئك أنه أعطاهم "من روحه". فكثيراً ما نقرأ عن عمل الروح في العهد القديم وأكثر منه في العهد الجديد. وكذلك نقرأ عن شركاء الروح القدس وقوات الدهر الآتي (عب ٦: ٤ و ٥) الذين سقطوا سقوطاً أبدياً. هؤلاء لا يقال عنهم مطلقاً أنهم ولدوا من الروح ولا أن الله أعطاهم "من روحه" لأن هذا التعبير يفترض الشركة الحقيقية الفعلية مع الله، والعهد الجديد يعطى لعبارة "من روحه" قوة أعمق مما يعطيها العهد القديم، وذلك لأنه بهذه الطريقة يثبت الله في المسيحي. ومع ذلك فهناك حالات كانت تستدعي لأغراض خارجية أن الله لا يعمل بقوة الروح بطريقة أو بأخرى. وفي كل حالة من هذه الحالات كان العامل هو روح الله، وهو روح القوة، ولذلك كانت تختلف عن عمله نتائج وتأثيرات تفوق بمراحل مقدرة الإنسان وتفوق أيضاً ما تستطيع الحياة الأبدية أن تفعله بدون الروح.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يقول الرسول إن الله يثبت فينا ونحن فيه، ولاحظ أنه يبدأ بالثبات فينا. وليس بثباتنا نحن الله فينا. وكأننا بذلك ننسحب من دائرة الذات ومن كل متعلقات الخليقة حولنا ونجعل الله مستقر قلوبنا حتى ونحن هنا على الأرض. وهذا هو المعنى المقصود من ثباتنا في الله، وجدير بنا أن نتطلع إلى الله باستمرار لننال نعمة تعيننا على الثبات فيه بهذه الصورة. ومتى ثبتنا فيه هكذا فهو يعمل فينا بقوة الشركة. ومن هنا يقال أنه أعطانا "من روحه". وهذا التعبير له معناه الخاص المستمد من تركيبه اللغوي إذ يدل بوضوح على أن ما نساهم فيه إنما هو من ذات نفسه له المجد. فما يقال أننا نساهم فيه هنا هو "من روحه".

ومع ذلك فهناك خطر كبير من أن نسيء فهم امتياز عظيم كهذا. فهناك أتقياء كثيرون يخلطون بين نوع معين من السعادة الداخلية في نفوسهم وبين ثبات الله فيهم، وهو نوع من الصوفية الغامضة، وهنا يكمن الخطر على أمثال هؤلاء المؤمنين البسطاء. فهم أشخاص عاطفيون تنحصر مشغوليتهم في فحص ذواتهم. وكل من قرأ مؤلفات وليم لو المشهور "William law" يدرك ما نقول، فقد كان واحداً من هؤلاء المتصوفين ولكنه كان مخطئاً خطأ جسيماً في إخفاء بل قل في إغفال نعمة الله في المسيح والاكتفاء الممارسات الطقسية ومشاعر الإنسان الداخلية، وقد فاته هو وأمثاله وإدراك حقيقة خراب الإنسان الكلي وحقيقة الفداء الكامل والحياة الأبدية في المسيح. إنهم يبذلون الجهد في أن يحبوا الله. فهي مجرد محاولة من جانبهم واستعداد للبرهنة على إخلاصهم في هذه المحاولة، ولكنه ليس الإيمان بمحبة الله الفادية وديونة الجسد الحاسمة والحصول على نصيب أفضل بما لا يقاس في المسيح الرب. إنهم يدينون بما يسمونه "التقديس المسيحي" وهو ليس تقيساً كتابياً على الإطلاق بل مجرد ظن حسن بحالتهم أساسه شعورهم بشيء من الغبطة في نفوسهم، وسبب هذا ونتيجة مشغوليتهم القصوى بنفوسهم واختباراتهم التي يخبرون بها بعضهم البعض للبنيان المشترك. ومن عجب أن لهذا التخبير أو الشهادة أهمية بالغة في نظرهم حتى أنهم ينظمون اجتماعات خاصة تحت قيادة كبير منهم يدلي كل منهم في خلالها بما يظنونه عملاً خاصاً قد أجراه روح الله في نفوسهم أسبوعاً فأسبوعاً. ولا يستطيعوا بطبيعة الحال أن يدلوك على أي مستند كتابي لتدعيم مثل هذا المبدأ في العهد الجديد.

ولكن روح الله يمجد المسيخ إذ يأخذ مما له ويخبرنا. وهو يقود إلى كل الحق. أما هذا النوع من التصوف فلا يمجد إلا الذات لأنه يدور حول مشاعرنا الخاصة. وهو لذلك عرضة لأن يقود إلى عبادة الذات لدى البعض أو إلى الغم وانكسار الخاطر لدى البعض الآخر ممن لا يقنعون بسهولة بما وصلوا إليه. ومن الخير أن نعلم أنه لا يوجد شيء في نفوسنا يدعو إلى القناعة أو الرضاء الروحي حتى بذلك نجعل المسيح كل شيء لنا كما هو فعلاً كل شيء. أما المشغولة بالقلب، ما لم تكن لإذلال أنفسنا بسبب ما، فهي إهانة لله بقدر ما هي خطر على نفوسنا.فالمشغولية بالذات ليست فقط غير مثمرة بل من شأنها أن تعوق

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

النمو في النعمة وفي معرفة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح. ومع ذلك فليس من شك في أن كثيرين من المسيحيين الحقيقيين قد وقعوا في شرك هذا الاختراع البشري الذي يدور بطبيعة الحال حول المشغولية بالذات دلاً من المشغولية بالمسيح يسوع وحول الفرح الخاص بدلاً من الفرح في الرب كل حين.

ولاحظ حرص الوحي الذي استخدمه للوقاية من هذا المبدأ الصوفي في العدد التالي مباشرة. ففي العدد الرابع عشر يحدثنا الروح القدس عن ابن الله الذي جاء من الآب مخلصاً للعالم. والواقع أن الحق المبارك عن المسيح كما هو معلن في الأناجيل هو خير علاج لسوء استخدام هذا الفحص الذاتي لأنه يثبت القلب على أساسه الإلهي كما أن كمال الفرح في المسيح يباعد بيننا وبين المشغولية بذواتنا أو حالتنا الحسنة كما تبدو بحسب تقديرنا ولذلك نرى الروح القدس يعود بنا من جديد إلى الاستقرار على ما فعله الله لأجلنا أي إلى ذات أساس الإنجيل نفسه وهل من شيء آخر يستطيع أن يعالج علاجاً كاملاً مثل هذه النظرات إلى الداخل؟ "ونحن قد نظرنا" – هنا اليقين الكامل – "ونشهد أن الرب قد أرسل الابن مخلصاً إلى العالم". كأن الرسول يقصد أن يقول: دع الآخرين يشغلون أنفسهم بما شاءوا وشاءت خيالاتهم، أما نحن فقد نظرنا ونشهد أن الأب قد أرسل الابن مخلصاً للعالم.

وما هي، أو ماذا ينبغي أن تكون، نتيجة حق كهذا يا ترى؟ أليس من شأنه أن يملأنا بحمد الآب والابن؟ ألا يشعرنا بأننا لا شيء في ذواتنا؟ فهو يرينا أننا لم نكن إلا مجرد خطاة ولكننا خلصنا بالإيمان بالنعمة. وقد نتساءل هل كنا حقيقة أردياء إلى هذا الحد وهل كان الله هكذا صالحاً؟ ولكننا إذا كنا بالروح القدس نؤمن إيماناً بسيطاً فلن نجد في نفوسنا ما هو جدير بمشغوليتنا ويحدثنا بالمقارنة مع نعمة هكذا غنية وأبدية أيضاً، وبهذه الطريقة يفطما الله عن أنفسنا وعن العالم وعن كل غرض آخر، ليلذذ نفوسنا فيه وفي ابنه. فإنه حتى العلم قد ينفخ وهو ينفخ فعلاً،أما المحبة، أي محبة الآب والابن فتبنى.

وكذلك من شأن هذا الحق أن يخلص النفوس من مبدأ آخر مناقض وهو مبدأ الذين يشغلون أنفسهم كمن تحت الناموس وبدلاً من أن يبحثوا عن شيء صالح في دواخلهم يحاولون أن يرضوا الله ويريحوا أنفسهم بنوع من التشاؤم اليائس فلا يكادون يرتفعون فوق القول "ويحي أنا الإنسان الشقي. من ينقذني من جسد هذا الموت؟" فهم يتجاهلون ما يعلنه الرسول للمؤمنين بفضل عمل المسيح، وأنه بدلاً من أن يخدموا كعبيد أجراء بقلوب مظلمة مدنسة قد صار من حقهم بفضل مخلص العالم أن يرتدوا "الحلة الأولى" وأن يأكلوا من "العجل المسمن" ويقاسموا الآب أفراحه لمجد الابن "لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس الخطية والموت" (رو ٨: ٢) ومما يضاعف غبطة العق أن ذات الشخص الذي عتق وتحرر حين تحول من الذات إلى المسيح هو نفسه الذي كان يئن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

تحت الناموس قبل ذلك (رو ٧: ٢٤). أو ليس ذلك أفضل بكثير من مبادئ الانفعالات العاطفية أو الأنين التي تقود أصحابها إلى المشغولية بذواتهم بمختلف الطرق والأساليب؟ أليس خيراً منها أن يفرغوا من الذات بإدانة الجسد إدانة قاطعة كاملة كامل فعل الله على الصليب وأن يجدوا المسيح جديراً بكل تفكيرهم ومصدراً لسلام مقيم وفرح دائم؟ عندئذ تختبر أن مشيئة الآب وعمل الابن وشهادة الروح هي الأمور التي نحن مدعوون لأن نفرح

والواقع أن الحق المبارك عن المسيح كما هو معلن في الأناجيل هو خير علاج لسوء استخدام هذا الفحص الذاتي لأنه يثبت القلب على أساسه الإلهي كما أن كمال الفرح في المسيح يباعد بيننا وبين المشغولية بذواتنا أو حالتنا الحسنة كما تبدو بحسب تقديرنا ولذلك نرى الروح القدس يعود بنا من جديد إلى الاستقرار على ما فعله الله لأجلنا أي إلى ذات أساس الإنجيل نفسه وهل من شيء آخر يستطيع أن يعالج علاجاً كاملاً مثل هذه النظرات إلى الداخل؟ "ونحن قد نظرنا" – هنا اليقين الكامل – "ونشهد أن الرب قد أرسل الابن مخلصاً إلى العالم". كأن الرسول يقصد أن يقول: دع الآخرين يشغلون أنفسهم بما شاءوا وشاءت خيالاتهم، أما نحن فقد نظرنا ونشهد أن الأب قد أرسل الابن مخلصاً للعالم.

وما هي، أو ماذا ينبغي أن تكون، نتيجة حق كهذا يا ترى؟ أليس من شأنه أن يملأنا بحمد الآب والابن؟ ألا يشعرنا بأننا لا شيء في ذواتنا؟ فهو يرينا أننا لم نكن إلا مجرد خطاة ولكننا خلصنا بالإيمان بالنعمة. وقد نتساءل هل كنا حقيقة أردياء إلى هذا الحد وهل كان الله هكذا صالحاً؟ ولكننا إذا كنا بالروح القدس نؤمن إيماناً بسيطاً فلن نجد في نفوسنا ما هو جدير بمشغوليتنا ويحدثنا بالمقارنة مع نعمة هكذا غنية وأبدية أيضاً، وبهذه الطريقة يفطما الله عن أنفسنا وعن العالم وعن كل غرض آخر، ليلذذ نفوسنا فيه وفي ابنه. فإنه حتى العلم قد ينفخ وهو ينفخ فعلاً،أما المحبة، أي محبة الآب والابن فتبنى.

وكذلك من شأن هذا الحق أن يخلص النفوس من مبدأ آخر مناقض وهو مبدأ الذين يشغلون أنفسهم كمن تحت الناموس وبدلاً من أن يبحثوا عن شيء صالح في دواخلهم يحاولون أن يرضوا الله ويريحوا أنفسهم بنوع من التشاؤم اليائس فلا يكادون يرتفعون فوق القول "ويحي أنا الإنسان الشقي. من ينقذني من جسد هذا الموت؟" فهم يتجاهلون ما يعلنه الرسول للمؤمنين بفضل عمل المسيح، وأنه بدلاً من أن يخدموا كعبيد أجراء بقلوب مظلمة مدنسة قد صار من حقهم بفضل مخلص العالم أن يرتدوا "الحلة الأولى" وأن يأكلوا من "العجل المسمن" ويقاسموا الآب أفراحه لمجد الابن "لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس الخطية والموت" (رو ٨: ٢) ومما يضاعف غبطة العق أن ذات الشخص الذي عتق وتحرر حين تحول من الذات إلى المسيح هو نفسه الذي كان يئن تحت الناموس قبل ذلك (رو ٧: ٢٤). أو ليس ذلك أفضل بكثير من مبادئ الانفعالات العاطفية أو الأنين التي تقود أصحابها إلى المشغولية بذواتهم بمختلف الطرق والأساليب؟

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أليس خيراً منها أن يفرغوا من الذات بإدانة الجسد إدانة قاطعة كاملة كامل فعل الله على الصليب وأن يجدوا المسيح جديراً بكل تفكيرهم ومصدراً لسلام مقيم وفرح دائم؟ عندئذ تختبر أن مشيئة الآب وعمل الابن وشهادة الروح هي الأمور التي نحن مدعوون لأن نفرح بها من الآن، كما سنفرح بها إلى الأبد.

وإنها لمقارنة جميلة مع مقارنات الكتاب أن أول مكان فيه وجد الرب نفسه معترفاً به كمخلص العالم كان في السامرة. وقد جاء هذا الاعتراف عقب مشهد البئر العجيب حيث نرى المرأة التاعسة التي لها خمسة أزواج والذي لها الآن هو ليس زوجها قد نالت الحياة الأبدية بالإيمان بالرب يسوع. وكذلك قد أخبرها المخلص المجيد يومئذ بانحلال ديانتي فلسطين المتعارضتين، لا فارق بين جبل السامرة أو أورشليم، وأنه من الآن فصاعداً سيكون هناك سجود يختلف عن الأول كل الاختلاف، سجود قد أعلن الرب نوعه وجوهره من تلك اللحظة عينها – "تأتي ساعة وهي الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له".

بهذه الصورة أعلن ملء النعمة للمرأة السامرية المسكينة التي كان الحق قد بدأ يعمل فيها. لقد نخست فس ضميرها وتنبهت في نفسها، ولكنها بعد ذلك عرفت من هو الذي كان يتكلم من الله إلى قلبها والذي قبلته الآن بكل بساطة الإيمان، كما أصبحت فيما بعد رسولاً للآخرين تكلمهم عن ذاك الذي آمنت به. وتبارك اسم سيدنا فقد عامل أولئك السامريين بكرم نعمته وعمل معهم ما لا نجده قد عمله في أي مكان آخر أثناء خدمته، إذ مكث عندهم يومين. ومن ثم أخذوا يشهدون عنه ليس بسبب كلامها فقط حين أخبرها بكل ما فعلت بل لأنهم "سمعوا وعلموا أن هذا هو بالحقيقة مخلص العالم". نعم فقد اعترف أولئك السامريون في ذلك اليوم الباكر بلقب الرب الكريم الذي يذكره الرسول هنا "مخلص العالم"، مع فارق واحد بطبيعة الحال وهو خلو اعترافهم من الحقيقة الخاصة بإرسال الآب للابن، وهي حقيقة لم يكونوا يعرفونها وما كانوا يجسرون أن يتوقعوها. فلا هم ولا سواهم كانوا يومئذ حاصلين على الروح القدس الذي به "نصرخ يا أبا الآب" ولكنهم اعترفوا، وكان لهم الشرف بأن كانوا أول من اعترفوا، بأن يسوع هو "مخلص العالم". فالأمر عندهم لم يكن أمر يهود أو سامريين، بل مجرد خطاة، ولهذا فإن الخلاص لهم كما لكل إنسان آخر وكان هذا الاعتراف بالرب كمخلص العالم سابقاً لدخوله تبارك اسمه في ميدان خدمته الجهارية فإن هذه الإصحاحات الأولى من إنجيل يوحنا تحدثنا عن أعمال الرب قبل تسليم يوحنا المعمدان وبالتبعية قبل ذهاب السيد إلى الجليل، الأمر الذي يضفي جمالاً على هذا الاعتراف والمناداة بحق عظيم كهذا وهو أن الرب يسوع هو مخلص العالم.

إذاً فقد كان اعتراف السامريين صورة مبكرة للإنجيل مبعثها الإحساس الصحيح بنعمة الرب وفضله الشخصي. فهو ليس قط مخلصاً، وليس فقط مخلصاً لشعب إسرائيل الذي كان

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ينتظر المسيا، بل "مخلص العالم". حتى في ذلك الوقت سطع الحق من خلال السحب وأضاء النور في قلوب السامريين المحتقرين الجهال فكانوا أول من اعترفوا به هكذا. أما هنا في الرسالة فنجد الشهادة الرسولية "ونحن قد نظرنا ونشهد أن الآب قد أرسل الابن مخلصاً للعالم".

ولكن كيف يتسنى لنا أن نعرف أن خاطئاً قد خصص لنفسه نعمة المسيح وحقه؟ كيف يتسنى لنا أن نقتنع بأن حق الله المخلص قد وصل إلى نفس شخص ما وأدخله إلى دائرة الشركة الوثيقة مع الله كما يصفها الرسول؟ الجواب نجده في العدد التالي: "من اعتراف أن يسوع هو ابن الله فالله يثبت فيه وهو في الله".

والآن أليس هذا ضماناً عجيباً تتلقاه النفس؟ لقد رأينا في العدد السابق المؤمن المخلص البسيط يتقبل الأخبار المفرحة بأن الآب أرسل الابن ليكون مخلصاً للعالم لكنه ليس مجرد الخضوع للمسيا ملك إسرائيل الآتي بل الإيمان به كابن الله. وتبارك اسم إلهنا فلا حدود لنعمته إذ هي تشمل "كل من" ولا يوجد ما هو أوسع مدى من "كل من". وهو ليس "يؤمن فقط بل "يعترف" فهو قد تخطى كل الصعاب والشكوك والمخاوف. لقد وزن الحق وأحس بالنعمة ودان نفسه ولم يبق عنده أقل تردد بعد. وها هي بركة الرب تسكب على رأسه"بغنى. هكذا قال الرسول "إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وأمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت" مؤكداً جواب الله على عمل المسيح. أما هنا فإن الرسول يوحنا كعادته يضع نصب عينه مجد شخص الابن، لكن في ملء نعمته في الإنجيل نحو الهالكين. والخاطئ إذ تحول من ذاته ومن كل أسانيد الخليقة يعترف أن يسوع هو ابن الله. وماذا تكون النتيجة؟ "الله يثبت فيه وهو في الله" على أنه ما من شخص يستطيع بحق أن يعترف به اعترافاً مخلصاً كابن الله دون أن يؤمن أيضاً يعمل الفداء الذي أتمه وقبله الله. أما لعديم الإيمان فهي أشياء غامضة من أولها لآخرها. قد يتفوه الناس بأقوال الاعترافية لكنهم لا يدركون الحق الذي تنطوي عليه. فالمفروض والحالة هذه أن يكون الاعتراف صادراً من أعماق قلب المؤمن الحقيقي بحسب الله. أعني أنه يقرر أن يسوع، ذاك الذي لم تعده الجموع سوى مجرد إنسان ولو عظيماً، هو بالحقيقة ابن الله. من ذا يستطيع أن يشك عندئذ في كفاية فدائه؟ والحقيقة السامية العجيبة التي يطالعنا بها هذا العدد هي أن كل من يعترف بيسوع كابن الله ليس له فقط الحياة ومغفرة الخطايا وعطية الروح القدس بل أسمى الامتيازات الروحية التي يمكن أن تخطر على بال. فهل هناك ما هو أسمى من ثبات الله في المؤمن وثبات المؤمن في الله؟ لا شك أنه على قدر سمو حالتك روحياً على قدر ما يكون إدراكك لهذه الحقيقة وتمتعك بها. ولكن الرسول هنا يخبر المسيحي المعترف بأن هذا هو نصيبه. فليتنا نتمتع بهذا الحق ونجتر عليه! ويا ليت إلهنا يقطع كل ما من شأنه أن يبلد حاسيتنا أو يقلل تقديرنا لهذا الامتياز المبارك العجيب!

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وفي العدد السابع عشر يتابع الرسول تطبيق هذا الحق عملياً فيقول "ونحن قد عرفنا وصدقنا المحبة لله فينا". فليست هناك أية رائحة من الغموض في الجواب على المبدأ العام، بل بكل يقين وثبات يقرر الرسول "ونحن (بلغة التخصيص والتحقيق) قد عرفنا وصدقنا المحبة التي لله فينا". أجل، فهي محبة ليست فقط من "نحونا" بل " فينا" ويزيد في بهجتنا وتقديرنا أن هذه المحبة فاضت نحونا أولاً لما كنا أبناء الغضب. وبعد ذلك يكرر كلمته المأثورة "الله محبة" مقرنا إياها هذه المرة بالقول "ومن يثبت في المحبة يثبت في الله". هذا أسلوب جديد في الكلام عن المحبة. فالرسول يقصد أن يقول أنه إذا كان المؤمن ثابتاً في المحبة التي من الله فلا يسعه إلا أن يكون مع الله في حالة الاطمئنان والثقة الكاملة، فإن المحبة الصادرة من صلاحه والتي بذلت المسيح لكي يموت حتى أحصل على هبة البر الكامل تغفر خطاياي وتجعلني ابناً لله دون استحقاق من جانبي وتجعله له المجد يثبت في، والمحبة التي فيه تولد محبة في، وإذ أثبت في المحبة أثبت في الله والله في. هذه ليست مجرد زيارة بين الفينة والفينة بل ثبات واستقرار وسكنى دائمة للمسيحي. فهي عادته ومقره ودائرة سكناه وإقامته الدائمة. وبعبارة أخرى تكون المحبة منزلة. فهل هناك بركة أكرم من هذه؟ ومع ذلك فما أبسطها إذ كنا نصدق ونؤمن. هي بركة من شأنها أن تهدم كل علو يرتفع ضد معرفة الله. والرسول هنا لا يخاطب اللاهوتيين أو الفلاسفة أو علماء الدين بل يكتب إلى أولاد الله حتى لا يتخلف أحد منهم عن إدراك قافلة الإيمان والمحبة، بل بالأحرى لكي يزداد الكل في معرفة محبة الله التي بدأوا بها ولكي يزدادوا تمتعاً بإله المحبة.

على أنه يجدر بنا أن نلاحظ بعض الفوارق المعينة بين ثباتنا في الله وثبات الله فينا. فهناك ثلاث صور مختلفة لهذه البركة. وأولى هذه الصور من حيث الزمن هي أن الله يثبت في المسيحي. وقد رأينا من لحظات مضت أن كل من يعترف أن يسوع هو ابن الله يتمتع بالبركة بصورة مزدوجة (ع ١٥) أي أن الله يثبت فيه وهو في الله.

وكيف يثبت الله فيه؟ بالروح الذي أعطانا كما (ص ٣: ٢٤) حيث نعرف أن الله يثبت فينا. ثم في (ص٤: ١٣) يتقدم خطوة أوسع فيقول "بهذا نعرف أننا نثبت فيه وهو فينا أنه قد أعطانا من روحه".

ثم في العدد الذي نحن بصدده نقرأ عن ثباتنا فيه الأمر الذي لم يكن ليتم لولا أنه بالنعمة السامية تنازل ليثبت فينا بواسطة هبة الروح، ذلك الروح الذي يجذبنا بالتبعية لكي نثبت فيه. فكيف إذن علل الترتيب الذي سلكه الله فينا ولكن بقوة الشرك المستمدة من شركتنا معه في روحه (إذ هو أعطانا من روحه) ليس فقط يثبت المؤمن في الله بل الله فيه وذلك بالصورة الثالثة من هذه القوة الخاصة وهذا تؤيده الإشارة الخاصة الأخرى الواردة في العدد ١٦ حيث يقول: "ومن يثبت في المحبة ثبت في الله والله فيه" نظير ما جاء في العدد

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

١٣. فكلا العددين (١٣ و ١٦) يتضمنان أسبقية بركات ثبات الله فينا ولكنها يضيفان البركتين الأخريين. أما القوة الروحية فهي النتيجة الثالثة وهي حالة خاصة. فمن جهة عامة نرى أن "كل من يعترف أن يسوع هو ابن الله" يتمتع بالصورتين الأولى والثانية من البركة أي ثبات الله فيه وثباته هو في الله. أما الصورة الثالثة فتضاف هنا فقط حيث الأمر ليس قاصراً على الروح بل "من روحه" وهو تعبير قوي يدل على عمق الشركة.

إن ثبات الله في المسيحي يتم بنواله عطية الروح، بهذا نعرف أن الله يثبت فينا، وهي حقيقة عجيبة ولو أنها ليست كل البركة كما يقول لنا الرسول. ثم هناك ما لهذه الحقيقة من تأثير فينا إذ ونحن نعرف محبته نثبت فيه. ونستطيع أن نقول عن الصورة الأولى من البركة أنها عملية نعمة يجريها الله من جانبه تكريماً لخدمة يسوع المعترف به كابنه المحبوب فهو يختمنا بالروح كمفديين بدمه، على حد تعبير الرسول بطرس في هذا الشأن. وهذا كله معناه ثبات الله في المؤمن. أما الصورة الثانية من البركة فهي صدى وجواب قلب المسيحي الذي يعتمد دائماً على الله في خضوع وثقة المحبة عوضاً عن التحول إلى الذات أو الآخرين لمواجهة الصعاب. وهذا هو الثبات في الله، أي استحضار كل شيء أمام ذاك الذي من فرط محبته اتخذ من المؤمن مقراً لسكناه. فكما أنه تنازل في نعمته واقترب منا إلى هذا الحد حتى جعلنا مسكناً له هكذا نحن بترحيب منه نجعله مسكننا. هذا على ما يبدو هو الفرق بين ثبات الله فينا وثباتنا في الله.

وهكذا تتم الصورة الثالثة للامتياز الإلهي، أي القوة الناتجة عن هذه الشركة العجيبة. فالأولى هي عمل إلهي مطلق، والثانية هي تأثير واختبار الثقة فيه، والثالثة هي القوة المترتبة على بركة عظمى كهذه. هنا يبدو ضعفنا الملموس فإننا في الواقع معرضون لأن نقصر دون الوصول للنتيجة الكاملة في هذا العالم الفاشل – الأمر الذي ينبغي ألا يكون والذي من شأنه أن يذللنا ويجعل وجهنا في التراب، لأننا إذا كنا قليلي التكريس وضعيفي القوة الروحية فالسبب فينا وليس في أحد سوانا.إن الأخطاء في الآخرين ليست هي السبب ولا هي عذر مقبول وإنما الفشل فشلنا نحن. فإن أثارنا أحد فلا بد فينا من شيء يثار. وهذا لا يمكن أن يكون ولو أننا ثابتون في الله والله فينا. على أنه إذا كان ثبات الله فينا وثباتنا فيه هو نصيب كل مسيحي كما يوح الرسول، فكم هو محزن أن يكون الأمر كذلك من حيث المبدأ فقط وليس من حيث العمل والسلوك. ليتنا نحرض بعضنا بعضاً على أن يثمر المبدأ فينا اختباراً عملياً وسلوكاً فعلياً، عالمين أن نعمته كفيلة بأن تحقق هذا كله لمجد اسمه العظيم طالما كنا على استعداد للتذلل ووضع أنفسنا في التراب كلما شعرنا بإهانتنا إياه، فإنه والحق يقال أمر لا يليق بمن تباركوا كمسيحيين أن يقل في نفوسهم الشعور بالندم والحكم على الذات. ولكن ليتنا بالحري نفرح باختبارنا أمانة الله من نحو كلمته واستعداده لتحقيق مثل هذه الامتيازات العجيبة في حياتنا.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الرسالة الأولى: الخطاب الخامس عشر

١ يو ٤: ١٧ – ٢١

"بهذا تكملت المحبة فينا أن يكون لنا ثقة في يوم الدين لأنه كما هو في هذا العالم نحن أيضاً. لا خوف في المحبة بل المحبة الكاملة تطرح الخوف إلى خارج لأن الخوف له عذاب وأما من خاف فلم يتكمل في المحبة. نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولاً إن قال أحد إني أحب الله وأبغض أخاه فهو كاذب. لأن من لا يحب أخاه الذي أبصره كيف يقدر أن يحب الله الذي لم يبصره. ولنا هذه الوصية منه أن من يحب الله يحب أخاه أيضاً."

كانت العبارة الأخيرة من الأعداد موضوع الخطاب السابق مثاراً لمعضلة مصدرها طبيعة القضية التي تناولتها تلك العبارة، أما الأعداد التي نحن بصددها الآن فتهيئ لنا الفرصة للتأمل في العلاقة بين تلك القضية (ثبوت الله فينا وثبوتنا في الله) والموضوع الخطير الذي تطالعنا به هذه الأعداد مجردة من تفاصيلها وقاصرة على خطوطها الرئيسية البسيطة. ون ذا الذي يرتاب في أن المؤلف الإلهي رأى في حكمته أن ينحو هذا الأسلوب ليجتذب به اهتمام كل مسيحي ويركز انتباهه في أمر يظنه الجميع فوق متناولهم ولا يمكنهم الوصول إليه عملياً وبما أن هذا الفصل جزء من رسالة موجهة أكثر من غيرها إلى جميع أولاد الله سيما وأنها ليست مصدرة باسم خاص لجماعة خاصة، أفلا ينبغي أن نعيره اهتماماً خاصاً؟ ولاشك أننا سنجد أن إيمان المسيح الصحيح يخول الحق لكل مسيحي حقيقي – بفضل الحياة في الابن وسكنى روح الله – أن يقرأ هذا الفصل ويتأمله من جديد في حضرة الله واثقاً في محبته أنه يعطينا ليس فقط إدراكاً روحياً أوسع بل قوة على تحقيق وتخصيص البركة التي يبسطها أمامنا للتمتع بها. لقد تذوق الكثيرون منا في مناسبات كثيرة حلاوة اكتشاف ما في هذا الجزء أو ذاك من كلمة الله في الكنوز الإلهية المتنوعة بإرشاد روح الله، حيث لم تكن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عيوننا ترى قبلاً سوى القليل أو لا شيء على الإطلاق. وهذا ينطبق بالأكثر على الفصل الذي أمامنا حيث المقصود به قطعاً توسيع وتعميق شركتنا مع الله.

بعد تبيان المحك المزدوج الذي نقيس به حقيقة الأنبياء الكذبة في الستة الأعداد الأولى من إصحاحنا – وهو الاعتراف بالرب يسوع كمن جاء في الجسد ثم الإعلان الرسولي أي العهد الجديد – يتناول الرسول بأسلوبه الخاص موضوع المحبة العظيم في قوة لا تقل عن قوة بولس في (١ كو ١٣). فعلى أولاد الله أن يحبوا بعضهم بعضاً لأن المحبة من الله وكل من يحب قد ولد من الله ويعرف الله. وفي هذا نرى على الفور أن يوحنا يعتبر المحبة شيئاً غير منفصل إطلاقاً عن الحق العظيم الخاص بالحياة الأبدية في المسيح وبالتبعية غير منفصل عن نسبتنا لله نفسه ومعرفتنا الروحية به. إذاً فالدائرة التي يتعامل فيها المسيحي على الأرض ليست فقط تسمو على المعرفة البشرية بل على لعواطف الطبيعية، إذ هو يتعامل مع شركاء قديسين هنا على الأرض ولكن على أسس ليست فقط فوق الطبيعة بل أسس إلهية، وبطريقة مباشرة، كما سنرى، مع الله وفي محضره. ومع ذلك فلكل مسيحي حصته الخاصة في هذا المضمر، ليس للتقدم في غيره أو الرغبة في إعلاء ذاته والظهور بمفرده كأنه كوكب لامع وحده، بل في كمال الشعور بثبات الله فيه وثباته في الله والسلوك ليس فقط في النور بل في محبة الله التي هي طبيعته ومصدر طبيعة المسيحي الجديدة.

وبما أن هذا من شأنه أن يقود إلى الداخل أو ما يجري في النفس وقد يؤدي إلى الانتفاخ (لأنه في الواقع شيء عجيب كما هو حقيقي) فإن الوحي يخبرنا في الحال بما أجراه الله خارجاً عنا فيقول "بهذا أظهرت محبة الله فينا أن الله أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكي نحيا به. في هذا هي المحبة ليس أننا نحن أحببنا الله بل أنه هو أحبنا وأرسل ابنه كفارة لخطايانا". أي نعم أي مجرد "التمثل بالمسيح" لا يكفي. لقد كنا في حاجة إلى ظهور محبة الله اللانهائية في مجيء المسيح، أولاً لكي نحيا به نحن الذين كنا أمواتاً وثانياً لكي يجعل خطية وذبيحة كفرية لأجلنا نحن الذين كنا مذنبين وخطاة دنسين. فالمحبة التي صنعت هذا كله، وصنعته إلى التمام، كانت محبته وحده وليست محبتنا على الإطلاق. فنحن تلاميذ يسوع وحده،ولسنا بحال تلاميذ الكمبيسي أو أية مدرسة صوفية أخرى والهدف الواضح هو تأسيس الحق على ما هو الله لنا وليس على ما نحن لله أو ما نرغب أن نكون له.

بعد توضيح ذلك بما لا يزيد، يحرضنا الرسول قائلاً أنه مادام الأمر هكذا، ومادام الله قد أحبنا هكذا، ينبغي لنا أيضاً أن يحب بعضنا بعضاً. طبيعي أننا نحب الله، وما كان ليسعنا إلا أن نحبه ما دمنا نصدق محبته العظمى في المسيح لأجلنا، لكن ينبغي أن نحب أولئك الذين يحبهم كما يحبنا والذين هم أولاده مثلنا. بعد ذلك يعقب الرسول بتلك الإشارة العجيبة إلى (يو ١: ١٢) فيما يتعلق بالابن الوحيد "الله لم يره أحد قط" وانطباقها على الأولاد الله في (١ يو ٤: ١٢) لقد قام المسيح بإعلان الله الغير منظور إعلاناً كاملاً، فماذا نحن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

فاعلون بمحبتنا بعضنا لبعض، إن كنا نحب هكذا "فالله يثبت فينا ومحبته قد تكملت فينا". على أن ذلك لم يكن ميسوراً لولا حصولنا على الحياة في المسيح، بل أننا كنا بحاجة إلى ما هو أكثر من ذلك وقد أعطيناه فعلاً أي "من روحه" (ع ١٣) لأن الروح نفسه الذي نزل واستقر على المسيح على أساس كماله الشخصي الذاتي يمكث فينا الآن على أساس عمله لأجلنا على الصليب. بهذا يثبت الله فينا ونستطيع نحن أن نثبت في الله ونعرف أننا نثبت فيه وهو فينا وبهذا وحده نحفظ من التذكير في أنفسنا فوق ما ينبغي، في حين أنا لنا بالنعمة ملء الحرية للتفكير في محبة الله شركتنا معه إلى أقصى حد.

بعد ذلك يحدثنا الرسول عن شهادة الإيمان القاطعة. فإن ذات لاشيء الذي فوق الطبيعة البشرية، ليس فقط الرؤية بل النظر، قد أصبح الآن من خصائص الشهود (ع ١٤). "ونحن قد نظرنا ونشهد أن الآب قد أرسل الابن مخلصاً للعالم" وذلك ليس في صورة رؤيا أو نظرة خارجية، بل حقيقة مؤكدة لعين الإيمان في قوة الروح القدس. فكل "من يعترف أن يسوع هو ابن الله" ينتقل بذلك إلى البركة "الله يثبت فيه وهو في الله". هذا هو ترتيب عمل الله بالنعمة، يؤيده عدد ١٦ حيث يربط الرسول نفسه مع سائر المسيحيين بقوله "ونحن قد عرفنا وصدقنا المحبة لله فينا" نعم، فلذلك ليس قاصراً على الرسل، بل هو تعبير عن شركة جميع المسيحيين مع الله المؤسسة على الحياة الجديدة وإتمام الكفارة، والتي نمارسها بالروح القدس لمشاركة الله في لذته بالمحبة كأولاده عالمين أن "الله محبة ومن يثبت في المحبة يثبت في الله والله فيه" هذا هو ترتيب الاختبار والقوة الروحية. كل شيء فيه حقيقية ولازم لتحقيق شركة المسيحي مع الله، وكل شيء مذكور هنا في مكانه الصحيح لتشجيع القديسين البسطاء ولتوبيخ المتهاونين المهملين الذين لا يكترثون بمثل هذا الرضا والفرح الإلهي. وما أبعد هذا عن كل ادعاء بحلم أو رؤية أو أي شيء من شأنه أن يرفع المسيحي في عيني نفسه أو أعين الآخرين.

قد يظن أنه ليس من مزيد بعد هذه الحقائق السامية التي بسطتها الرسول أمامنا بسطاً غنياً. فقد أتى بنا إلى مورد كل بركة وهي محبة الله التي وهبتنا قيمة حياة المسيح وموته يوم كنا أمواتاً في ذنوبنا وخطايانا، ثم كشف لنا عن المحبة الإلهية عاملة فينا بعضنا نحو بعض كمن ولدنا من الله وكم نعرفه ولنا الروح القدس ماكثاً فينا ليعيننا على الثبات في الله والتمتع بالقوة الروحية التي هي وليدة ذلك الثبات. كما حرص الرسول على أ، يرينا أن هذا كله من حق كل مسيحي بالنعمة، وإنما يحتاج الأمر لتحقيقه أن تكون نفوسنا في شركة مستمرة بشأنه. هذه كلها بركات ونعم غنية لكن العدد ١٧ يتوج القائمة بإحسان آخر مجيد "بهذا تكملت المحبة فينا أن يكون لنا ثقة في يوم الدين لأنه كما هو في هذا العالم هكذا نحن أيضاً".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ما أعظمها غبطة هذه التي تعلن الآن للمسيحي! إنها ليست مجرد المحبة الإلهية ظاهرة في قضيتنا يوم كنا لا نستحق شيئاً على الإطلاق وعاجزين عن فعل أي خير أو صلاح، ولا هي المحبة عاملة فينا كأولاد الله لنحب بعضنا بعضاً على قياس محبته ولا هي كذلك أنين الروح القدس فينا نحن الذين نئن كقديسين معتقين في أجساد لم تعتق بعد وسط خليقة تئن بأجمعها انتظاراً للعتق الذي سيتم لها يقيناً حينما يظهر الرب يسوع بالقوة والمجد. بل أن يوحنا يحدثنا هنا عن الروح القدس عاملاً من الآن في هذا العالم في أولاد الله في قوة المحبة الإلهية وفي التمتع بحضرة الله. وفي هذا قد تكملت المحبة. وهو يحدثنا عن هذا الرضا الفائق وسيعلن تكيل المحبة فينا لكي يكون لنا ثقة في يوم الدين. ولاشك أن هذه "الثقة" تتعارض على خط مستقيم بل تسمو فوق كل ظن بأن المؤمن سيأتي إلى دينونة، وأقصد بطبيعة الحال دينونة أبدية، دينونة البر التي تقضي على الإنسان لمذنب أو حتى على الإنسان الفاشل ذلك لأن الدينونة الإلهية التي سيجريها الرب يسوع ستدخل في حسابها سرائر القلب وأقوال الشفتين كما وكل عمل من أعمال الجسد. وهل من ابن لآدم يمكن أن يدخل في دينونة كهذه ويخرج منها سليماً معافى؟.

ولذلك فإنه حتى في العهد القديم حيث النور فيا يتعلق بدينونة الأموات ضئيل جداً بالقياس إلى ما يكشفه العهد الجديد، نجد داود يقول في سفر المزامير "لا تدخل في المحاكمة مع عبدك فإنه لن يتبرر قدامك حي" (مز ١٤٣: ٢). ومن هنا نتعلم أنه ليس فقط الخاطئ المهمل بل حتى "عبد" الرب (وهو قديس بالطبع) إن دخل الرب معه في محاكمة فإنه لن يتبرر، لا هو ولا أي حي آخر فإن المحاكمة أو الدينونة لا تتجاوز عن الوقائع ولا تغتفر الخطايا، ومن المحقق أنه لا يوجد إنسان بلا خطية. فكيف الخاطئ أن يتبرر أو يخلص؟

وقد تناول الرب في أيام جسده هذه المعضلة الرهيبة بلغة واضحة بسيطة (يو ٥) فتكلم عن نفسه كابن الله المتجسد الذي له أ، يعطي حياة لكل من يؤمن به، وكم له الحق في إجراء الدينونة على الأشرار الذين يرفضون ويزدرونه. فهو يعطي حياة للمؤمن، أما غير المؤمن فسيديه. ولكن العدد ٢٤ يفتح في الحال طريق الخلاص بالقول "الحق الحق أقول لكم أن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية ولا يأتي إلى دينونة بل قد ينتقل من الموت إلى الحياة". فهو له المجد يعلن أن كل من يسمع كلامه (والوصايا العشر وما على غرارها لن تفيد شيئاً) ويؤمن بالذي أرسل المخلص (إذ من المحتم أن تنحني النفس لله بخصوص إرسالية محبته العظمى هذه) فله حياة أبدية ولا يأتي إلى دينونة بل قد انتقل إلى الموت إلى الحياة.

ومعنى هذا أن المؤمن لن يحاكم على إثمه كغير المؤمن، فهو قد انتقل (إذا كنا نصدق الرب) من الموت إلى الحياة، ذلك لأنه بقبول المسي قد قبل الحياة الأبدية والإيمان بكرم المسيح، أما غير المؤمن فلا يكرمه ويزدري بكلامه ولا يصدق الله حين أرسل المسيح في

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إرسالية المحبة، وعلى ذلك فلا بد من تقديمه للمحكمة كما سيئال المؤمن قيامة الحياة التي تذكر هنا صراحة بالمقابلة مع قيامة الدينونة. ومع ذلك فإن المؤمن بعد قيامته من بين الأموات سيعطي حساباً للرب يسوع عما فعله في الجسد. ولا ننسى أنه سيكون قد أخذ إلى السماء حين يعطي هذا الحساب. وهذا لا يتفق بطبيعة الحال التي سيساق إليها الأشرار والتي كما يؤكد الرب لن يأتي إليها المؤمن. إن الرب على الصليب قد حمل خطايا المؤمن، وبذلك سوى بالنعمة مشكلة تلك الخطايا. ومع ذلك فإن المؤمن لابد أن يظهر (ولا يقال يدان) أما كرسي المسيح لكي يعرف كما عرف فيتم تقديره لنعمة الله في خلاصه.

فصل آخر في الكتاب يتناول نفس النقطة هو (عب ٩: ٢٧ و ٢٨) حيث يوازن بولس في ذينك العددين بين نصيب الإنسان أي الموت والدينونة ونصيب المؤمن أي ما عمله المسيح من أجله فعوضاً عن الموت يجد المسيح يقدم نفسه ليحمل خطاياه في موته بدلاً عنه، وعوض الدينونة يجد ظهور المسيح بلا خطية للخلاص (أي ظهوره لا لكي يعالج موضوع الخطية مرة أخرى بل للخلاص النهائي) ومعنى هذا أن الخلاص (لا الدينونة) ينتظر أولئك الذين ينتظرون رجوع الرب مرة أخرى.

والواقع أنه ما على المسيحي إلا أن يتأمل في حقيقة التبرير كما تعلنه كلمة الله حتى يرى سخافة الفكرة القائلة بدينونة عامة للخطاة والقديسين، الأمر الذي يتعارض تماماً مع الإنجيل وإن كان الكثيرون يقولون به مع الأسف الشديد على أن التناقض الذي تنشئه مثل هذه العقائد الخاطئة لا يحتاج إلى إيضاح لأنه ما من أحد يستطيع أن ينكر أن ربنا سيأتي للمسيحي وللكنيسة في مجموعها ولقديسي العهد القديم أيضاً، وأنه له المجد ليس فقط يأخذهم إلى نفسه في الهواء بل إلى بيت الآب، ومع ذلك فإن الزعم بدينونة عامة (وهو زعم مؤسس في الغالب على دينونة الرب للشعوب في نهاية الرب للشعوب في نهاية الدهر كما جاء في (مت ٢٥: ٣١ - ٤٦) يتضمن بالضرورة دخول الذين بررهم الله (لأن الله هو الذي يبرر) في دينونته بعد أن يكونوا قد أصبحوا في الحالة الممجدة لكي يمتحنهم مخلصهم لعله يجد في نهاية الأمر أنهم من الهالكين! وهذا خلط بطبيعة الحال لا يليق بنعمة الله ولا بإنجيل المسيح. فإذ كانوا ينكرون مثل هذا الاستنتاج – لأنه في الواقع ليس هناك من مؤمن مستنير إلا وينكره – أفلا يدركون أنهم بزعمهم هذا يجعلون من دينونة المؤمنين مجرد عبث لا يليق الله إذا كانوا قد انتزعوا منها شوكتها المرعبة وحولها إلى مجرد إعلان بأنهم مخلصون؟ إنه من الخير لهم أن يفتشوا الكتب ليروا هل هي تتفق تماماً مع كلمات الرب ذات السلطان والتي تؤكد بأن المؤمن لا يأتي إلى دينونة، فإن الدينونة محفوظة فقط للإنسان بدون المسيح، الإنسان المذنب الخاطئ في ذاته.

ففكرة الدينونة العامة التي تصادف هوى في نفوس بعض المذهبيين هي في الواقع مناقضة صريحة لكلمة المسيح التي كما يقول سيدنا ستدين في اليوم الأخير كل من لا يقبلها. وهي

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA
All rights reserved © 2008-2018
info@arabicbible.com

فكرة مع الأسف تنشر الظلام حول معتنقيها وتحرمهم التعزية التي من حقهم بفضل المسيح وعمله أن يتمتعوا بها. وهي إهانة للآب بقدر ما هي إهانة سل لابن الذي يريد للمؤمنين أن يتيقنوا من نعمته ويتمتعوا بثمار محبته في الحياة الأبدية والفداء. وهي فكرى تتجاهل أن القيامة والاختطاف سيكونان بمثابة الانفصال الغالب المنتصر في المجد السماوي لأولئك الذين هم للمسيح من الآن ولكنهم يعيشون في عالم خليط.

إن يوحنا لا يقيم نعمة الله الفائقة هذه على أساس البر كما يفعل بولس في (٢ كو ٥: ٢١) حيث يقول "لأنه (أي الله) جعل الذي لم يعرف خطية لأجلنا لكي نصير نحن بر الله فيه".ذلك لأن الديان لن يجلس في كرسي الدينونة لكي يناقش أو يجادل في قيمة بر الله الذي صار بربنا في شخصه المحبوب وإنما هو سيدين جميع الذين يدعون ببر من عندياتهم لأنه بر زائف باطل. سيدين جميع الذي يزدرونه في فجورهم المكشوف وإرضائهم ذواتهم تحدياً منهم لله، وسيكون أكثر قساوة في دينونته لفجور الناس وإثمهم مهما كانوا في فجورهم يظهرون كمن يعرفون الحق ويتمسكون به كما هو الحال في النصرانية وإلى حد ما بين اليهود. أما الذين هم المسيح يسوع الذي صار لنا من الله حكمة وبر وقداسة وفداء فلن يثير عليهم في السماء عاصفة الدينونة القارسة المرجفة بعد أن كان بروحه قد ملأ قلوبهم بسلام الإيمان ودفء النعمة. أما أن الديان يتحدى نفسه فتلك فكرة سخيفة لا أساس لها.

نعم هي فكرة شاذة تفندها القرينة في الأعداد السابقة. لأن النصف الأول من (٢ كو ٥) خصصه الرسول لإقامة البرهان على قوة حياة القيامة في المسيح وكفايتها لإنقاذ المسيحي من الموت والدينونة اللذين هما أعظم أهوال الإنسان الطبيعي "لأننا نعلم أنه نقض بيت خيمتنا الأرضي فلنا في السماوات بناء من الله بيت غير مصنوع بيد أبدي. فإننا نحن الذين في الخيمة نئن متقلين إذ لسنا نريد أن نخلعها بل أن نلبس فوقها لكي يبتلع المائت من الحياة. ولكن الذي صنعنا لهذا عينه هو الله الذي أعطانا أيضاً عربون الروح. فإذاً نحن واثقون كل حين وعالمون أننا ونحن مستوطنون في الجسد منحن متغربون عن الرب. لأننا بالإيمان نسلك لا بالعيان. فنثق ونسر بالأولى أن نتغرب عن الجسد ونستوطن عند الرب. لذلك نحترص أيضاً مستوطنين كنا أو متغربين أن نكون مرضيين عنده. لأنه لابد أننا جميعاً نظهر أمام كرسي المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد ما صنع خيراً كان أم شراً".

هنا نجد الرسول العظيم يتناول الأمر باعتبار من خواص الوعي المسيحي الواثق المتأكد بأن الخوف من الموت والدينونة قد زال من نفسه إلى الأبد حيث أن الله قد صنعنا لهذا عينه لنكون مثل المسيح ليكون هو بكراً بين إخوة كثيرين على صورة جسد مجده. لقد استطاع بعمله أن يجرد الموت بالنسبة لما من لذعة رعبه بينما هو سائد ومالك على الجنس البشري. لكننا نحن مثقلون بجسد لم يفتد بعد نئن فعلاً بسبب وجودنا فيه ونئن بالأكثر

 All rights reserved © 2008-2018

بطريقة أخرى لأننا مصالحون مع الله وحاصلون على نتائج المصالحة المجيدة المباركة، وكلنا أشواق أن نلبس الجسد المتغير. على أننا في كل حال غير خائفين بل نعلم أن انطلاقنا لنكون مع المسيح كما كتب للفيلبيين أفضل جداً من التغرب عن الرب، لأننا نسر بالأولى أن نستوطن عند الرب.

ومهما كان كرسي المسيح خطيراً في ذاته، فلن ينشئ القلق في نفوسنا لأن المسيح نفسه احتمل دينونتنا. فإنه حتى ونحن على الأرض يسمح الله لنا بمناسبات المرض وغيرها لكي نرجع حالتنا ومسلكنا، وهو له المجد لن يفشل في سبر أغوار جروحنا وكشف أسرار القلب، في الوقت الذي يعيننا أن نصرخ قائلين "اخبرني يا الله واعرف قلبي. امتحني واعرف أفكاري. وانظر إن كان فيّ طريقاً باطل واهدني طريقاً أبدياً".ولا شك أن مثل هذا الحكم على الذات نافع جداً، وإذا كنا نغفله نخسر قدراً كبيراً من البركة في الطريق. وهو بالنسبة للمسيحي جزء مما سيتم قدام كرسي المسيح، الأمر الذي سيكون مصحوباً بملء البركة. ولا يقصد الرسول بالإشارة إلى هذا الموضوع إثارة الخوف في نفوسنا أو زعزعة شجاعتنا المستمرة المتصلة، وإنما يريد أن يوقظ في نفوسنا الإحساس بالحزن من أجل المتهاونين المتغافلين لنحاول إقناعهم أن يرجعوا إلى الرب "فإذا نحن عالمون مخافة الرب نقنع الناس" بمعنى أننا نعرف مقدار الرعب الذي سيلقاه الآخرين يوم يقفون أمام الديان ومن واجبنا أن نقنعهم أو بمعنى آخر أننا نخاف على الآخرين ولكن ليس على أنفسنا فمن جهة أنفسنا قد صرنا والحمد لله من الآن ظاهرين أمام الله "وأما الله فقد صرنا ظاهرين له وأرجو أننا قد صرنا ظاهرين في ضمائركم". فقد وهبتنا النعمة أن نخضع منذ الآن لإشراق نور الله في المسيح، والنعمة التي تأتي بنا إلى الله تدخلنا إلى هذا النور الكامل. صحيح إن إشراقه فينا في الوقت الحاضر قد يتعطل بسبب ما نقيمه أمامه من موانع وعراقيل ولكنه سيكون كاملاً يوم نظهر أمام كرسي المسيح في غير خجل زائف. إذ نكون يومئذ في الحالة الممجدة وفي مقدورنا بغير عائق أن نرى كل مجده الأمر الذي وإن كان مذللاً لنا من ناحية فهو من الناحية الأخرى ممجد لإله كل نعمة، وللابن الذي استطاع وحده أن يجعلها بركة لكل مؤمن، وللروح القدس الذي بقوته الفعالة المستمرة أوصلها لقلب كل قديس.

ولا داعي للرجوع إلى شواهد كتابية أخرى لأن العدد الذي أمامنا ينفي نفياً باتاً الفكرة الخاطئة والضلالة الشنيعة التي كثيراً ما أضعفت شهادة الحق وأثرت تأثيراً سيئاً على أشخاص أتقياء عديدين بسبب افتقارهم إلى الحق المعروف لآخرين: "بهذا تكملت المحبة فينا أن يكون لنا ثقة في يوم الدين". فكروا في هذه الأقوال يا من تفاخرون بما تسمونه "تعليم الكنيسة" وقد غاب عنكم أن ذاك التعليم إنما هو "إنجيل آخر" مع أنه في الواقع "ليس هو آخر". هكذا وبخ الرسول وهكذا كشف أمر العقيدة الفاسدة التي تفتخر بالصليب دون معرفة بتعليم الله عن المسيح مصلوباً لخلاص المؤمنين من الإنسان وتقاليده الباطلة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وفلسفته وعلمه وغير ذلك ممل يتعالى على الكتاب وعلى عمل المسيح في خلاص الهالكين. إن محبة المسيح قد أظهرت للخطاة في حياته التي أعطيت لتكون حياتنا وفي موته ككفارة عن خطايانا، وذلك كي تكمل المحبة فينا كقديسين بروحه العامل فينا. ولكن حتى هذا لم يكن كافياً لإشباع إلهنا تكريماً لابنه المحبوب فعمل أيضاً على أن تكمل المحبة فينا "أن يكون لنا ثقة في يوم الدين". قد تقول أيها القارئ: ما هذا؟ هل في الكتاب أقوال كهذه؟ وهل هذا هو معناها؟ أما من جهتي فلست أندهش أن يكون هذا لسان حالك وإن كنت أدعوك لأن تفكر في الأمر ملياً فلا تعود تجرؤ على إظهار عدم الثقة في كلمة الله وعظيم نعمته.

وهل أقوال أكثر وضوحاً وصراحة من هذه يتناول فيها الرسول قضية المحبة التي تكملت فينا نحن المسيحيين لكي لا يكون لنا في "يوم الدين" أي انزعاج أو شك بلا ثقة؟ إلا أن إقامة هذه الثقة على أي شيء غير عمل المسيح هو التجديف بعينه. أما في المسيح فهي نصرة المحبة الإلهية ذات المحبة التي ألبست الابن الضال الذي أتى في أسماله الرثة "الحلة الأولى" وجعلته ليس مثل آدم في حالة الطهارة الأولى بل كمن يلبس لباس العرس تكريماً لابن الملك. ولباسنا هو المسيح، المسيح الذي مات وقام وسوى مسألة الخطية والخطايا تسوية تامة لحساب الإيمان. فأنتم يا من ترتشفون من مياه التقاليد الآسنة الغبية لماذا لا تصغون لصوت الآب والابن والروح القدس وتأخذون ماء حياة مجاناً؟ إن المسيح قد مجد الله ليس فقط في حياة الطاعة بل في موته أيضاً لكي ينقذ من خوف ساعة الموت ويوم الدينونة. حتى أنتم الذين سمعتم أولئك الذين يتطلعون إليكم في جوعهم فلم تطعموهم بل زدتموهم جوعاً على جوع. نعم، هذه هي أقوال الله الموجهة للجميع وأنها لجديرة بعمق تأملكم. إنها تصرخ بأن المحبة قد تكملت فينا "ليكون لنا ثقة في يوم الدين". وهي ترينا الله مصدر البركة والابن مجراها وموقف أولاد الله بالنسبة لذلك اليوم. وما أبعد المفارقة بين هذا اليقين الهادئ وبين مقطوعات التأسي والتأبين والمراثي (ولا نسميها ترانيم) التي يصيح بها بعض المسيحيين في جنائزهم باعتبارها أناشيد مسيحية! أما محبة الله فمن شأنها أن تطرد الخوف من قلب كل مسيحي.

ولكن هنا ما هو أكثر من ذلك. فإن الرسول يعطينا سبب أو أساس هذه المنحة السامية مما يزيد في سموها وعظمتها إذ يقول بعد ذلك "لأنه كما هو في هذا العالم هكذا نحن أيضاً". والحق أنه لولا أن الله قد أعلن هذا صراحة لجاز القول أن مثل هذا القرار خليق بأن يوصف بأنه أروع ادعاء نطقت به شفتان أو خطة قلم إنسان. ولا أحسبه عدم نتبصر إذ خطر بالبال أن كثيراً من مدارس اللاهوت تجهل قوة هذا العدد جهلاً مطبقاً حتى لم يعد أحد من مشايعيهم يتأثر في قليل أو كثير بالمعنى السامي الذي ينطوي عليه. ذلك أن الرسول يقرر أنه كما المسيح هكذا نحن، نحن المسيحيين، في هذا العالم. وهو يقول هذا متفقاً مع

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

تعليمه الواحد في رسالته "ما هو حق فيه وفيكم". فالمسيح مات وقام وهو الآن يأتي بثمر كثير نظير نفسه (مثل حبة الحنطة). صحيح أن الذات القديمة لا زالت قائمة فينا فعلاً ولكن ها هو سيدنا يقول "في ذلك (أي من يوم الخمسين إلى الآن) تعلمون أني أنا في أبي وأنتم في وأنا فيكم". وهذا لم يكن صحيحاً قبل ذلك ولن يكون صحيحاً في الدهر الآتي وإنما هو يصدق الآن فقط على المسيحيين على الأرض.

وعلى ذلك فإن مقامنا ومثالنا ليس فيما بعد في آدم الأول بل في الإنسان الثاني الذي هو آدم الأخير إذ سوف لا يكون بعده رأس آخر، إن ابن الإنسان مَجَّد الله وقد مجده حتى في أمر الخطية بموته الذي هو وسيلة الخلاص الوحيدة إذ في موته دينت الخطية دينونة كاملة لمجد الله. ومن ثم فإن الله مجد ابن الإنسان في القيامة والصعود، وهو الآن يمجده عند ذاته في السماء الأمر الذي لا يصدق على أحد سواه. نعم فالله لم ينتظر حتى يتوجه على عرش داوده في صهيون أو كالملك على كل الأرض، بل في الذات يوم القيامة أرسل السيد رسالة محبة "لإخوته" يقول "إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم". وبهذا القول ينقلنا له المجد من آدم الساقط إلى مقامنا الجديد في المسيح المقام وعلى هذا المنوال يقال أنه كما هو هكذا نحن في هذا العالم.

دقق النظر في العدد وتأمله جيداً. إنه لا يقول "كما كان هكذا نحن" وأنت ترى الفارق عظيماً. ويخطئ أولئك اليمن يأخذون بالفعل الماضي. صحيح أن التجسد حق مبارك وجوهري للإيمان، ولكن اتحادنا بالرب لم يكن عن طريق التجسد. إن التجسد حقيقة لاشك فيها ولكن المسيحية لم تبدأ بالتجسد. فطالما كان سيدنا عائشاً على الأرض كان وحده، أما عندما مات فقد أتى بثمر. فالإتحاد به لم يكن ممكناً إلا بعد أن مات لأجلنا ولأجل خطايانا. وفي القيامة، بعد أن اجتازت عليه تيارات دينونة الله بسبب شر الإنسان، استطاع أ، يقول "أب وأبيكم إلهي وإلهكم". فإن الحجاب لم يشق قبل موته تبارك اسمه، ولذلك فإن الكهنة والذبائح والقدس العالمي ظلت كلها قائمة بموافقة ورضاء الله. ولكن بموته ماتت جميعها وصارت قيامته هي حياة القوة. وعلى الأثر جاءت المسيحية ونزل الروح القدس وختم أولئك الذين اغتسلوا بدمه. "كما هو، هكذا نحن في هذا العالم" ونحن نكرر أي مقام لنا سوى في شخصه المحبوب، وهذا هو مقامنا فعلاً الآن "في هذا العالم". وهل تظن أن أحد متعلماً هذا من الروح القدس ممكن أن يقنع بالمزاعم الخرافية أو التخمينات الدينية التي تتعلق بالمطهر أو ما شكله من التلفيقات وأنصاف الحلول؟ أليس لدينا في هذا العدد الصغير الكريم المقام المسيحي المؤسس على الصخر الأبدي؟ وهل من مركز يسمو على هذا؟ كلا بطبيعة الحال. هذا هو مقامنا، مقام كل مسيحي حقيقي "في هذا العالم". ولم يبقى علينا إلا أن نصدق الله بشأنه لخير نفوسنا وأن نتطلع إليه فيهبنا النعمة لكي نحب ونحيا بما يليق بذلك المقام عالمين أن المسيح هو كل شيء لنا.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أما الأعداد التالية فترينا المغزى الهائل العظيم لما صار لنا في العدد ١٧. "لا خوف في المحبة بل المحبة الكاملة تطرح الخوف إلى الخارج". يا ترى ما هو وقع كلمات الله على هذا القلب – قلبي وقلبك أيها القارئ؟ ولاحظ أنها ليست مجرد عاطفة من العواطف، بل إله النور والمحبة الذي يود أن يعين أولاده ويحصنهم ضد كل شك لكي يتسنى لهم أن يتمتعوا بالنور والمحبة في كل بساطة ويقين. الخوف المشار إليه هنا لا يتفق والمحبة. طبق هذا على الغلطة الشائعة بأن الله سيدين أولاده وإنما المختارون منهم هم الذين سينجون. أي عذاب وقلق تنشئه تلك الضلالة في نفوس الأتقياء، من ذا الذي يمكنه أن يقيس أو يحصى مثل هذا الأثر السيئ الذي هو لاشك من إملاء الشيطان. فإنه إذا كان هناك أي شعاع من تعزية أو رجاء في تعليم كهذا فهذا الشعاع مخبوء في طيات السر المغلق الخاص بالاختيار والمختارين بدلاً من النور الحقيقي الذي يضيء الآن بإشراق ثابت في المسيح لكل من يأتي إلى الله عن طريقه. أنا لا أنكر أن الذين يأتون إلى الله إنما هم لمختارون ولكن الطريقة التي بها يعالج بعضهم هذا الأمر الدقيق في معاملات الله ومقاصده الأزلية الخفية من شأنها أن توقف النفوس في مأزق محرج في حين أن المسيحي يشير على الدوام للنفس المحتاجة التي تدنو من ذاك الذي هو فاتح أحضانه لها على الدوام والذي يستطيع أن يضمن الخلاص الأبدي للخاطئ ويهبه الراحة الكامنة بالإيمان بشخصه المحبوب.

لو نظرنا إلى شخص مسيحي يضع نفسه هذا الوضع، فهل يوجد ما يعوق عواطفه أكثر من هذا الخوف الذي لا بد وأن يقترن بفكرة الدينونة في نهاية طريقه، هل يقدر مثله أن يحب إلى التمام أو يحب بسهولة وراحة بال من يخشى ولو أحياناً أنه سيطرده يوماً من الأيام ويلقيه في جهنم؟ لكن كلا، فالواقع أنه "لا خوف في المحبة" كما يقول الرسول. ولكن المؤسف أنه بينما يقول الرسول هذا القول فإن المؤمن البسيط حديث الإيمان يقول (يوجد خوف في محبتي) إذ يشعر بأخطائه وتقصيراته التي قد تكون بعضها خطيراً ينشئ في نفسه كرباً وغماً كلما فكرفي ذلك اليوم. وأقصى ما يصل إليه كلما راوده الفزع والخوف من الدنيوية المحتملة لأنه يرى في المسيح ما يكفي لأن ينشئ فيه رجاء متواضعاً ولكنه موقن أنه لا يستطيع البتة أن يعترف أن له ثقة في يوم الدين ل هو على العكس يخشى أن يفكر أو يسمع شيئاً عن موضوع مرهب ومرعب كهذا. إني أصور الحالة بقدر ما أعرف وكل قصدي أن أقنع أمثال هؤلاء أنهم واقعون تحت تأثير أفكار التناقض الذي يتنافى تماماً مع كلمة الله وإعلانه الواضح الصريح. وإذا كانوا يرون معنا أن مثل هذه الأفكار لا يمكن حقاً أن تتفق مع ما يقوله الرسول هنا فهذا مما ل يفيدهم كثيراً طالما هم يستسلمون لبعض التعاليم التي كأنها تقول بلسان الحال أن الكتاب يناقض بعضه بعضاً في حين أن منشأ التناقض هو في أنفسهم وعدم خضوعهم لحق الله الواضح البسيط، ومن هنا كان الخوف والفزع بدلاً من اليقين والثقة – وهذا دائماً عمل الشيطان.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إن المسئول عما يخالجك من خوف هو تلك الضلالة أو الفكرة الخاطئة التي احتضنتها أو سمحت لها بأن تداعبك بشكل ما وليس كلمة الله التي أمامنا والتي من خصائصها أن تنزع الخوف لا أن تخلقه. إن المسيح وحده باعتباره الشاهد الإلهي والبرهان الوحيد على محبة الله الكاملة هو الذي يستطيع أن يلاشى خوفك. وهذا هو هدف الروح القدس الذي يقود إلى كل الحق ويفعل ذلك بتمجيده للمسيح إذ يأخذ مما له ويخبرنا. وقد يقصد أحياناً أن يعيننا بطريقة غير مباشرة إذ يأخذ مما لنا ويخبرنا ويكشف لنا ذواتنا حتى نتضع ونحزن أما إلهنا، وحتى في ذلك هو يشغلنا بذاك الذي به صارت النعمة والحق، والذي هو ملء الكل في شخصه الكريم.

هناك خطر آخر تتعرض له النفوس التي لم تتحرر بعد من الخوف. فقد تتحول إلى المعمودية أو التناول من عشاء الرب ظناً منها بأنه قد تلقي في أيهما ملجأ واقياً من الخوف. على أن الكتاب لا يجيز مثل هذا الوهم. بل على العكس مجد الرسول بولس في رسالته الأولى لأهل كورنثوس يحرص على تحذيرهم من فكرة كهذه حينما كان كثيرون منهم في حالة شريرة وخطيرة. ففي لإصحاح الأول نراه يشكر الله أنه لم يُعمد أحداً منهم سوى كريسبس وغايس حتى لا يقول أحد أنه عمد باسمه. وهو قد عمد أيضاً بيت استفانوس، وعدا ذلك لا يعلم هل عَّمد أحداً آخر، لأن المسيح لم يرسله ليعمد بل ليبشر. فلو أن المعمودية كانت وسيلة نوال الحياة الأبدية، ماذا كنا نرى في أقوال بولس هذه؟ ولكن الحقيقة هي عكس ذلك، فإن المسيح لم يرسله ليعمد الأمر الذي تركه لآخرين ليتمموه للكورنثيين "الكثيرين" الذين "سمعوا وآمنوا واعتمدوا" في تلك المدينة (أع ١٨: ٨). ويقول لهم في الإصحاح الرابع "أنا ولدتكم في المسيح يسوع بالإنجيل" (ص ٤: ١٥) فإن النجيل، كلمة الحق، كان ولا يزال وسيلة الولادة من الله، ولم تكن أبداً المعمودية مهما كانت قيمتها في مكانها.

بل هو يذهب معهم إلى أبعد من هذا فيحذرهم في الإصحاح العاشر، ويحذر معهم جميع المسيحيين من ذلك اليوم فصاعداً، مما حدث للإسرائيليين الذين وإن كانوا جميعهم قد اجتازوا في البحر وجميعهم اعتمدوا لموسى في السحابة وفي البحر، وجميعهم أكلوا طعاماً واحداً روحياً وجميعهم شربوا شراباً واحداً روحياً، لكن بأكثرهم لم يسر الله لأنهم طرحوا في لب قفر "وهذه الأمور حدثت مثالاً لنا حتى لا نكون نحن مشتهين شروراً كما اشتهى أولئك". وفيما يتعلق بعشاء الرب يسرنا أن نرى حتى بين أشياع كنيسة روما شخصاً مستقيماً قديراً مثل الكاردينال كاجيتان يرفض التفسير الخاطئ لأقوال سيدنا في (يو ٦)، حيث يطبقها قوم على الأفخارستيا. أما معناها الحقيقي والمقصود منها فهو أن المسيح نفسه كمن مات لأجلنا هو غرض إيمانا، كما أن الخبز الحي هو كناية عن شخصه المحبوب في حالة التجسد قبل الموت. فتطبيق تلك الأقوال على عشاء الرب طأ مزدوج، ذلك أنها تُعلِّم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

حينئذ أنه لا ينسى لأحد أن يحصل على الحياة بدون عشاء، وأن كل الذين يتناولون منه يحصلون على الحياة. وكلا الاستنتاجين خطأ مبين. أما في تطبيقها على المسيح في حياته وموته، فكلاهم حقيقتان غاليتان. وهكذا يثبت أن كلمة الله أقوى من جميع حجج الناس، وأن المسيح هو الكل للمسيحي.

واضح إذن أن الله بكلمته يؤكد لكل من يؤمن، وهو قد أعلن هذه المحبة ولازال يعلنها في المسيح متجسداً والمسيح مائتاً في طريق الكفارة ثم المسيح ممجداً مؤكداً ومخلصاً الكل في هذه الإقرار الشامل الخطير "كما هو، هكذا نحن في العالم". ذلك لأن نعمته وحقه هما فقط بالنسبة لكوننا في هذا العالم، وبما أن المسيح جاء مملوءاً نعمة وحقاً فإن قبول شخصه هو قبول ما نحتاج إليه من ملئه، الأمر الذي يناله فعلاً كل مسيحي. هذا هو إذن السؤال أيها الصديق العزيز الخائف المرتاب. هل تؤمن به باعتبارك خاطئ مسكين أثيم؟ هل تؤمن أن الله في محبته التي لا حد لها أعطانا يسوع ابنه؟ دع عنك الأمل في وجود شيء صالح في نفسك يؤهلك للوقوف أمام الله، وأقبل على أساس سلطان كلمة الله نعمته ذاك الذي عنده كل الصلاح ليس فقط لله بل ولك أيضاً. وهو الذي أرسل ليكون كفارة عن الخطايا. وإذ تتقبل أخبار إنجيل الله المفرحة يكون من حقك أن تقول عن وعي وإدراك في نور حضرة الله: إنني بالنعمة أؤمن أن لي حياة وسلاماً وإنني ابن لله. وعندئذ تعرف أنك مختار. وكل طريقة أخرى تزعم أنك بواسطتها قد تعرف ذلك إنما هي طريقة بشرية خطرة وغامضة، يخدعك بها الشيطان قاصداً هلاكك. فإن المسيح هو الحق الذي ضوئه يتقرر كل اختبار حقيقي صالح. وإذ تؤمن وتعترف به يكون من حقك بدون ذرة من الجدل أن تقول بملء الفم وكامل اليقين: إن الله قد اختارني على هذا المنوال تطرد المحبة الخوف وتعطيك بالإيمان سلاماً مع الله عوض ذلك الخوف أو العذاب الذي اختبرته روحك وضايق نفسك ردحاً من الزمن.

فمن المحقق والأمر كما قدمنا أن "من خاف لم يتكمل في المحبة". وحينما تكون غير متأكد من محبة الله فإنك لا تستطيع أن تحبه حقيقة. وحين تؤمن بحقيقة محبته إذ بذل ابنه لأجل الفجار، لأجل أعدائه، فمعنى هذا إنه تنازل ليقابلك حيث أنت. تأمل مرة أخرى في المرأة التي كانت يوماً مهجورة في المدينة (لو ٧) واللص العاتي الذي كان منبوذاً على الصليب (لو ٢٣). لماذا قصد الله أن يدو خبرهما في الكتاب؟ أليس لكي يشجعني ويشجعك؟ وإلا أفما كان الأجدى إلقاء ستار الصمت والنسيان على قصتيهما؟ ولكنهما كتبتا خصيصاً لمواجهة مخاوف الرجال والنساء المرتابين الذين يشق عليهم أن يؤمنوا بمحبة الله كذينك الخاطئين المجرمين.

لكن لا يثبطن عزمك باستنتاجك أنك لا تحب الله. هذا ليس هو السؤال الحقيقي. أما السؤال الحقيقي فهو هذا: ألا يشير الله إلى المسيح وموته عن الخطايا كأفضل وأقوى برهان على

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أنه أعطانا من محبته وأنه حقاً يحبك ويحبني؟ إذا كنت تخضع فكرك المرتاب المتسائل لمثل هذا البرهان الهائل الذي يقدمه الله لإقناعك بمحبته لك فمن المحقق أنك حينئذ تحب مهما كنت بطيئاً في التسليم بهذه الحقيقة. دعك من التفكير في حالتك فإن الآخرين يلمسون فيك التغيير، فمن اللحظة التي فيها تستريح نفسك على ذبيحة المسيح من أجل خطاياك يتفتح قلبك لله الذي يطهرك هكذا بدم المسيح من كل خطية وتستطيع حينئذ أن تقول: لقد وجدته، وسرعان ما تتعلم بعد ذلك أنه هو في الحقيقة الذي وجدك. فقط تعال كما أنت لكي يكون المجد كله له. وإذا كان هو قد أحبني بمثل هذه المحبة القوية دون أن يكون في شيء واحد وفكر واحد يستحق محبته. وإذا كان قد أحبني رغم أن كل كياني وكل حياتي كانت مليئة بالخطايا، فهل يكف عن أن يحبني وقد أصبحت ابناً له بالإيمان بالمسيح وصرت بالروح القدس أصرخ يا أبا الآب؟ كلا بكل يقين. فإنه حتى آباء أجسادنا لا يتخلون عنا ولا يطردوننا إذا أخطأنا أو ضللنا وتصرفنا بغباوة على أن الآب السماوي يعاملني من تلك اللحظة فصاعداً المعاملة اللائقة به كآب واللائقة به كابن ويحكم على مسلكي يوماً فيوماً ويؤدبني إذا اقتضى الأمر.وأليست هذه ثمرة محبته ثابتة لي وأنا في طريق البرية.

هناك أيضاً تعزية كبرى لي كابن لله أن أعرف أنه مهما تكن أعوازي وأحزاني وأثقالي ومخاوفي فإنه يريدني أن آتي إليه بلا إبطاء وألقي كل همي عليه لأنه يعتني بي ويحبني. فقط احذر من أن تسمح للشيطان بأن يلقي في قلبك بذرة سوء الظن أو عدم الثقة في الآب المحب، فإنها أكذوبة من أكاذيب الشيطان يقصد بها الإساءة إلى نفوسنا ونحن في حالة الضعف. فما عليك في هذه الحالة إلا أن تفكر في المسيح وفي أدلة مثبتة لك، وعندئذ تكسر نصال العدو. أما إذا كنت أخشاه وأرتعب منه فمعنى هذا أنني لم أتكمل بعد في المحبة. والطريق الإلهي الصحيح هو عكس ذلك، فإنه على قدر شعوري بتغرير العدو وخداعة لي على قدر ما تزداد حاجتي للإتيان إلى حضرته والتحدث إليه بكل ما عندي وإخباره بكل مصاعبي في ملء الثقة بمحبته.

إذاً فما سر الأمر كله؟ هو في الكلمات القليلة التي يذكرها الرسول في عدد ١٩"نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولاً". عدد قصير وكلمات قليلة ولكنها تحمل في طياتها السبيل الإلهي لراحة المؤمن. نعم فإن المسيح هو على المحبة الإلهية في نفوسنا. فإن هذه المحبة لم تنبع وما كان ممكناً أن تنبع منا مطلقاً بل هي من الله. إننا ي عدم إيماننا نحسب أن الحال يقضي علينا بأن نبدأ نحن بالمحبة لكي نستدر محبته نحونا. ولكن الأمر غير ذلك وما كان ممكناً في الواقع أن يكون غير ذلك. لقد كنا أمواتاً، وقد كنا خطاة، وما كان ممكناً بحال من الأحوال أن تصدر المحبة عنا. بل إن تاريخنا الروحي وكياننا بأجمعه بالنسبة للمحبة وبالنسبة لله يتلخص كل في هذا القول الحاسم "نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولاً". هذا هو الحق الصريح ولو كان في اعترافنا به إذلال لنفوسنا. ونحن نقر به بكل سرور لمجده تعالى وبركة نفوسنا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

للأبد. لقد فتح الروح القدس قلوبنا بالكلمة لاقتبال الابن المرسل من الآب ليعطينا حياةً وخلاصاً بموته الكفاري وليجعلنا الآن روحاً واحداً مع الرب الممجد. ولنكون كما هو في هذا العالم، ثابتين من الآن وإلى الأبد في محبته، ثابتين في الله والله فينا.

وفي العدد العشرين يدحض الرسول آخر الاعترافات الزائفة، وهو هنا يتناوله كاعتراف شخصي فردي كما فعل في الإصحاح الثاني "إن قال أحد أني أحب الله وأبغض أخاه فهو كاذب لأن من لا يحب أخاه الذي أبصره كيف يحب الله الذي لم يبصره". مثل هذه اللغة ومثل هذا المسلك يكشفان عن زيف وخداع، ولا يتردد الرسول في أن يصف ذلك الشخص بأنه كاذب، ذلك أن إحساسنا اتجاه الأخ هو محك صدق أو بطلان اعتراف اتجاه الله. إنها حال ماثلة للعيان ومحسوسة. فهذا أخي، على مقربة مني، مزود في الحياة في المسيح، ومطهر من خطاياه بدم المسيح. فهل ترى وأنا أحتضن في قلبي بغضاً له لأي زعم من المزاعم يحق لي أن أتحدث عن محبة الله الغير المنظور؟ هذا كذب. ولا شك أن الشيطان قد أغلق عيني. فلو أن هناك إيماناً حياً، لكان في وسع الحياة أن تجذبني نحو أخي، ولكانت محبة الله تستدر المحبة مني. إن روح الله القدوس لا يمكث في القديس عبثاً، فإذا كنت لا أحسب حساباً لوجوده في قلب أخي أفليس ذلك برهاناً واضحاً وإقراراً مني بعدم قدرته على إيجاد الشركة المتبادلة بيني وبين أخي، تلك الشركة التي يعطينا الروح القدس لذة الاستمتاع بها بواسطة الابن الذي هو مصدر جميع البركات؟ ولئن كانت وصمة "الكذاب" وصمة شنيعة للغاية بين الناس، فكم هي بالأحرى قاسية ورهيبة من فم رسول وبالعلاقة مع أمور الله الأبدية؟ وهكذا نرى الإله الحكيم وحده يعد في اليوم الشرير الوسائل الكفيلة بحفظ أولاده من الكذب والخداع، لأنه على قدر عظمة وجلال المحبة التي توحيها النعمة الإلهية على قدر ما يلزمنا من الحرص حتى لا يفرض علينا ما هو باطل وكذب. صحيح أنه من خواص سياسة الله الأدبية مع أولاده أنه يمتحنهم على الأرض بمختلف الطرق، ولكن المحبة التي من الله تثق بالله وتثبت في المحبة سواء ثبت الآخرون أو لم يثبتوا، ولها قوة الروح الساكن فينا للتدليل على ثبوت الله في نفوسنا ولكي نكون هادئين مطمئنين وفي حالة الخضوع التام مهما تكن الظروف التي تعترض محبتنا.

وهنا أيضاً نرى حرص الرسول في التشديد على الطاعة – كما رأينا في حالات أخرى – فيما يتعلق بالمحبة الأخوية. إذ أي شيء أدعى إلى الاتضاع من الطاعة؟ وأي شيء يعدلها في مواجهة الكبرياء وروح الادعاء، أو انفعال العاطفة والطياشة؟ وأي شيء يهب الشجاعة والثبات للنفس الهيابة المستضعفة نظير الشعور بالطاعة لله، من هنا نرى أهمية تطبيق الطاعة في أمر محبة الأخ الذي ربما لغلطة تافهة لا نعود نرى فيه شخصاً جذاباً. "ولنا منه هذه الوصية أن من يحب الله يحب أخاه أيضاً" إن إلهنا لا يدعنا لأفكارنا وحكمنا الشخصي. إننا مقدسون للطاعة، وللطاعة على غرار محبة المسيح البنوية، لا كما كان

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

اليهودي تحت الناموس بينه وبين الله مسافة أو حجاب. أنه يفرض على الشخص الذي يحبه أن يحب أخاه أيضاً، لأنه إذا كان الله حقاً يحب أولاده، أيليق بي وبك ألا نحبهم؟ ألا يكفي هذا لتخجيلنا إزاء ممارسة إرادتنا ضد إرادة الله؟ إذن فاستمع لكلمته أنه لهذا السبب يفرضها علينا وصية، حتى إذا أصررت على العناد والمقاومة يكون لي في نفسي شوكة الشعور بأني معاند لله، سيما وأنه يعلن لي ذاته كإله كل نعمة. فهل أستمر في العناد إزاء وصية صريحة واضحة كهذه، ولا أتبع الحق والمحبة؟ أليس الأفضل أن أدين نفسي، وحالتي ومسلكي، حيث أن مثل هذا المسلك ليس إلا إرادة ذاتية عاصية ضد إله وأبي ربنا؟ قد يكون للأخ تصرفات أو أقوال لا تعجبني ولا ترضيني، ومع ذلك فقد أكون أنا المخطئ في تقديري، وقد يكون الخطأ في وليس فيه. إذا كنت على أي حال أتجاوز وصية الله الصريحة فكيف يمكن أن أثق بنفسي في أي شيء آخر؟ أليس هذا عصياناً؟

إنه لمن أروع مظاهر مجد المسيح الأدبي أنه طبق دائماً أبداً مبدأ الطاعة في كل مطلب إزاء كل صعوبة. ففي مبدأ طريقه وقبل خدمته الجهارية سار على هذا المبدأ وخضع له، وبواسطته هزم العدو في كل واحدة من تجاربه العظمى الثلاث. ففي الخضوع المطلق لأبيه كان جوابه المتكرر على العدو "مكتوب" – "مكتوب". وإن كان الشيطان قد تجاسر واقتبس فضلاً من الكتاب، وهو فصل يشير إلى شخصه الكريم، فهو له المجد لا يناقش بل يجيب "مكتوب أيضاً". فهو لم يكن يرتاب البتة في عناية الرب-الكائن أو تكليفه الملائكة بحراسة الإنسان الكامل، ولكنه لم يكن هنا ليتمم مشيئة الشيطان ولذلك أبى أن يُجرب الله كما لو كان مرتاباً في كلمته، وفي نهاية المطاف نرى طريق سيدنا معطرة بنفس عبق الطاعة الكاملة "لأني لم أتكلم من نفسي لكن الآب الذي أرسلني هو أعطاني وصية ماذا أقول وبماذا أتكلم. وأنا أعلم أن وصيته هي حياة أبدية، فما أتكلم أنا به فكما قال لي الآب هكذا أتكلم" (يو ١٢: ٤٩، ٥٠).

وفي تعليماته الأخيرة لخاصته نرى نفس الطاعة – والأكثر في أشد الساعات خطورة وحرجاً ساعة اقتراب موته. "لا أتكلم أيضاً معكم كثيراً لأن رئيس هذا العالم يأتي وليس له فيّ شيء. ولكن ليعلم العالم أني أحب الآب وكما أوصاني الآب هكذا أفعل" كان له المجد على وشك أن يضع حياته ليس فقط من محض محبته الاختيارية بل في طريق الطاعة للآب (يو ١٤: ٣٠، ٣١). والواقع أنه حتى قبل ذلك قال تبارك اسمه "لهذا يحبني الآب لأني أضع نفسي لآخذها أيضاً. ليس أحد يأخذها مني بل أضعها أنا من ذاتي. لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها أيضاً. ليس أحد يأخذها منى بل أضعها أنا من ذاتي. لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها أيضاً. هذه الوصية قبلتها من أبي" (يو ١٠: ١٧، ١٨) أي شيء يمكن أن يكوون أوضح من هذا الحق وهو أن سيدنا المبارك كان يضع كل شيء في نطاق طاعته؟ ولواقع أن هذه هي أسمى حالة روحية يمكن أينشئها الروح القدس

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

في أي قديس. لذلك يجمل بنا أن نرهف السمع لكلماته الخطيرة "من يحب نفسه يهلكها ومن يبغض نفسه في هذا العالم يحفظها إلى حياة أبدية. إن كان أحد يخدمني فليتبعني. وحيث أكون أنا هناك أيضاً يكون خادمي. وإن كان أحد يخدمني يكرمه الآب" (يو ١٢: ٢٥ و ٢٦) نعم يا سيدنا المبارك، لقد علمنا أننا لكي نخدمك ينبغي أ نتبعك، ولكن ما أقصر خطواتنا بالنسبة لخطواتك! ويا لها من نعمة عظمى وكرامة كبرى أن خادمك أيضاً يكون معك ويكون موضع تكريم الآب؟

وهنا يتدخل سلطان الله في أمر المحبة كما في سائر نواحي الحياة المسيحية. ولما كانت المحبة الأخوية معرضة بصفة خاصة للموانع إن لم يكن للمراوغة فإن الله يجعلها موضوع وصية، رابطاً محبتنا لذاته بمحبتنا لإخوتنا. ومع ذلك فإن الأمر كله مرتبط بالبركة على طول الخط مهما كانت الكيفية التي بها ترشدنا كلمة الله محبتنا. أي نعم، فإن كلمته وحدها هي التي تستطيع أن تقود بيقين وأمانة مهما كانت الظروف التي قد تستدعي تعديل الكيفية التي بها نمارس محبتنا. ولكن من هو الذي كفء بهذه الأمور؟ إن قوتنا هي في الروح بحسب حياتنا الجديدة في المسيح وحدود طاعتنا لله متكلماً إلينا في كلمته.

بعد أن أوضح الرسول إيضاحاً كاملاً عمل المحبة الإلهية في قضيتنا كقضاة، وفينا الآن كقديسين، وذلك على طول الطريق إلى يوم المجد، ينهي المناقشة بهذه الكلمات "نحن نحب (أو نحب) لأنه هو أحبنا أولاً". لاشك في أننا نحبه، ولكن إذا كان الضمير محذوفاً كما يعتقد الشارح، فمعنى هذا الكلام عن محبتنا هو في إطلاقها أي أنها ليست فقط محبة لله بل لجميع خاصته الذين يحيطون بنا، علماً بأنه لم تكن في قلوبنا محبة حقيقية إلا بعد أن عرفنا محبته هو. وتقرير هذه الحقيقة هو من الأهمية بمكان صوناً للنفوس من إساءة استخدام المحبة استخداماً عاطفياً. فهناك جماعة من الأشخاص الأتقياء (يسميهم الآخرون بالمتصوفين) يوجد دون بصفة خاصة في فرنسا وألمانيا وهولندا ولهم أتباع في إنكلترا أنه لا يوجد محبة حقيقية لله إلا بالاستقلال الكلي عن الذات، وهذا قول جميل في مظهره ولكنه بعيد عن الحقيقة في مخبره. فلم يكن الأمر هكذا في أي نفس منذ بدء الخليقة، وإن كان هذا لا يمنع بطبيعة الحال من أننا في اختبارنا الروحي قد نسمو إلى مستو محبة الله بالاستقلال عن الذات، تاركين الذات وراءنا وناسين أنفسنا في غمرة الشعور في محبته الكاملة وتلذذنا بصفاته وطرقه. ولكننا نعود فإن لم نعرف المحبة إلا لأنه هو أحبنا أولاً.

أي نعم. أننا نبدأ دائماً – لمدح نعمته بهذه الحقيقة الواقعية الفعلية وهي أن الله أحبنا ونحن أموات ومذنبون فإنه من مجرد نعمته خلصنا (تي ٣: ٤ - ٧). فمن الجهل الفاضح، ومن عدم الإيمان والادعاء الباطل، أننا أن ندعي وجود المحبة فينا لولا أننا وجدنا في المسيح وعمله محبة الله من نحونا يوم كنا في خرابنا وخطايانا، أما أن يحاول أحدنا فيتملص من هذه الحقيقة على ما فيها من عمق ويجاهد في السمو بنفسه إلى نوع من المحبة لله يسميها

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

محبة غير أنانية، فهي محاولة لا قيمة لها، بل إساءة ضد الحق بالنسبة لله وابنه المجيد كما بالنسبة لأنفسنا، إنها حركة من حركات "الذات" التي يق٤ول القوم أنهم ينكرونها وقد فاتهم أن هذا العمل يقودهم إلى الإعجاب بذواتهم والهيام بحالتهم. وهي بعد ذلك تقصر دون الوصول بالنفس إلى الشركة التي يصفها الرسول والمؤسسة على حياة المسيح فينا وكمال فاعلية موته الكفاري لأجلنا وما ترتب على ذلك من ثبوت الله فينا بواسطة روحه المعطى لنا. وهذا كله قسمة مشتركة ونصيب عام لجميع المسيحيين ولو أن قليلين هم الذين يدركونه كما ينبغي. وأنه لمن المحزن حقاً أن ينحدر بعض أولاد الله إلى حد الظن بأن المحبة التي يمكنهم أن يشعروا بها من نحو الله هي الشيء الأعظم والمهم، وأن يجدوا فيها لذتهم وسرورهم كما لو كانت هي أسمى وأحسن حالة يمكن أن يصل إليها القديسون على الأرض. كلا، إن محبة الله في المسيح هي مصدر وملء الكل وبازائها تصغر محبتنا ولا تحسب شيئاً.

وما أبسط كلمته هنا، وما أحلاها وأقواها؟ "نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولاً". إذا كنا أولاده فنحن بكل يقين نحب، وأنه لتغيير هائل في أولئك الذين كانوا مرة مملوئين بالذات في مختلف صورها أن يؤتى بهم إلى دائرة المحبة بحيث يحبون بمحبة هي من الله. لكننا فعلاً نحب المسيح ونحب الله الذي أعطانا إياه ونحب أولاد الله الذين قبلوه كما قبلناه، وهذا كله يعبر عنه بالكلمتين "نحن نحب". ولكن شيئاً من هذه المحبة في أطرافها المتعددة ما كان ليوجد فينا أو يعرف السبيل إلى قلوبنا ما لم نبدأ في تراب الموت والشعور بعدم استحقاقنا "لأنه أحبنا أولاً". إذاً فما كان أو حجنا لهذه الأقوال لتصحيح أفكارنا المغلوطة وتجريدنا من المشغولية بالذات والإعجاب بأنفسنا وغباوة التصور بأننا قد تخلصنا من الخطية بقفزة خاصة من قفزات الإيمان التي تزعم أنها توصلنا إلى حالة من الكمال الأدبي. والزعم بأننا كاملون بهذا المعنى هو في الواقع أقوى وأوضح دليل على عدم كمالنا. وهو الدليل على جهلنا المطبق بالكتاب – الأمر الذي ينطبق على جميع طوائف المتصوفين.

ومن الجهة الأخرى ليس هناك من ينكر أن المشغولية بالمسيح في الكلمة وبروح الله من شأنها أن تجعله تبارك أسمه كل شيء ونفوسنا لا شيء. وإن هذه المشغولية بشخصه المبارك قد تذهب، بل يجب أن تذهب، إلا حد نسيان أنفسنا تماماً ونحن نستمتع بفيض الملذة التي نجدها فيه وفي الله، إن بعض المسيحيين، الحكماء العاقلين، لا يريدون ذلك ويقولون أنه ليس في استطاعتنا أن نكون دائماً في الروح في حالة السمو والارتفاع بل يجب أن ننزل إلى الوادي الخفيض لكي نحفظ من الانتفاخ. ولكن هل هم فعلاً حكماء وعاقلون روحيا؟ الحق أنه ما من قديس يمكن أن ينتفخ حالة شعوره أنه في حضرة الله. أما إذا ترك تلك الحضرة فهناك الخطر، وهو تعرضه للانتفاخ والافتخار إذ يظن في نفسه أنه كان وهو في حضرة الله أسمى من الآخرين. أيها الإخوة الأحباء، إذ ا كنا نصدق أقوال الرسول،

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

فلنعلم أنه من حقنا أن نعرف بواسطة محبة الله التي انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا (وليس بواسطة مشاعرنا التي يعتريها التغيير والتبديل والتي من شأنها أن نجعل الفضل لنا نحن المخلوقات الغبية) إننا ثابتون فيه وهو فينا. والنتيجة المباركة هي أننا في كل بساطة كما يقول الرسول بولس "نفتخر بالله بربنا يسوع المسيح الذي نلنا به الآن المصالحة".

ولاحظ أيضاً كيف أن رسولنا كعادته، بعد أن عرض أمامنا شيئاً من أرفع وأسمى امتيازاتنا ويضيف كلمة عملية نحن أحوج ما نكون إليها، وإنها لكلمة نافعة لنفوسنا، دونها الله الذي يعلم جيداً ما هو لمجده فينا.

يقول الرسول "إن قال أحداً أني أحب الله وأبغض أخاه فهو كاذب". إن الشيء الذي كان كريما وغالياً في عيني الرسول هو عمل الحق، لا التكلم عنه بل إظهار الحقيقة المقدسة عملياً. فإن أبغض أحداً أخاه فهو كاذب. إننا نعلم أنه لم يكن هناك من هو أكثر صراحة من الرسول يوحنا في الكلام بدون محاباة عند الاقتضاء، ولكن ليس من ينكر كذلك أنه حتى بين الرسل لم يكن هناك من هو أكثر منه بروزاً في محبته. وأليس من واجبنا أن نتصرف هكذا متى كان الأمر متعلقاً بالله؟ ولكم ما أعظم الفارق بين هذه المحبة المقدسة وما يسمونه محبة في هذه الأيام الأخيرة المنحطة، المحبة التي لا هم لها إلا مجاراة العالم وملاطفته وترك كل واحد وإرادته وعدم إزعاج الضمائر بتأثير كلمة الله وحقه. وما أبعد هذا كله عن أفكار وقلب الرسول الذي ما كان ليرضى أن يرى بين المسيحيين أقل مداهنة أو استخفاف بالأمور الشريرة.

والآن ما هو الموقف؟ إن ما قد يصدر عن معترف كاذب بصورة كاملة قد يصدر عن معترف حقيقي بصورة جزئية إن لم يكن سالكاً بالحذر واليقظة، مع هذا الفارق وهو أن الخطية العمدية تحمل غير المؤمن بعيداً كفريسة للشيطان في حين أن المؤمن إن أخطأ (ولا نقول إن استمر يخطئ) فإنه يحزن روح الله وفي هذه الحالة قد يتصرف بما لا يليق بالمسيح مع أخيه، أو في أي شيء آخر. وقد رأينا كيف تتدخل النعمة وترد نفسه، ولو متأخراً أحياناً، وقد تصدر عنه أشياء لا تتفق ومركزه كمسيحي إلى أن ترد نفسه، وهي حالة مع ذلك خطيرة للغاية، وتشبه حسب لغة سفر اللاويين، حالة الإسرائيلي الذي في جسده ناتئ ولكنه ليس برصاً، وذلك لأنه وهو مؤمن يبغض أخاه. وهذا هو التناقض بعينه، إنه قديس، خالي من برص الخطية، ولكنه ليس خالياً من الناتئ. مع أن الله يستطيع في صلاحه أن يستخدم لخير المؤمن الشر الذي يصدر عن الشرير كما يقول المرنم "نأمة معصية الشرير (تقول) في داخل قلبي (لا قلب الشرير) أن ليس خوف الله قدام عينيه". أي أن النعمة تستخدم حالة التناقض كإنذار للمؤمن. لأن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله فلنحذر إذاً من الكلام دون العمل "لأن من لا يحب أخاه الذي أبصره كيف يقدر

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أن يحب الله الذي لم يبصره؟" هذا منطق ولكن المنطق المجرد لن ينشيء محبة ولا هو يعدو أن يكون مجرد استنباط ذهني، ولكن الطبيعة الجديدة تستطيع بتأثير المسيح فيها أن تأتي بالنتيجة التي يطلبها الله ويرضاها.

إنه من العبث أن يتكلم الإنسان عن أشياء لا تمس القلب أو تؤثر فيه، ولكن الله قد رتب الأمور بحيث تكون حولنا مجموعة من الامتحانات العملية. فكيف نتصرف يا ترى مع الذين هم إخوتنا؟ إن معرفة الرسول بالحق المعطاة له من الله تستبعد ككل مراوغة. لذلك نراه يضرب مثلاً ويقدم إيضاحاً يكاد يصل إلى حد الطفولة في بساطته، ولكنه مثل مقدس وحكيم، أما كبرياء الإنسان فلا تعتد بهذا. ذلك لأن الناس يعتبرون أنفسهم كاملين فيطالبون الذات بالحرية لكي تظهر من الاشمئزاز والبغضة ما تراه مناسباً. ولكن هل هذا الحق؟ قد تعترض القديس ظروف امتحان قاسية حيث يرى أخاً له يتصرف تصرفاً خاطئاً، أفلا يحب أخاه في هذه الحالة؟ بكل تأكيد عيه أن يحبه. صحيح أن محبته لأخيه قد تتخذ صورة مختلفة، ولكن المحبة يجب أن تدرب دائماً كما في نور حضرة الله. ومهما يكن مسلك المحبة في هذه الحالة، فليس أدل على فقدان المحبة وانعدامها من أن أتحول عن أخي المخطئ، هزءاً به مزدرياً إياه، رافضاً أن أحمل ثقله أو مظهراً عدم اكتراث من نحوه. أنه من دلائل المحبة أن تقاسمه حزنه حتى ولو ظهر أنه لم يذلل نفسه كما ينبغي. فإن التوبيخ، مجرد التوبيخ، قد يهيجه، ومن هنا يتحتم على المحبة أن تتجه اتجاهاً آخر غي التوبيخ ونحن أحوج ما تكون إلى الله لكي رشدنا كيف نسلك بالمحبة.

إن لمحبة الصادقة تعرف كيف تش طريقها في وسط الصعوبات مسترشدة بالله في الروح القدس ليعينها في هذا الأمر. إن المحبة لا تطلب ما لنفسها ولذلك هي لا تتصرف تصرفاً غير لائق، إنها تعرف كيف تحتمل كل شيء وترجو كل شيء وتصدق كل شيء، وهل هناك ما هو أثبت وأبقى من المحبة إنها تصبر على كل شيء ولذلك فإن سقطت كل الأشياء فإن المحبة لا تسقط أبداً، ولهذا نحن مدعوون في المسيح أن نحب بعضنا بعضاً، ولنا الفرص الكثيرة لممارسة المحبة، فهناك أخوتنا الذين رأيناهم في الماضي وحولنا إخوتنا الذين نراهم كل يوم. فإذا اتخذت لنفسي موقفاً لا أراهم فيه ولا أهتم بأمرهم، وإذا شغلت نفسي بأمور أخرى ترضيني، فهذه ليست المحبة، وإذا استسلمت لهذه الحالة وأصبحت عندي عادة، فأنا حينئذ في حالة خطرة بكل تأكيد، حالة تقتضي الحكم عليها والصراخ إلى الله لينقذني منها. فلنحرص يا أخي أن نثبت المحبة الأخوية.

هناك شيء آخر هام متصل بالمحبة، فإن الرسول قد قصد أن يناقش الموضوع مناقشة تامة في نور العلاقة التي لنا من الآب والابن، وهو هنا يطبقها في أمور حياتنا اليومية كامتحان لحقيقة المحبة، ولكن هناك شيء آخر يؤكدها ويعمقها في عواطفنا، حيث يقول "ولنا هذه الوصية منه أن من يحب الله يحب أخاه أيضاً".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إن بعض المسيحيين ينظرون إلى كلمة وصايا كأنها تشير دائماً وبالضرورة إلى شيء ناموسي، فيربطون هذه الكلمة بالناموس الذي هو خدمة موت ودينونة. غير أن الذين يعرفون جيداً إنجيل يوحنا ورسالته التي أمامنا ينظرون إلى الوصايا نظرة أسمى فإن الكتاب المقدس يتضمن كثيراً من الوصايا التي ليست لها صفة ناموسية، سواء في العهد الجديد أو القديم. والفارق بين هذين النوعين من الوصايا واضح للغاية، فوصايا الناموس موجهة إلى الإنسان في الجسد لتثبيت عليه انحرافه وعصيانه وتقيم الدليل على استحالة الوقوف أمام إلهه على أساس الناموس لحظة واحدة، ولكن حين ظهرت نعمة الله المخلصة، بذل المسيح نفسه لأجلنا لكي يفيدنا من كل إثم ويطهر لنفسه شعباً خاصاً غيوراً في أعمال حسنة. ومن هنا كانت حاجتنا إلى هذه الوصايا كنوع من لإشارات الإلهية لإرشادنا وسط مشاكل الحياة وصعابها المختلفة فإن كان هذا العالم مشاق وآلام فإن الله يوصي بالمحبة واضعاً إياها على أعناق أولاده.

هب أن زوجاً ألقى كلمة مشددة على زوجته – لك أن تسميها وصية أو لا تسميها – فهل تظن أن الزوجة ترى غضاضة أو مضايقة في طاعتها؟ إذا كانت تحبه فسرورها أن تنفذ وصيتها. أما غير الزوجة فقد تنفر ن تلك الوصية التي ليس من حق أن يفرضها عليها. ولكن الفارق شاسع بين الحالتين. والتفسير في العلاقة القائمة بين الرجل وكل من المرأتين. ونحن المسيحيين قد أصبحنا في أوثق علاقة مع الله الذي يضع على قلوبنا وصيته أن يحب كل منا أخاه.

ولمفروض أن للزوج دراية لبعض الأمور التي لا تتوفر لزوجته، أو في القليل هو زوجها ومسؤوليته إرشادها، فإن هو تخلى عن هذه المسؤولية فذلك خطأ منه وإنما عليه أن يسترشد بالله في كل ما يقول وإذ ذاك، كما يود هو أن يرى رغباته منفذة، كذلك زوجته ترى في تنفيذ هذه الرغبات ليس فقط واجبها بل سرورها فإن كان هذا واضحاً بين الناس فهو أوضح وأوجب بالنسبة لأولاد الله. لقد أحبني الله حباُ كاملاً وجعلني ابناً له، ولم يضن عليّ بأكرم ما عنده، ابنه الحبيب الكريم، يوم لم يكن في ما يستحق المحبة. وهو الآن يحبني لا كإنسان أثيم بل كابن له فهل أعد الوصية يا ترى شيئاً آخر غير أنها تستحق مني كل قبول بفرح وثقة! إن كل طرقه صالحة وحكيمة، الأمر الذي لا يتوفر في حالة الزوج أو الآب الأرضي ولكن ما كان علينا أن نكرم آبائنا وأن نطيعهم إلا إذا كانت أوامرهم تتعارض مع كلمة الله الصريحة، فكم بالحري ينبغي أن نظهر أنفسنا خداماً متأهبين لتنفيذ مشيئة الله وننفذها بكل محبة باعتبارنا أولاده.

هذا وليس هناك أي استثناء على الإطلاق في مبدأ الطاعة لله المؤسس على علاقة النفس به، بل أن جميعنا مدعوون لأن نطيع طاعة مطلقة كاملة. إن لوثر التي كانت تنقصه أشياء كثيرة بسبب تربيته في كنيسة روما، لم يكن يحب رسالة يعقوب وذلك بالطبع لأنه لم يكن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يفهمها على حقيقتها ولو أنه كان يفهمها لحصل لنفسه على خير كثير. صحيح أنه كان من نصيب يعقوب أن يكتب عن التبرير قدام الناس – ليس عن الإيمان الذي لا يراه غير الله بل عن أعمال الإيمان التي يراها الناس، ولسان حال كل منهم "ارني" ومع ذلك فقط أشار بأسلوب بديع إلى "ناموس الحرية" الذي يقود وينظم ويضبط سلوك أولاد الله. وواضح أن "ناموس الحرية" هذا يختلف كل الاختلاف عن ناموس موسى الذي هو ناموس العبودية. فالناموس الذي يضعه الله على أولاده هو ناموس الحرية. وكيف ذلك؟ الجواب لأن الطبيعة الجديدة تشتاق فوق كل شيء لأن تفعل مشيئة الله، وحينما تعرف ما هي تلك المشيئة فإن القلب يسرع لإتمامها. لاشك أن الأمر يحتاج إلى الصلاة والسهر ضد الجسد، وقد تكون في طريقنا عوائق كثيرة يضعها الشيطان، ولكن ما دمنا نعرف ما يكلفنا به أبونا فإن كل إحجام عن السير في طريق طاعته نحكم عليه كشر، ونتلذذ بمشيئته كناموس الحرية. هذا موضوع لذة الطبيعة الجديدة، ويعقوب يتكلم عن الطبيعة الجديدة لا عن الفداء الذي أفاض فيه بولس وإنك لتذكر أنه لورد في نفس الإصحاح الذي اقتبست منه رسالة يعقوب ذلك القول الأخير الجيل "شاء (أي الله) فولدنا بكلمة الحق لكي نكون باكورة من خلائقه" وهو في جوهره ما يسمه يوحنا "حياة" وما يسميه بطرس "طبيعة إلهية". لقد أعطى للرسول بولس أكثر من غيره أن يتوسع في شرح فداء المسيح وذلك الباعث القوي الذي توجده في القلب معرفتنا بمحبة المسيحي التي حصرنا. أما يعقوب فيحدثنا عن الطبيعة الجديدة التي تساير مشيئة أبيه، وهكذا نحصل من جميعهم على حزمة من النور باهرة ومشرقة.

وهكذا نرى أن المحبة لإخوتنا ليس فقط غريزة من غرائز الطبيعة الجديدة بل هي التزام علينا في طريق الطاعة لإلهنا.. وهل هناك ما هو أقدس في نظرنا من الطاعة؟ وهل هناك ما يعدلها في إذلال نفوسنا وتعويدها على الاتضاع؟ وهل هناك ما هو أليق منها بالمسيحي، وهل هناك ما تفوح منه رائحة المسيحي أكثر من الطاعة؟ إنها الطريق التي يسلكها المسيح في ملء كمالها، وذلك إلى حد بذل حياته الكاملة لنا "هذه الوصية قبلتها من أبي". فهل كونها وصية من أبيه جعلها عبئاً ثقيلاً على نفسه؟ كلا فمهما كانت التكاليف فقد وجد المسيح لذته في أن يبذل نفسه طاعة لوصية أبيه. فمحبته الكاملة ووصية أبيه التقت كلتاهما في بذل حياته عنا وها هي نفس الوصية توجه إلينا فيما يتعلق بمحبتنا لأولاد الله "ولنا هذه الوصية منه أن من يحب الله يحب أخاه أيضاً" فلسنا فقط نحب بقلوبنا بل نعرف ونحن نحب أننا عاملو رضاء الله وصانعون مشيئته. ومكتوب "الذي يصنع مشيئة الله يثبت إلى الأبد" كما قال رسولنا في مكان سابق. فليتنا لا ننسى أن إلهنا يربط محبتنا له بمحبتنا لأولاده، لن يرض بالأولى دون الثانية، فإذا كانت لنا محبته وكرامته فلتكن لنا أيضاً محبتنا من جميع إخوتنا لأنه يحب كل واحد منا بمفرده كما يحبنا جميعاً بذات المحبة الواحدة الكاملة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الرسالة الأولى: الخطاب السادس عشر

ايو ٥: ١ ــ ٥

"كل من يؤمن أن يسوع هو المسيح فقد ولد من الله. ومل من يحب الوالد يحب لمولود منه أيضاً. وبهذا نعرف أننا نحب أولاد الله إذا أحببنا الله وحفظنا وصاياه. فإن هذه هي محبة الله أن نحفظ وصاياه ووصاياه ليست ثقيلة. لأن كل من ولد من الله يغلب العالم. وهذه هي الغلبة التي تغلب العالم إيماننا. من هو الذي يغلب العالم إلا الذي يؤمن أن يسوع هو ابن الله"

هنا يكشف الرسول سر القضية كلها، فيرينا أن هناك علاقة أخرى لها من المعنى والأثر ما يفوق بمراحل تلك العلاقة التي تنطوي عليها كلمة "أخاه" أي علاقة الأخوة بعضهم ببعض. فما هي نسبة أخي لله؟ ذلك لأن الموضوع واحد، بدأه الرسول في الإصحاح السابق وها هو يواصله في إصحاحنا، ومن المهم للغاية أن يصلنا جواب الله عن هذا السؤال: من هو أخي؟ فهناك كثيرون من الأشخاص الأتقياء يجدون صعوبة كبرى في الإجابة على هذا السؤال. ولا شك أن تفرق أولاد الله، الذين كانوا مرة مجتمعين إلى واحد، قد ضاعف حيرة أمثال هؤلاء الأتقياء. هل إخوتي هم المشتركون معي في جماعة واحدة؟ مثل هذا الرأي ينتج عنه أن المحبة التي ينتظرها الله تتجه إلى الأفراد الذين من نفس الجماعة، سواء كانوا على حق أو ضلال. قد تكون الجماعة على ضلال وقد تكون بحسب فكر الله. ولكن حتى مع التسليم بأنها على صواب في ذاتها، فإن حالة خراب الكنيسة في الوقت الحاضر لا تمجد الله، بل وتجعل طريق الكثيرين محفوفاً بالمزالق والأخطار. علاوة على أن قصر محبتي على الجماعة التي أنتمي إليها يجعلني شخصاً متحزباً عوضاً عن تطلعي لفكر الله والحزن الذي يجب أن أشعر به إزاء حالة الفوضى والتشويش في الأمور الإلهية وخطر الانحراف عن مشيئة الله.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ولا ننسى أن الميزة الجوهرية التي تليق بالمؤمن وتميزه عمن عداه إنما هي انفصاله لله عن العالم بنعمة الله. لا انفصال عن الشر فقط بل انفصاله لله في المسيح. فإن التقديس يكون ناقصاً إذا اقتصرنا على الناحية السلبية من الانفصال أي مجانبة هذا الشر أو ذاك، دون الناحية الايجابية وهي الالتصاق بالله. فقد ينفصل الإنسان عن ألف شر وشر ومع ذلك قد ينجذب إلى نوع من المهادنة أو المسالمة مع شر ما فلا يكون في هذه الحالة في شركة حقيقية مع الله ولا مع مشيئته. وقد يكون الانفصال بنية صادقة ولكنه ليس مما يوثق به ولو أنه قد يجعل صاحبه راضياً مرتاحاً ذلك لأن النفوس عندما تنسى الله وتغفل كلمته في مجموعها تكون عرضة لأن تظن أكثر من اللازم في برها الذاتي. أما حيث يكون المسيح والله نفسه أمام القلب فهناك يكون الاتضاع الحقيقي والتقديس الحقيقي.

وهذا هو عين ما نحتاج إليه جميعنا، أي نكون سعداء تماماً بالنعمة، وفي الوقت نفسه لا نكون شيئاً في أعين أنفسنا. وليس سوى المسيح وحده، وشعورنا بوجوده لأجلنا في حضرة الله، يستطيع أن يوفق بين هاتين البركتين. فقد تجد شخصاً متواضعاً بحسب الظاهرة ولكنه ليس مقدساً، وقد تجد شخصاً مقدساً بحسب الظاهر ولكنه بعيد عن التواضع. وكلاهما ليس بحسب الله، بل هما يخدعان نفسيهما، أما المسيح وحده فهو سر الحقيقة. فلا تصدقن أولئك الذين ينسبون لأنفسهم التواضع أو القداسة، فإنهم يذكروننا بالوصف الذي جاء في العهد القديم على لسان سليمان الحكيم "بار بزيادة" وكثيراً ما نجد حولنا أشخاصاً من هذا الطراز ولكننا لسنا بحاجة للثقة بهم لأنهم يقولون ولا يفعلون.

ولكنه من الأهمية بمكان – وهذا هو بيت القصيد هنا – أن نعرف من هم الأشخاص الذين نحن مدعوون لأن نحبهم. وها هو الرسول يزودنا بالجواب يوم كانت الأمور تزداد صعوبة وتعقيداً يوماً بعد يوم ونحن الآن أحوج ما نكون إلى معرفة مشيئة الله. فمع أن الحالة يوم كتب الرسول كانت حرجة إلا أنها بالمقارنة مع حالة أيامنا هذه كانت على الأقل مرتبة، ذلك لأن التشويش الآن قد ضرب أطنابه في كل مكان حيث لم يعد الامتحان مجرد مظهر الاشتراك الخارجي. ففي الوقت الحاضر نرى أولاد الله متفرقين شيعاً وجماعات وقد نجح الشيطان في أن يجعلهم يساهمون كنسياً في أمور كثيرة تخالف المكتوب حتى ضاعت حقيقة الشركة الصحيحة بحسب كلمة الله. وحتى أولاد الله ينفر معظمهم من تبعات الأمانة والتزاماتها. ولذلك فإنه يعوزنا بالأكثر أن يكون لدينا امتحان دقيق لا يخيب به نعرف من هم الذين نحن مدعوون لأن نحبهم، وها هو الرسول يصفهم بالقول "كل من يؤمن أن يسوع هو المسيح فقد ولد من الله. وكل من يحب المولود منه أيضاً". فالذي هذا إيمانه هو ابن لله وهو أخي. ونحن مطالبون أن نحب كل من ولد من الله وبعبارة أخرى "كل من يؤمن".

أضف إلى هذا أن الطريقة التي بها يصف الرسول الإيمان هنا جديرة أيضاً بالملاحظة فهو هنا لا ينظر إلى المسيح في المجد كما فعل في الإصحاح الرابع (ع ١٧) ولا هو حتى

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يتحدث عن موت المسيح وقيامته. ولا يتعرض لموضوع الفداء. إنما موضوعه شخص يسوع، ويسوع في أبسط صورة باعتباره "المسيح" وما أطيب وأحكم هذا من جانب الله؟ إن كثيرين يعرفون مجموعة كبيرة من أقوال سيدنا وأفعاله ولكنهم يتجاهلون شخصه. وأمثال هؤلاء ليسوا مؤمنين حقيقيين. وهنا يجلو الرسول حقيقة المؤمن البسيط ويعطيه مركزه العظيم متى كان مخلصاً لشخص سيده المعبود، وكل من لا يؤمن أن يسوع هو المسيح ليس مؤمناً على الإطلاق. صحيح أن أشخاصاً يعترفون بالرب على هذه الصورة ويؤمنون بشخصه المحبوب في ضوء هذه القاعدة ولا يكونون على إلمام بكل وظائفه له المجد، ويجهلون أغراض الله ومشوراته في المجد لكنهم على أية حال يضعون نصب عيونهم غرض الإيمان الكريم. قد يكون إدراكهم ضعيفاً بكهنوت المسيح أو خدمته الشفاعية، بل قد يجهلون رياسته للجسد الكنيسة وسيادته فوق كل شيء وغير ذلك من الحقائق السامية والطرق العظمى المجيدة الخاصة بالرب مما يزخر به العهد الجديد. قد يكون هذا أو ذاك ولكن مثل هذا النقص في المعرفة ليس دليلاً على أنهم ليسوا أولاد لله فإنهم بالتدريج سيعرفون هذه الأمور جميعها.

هذا هو المحك والامتحان الذي يقدمه لنا الرسول لتدعيم نسبتنا لله على أساسها الصحيح ولتحديد اتجاه محبتنا. كل من يؤمن أن يسوع هو المسيح – مسيح الله – الذي أرسله إلى العالم ليعطي حياة ويكون مخلصاً – هذا هو أخي. لقد أوحى للرسول أن ينزل بنا إلى أول درجة في السلم حيث منها نستطيع أن ننظر النظرة الصحيحة إلى سيدنا. فموضوعه ليس المسيح في المجد ولا ما فعله المسيح من أجل خطايانا. ولا هو يصرح بأن المسيحيين الحقيقيين هم أولئك دون سواهم الذين يدركون لأول وهلة إنجيل مجد المسيح، ولا هو قول أن أولئك دون سواهم الذين يؤمنون إيمان شاول الطرسوسي وهو في طريقه إلى دمشق هم وحدهم غرض المحبة. بل كل ما في الأمر أنه أوحى إلى يوحنا في الحقبة الأخيرة حينما كتبت هذه الرسالة أن يشجع إيمان النفوس البسيطة التي لم تكن بعد قد سمعت شيئاً عن هذه الحقائق المتعلقة بإنجيل المجد. وإنما أرادهم أن يعرفوا أنهم أولاد الله ومن حقهم أن يتمتعوا بتلك المحبة التي يشدد بها هنا على كل قديس.

إن التضييق هو بالضبط ما يندد به روح اله هنا، وهو ما يستبعده كشيء مهين لله. فإن الحياة الإلهية وليست الشركة الكنسية هي التي تجعل كل من ولد من الله جديراً بمحبة جميع إخوته المولودين من الله نظيره، هذا هو المؤهل الوحيد للمحبة الأخوية، وهو مؤهل يتسع بالنعمة لجميع المؤمنين بالحق. فإذا كان الله قد فتح قلب إنسان ما ليؤمن أن يسوع هو المسيح، وربما كان هذا الشخص موجوداً في ظروف صعبة ولم يسمع عن حق الله إلا لماماً – فلزام علينا أن نرحب به ونقبله ونحبه قلبياً كمولود من الله. لأنه مادام يسوع المسيح قد أصبح غرض إيمانه فواجبنا أن نعترف به بكل سرور كمن انتقل بهذا الإيمان

 All rights reserved © 2008-2018

من الظلام والموت إلى النور والحياة. قد تكون معارفه الروحية قليلة، غير أن واجبنا أن نكرم عمل الله الحقيقي في نفسه، لأن العمل هو عمل إلهي بكل يقين طالما استراحت النفس على شخص يسوع المبارك باعتباره المسيح. وهو مولود من الله تماماً كأخيه الذي أدرك بسرعة بعضاً من أعمق حقائق العهد الجديد، وكلاهما جديران بحبنا على قدم المساواة، في بساطة وصدق وإخلاص. وهذه هي صفات المحبة التي يوصينا الرسول أن نتبعها، ولو أنه يخجلنا الكلام عن قياسنا منها.

وهذا مبدأ هام وخطير من الوجهة العملية، فقد يكون بين إخوتنا بعض الفوارق الطبيعية في الخلق والمزاج، غير أنها جميعاً خارج نطاق هذه المحبة التي يتكلم عنها الروح القدس. فإن المسيح يكيف أولاد النعمة بلا دخل للطبيعة القديمة وسماتها، فإذا ما استطاعت المحبة حينئذ أن تغالب فتغلب فذلك يعود بالحمد لله وبخاصة إذا كان هناك ما ينفر أو يكره طبيعياً، غير أن الحياة في المسيح تسمو بواسطة الروح القدس على كل ما من الجسد، وذلك لمجد الله ليس لمجد الإنسان. ومع ذلك فهناك من المسيحيين من تضللهم بعض الأفكار الخاطئة عوض أن يثبتوا في الحق فواحد يجهل مطلقاً أننا بعد تجديدنا يلزمنا أن نعرف فكر الله من كلمته فيحاول أن يتجه إلى مصادر أخرى خارجية أو داخلية. وواحد نشأ لسوء الحظ كما لو كان يهودياً يعجب بمظاهر الأبنية الفخمة والموسيقى الشجية تتخلل العبادة ويظن أن صلواته تكون أكثر قبولاً لو صلاها في كاتدرائية، وإذا لم يكن القارئ يعرف شخصاً نظير هذا، كان يوماً ما حتى وهو مؤمن يجهل جهلاً تاماً حرية الإنجيل، فها هو شخص الكاتب يحمل في نفسه ذكريان قديمة من هذا القبيل.

والحقيقة العامة التي لا ريب أو مداراة فيها هي أن كثيرين جداً من أولاد الله لا دراية لهم مطلقاً بطرق الله ولا يعرفون شيئاً أفضل مما أشرنا إليه. فهل احتقر نفساً هذا مركزها وتلك صفاتها؟ كلا بكل يقين، إذا كان هناك شخص مؤمن في بساطة وصدق أن يسوع هو المسيح فإن قلبي يتجه تماماً إلى شخص متمكن في الحق ومتدرب في طرق الله. إنما لنلاحظ كيف نمارس المحبة وفقاً للحالة. والأمر في ذلك يستلزم إرشاد الروح بكل تمييز واعتبار. فهل هذا الأخ مثلاً ضعيف، سريع التأثير؟ أم هو من القوة بحيث يحتمل الكلام الواضح والصريح وينتفع به؟ فإنه لمن الخطر أن تحاول انتزاع عادة دينية من مؤمن وتهدمها دون أن تغرس مكانها الحق المناسب ليملأ الفراغ. ولنتذكر أن الجميع سيكونون متعلمين من الله كما يقول العهد القديم وكذلك العهد الجديد. ونحن نحتاج لإرشاد إلهنا لنتصرف بحكمة كآلات نعمته في تكميل نقص إخوتنا بمعرفة أفضل عن المسيح والله. وأليست هذه هي الطريق الأفضل والطريق الصحيح؟

فلو أنني بدأت بمهاجمة عظمة وفخامة الكاتدرائية ومظاهر أبهتها وجاذبيتها الطبيعية، فقد أضره وهو بعد غير ناضج ومعتاد على هذه "الأركان الضعيفة" باعتبارها الشيء

 All rights reserved © 2008-2018

الصحيح. ومن الجهة الأخرى يجب ألا يبدو مني ما يدل على أي قبول أو مصادقة على هذه الأشياء اليهودية كأنها مسيحية، وإلا فإنني أكون غير صريح وغير أمين، أحاول فقط مراعاة مزاج الشخص والتدليس على الخرافة. من هذا وذاك نرى مبلغ افتقارنا إلى النعمة لمواجهة أي قديس لا يعرف بعد إلا القليل عن النعمة. وما أكثر أن نفشل هنا؟ فإذا كنا نتعامل مع أولئك الذين يقومون حقاً في النعمة فإنهم يحتملون عن طيب خاطر وفي ضعف كثير. أما بالنسبة لأولئك الذين لا يعرفون عن النعمة إلا القليل فإننا نحتاج إلى قدر كبير من النعمة لنعالج أمورهم بحسب الله. ومادام الله يحبهم فليس من سبب يجعلنا نحن لا نحبهم بل لدينا كل الأسباب لأن نحبهم. إن الله يحب جميع المولودين منه. وهذا هو أساس محبتنا والمفتاح لحل كل صعوبة "وكل من يحب الوالد يحب المولود منه أيضاً".

خذ الوسط العائلي لأية أسرة. هناك تجد هذا المبدأ واضحاً أنت تزور عائلة تكن لرأسها حباً واحتراماً شديداً، فما تأثير ذلك في نفسك فيما يتعلق بالأولاد؟ لا شك أنك تحبهم جميعاً. قد يكون واحد منهم متعباً وكثير الجلبة والضوضاء، مثالاً للمشاكسة والمكايد وكثير الشقاق مع إخوته وأخواته. وقد يكون آخر لطيفاً جذاباً أكثر من البقية. ومع ذلك أفلست تحبهم على السواء؟ ما دمت تحب الأبوين فأنت بكل يقين تحب كل فرد من الأولاد.

إن الحياة الإلهية تكشف عن روح الخير والطيبة في نفوس أولاد الله ما دمنا ننظر إليهم بعين بسيطة ومحبة. صحيح قد تعترض محبتنا لهم بعض المنفرات ولكن لنذكر أن محبتهم لنا تعترضها أيضاً بعض المنفرات والنقائص من جانبنا. ومع ذلك فلو أن هذه أو تلك كانت عشرات أضعاف حقيقتها، فها هي كلمته لي ولك، وهي تنادينا إننا إذا كنا نحب الله فبكل تحقيق نحب أولاده – لا الذين نراهم يوماً فيوماً فقط بل الذين لا نراهم أيضاً ومهما تكن الظواهر الشاذة، والأخطاء أو حتى الإساءات التي تستحق الملامة، فذلك لكه لن يغير إلا في الأسلوب الذي به نظهر محبتنا لهم. أما مجرد الفكر بأنه يجب علينا ألا نحبهم فلا يخرن بالبال لحيظة واحدة. قد تكون حالتهم من السوء بحيث لا تجدي فيها نصائحنا فنرى ألا سبيل أمامنا سوى الصلاة لكن لتكن صلواتنا بالمحبة أمام الله. ولنراقب مبلغ ثبات محبتنا وكيف تصمد للامتحان بالنسبة للقديسين الذين نظنهم في مسلك خاطئ. هل نسعى لخيرهم؟ وهل نشتاق أن يصل الحق إليهم ليخلصهم من كل تعصب أو تخرب؟ إننا نستطيع دائماً أن نثبت محبتنا في حضرة الله. أما إذا كنا لا ندرب أنفسنا إزاء هذه الأمور مستعينين بالله وبوسائله فإن محبتنا ستكون بلا شك ضئيلة هينة. هذا ما يريد الرسول أن يعلمنا إياه من العدد الذي نحن بصدده.

مبدأ آخر يطالعنا به العدد الثاني "بهذا نعرف أننا نحب أولاد الله إذا أحبنا الله وحفظنا وصاياه". هذا أسلوب قد لا يتفق ومنطق المدارس. فهم يسمونه محاجة في دائرة وهو في عرفهم نوع رديء من المنطق. ولكن ما شأن المنطق بالحق ونعمة المسيح ومحبة الله،

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA
All rights reserved © 2008-2018
info@arabicbible.com

ومحبة أولاده؟ ما شأن المنطق بالحياة الأبدية؟ إن المسألة ليست نقاشاً وجدلاً، بل إيماناً. فهل نعجب إذا رأينا أناساً لا يستطيعون أن يسمو فوق المنطق أو العلم أو الفلسفة يستغلق عليهم الأمر فيقفون حيارى إزاء كل حق تنطوي عليه كلمة الله ويجدون محبته وكل آثارها غير مفهومة ولا معقولة قياساً على قواعد المنطق وأحكامه. حقاً أنه لا يوجد للنفس طعام في المناقشة والجدل ولئن استطاع الإنسان أن يجد خبزاً لهذه الحياة فإنه "ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل ما يخرج من فم الرب يحيا الإنسان" (تث ٨: ٣). ولقد وجد المسيحي طريق الحياة والمحبة الإلهية وعمل الروح القدس داخل النفس – كل هذا وجده المسيحي في كلمة الله ولذلك هو يخضع لهذه الكلمة العجيبة "بهذا نعرف أننا نحب أولاد الله إذا أحببنا الله وحفظنا وصاياه". وهكذا تتجمع الحقائق المختلفة في واحد. وهذا هو منطق القلب المطهر بالإيمان – ليس فقط نازلاً من الله بل صاعداً إليه ثانية، مازجاً الطاعة بمحبة الله ومحبة أولاده، وهي ولا شك وقاية عظيمة ضد المخادعة أو الانخداع.

فإن وجدت المسامع البشرية أن أسلوب الرسول في هذا التوجيه الحبي لا يتفق من المنطق فماذا يبقى بعد ذلك مطبوعاً بالطابع الإلهي وجديراً بالله؟ الواقع أن الإنسان لا يفهم ذلك لأن "المحبة هي من الله".. فلكي يتسنى لنا أن نفهم مثل هذه الأقوال يلزمنا أن نتمتع أولا بالمحبة وتكون فينا المحبة، فما من إنسان يقدر أن يدرك طرق الله العملية ما لم يحصل على الطبيعة الجديدة التي يهبها للمؤمن والتي لا تحيا إلا في جو الطاعة والمحبة، وكل من يؤمن بالمسيح قد أعطيت له الحياة في المسيح. ومتى استوثق المؤمن من هذه الحقيقة صارت له الفطنة التي منشأها الروح القدس العامل في الإنسان الجديد. على أننا بقدر ما نفهم قيمة هذه النعمة بالنسبة إلينا، بهذا القدر عينه يبهرنا الحق ويملأ قلوبنا بالحمد إذ نرى كيف أن مصدره نعمة المسيح التي يساهم فيها أقانيم اللاهوت جميعاً: الآب والابن والروح القدس – وهكذا نرى كيف تنتقل النعمة من درجة الإيمان البسيط بيسوع كالمسيح إلى أعماق طبيعة الله وكيف أنها تقودنا لنقبل الحق متأملين في عجائب النعمة التي فيه ومدربين نفوسنا به يوماً فيوماً.

فهل ترى توجد رسالة نظير هذه التي بين أيدينا لها مثل هذا التأثير القوي على قلب المؤمن. فإننا لو قرأناها بالإيمان لما وجدنا فيها شيئاً مما يقلق ثباتنا في المحبة فالمسيح قد أكد هذه الحقيقة للإيمان إلى الأبد. ذلك أن حق الإنجيل هو أساس ثبات الله فينا وثباتنا فيه، بمقدار ما هو أساس ممارسة المحبة لأولاد الله، تلك المحبة التي نعرفها حينما نحب الله ونحفظ وصاياه. إن المحبة الإلهية في المسيح تشرق على الخاطئ المسكين وتعطيه ثقة بأنه موضوع المحبة الكاملة التي تختلف كل الاختلاف عن المحبة البشرية في أفضل حالاتها. ذلك لأنه أصبح ليس قديساً فحسب بل ابناً لله. وليس غير الله كان يمكن أن يحب هكذا وقد جاء المسيح ابنه لكي يظهر هذه المحبة إظهاراً كاملاً. ولكي يتمم هذه الغاية ويمحو خطايانا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مات كذبيحة لأجلنا. وليس هكذا يعطى الإنسان والعالم. وقد تكملت هذه المحبة ليس فقط بمجيء الروح القدس ليمكث فينا ويكون معنا بل في كوننا ونحن الآن في هذا العالم نظير المسيح قدام الآب. ذلك لأن جميع شرورنا الصادرة منا والكامنة فينا، قد سواها وعالجها بموته الكريم – وصارت لنا حياة قيامته حياتنا، وصار أبوه أبانا وإلهه إلهنا. كل ذلك ونحن بعد في العالم الذي صلب المسيح. إنه سيأتي سريعاً لكي يأخذنا إلى حتى حيث يكون هو نكون نحن أيضاً معه. غير أنه يوجد في نفس الوقت أولاد لله آخرون نظيرنا وهو يطالبنا أن نحبهم كما يحبهم هو، والأمر واضح مادامت لهم نفس العلاقة ونفس المركز الذي لنا. فإذا كان الله يحب فنحن أولاده نحب كذلك، وهو له المجد يجعله أمراً بوصية أن نحب إخوتنا ونحبهم جميعاً. وإذا كنا لا نحبهم فإننا لا نحبه بل نخدع أنفسنا. وهذا هو القول الفصل في هذه القضية.

ولكن كيف نظهر المحبة لأولاد الله؟ إنها قبل كل شيء غير منفصلة عن محبة الله وحفظ وصاياه. وهي لن تكون محبة صادقة لهم إذا فشلنا في محبتنا لله أو في حفظ وصاياه. أو ليس هذا طابعاً عجيباً يخلع على محبتنا لإخوتنا ويجعلها أمراً فاحصاً لأعماق قلوبنا؟ ويا له من رادع قوي ضد الاستخفاف وعدم المبالاة! هب أن أحد أولاد الله وقع في خطأ ضد الله سواء كان هذا الخطأ تعليمياً أو عملياً فما العمل؟ هل من المحبة السكوت على الشر أو التهوين من أمره أو اشتراكنا فيه ولو كان صاحبه أخاً؟ كلا. "وبهذا نعرف أننا نحب أولاد الله إذا أحببنا الله وحفظنا وصاياه". ومعنى هذا أننا لا نكون محبين لإخوتنا إذا أظهرنا عدم محبتنا لله وأهملنا وصاياه. وهكذا نرى مبدأ الطاعة مؤيدا بأسلوب جديد من شانه أن يحول دون سوء استعمال المحبة لأولئك الواقعين في خطأ ومستحقين للتوبيخ. فإذا كنا نتهاون مع الخطية، وإذا كنا نتجاوز عن الشر والخطأ ضد الله بحجة المحبة لأولاد الله، فإننا لا نقدر أن نعرف أن محبتنا لأولاد الله هي محبة حقيقية بل هي في الواقع شَرَك لنا ولهم. فإذا كنا لسبب ما ننزلق إلى هوة عصيان مشيئة الله، فكل شيء يختل في نفوسنا ونفقد الطمأنينة واليقين في مسلكنا، ذلك لأننا لم نعد بعد نتمتع بالشركة معه ونكون في خطر الاستعاضة عن محبة أولاد الله بملاطفتهم ومراعاة مزاجهم، وهذه ليست المحبة الصادقة بحسب الله، وإنما هو شيء من عسل الطبيعة لا أكثر ولا أقل. أما إذا كنا بالإيمان ندخل الله في الموضوع كمن يتعلق به القلب ويحبه فإن ذلك يتبعه حفظ وصاياه، الأمر الذي يمنع الاستسلام البشري حيث يكون الأمر متعلقاً بمجد الله، وتكون لنا الثقة بأننا نحب أولاده كما في حضوره. من هذا نرى قيمة المحك الذي يقدمه الرسول لنختبر به نفوسنا قدام الله، وإنها لحقيقة غاية في العمق وجديرة بأن تكون فصل الخطاب في موضوع المحبة بقوة كلمته "فإن هذه هي محبة الله أن نحفظ وصاياه ووصايا ليست ثقيلة". من هذا نرى أن الروح القدس لا يعطينا محكاً في العدد الثاني فقط بل يعطينا محكاً مضاداً في العدد الثالث فليس من محبة الله في شيء ولا محبة أولاده إذا كنا غير طائعين فإن محبة الصادقة لله

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

من خصائصها الطاعة وفي الوقت نفسه تعلن ذاتها في محبة أولاده – ليس فقط أولاد الذين تربطنا بهم رابطة خاصة أو الذين ينتمون إلى جماعة معينة بل جميع أولاده. ولن نستطيع أن نفصل الطاعة عن المحبة. فإن لم تكن طاعة فلا يمكن أن تكون محبة وإذا وجدت المحبة الإلهية رافقتها الطاعة بكل يقين. "ووصاياه ليست ثقيلة"، هذا هو تقدير الرسول بل تقدير جميع الذين يسيرون قدام الله واثقين في نعمته. وهذا هو الحق الذي ينطق به الروح القدس. وهكذا قال الرب نفسه في (مت ١١) أن نيره هين وحمله خفيف. غير أن أولاد الله يلاقون في سبيلهم عقبة دائمة ربما كانت أعسر ما يلاقونه من عقبات. وقد يخطر ببالك لأول وهلة أنني أعني الجسد. لكن لا فمع أن الجسد قريب منا جداً، هناك صعوبة أخرى أشد منه خطراً. فحينما يثور الجسد في المسيحيين فإنهم على الأقل يحسون بالخجل ويشعرون بأنهم مخطئون. ولكن العالم هو ملاريا خبيثة تحيط بنا. وحينما تصيبنا جرثومته قد نبقى وقتاً غير مدركين ما الذي ينشئ فينا الخمول فينا الخمول الروحي ويعجزنا عن التمتع بمحبة الآب أو عن مبادلتنا. وهذا هو عينه ما يفرق بين أولاد الله بطرق شتى ويزرع بذور الفساد أينما كانت له الفرصة. فإنه إذا كان القلب متعلقاً بالعالم ويقيم له وزناً واعتباراً فسرعان ما يتحول عن أولاد الله الذين يريدهم الآب مرتبطين معاً بأوثق الروابط العائلية وأن تجري المحبة بينهم في قوة الروح. هذا ما لا يريده لهم العالم ويقف عقبة كأداء في سبيله لأنه إنما يحب خاصته، ويحبهم بطريقته التعيسة الأنانية التي لا قلب لها. ومن هنا نرى خطراً لا يستهان به يتعرض له القديسون الذين وراء راحة العالم ومجده، وهو لهذه الأسباب وغيرها شرك لهم وحفرة. فإن شاء المسيحي أن يكون على علاقة حسنة بالعالم فهو يفعل ذلك على حساب الروح القدس إذا أنه يرضي العالم ويحزن الروح.

إن الناس لا يطيقون محبة أولاد الله لأنها تدين العالم ولا يرغبون في معاشرة الذين يحبون الإخوة ويسألونك مستغربين إذا كان هؤلاء الأشخاص الفقراء هم جميعاً رفقاؤك، وكيف يمكنك أن تتخذ من هؤلاء القوم أصدقاء لك خصوصيين.

فإذا ما أراد قديس أن يحتفظ لنفسه بمركز في العالم فسرعان ما يحس بالصعوبة والحرج فإن السادة والسيدات الذين تتخذهم معيار لك من بين أهل العالم يأبون عليك أن تضمهم في نطاق واحد مع رفقائك الروحيين الذين يزدرونهم، حاسبين أن ذلك عار لهم وإهانة. هذه هي روح العالم ولا يمكن أن تكون غير ذلك، ومع هذا فأنت كأحد أولاد الله وورثة السماء تريد أن تحافظ على ود العالم وتحوز رضاء أولئك الذين صلبوا رب المجد، وأنت إذ تفعل هذا ترى نفسك مضطراً وأنت في حضرتهم أن تتجنب ولو مجرد التفاتة أخوية إلى أولاد الله المساكين الذين تعلم أنهم سيملكون مع المسيح وأنهم سيفعلون هذا أمام أعين العالم. أهذه صحبة لله وأولاده؟ وهل هي لأمانة للمسيح ذلك الاهتمام الذي تبذله لان تكون في علاقة طيبة مع العالم؟ لا عجب عندئذ أن تكون وصايا ثقيلة عليك على نوع ما. أليس كذلك؟ وإلى

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أين أنت منساق؟ أولئك السادة والسيدات من أهل العالم – هل هم أولاد الله؟ أنت لا تقول هذا، ولكنهم أناس ظرفاء! وحتى إن كنت ترجو أنهم قد يكونون من أولاد الله، ألا تعرف أن مصادقة العالم هي عداوة لله؟ "فمن أراد أن يكون محباً للعالم فقد صار عدواً لله" أليسوا يتبعون ذات المبادئ وذات التصرفات التي طردت ابن الله من العالم؟

هكذا يجب أن تكون نظرتنا إلى العالم لأنه هكذا ينظر إليه. ولا عبرة في ذلك بكم من السنوات انقضت منذ أن صلب العالم شخص الرب. فإن خطيتهم لا تزال بجدتها الآن أمام الله كما كانت يوم وقعت الجريمة القاتلة الشنعاء تماماً لأنه منذ ذلك اليوم لم يتغير العالم في شيء، فهو إما أنه يدعي العلاقة المسيحية بالآب أو ينكرها على الذين يؤمنون إذ يحسبونه من الادعاء الفظيع أن تدعو الله أباك. ولا غرو فد قال الرب مرة "أيها الآب البار إن العالم لم يعرفك" قد يظنون أنهم يخدمون الله إذ يضطهدون أولئك القوم المدعين الذين لا يستحي المسيح أن يدعوهم إخوته والذين ينظرون إلى الله كأبيهم ولعل الشيء الذي يغيظ أولئك الحانقين بوجه خاص، وهو ما يعتبرونه أردأ ما في الأمر، هو أننا ندعي بأن الله أبونا فقط وليس أباهم. فليس هناك ما يؤلم العالم أكثر من إقامتنا للحد الفاصل بيننا وبينهم – زاعمين أن بركات سماوية وإمتيازات روحية ليس للعالم منها نصيب.

ربما تقول أن ها الكلام لا ينطبق تماماً عليك، فأنت لست في شركة مع أهل العالم. ولن قد يكون لك ابن أو بنت تريد لهما مركزاً موفقاً في العالم.

أنت تركت العالم فيما يتعلق بنفسك، ولكن ماذا تقول عن أولادك؟ عن هذا في العادة هو الأسلوب الذي تظهر فيه الروح العالمية الكامنة في قلب الأبوين وكأني بهما لا يريدان جدياً أن يكون اولادهما في المسيح – أولادا لله – بل هدفهما الأول أن يضمنا لهم مركزاً حسناً في العالم ولو أنهما قد يصليان ويطلبان لهم خلاصاً أيضا. غير أن همهم الأكبر وسعيهم المتواصل متجه نحو تقدم الأولاد في هذه الحياة الحاضرة. أو ليس هذا هو العالم بعينه مهما تغيرت الأوضاع والأشكال؟ قد لا ينطبق الأبوان بمثل هذه اللغة المكشوفة ولكن الأعمال تدل على أين يضعان قلبيهما. وهذا على ما نرى هو وجه العلاقة بين العددين الثالث والرابع من إصحاحنا فالشيء الذي يجعل وصايا الله ثقيلة بصفة هو الأثر السيئ الذي يتركه العالم في نفوسنا. على أن "كل من ولد من الله يغلب العالم". عن في هذا القول لصوتاً حازماً يهيب بأولاد الله أن لا يتوددوا للعالم. ومن أسف أن هناك افتقاراً عاماً بين المسيحيين لفهم ما هو العالم على حقيقته. فقد تسأل الكثيرين من المسيحيين الحقيقيين ما هو العالم فيصارحونك بعدم قدرتهم على الإجابة. ويظن الكثيرون فيما خلا الملحدين العلنيين أن العالم قد انتهى أمره وحلت محله المسيحية لمجد الله إن لم يكن من حيث الفرد على وجه الدقة فمن حيث المعنى الأدبي للكلمة، مادام جميع المسيحيين متعمدين. ولكن لا يخدعنا الشيطان أو المظاهر ولو في أفضل صورها: إن المسيح هو دائماً محك الحق. فهل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المسيح هو الآن حياة الجنس البشري وغرضه في أي قطر تحت الشمس؟ أما حيث المسيح هو كل ذلك وأكثر منه في بساطة وصدق، فذلك ليس هو العالم. إن المسيح يهب إحساساً حياً بمحبة الآب والراحة فيها، وحيث يمكن التمتع بهذا الإحساس بقوة الروح القدس فذلك ليس العالم. أما حيث تجذب القلب وتسيطر عليه أغراض أخرى غير المسيح، وحيث لا تعرف محبة الآب أو حيث تحسب مستحيلة، فذلك هو العالم يعينه وبصورته المضادة التي لم يطرأ عليها أن تتغير. أفليس من واجبنا والأمر هكذا أن نفحص ذواتنا وقلوبنا وطرقنا. فمن السهل أن ندع العالم يتسيد علينا في ناحية من نواحي الحياة أو من حيث التفاصيل حتى ولو كنا نحاول أن نكون أمناء بوجه عام. فإذا شعرنا بغشاوة في أبصارنا، ومع ذلك نفرنا من المحك الكتابي، ألا نكون في هذه الحالة معرضين لخطر شديد؟ لا شك أن المحبة الإلهية تدعونا – ما دمنا في حالة الصحو والبصر الروحي – أن يعين أحدنا الآخر بدلاً من الاستسلام لعادة التجسس على مواضع التناقض والأخطاء في هذا الأخ أو ذاك لنتخذ منها عذراً لاشتراكنا مع العالم سواء في العبادة أو السلوك، تلك العادة التي ليست من المحبة أو المسيح في شيء.

ولاحظ أن الغلبة على العالم مكفولة هنا ومضمونة ليس للمعتكفين في صوامع الرهبان أو المتصوفين ولا لذوي المستوى الروحي العالي فقط بل "كل من ولد من الله يغلب العالم". أفليس من شأن هذا القول أن يحمس أبسط أولاد الله ويشجعهم؟ أليسوا جميعهم مولودين من الله؟ إذاً فالمبدأ يسرى عليهم جميعاً، وما من مسيحي حقيقي واحد معفى من هذا الامتياز ولا من المسئولية المقترنة به. فكما إنه مؤكد أن كل مؤمن الآن هو غرض محبة الله وعضو في عائلة الله، هكذا مؤكد أن كل مؤمن "يغلب العالم". "وهذه هي الغلبة التي تغلب العالم (لا خدمتنا، ولا ذبائحنا، ولا حتى محبتنا، بل) إيماننا". فلا تكن يا أخي غير مؤمن هنا بل مؤمناً. إن إيماننا بربنا يسوع هو الذي أتى بنا إلى الله، وهو أيضاً الوسيلة التي بها يحرسنا الله ويحفظنا. كذلك هو الذي به نميز العدو ونصده عنا. وهكذا يتسنى لنا أن نستريح بالطاعة في محبة ذاك الذي تنازل ودعانا أحباءه.

إن الإيمان هو الغلبة التي تغلب العالم. ولكن كيف؟ يجيبنا الرسول على هذا التساؤل في العدد التالي قائلاً: "من هو الذي يغلب العالم إلا الذي يؤمن أن يسوع هو ابن الله". وهنا لا نرى الإيمان مقترناً بسيدنا في لقبه "كالمسيح" فقط بل به كيسوع "ابن لله" إنه يسوع الواحد في كلتا الحالتين – غير أن الرسول يتعمق أكثر في التعبير عن مجده الشخصي. وهكذا هو الحال دائماً مع النفس المخلصة. فقد نبدأ حسناً بالإيمان بشخصه المحبوب كيسوع المسيح أو ربما بشيء أكثر من هذا – ولو إنها لا شك كانت أخباراً مفرحة أن نعلم بموجب السلطان الإلهي أن الله مسح يسوع إذ أرسله إلى العالم ليكون سبب خير أبدي للذين يؤمنون به وهذا هو المعنى المستفاد من لقبه الكريم كالمسيح أما هنا فيحدثنا الرسول عن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مجده فوق العالم كابن الله الأزلي. وأليس هذا أسمى بكثير من مجرد كونه المسيح أو الممسوح على الأرض؟ لقد كان له المجد ابن الله قبل كون العالم، ولئن رفضه العالم أو شعبه الأرضي فإن مجده كابن الله سيبقى إلى الأبد وإن زالت السماوات والأرض. فالذي نزل هو الله مخلياً نفسه في المحبة، والذي صعد هو الإنسان الذي ارتفع بعد الفداء فوق جميع السماوات، يسوع ابن الله. فذاك الذي هو الله وإنسان في شخص واحد يملأ قلب المسيحي. وسيملأ كل شيء. ونحن لسنا بعد ننظر إليه كمجرد الممسوح بالروح القدس وقوة والذي جال يصنع خيراً ويشفي جميع المتسلط عليهم إبليس بل نراه في المجد السماوي ولنا الاستطاعة أن نقدره في علاقته الأزلية الأبدية بالله كما في علاقته بنا وبكل شيء آخر.

هذا هو لقبه الذي يفسر نوع الإيمان الذي يغلب العالم، وهل يمكن أن يكون الأمر غير ذلك؟ إن النعمة فيه قد جذبت قلوبنا يوم كنا هالكين وقد أعطانا حياة بعد أن مات من أجل خطايانا. وهذه الحياة الجديدة تنشط فينا عاملة في قوة الشعور بمجد إلهي يطمس ويلاشى مجد الإنسان الزائف ومجد العالم الكاذب، وفي قوة محبة أدخلتنا في نسبة فعلية مع الآب والابن، منشئة فينا التزامات لا ئقة بهذا المقام العجيب، وذلك كله بحسب المركز الجديد الذي أوصلتنا إليه النعمة المطلقة والذي أدخلت إليه كل مسيحي. إن الحياة التي حصلنا عليها لا يمكنها إلا أن تتسامى إلى مصدرها، وعلى قدر ما تزداد هذه الحياة قوة بالروح القدس وعلى قدر ما تزداد معرفتنا للنعمة على قدر ما نسمو في تقديرنا للمسيح ولكلمته ومن هنا ندرك المعنى الذي ينطوي عليه هذا الحق وهو أنه ليس فقط المسيح أو المسوح الذي جاء إلى العالم في إرسالية الرحمة الإلهية بل ابن الله الذي له مجد شخصي بغض النظر عن هذه الإرسالية أو غيرها، وهو مجد لا يزيده احتقار العالم وازدراءه إلا إشراقاً ولمعاناً وإن كان يجلب على العالم دماراً وخراباً. هو ابن الإنسان الذي نزل إلى الأعماق كي يمجد الله من جهة الخطية ويخلص الهالكين، ولكنه هو ابن الله قبل أن تكون الأرض والسماوات وسيبقى ابن الله بعد أن تزول كلتاهما وهكذا يطالعنا الروح القدس بمجد الرب يسوع الشخصي كقوة الإيمان التي تشدده وتقويه ضد جميع الصعاب الصادرة من العالم، لأنه "من هو الذي يغلب العالم إلا الذي يؤمن أن يسوع هو ابن الله".

إنها قصة شخص لم يكتف بالحق الذي فاز به يوم تجديده، بل كمن تذوق حلاوة الحق وغلاوته قاده الروح القدس إلى معرفة أفضل عن المسيح ليس فقط بالنسبة للنفس بل بالنسبة لله ومجده كما هو مكتوب "من له يعطي ويزداد" والنفس المشتهية أو المجتهدة تسمن. وأفضل من ذلك تنال لذة وفرح إدراك محبته وكمالاته. إذن فهذا يعطي النفس قوة فوق كل ما يفعله العالم سواء في عدائه،وبغضائه أو في إغرائه ورخائه، أي نعم، إن الإيمان يري العالم دائماً أبداً ملطخاً بعداوته القاتلة لابن الله. فهل نحن نخشى ما يجب علينا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أن نتجنبه ونرفضه؟ "في العالم سيكون لكم ضيق ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم" (يو ١٦: ٣٣).

إن الإيمان بمجد المسيح هو الحصانة الأولى ضد العالم وحيث أن الشيطان هو رئيسه الذي لا نهاية لمكائده وحيله في الغواية والتضليل والإيذاء فإننا نحتاج إلى كل ما هو سيدنا كابن الله لكي نغلب في الصراع الذي تعرضنا له بل تفرضه علينا نفس بركتنا فيه. إن يقيننا بأن إله السلام سيسحق الشيطان تحت أقدامنا شيء جميل للغاية، غير أن الاكتفاء بالاطمئنان إلى هذه النصرة النهائية وحدها فيه شرك لنفوسنا فنحن هنا لنهزمه وننتصر عليه الآن وعلى طول الخط كما قال يشوع لإسرائيل. وعلينا أن نكون أمناء في الأشياء الصغيرة كل يوم إذا شئنا أن نغلب في الصعاب الكبيرة.

ومن هنا قد نرى كيف أن الرب في رسائله للسبع الكنائس التي في آسيا ينتظر الغلبة في كل منها، معطياً مواعيد خاصة ومناسبة ليشدد الأفراد الأمناء يوم كانت الجماعات في حالة الانحراف. ولاحظ أيضاً كيف أنه حينما لم يقف الأمر عند حد الروح البلعامية مع تعاليم النقولاويين كما في برغامس بل تجاوزها إلى ما هو أجرأ وأشنع أي المرأة إيزابل في ثياتيرا – كيف أنه في هذا المكان بالذات – في ثياتيرا – يقدم الرب نفسه كابن الله، الصخرة التي عليها يبني كنيسته وأبواب الموت لن تقوى عليها. إن الحياة فيه هي التي تؤهلنا للشركة مع الآب ومع الابن. ولكن لكي نغلب العالم ونتمتع بالشركة يلزم أن يكون إيماننا بابن الله ناضراً وراسخاً بالنعمة فيصبح "العالم المسيحي" (كما يسميه الكثيرون غير متورعين) مؤلماً وبغيضاً لدينا أكثر من العالم الوثني في شره المكشوف العلني. هكذا هو "العالم المسيحي" في نظر الآب والابن. لقد ظن بعض مشوهي الحق أن الناس إذا اعتمدوا، حتى ولو عاشوا في الشر، فإن آلامهم في جهنم ستخفف بسبب معموديتهم ولكن الرب قد قضى بعكس ذلك وها نحن نقتبس قضاءه لهم فليسمعوا إن كانت لهم آذان للسمع: "وأما ذلك العبد الذي يعلم إرادة سيده ولا يستعد ولا يعمل بحسب إرادته فيضرب كثيراً. ولكن الذي لا يعلم ويفعل ما يستحق ضربات يضرب قليلاً (لو ١٢: ٤٧ و ٤٨).

فلنكن إذاً بسطاء وأقوياء في الإيمان بأن يسوع هو ابن الله، ولعلنا نحن أيضاً نغلب العالم.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الرسالة الأولى: الخطاب السابع عشر

١ يو ٥: ٦ – ١٢

"هذا هو الذي أتى بماء ودم يسوع المسيح لا بالماء فقط بل بالماء والدم. والروح هو الذي يشهد لأن الروح هو الحق. فإن الذين يشهدون (في السماء) هم ثلاثة: (الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد). والذين يشهدون في الأرض هم ثلاثة: (الروح والماء والدم والثلاثة هم في الواحد). إن كنا نقبل شهادة الناس فشهادة الله أعظم لأن هذه هي شهادة الله التي قد شهد بها عن ابنه: من يؤمن بابن الله فعنده الشهادة في نفسه. من لا يصدق الله فقد جعله كاذباً لأنه لم يؤمن بالشهادة التي قد شهد بها الله عن ابنه. وهذه هي الشهادة أن الله أعطانا حياة أبدية وهذه الحياة هي في ابنه. من له الابن فله الحياة ومن ليس له ابن الله فليست له الحياة".

حدثتنا الأعداد الأولى من إصحاحنا عن أمرين: عن الأشخاص الذين من واجبنا أن نحبهم بحسب الله ثم شرحت لنا كيف أن هذه المحبة منفصلة عن واجب الطاعة نحو الله، بحيث أم المحبة الإلهية في المسيحي لا يمكن أن تكون بغير إطاعة وصايا الله. والأمر ليس هكذا مع المحبة الطبيعية والعواطف البشرية لأن هذه مستقلة استقلالا تاماً عن الطاعة. فالمحبة المسيحية هي النشاط الروحي للإنسان الجديد، وحيث أنها تتجه لجميع أولاد الله لأنهم خاصته فإنها لا تستطيع أن تتجه لأي واحد منهم بالانفصال عن الخضوع لمشيئة الله، أي أنه يتحتم على المحبة أن تتخذ شكلاً آخر إذا كانت تعالج عصياناً لدى أولئك الذين في أعناقهم أن يطيعوا الله، فالمفروض في كل حالة المحبة الإلهية والطاعة الإلهية صنوان متلازمان في نفس المؤمن ولا يمكن أن تنفصل إحداهما عن الأخرى.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ثم رأينا بعد ذلك أن سبيلنا في هذين الميدانيين، ميدان المحبة وميدان الطاعة، يعترضه عدو حاضر، نحن معرضون لأن نتجاهله من ناحيته الخبيثة الماكرة. فللأحداث عذرهم إذا ما أحسوا أن ذلك الشيء الذي يسميه الكتاب "الجسد" هو مصدر لشر أناني بغيض ولو أنه من اليسير مع الأسف أن نكتشف بشاعته في غيرنا دون أن نكتشفها في أنفسنا. والواقع أن مظاهر حركاته الخداعة أننا نسرع في استكشاف (إن لم يكن في تخيل) مساوئه في الآخرين بقدر ما نبطئ في إدانته إدانة كاملة في حالة أنفسنا.

أما العالم فهو الغالب فخ أمكر، له أساليبه الخاصة في اللباقة والكياسة في حين يستطيع أن يقدم للطبيعة البشرية، بل ولكثيرين من المسيحيين الحقيقيين، ألواناً مما يروق ويلذ. أما ديانته (وهي أبغض ما فيه لدى الله) فلها جاذبيتها القوية. فالعالم إذاً عدو أخطر بكثير من الجسد. فإن جنوح الجسد وشروده ليس أمراً مخجلاً قدام الناس فقط بل مذلاً ومحزناً قدام الله حتى بالنسبة لصغار المؤمنين وأقلهم روحانية. غير أن العالم يبدو في معظم الحالات محترماً ولذلك ترى جانباً كبيراً من القديسين الذين لا يتأخرون لحظة في اكتشاف حركات الجسد العادية ينتحلون المعاذير للانغماس في العالم ومسايرة تياره. والعالم كما نعلم هو العدو المباشر للآب لدرجة أن محبة الآب لا يمكن أن يكون لها قوتها ولا يمكن التمتع بها حيث يسود روح العالم. لقد لاحظ الكثيرون، وهي ملاحظة صحيحة وواضحة – إن الكتاب كما يصور لنا العالم عدواً للآب، يصور لنا الجسد عدواً للروح والشيطان عدواً لابن الله. على أن هذه المقاومة الثلاثية الشريرة التي يتزعمها الشيطان ضد اللاهوت المقدس يثيرها للضرر بواسطة العالم والجسد. ومن الجهة الأخرى لنا هذه التعزية أن الآب يعمل للخير بربنا يسوع بالروح القدس. فقد نستطيع أن نميز أشكال الشر المتنوعة لكنها في الواقع تتلاقى معاً في العمل، وهكذا الحال أيضاً في أعمال اللاهوت – ولكن الذي فينا أعظم من الذي في العالم.

وهذا يأتي بنا إلى شهادة الله في العالم التي تتجه نحو الناس وتكون منهم عائلة. وهي لذلك شهادة قوامها الإيمان بالكلمة التي تعلن يسوع ابن الله، وليس قوامها المناقشة أو العاطفة ولا طقس من الطقوس يجريه فريق خاص من الناس. إنها شهادة الله المتعاملة مع ضمير الخاطئ مطهرة القلب بالإيمان الذي يستند للغفران على موت الرب يسوع الكفاري. "هذا هو الذي أتى بماء ودم، يسوع المسيح. لا بالماء فقط بل بالماء والدم". فإن الله يعطي شهوداً خصوصيين لكي يؤثر على الإنسان الواقع تحت ضغط الدنس والإثم: مؤمنين وغير مؤمنين – هؤلاء لكي ينحنوا أمامه وأمام حقه وأولئك لكي يتطهروا في ضمائرهم ويتشددوا في إيمانهم.

لذلك ننتقل هنا من شخص المسيح – كما كان موضوع الأعداد السابقة – إلى عمل المسيح الذي يختص بشخصه الكريم. ذلك لأن عمله هو الذي يأتي بالشهود وفي هذا يتنازل الله

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

تبارك اسمه فيعطينا أكثر من شهادة كافية، بين الإنسان وأخيه الإنسان كان يكفي أن يقوم شاهدان، ولو أن ثلاثة كانوا أفضل. هنا نرى الله يقدم الأفضل والشهادة الأكمل. يدم للإنسان ثلاثة من أعظم الشهود الذين يمكن أن يخطروا على البال لكي يقودوه إلى الحق. يقول الوحي "هذا هو الذي أتى" ليس بالتجسد أو القدرة أو الحكمة ولا حتى بالقوة الإلهية أو المجد. فلم يكن بتجسده ولا بخدمته الممتازة التي لا مثيل لها. بل "هذا هو الذي أتى بماء ودم، يسوع المسيح". فذاك الذي كان الإله الحقيقي والحياة الأبدية أتى ليموت موتاً حقيقياً كأي إنسان، ولكنه موت انفرد هو به دون سواه. إذ جعله الله خطية ليخلص الخطاة ويغسلهم، فيجعلهم لا مطهرين فقط في الداخل، بل في نظر الله أبيض كالثلج بواسطة دمه الثمين. أجل، أتى ليموت لأن موته وحده هو الذي كان يستطيع أن يمحو خطايانا ويمجد الله من جهة الخطية (يو ١٣: ٣١ و ٣٢). والإشارة في هذا العدد هي بلا شك إلى موقف ربنا على الصليب، فإنه بعدما مات فعلاً، تقدم أحد العسكر وطعنه بحربة لكي يستوثق من موته وللوقت خرج من جنبه دم وماء. وفي الحادث التاريخي كان الدم هو طبعاً أول ما وقعت عليه العين ومن أجل ذلك فهو يذكر هناك أولاً. ولكن الماء رؤى وهو يسيل أيضاً. وهل من عجيبة رأتها العين أو سمعت بها الأذن أعجب من هذه، وهي أن دماً وماء يخرجان من جنب إنسان ميت؟ ولكن هكذا كان مع ربنا يسوع.

إن إنجيل يوحنا (ص ١٩: ٣٣ - ٣٧)يشير إلى هذه الأعجوبة ويلفت النظر إليها أكثر من أية معزة أخرى من معجزات سيدنا الكبرى، حيث يقول "وأما يسوع فلما جاءوا إليه لم يكسروا ساقيه لأنهم رأوه قد مات. لكن واحداً من العسكر طعن جنبه بحربة وللوقت خرج دم وماء. والذي عاين شهد وشهادته حق وهو يعلم أنه يقول الحق لتؤمنوا أنتم". إن هذا حصل فعلاً وجرى الدم والماء حقيقة من الإنسان الميت على الصليب. وقد شاء الله أن يهيئ هذه الظاهرة الغير طبيعية آية للعمل العجيب الذي انفرد به ابن الله المتجسد. وقد رآها الروح القدس هكذا مهمة لمجد سيدنا ومصالحة الإنسان حتى حرص على تسجيلها بهذه الصورة القوية أولاً في الإنجيل ثم تطبيقها عملياً بعد ذلك في الرسالة التي أمامنا.

"هذا هو الذي أتى بماء ودم". إن آدم لم يصر أباً للجنس البشري إلا بعد أن دخلت الخطية وأخذ الموت يعمل عمله. هكذا سيدنا صار رأساً للخليقة الجديدة لما قام كالبكر بين إخوة بعد أن حمل خطايانا. وبواسطة "الموت" (وليس بواسطة الميلاد كما يزعم البعض) أباد ذاك الذي له سلطان الموت. ولكن قبل ذلك كان النظام اللاوي بكهنته وذبائحه وقدسه العالمي قائماً بموافقة الله. وعندئذ فقط – عند موته وقيامته – تم العمل وبدأت المسيحية على أساس ذبيحة كفارية واحدة ومخلص مقام سرعان ما تمجد في السماء.وكما رأينا بولس وهو يعيد الإنجيل إلى مسامع الكورنثيين المتقلبين يبدأ بالمسيح مائتاً من أجل خطايانا حسب الكتب، هكذا الرسول يوحنا في طريق تدعيم شهادة الله يتجاوز عن كل شيء آخر ويأتي إلى حقيقة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

موت الرب للتطهير والتكفير. وهو هنا يبدأ بالماء، الرمز المشهور عن قوة الكلمة في التطهير، كما نقرأ في الكتاب على الأقل في (يو ٣: ٥) حيث نرى الروح القدس عاملاً مع الكلمة كما نرى "الدم" هنا تابعاً للماء، إن كلمة الله تتعامل أولاً مع النفوس. فيها يتكلم الله إلى ضمائرنا ويواجهنا بذنبنا. وليس من شك في أن كلمته – لا تقاليد الإنسان – هي التي تثبت ما نحن عليه من صمم وعناد ودنس في نظر الله. ولكن ما أحلاها على قلوبنا وأكرمها في عيوننا من تلك اللحظة فصاعداً باعتبارها نابعة منه كمن مات لأجلنا على الصليب!

إذاً فغسل الماء مصدره ذلك الجنب المطعون، جنب ربنا الذي مات من أجل الخطاة. وهذا مما يضاعف في قيمة هذه العملية إلى أقصى حد. من أجل ذلك وضع سيدنا هذا المبدأ قبل موته: "الذي قد اغتسل ليس له حاجة إلا إلى غسل رجليه". فالإنسان يغتسل (أي يستحم) مرة واحدة، أما الأرجل فتحتاج إلى الغسل طوال الرحلة الأرضية. أي أن شفاعة المسيح هي التي تعالج مسألة السقطات اليومية وليس عشاء الرب كما يزعم بعض البسطاء الذين يسيئون استخدامه. والروح القدس يطبق الكلمة على أساس موت الرب كلما دعت الحاجة. أما "غسل التجديد" فلا يحدث إلا مرة واحدة للمسيحي. وليس سوى موت المسيح يبرئنا من الخطية. صحيح إننا قد نحس بالخطية ونكرهها وندين أنفسنا بسببها. غير أنه لا تبرئة للنفس أو تطهير من الخطية بدون موت المسيح. لذلك قيل "هذا هو الذي أتى بماء ودم". ذلك كان الحق السامي أمام الله في موت المسيح لأجل شهادة الله تتلخص هنا في موته. يا له من حق عميق! وما أعمق النعمة التي استطاعت أن تتكلم إلينا هكذا ولكنه ليس صحيحاً فقط أن هذه هي القوة المطهرة التي عملت فينا عملها المبارك ونحن على عتبة المسيحية بل أن موته كان لازماً بالنسبة لله كما كان لازماً بالنسبة لنا، مع الفارق أنه من جانب الله لم يكن طبعاً للتطهير بل للتكفير. لقد دخلت الخطية إلى العالم فدخلت الفوضى في ركابها وعم الخراب كل شيء هنا على الأرض. وجاء الصليب فأعاد النظام الإلهي إلى نصابه وأثبته إلى الأبد. فلولا الصليب كيف كان يمكن للمحبة والنور والنعمة والحق أن تعمل معاً؟ كيف كان يمكن للمحبة أن تأتي إلى السماء بالخاطئ الذي أظهر النور أنه غير مستحق إلا لنار جهنم؟ وإذا كانت النعمة تطلب الرحمة لهذا الخاطئ فمن ذا الذي كان يستطيع أن يفند أو ينكر الحقيقة أنه عدو خصيم بلا قلب ولا رحمة؟ أما في الصليب فقد تلاقت طبيعة الله وصفاته في انسجام تام. هناك تمجد الله في ابن الإنسان، وقد أصبح من بره وعدله أن يبرر أفجر وأردأ الخطاة الذين يؤمنون إيماناً صادقاً بالرب يسوع.

ومن هنا أتى المسيح "بالدم" ويضيف الرسول "ليس بالماء فقط بل بالماء والدم" لقد كان الأمر يمس جلال الله وسلطانه وكلمته وقداسته وبره كما كان يمس محبته. أما الآن في موت ابن الإنسان فقد تلاقت هذه الصفات جميعها في انسجام تام وتمجدت في كمال مطلق

 All rights reserved © 2008-2018

لم يكن ممكناً بأية طريقة أخرى. وإذا كان الله قد استراح في هذا العمل راحة كاملة وفي مسرة أبدية فهو من جانبه يعمل الآن بالروح القدس المرسل من السماء لإعلان ذلك العمل بكلمته لجميع الذين يقبلون المسيح وكلمته بالإيمان.

لكن بماذا يحدثنا مجيء الرب بالماء والدم عن الإنسان – لأن ذلك المجيء كان معناه نهاية حياته الأرضية له المجد؟ يحدثنا عن هذا الحق المخيف الرهيب وهو أن الإنسان كان في حالة من الانحطاط والشر بحيث لم يستطع الرب العظيم والسيد المبارك الكريم الذي تنازل وصار إنساناً في محبته للإنسان "لم يستطع وهو حي بينهم أن يجتذب الإنسان من شره وعدائه". أي نعم، كان الأمر يتطلب مخلصاً مائتاً على الصليب لقد قال لهم الرب في حياته "لا تريدون أن تأتوا إلي لتكون لكم حياة" (يو ٥: ٤) "إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتمت فهي تبقى وحدها" (يو ٢: ٢٤) "وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إلي الجميع" (يو ١٢: ٣٢) فموت المسيح هو أقوى برهان على موت الإنسان أدبياً وهو الآن بالنعمة أساس أفضل بركات الله للإنسان ويا له من دليل أيضاً على ناموس الله لم يستطع إلا أن يدين الإنسان! وهكذا قد أثبت موت المسيح خراب الطبيعة البشرية الكاملة في كل طبقة من طبقات الناس. فمع أن ملء اللاهوت حل في الرب يسوع جسدياً إلا أنه كان لابد من موت المسيح لكي يخلص الإنسان من خطاياه وبعد أن قام المسيح من الأموات أصبح ملء ومثال الإنسان الجديد السماوي وفقاً لمشورات النعمة الإلهية.

وليس من السهل تبيان الفرق بين حرفي الجر المستعملين في العدد السادس من إصحاحنا والمترجمين في الحالتين بحرف الجر "ب" في لغتنا العربية. فهو في النصف الأول (هذا هو الذي أتى بماء ودم) معناه "بواسطة أو عن طريق" وفي النصف الثاني (لا بالماء فقط بل بالماء والدم) معناه "بقوة" أي أن الرب يسوع جاء لكي يموت هذا الموت العجيب الذي كان لابد منه لمواجهة حاجة الإنسان القصوى ولكي يوفر للمؤمن خلاصاً كاملاً من الذنب والدنس. وذلك ليس "بقوة" الماء فقط بل بقوة الماء والدم. فقد كان الإنسان هالكاً لدرجة أن المسيح وقد جاء من اجله، ومع كونه الله وإنسان في شخص واحد، كان لابد له من الموت لكي يطهره ويكفر عن خطاياه. وهكذا هو جاء فعلاً بواسطة أو عن طريق موته في ملء هذه القوة الكاملة – قوة الماء والدم. نعم، فقد جاء موته كافياً في ذاته لأشر الخطاة وأكثرهم ذنباً حتى ولو لم تؤمن نفساً واحدة ولكن هكذا أرادت نعمة الله وعملت حتى يكون هناك إيمان به، ومن هنا كان العمل بقوة الماء والدم.

ولكن هناك إضافة أخرى في غاية الأهمية وهي "والروح هو الذي يشهد لأن الروح هو الحق". نعلم جميعنا أن الرب يسوع قال عن نفسه أنه "الحق". فكيف يقال هنا أيضاً عن الروح يستخدمها الروح القدس لتمجيد المسيح أمام خاصته وفيهم، وذلك أمر من السهل إدراكه. غير أن الفارق هو هذا: إن الرب يسوع الابن هو الحق "موضوعياً" أي هدفاً

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وغرضاً، في حين أن الروح القدس هو الحق باطنياً باعتباره القوة العاملة في القديس لإدراك المسيح والتمتع به. فلكي نتبارك من الله يعوزنا تسديد حاجتين عميقتين: يعوزنا الحق من الله للضمير والقلب والفكر، وهذا نجده كاملاً في ربنا يسوع المسيح باعتباره الحق موضوعياً لكن هناك "الخطية" في الطبيعة القديمة التي تقاوم كل ما من شأنه إدانتنا. وحتى عندما يولد الإنسان من الله يحتاج الأمر إلى السهر اليقظة ضد حركات الطبيعة باستمرار هنا على الأرض. فكيف تسدد هذه الحاجة؟ تسدد بروح الله الذي هو الحق داخلنا باعتباره القوة الباطنة العاملة في توصيل وتطبيق الحق الموجود في شخص المسيح خارجاً عنا. إي أن الروح القدس يجعلنا نتقبل غرض الإيمان وموضوعه ونقدره حق قدره. وبعبارة أخرى هو قوة التخصيص في الإنسان الجديد الذي هو الحياة في المسيح، وبهذا المعنى هو أيضاً الحق داخلنا. ويمكننا أن نلخص هذا الفارق في كلمات بسيطة فنحن ننظر إلى الرب كالغرض الموضوع أمام عين الإيمان بينما الروح هو القوة في داخل قلوبنا وبما أن الحق هو إعلان كل شخص وكل شيء أو إظهاره على حقيقته فمن هنا نفهم لماذا تطلق هذه التسمية على الابن والروح القدس سواء بسواء ولا تطلق على الله كالله ولا على الآب.

ولكنك إن أصغيت إلى علم اللاهوت – وهو "العلم" الذي ابتدعه أصحابه من العقليين والطقسيين قياساً قياساً إلى العلوم البشرية – فإنك تسمعهم يتكلمون عن الله كالحق. وبهذا المناسبة أذكر أنني منذ سنوات التقيت برجل من رجال الأدب المشهورين، ولكنه من الفلاسفة الأجانب الملحدين، ومع أنه في كلامه معي كان يندد بآراء فولتير وروسو إلا أنه كان يشدد النبرة في كلامه على الله باعتباره الحق. وبعد نهاية مقابلتنا عرض له أن تقابل مع أحد أصدقائنا، فساقه الحديث إلى ما كان بيننا من نقاش، وهنا أراد أن يبين لصديقنا الفارق بينه وبيني، فقال في عبارة مختصرة منمقة وإن كان ينقصها الوقار، إنه هو رأى الله لنفسه، أي عرفه من تلقاء ذاته، أما أنا فقد رأيته فقط "بمنظار يسوع المسيح". نعم، فهو كان يخادع نفسه أنه رأى الله أو عرفه. فالله في ذاته يجل عن كل معرفة وهو فوق تفكير البشر. وهو أسمى من إدراك الناس وأعظم بمراحل من تناول أفهامهم. إن الإنسان في حاجة إلى وسيط يجمع بين الناسوت واللاهوت في وقت واحد ليتسنى له بالروح القدس أن يعرف الإله الحق. بهذه الوسيلة وحدها يمكن للحق أم يعرف. فالله كالله ليس هو إعلان الحق (ولا هو ضمير الإنسان ولا عقله) بل هو المسيح كالغرض والروح كالقوة الباطنية للطبيعة الجديدة. فكيف ظهر الله؟ في المسيح. المسيح هو المعلن خارجياً والروح القدس هو العامل داخلياً، والكلمة هي إعلان الله أو الحق. قد يكون المسيح نصب عيوننا في كل لحظة من حياتنا، ومع ذلك فلا يفيدنا هذا شيئاً ما لم يعمل الروح القدس فينا بواسطة الكلمة ليعيننا على قبول الحق بالإيمان والانتقال بذلك إلى الحياة الجديدة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

غير أن الرسول يقصد أن يقول أكثر من هذا في كلماته الموجزة الحافلة بالمعاني، "فإن الذين يشهدون هم ثلاثة الروح والماء والدم والثلاثة هم في الواحد". في هذه العبارة نلاحظ أن الترتيب معكوس. فمن الوجهة التاريخية كان الدم أولاً ثم الماء ثم الروح مرسلاً من السماء تكريماً لفداء المسيح ولكي يقيم في القديسين كالمعزي الماكث فيهم وينشر أخبار الإنجيل للخليقة كلها بقوة الله، وليس بقوة الإنسان وإن كان بواسطة الإنسان. وفي هذا يعطي الله ثلاثة شهود يتفقون في شهادة واحدة. هذا هو الترتيب التاريخي، أما من حيث الحقيقة الروحية فالترتيب هو الروح أولاً ثم الماء ثم الدم. طبيعي أن الروح القدس هو الشاهد الشخصي الوحيد بين الثلاثة وهو أيضاً القوة الحاضرة الحية. أما الماء والدم فيسميان شاهدين مجازياً وبهذا الاعتبار يشار إليهما كشخصين. على أن الروح القدس أقنوم في اللاهوت ومن أعماله الخاصة أن يشهد على الأرض نظير الابن: هو يشهد عن المسيح والمسيح يشهد هم الله والآب – "والروح هو الذي يشهد لأن الروح هو الحق".

على أن الفصل الذي أمامنا قد زيدت عليه بعض الكلمات سواء بقصد أو بغير قصد وهي التي تراها في الكتاب المشوهد بين قوسين، وكما وضعنا نحن في رأس هذا الموضوع فمن المسلم به تحقيقاً أن الفقرة المبتدئة بكلمتي "في السماء" في العدد السابع والمنتهية بكلمتي "على الأرض" في العدد الثامن ليست جزءاً من النص الأصلي فربما كانت في مبدأ الأمر هامشاً على إحدى النسخ فجاء أحد النساخ وأدخلها في المتن ظاناً أنها منه. وقد تناول إعلام التحقيق الكتابيون هذه القضية بالبحث والتحري فخرجوا بهذه النتيجة وهي أن الفقرة جاءت عرضاً بطريق الاستنتاج البشري، على أن أي مسيحي ولو لم يكن يعرف كلمة واحدة من اللغة اللاتينية يستطيع أن يحكم على الفور إنها كلمات مضافة، وهو ليس بحاجة إلى رجال العلم أو أبحاثهم ليقرر أن الفقرة زائدة. فإن كلمة الله جامعة مانعة وتحمل في ذاتها دليل كفايتها.

أما أولاً فما معنى الشهادة "في السماء"؟ تأمل جيداً في التعبير ألا ترى أنه ليس فقط غير كتابي بل يدل على الجهالة؟ هل من حاجة إلى شهادة في السماء؟ إن سكان السماء الطبيعيين ملائكة ولم يكونوا يوماً من الأيام بحاجة إلى شهادة. هم مختارون ومقدسون فلا داعي للشهادة لهم. ثم أن الملائكة الساقطين قد هلكوا هلاكاً لا قيامة لهم منه إذ تركوا رياستهم أو مكانهم الأول، بعضهم محفوظون في سلال الظلام، والآخرون – كالشيطان مثلاً – لازال مسموحاً لهم بالشكوى على القديسين الذين يجربونهم ويضلون المسكونة. فلا شهادة لهم جميعاً. وأرواح القديسين الذين انطلقوا ليكونوا مع المسيح، هل تحتاج إلى شهادة؟ إن الشهادة لازمة لسكان الأرض وقد أعطيت بنعمة الله لأن الناس غارقون في الظلام ويعوزهم الحق. فعندما نطق بيلاطس بسؤاله المأثور "ما هو الحق" إنما كان يعبر عن جهالة كل العالم وعدم معرفة للحق. لقد كان مكسالاً وكمعظم الناس لم ينتظر حتى

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يحصل على الجواب. وما كان لأحد في الواقع أن يفوز بمعرفة الحق لو لم يعط اله شهوده الثلاثة الأكفاء وهم "الروح والماء والدم".

إذاً فالوضع الصحيح للعدد هو هكذا: "فالذين يشهدون هم ثلاثة..........." بغير داع لإضافة الكلمتين "على الأرض" لأنهما غير ضروريتين إذاً المفروض أن الأرض هي مكان الشهادة التي غايتها تقديم الحق للذين يجهلون. إن الشكر والتسبيح هما طابع السماء وليس الشهادة. فإذا قبلنا نحن الذين على الأرض شهادة الله فإن محبة المسيح تحصرنا لكي نحمل الشهادة للآخرين الذين لا يزالون خطاة كما كنا نحن. والآن لنرجع إلى ما كتبه الروح. فليس فيما كتبه سوى الحق*.

رأينا فيما سبق صحة الترتيب في العدد السادس الذي يذكر الروح القدس أخيراً وذلك لأن حضور الروح كالشاهد الإلهي على الأرض لم يل فقط عمل المسيح على الصليب ولكنه منذ ذلك التاريخ يعطى للفرد على أساس الإيمان بكلمة الحق، إنجيل خلاصنا. ولذلك كان لابد أن يسبقه الماء والدم، لأن هذا ما يحصل فعلاً في معاملة النعمة للمؤمن. أليس بهذا الترتيب يقبل الإنسان حق الإنجيل؟ فأولاً تدخل كلمة عن طريق الضمير فيأتي الإنسان إلى الله كخاطئ باسم المخلص. ثم يقدم إليه دم المسيح فردياً أو يكرز له به جهارياً كالذبيحة الكاملة لعلاج حالته. وإذا خضع لبر الله عوض السعي لتثبيت بره الذاتي فإنه يعطي الروح القدس كروح الحرية والشركة. وهذه الهبة ما كان ممكناً أن يعطاها لولا استناده على دم المسيح الذي يطهر من كل خطية. ومن هذا نرى أن خطوا النفس في الحصول على البركة بواسطة النعمة تتفق في ترتيبها مع العدد السادس الذي يذكر الماء أولاً ثم الدم ثم الروح. وهذا عين ما كان يحدث في العهد القديم في أمر تكريس أبناء هرون الكهنة، فقد كان الغسل بالماء أولاً،ثم دم كبش الملء (أو التكريس) الذي كان يوضع على شحمة الأذن اليمنى وعلى إبهام اليد اليمنى وعلى إبهام الرجل اليمنى (أي على أعضاء الاستماع والخدمة والسلوك) وأخيراً دهن المسحة مع الدم المأخوذ من المذبح يرش عليهم وعلى ثيابهم. فمن منا لا يلمس اتفاق الرمز القديم مع حقيقة العهد الجديد في المسيحيين وقد أقيموا كهنوتاً مقدساً لتقديم ذبائح روحية، وهم الكهنة الوحيدون وذبائح سجودهم هي الوحيدة على الأرض المقبولة الآن لدى الله يسوع المسيح.

أما في العدد الثامن فنقرأ عن الشهود الثلاثة في ترتيب يمشى لا مع معاملات الله التاريخية بل مع العمل الذي يجري في المسيحي فردياً. وإذا ما تكلمنا عن ثلاثة يشهدون فإن الروح يأتي بالضرورة في طليعتهم، ليس فقط بالنظر لمركزه الإلهي ومقامه الجدير به، بل لأنه هو الذي يعرفنا بالماء والدم لبركة نفوسنا. وإلى هذا يرجع الفارق في العدد الثامن: "والذين يشهدون هم ثلاثة الروح والدم والماء والثلاثة هم في الواحد (أو يتفقون في الواحد)" — شهود ثلاثة ولكن شهادة واحدة متحدة "إن كنا نقبل شهادة الناس فشهادة الله أعظم". ولعلي

 All rights reserved © 2008-2018

أستطيع هنا أن أعيد إلى ذاكرتي مبلغ الراحة والعتق الإلهي الذين وجدتهما في هذه الكلمات منذ نيف وستين سنة، يوم كنت وأنا متجدد، معذباً منزعجاً تحت ثقل الإحساس بالخطية التي كانت تقلق راحة نفسي على الرب يسوع. لقد طردت هذه الكلمات كل شك وجعلتني أخجل من ريبتي في شهادة الله. ففيها وجدت أن الله هو الذي يخصص الحق لنفسي ولست أنا الذي أفعل ذلك، ولو أني لم أكن أشك البتة في قيمة موت المسيح في حد ذاته لأجل الخاطئ. فليس الأمر متعلقاً برؤيتي أنا لكفاية الدم كما ينبغي أن أراه بل براحتي بالإيمان على رؤية الله له وتقديره إياه حق قدره.

فما هي إذن الشهادة التي نقرأ عنها في مطلع العدد التاسع هي هذه "لأن هذه هي شهادة الله التي قد شهد بها عن الله ابنه". تتجدد النفس،ولكونها أصبحت حية وليست بعد ميتة، تشتاق أن تعرف شهادة الله عن نفسها، غير أن هذه المشغولية بالذات تعيقها عن سماع شهادة الله عن ابنه. ولكن حينما يعتبر الإنسان نفسه لاشيء قدام الله وأنه مجرد خاطئ هالك ولا يسكن فيه أي في جسده شيء صالح فعندئذ تكون شهادة الله عن ابنه هي كل شيء لديه وأحي شيء لأذنيه. وإذ يقبل المسيح هكذا على أساس شهادة الله يتسنى له أن ينتهي من ذاته إطلاقاً.وهنا الراحة الكاملة فالمسيح وعمله يهبان السلام. ثم أن موت الرب أقوى دليل على أنه لا حياة في الإنسان الأول ولا في جنسه. فمن قايين إلى الصليب قد دلل الإنسان – رغم سقوطه ورداءته من كل وجه آخر – على أن أقبح وأردأ ما فيه هو ادعاؤه بالتدين واتخاذه من الدين سنداً وفخراً. ومن هابيل إلى دم يسوع الثمين نتعلم كراهة الإنسان لنعمة الله وحقه في المسيح. ولكن كل شيء يصبح جلياً واضحاً للإيمان إن لم يكن فوراً وفي كل الأحايين. "من يؤمن بابن الله فعنده الشهادة في نفسه. من لا يصدق الله فقد جعله كاذباً لأنه لم يؤمن بالشهادة التي قد شهد الله عن ابنه". هل من شهادة أبسط وأوضح وأقوى من شهادة الله في هذه الكلمات القليلة الواضحة؟ أليست موجهة لكل إنسان يشعر بحاجته لمثل هذه الرحمة؟ ولكن آه من عدم الإيمان الذي يدعو الإيمان ادعاء (!) والذي يشك في أن حق الإنسان أن يصدق الله وان يأخذ بكلمته ويعترف بصدقه وأمانته إذ يقبل شهادته عن ابنه. وهل من دليل أقوى من هذا على أن الإنسان – مهما كان متديناً بحسب الجسد – يصدق الشيطان ويكذب الله؟ إننا قلما نستسيغ في حياتنا العادية أن يشك إنسان في شهادة رجل عظيم الشأن والخطر. وكن العجب العجاب أن هذا هو الشيء العادي فيما يتعلق بشهادة الله المقدمة للإنسان لخلاص نفسه، وما أسرع القوم في اتهام المؤمن بالادعاء إن لم يكن بالرياء!

ويا لها من حماقة أيضاً أن يستمع الإنسان لهمس الشيطان بأنه خاطئ جداً لدرجة أن المسيح لا يمكن أن يخلصه. لقد جاء له المجد ليخلص ما قد هلك، فهل يمكن لأحد أن يكون أردأ من "هالك"؟ وأي شيء من الخطأ يمكن أن يخرج عن دائرة "هالك"؟ تأمل في المرأة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

السامرية. وفي المرأة الخاطئة التي كانت في المدينة، وفي مريم المجدلية. ثلاث حالات يائسة، وكلهن خلصن وعرفن أنهن خلصن. وعرفن أنهن خلصن. وقد سجل الروح القدس قصتهن لكي تؤمن أنت أيضاً وتخلص. لقد خلصت كل منهن "بالنعمة" – نعمة الله لا نعمتهن، و "بالإيمان" لا المشاعر أو المحبة أو الخدمة أو الطقوس أو الفرائض. لقد كان الرسول بولس يشكر الله أنه لم يُعمِّد سوى نفر قليل من الكورنثيين الكثيرين الذين آمنوا واعتمدوا، ذلك لأن المسيح لم يرسله ليعمد بل ليبشر. إنه في المسيح ولدهم بالإنجيل وليس بالمعمودية مع عظمتها وأهميتها للغرض الذي وضعت من أجله. لكن المعمودية لم تهب ولن تهب حياة لنفس واحدة. المسيح هو واهب الحياة لكل من يؤمن، عاملاً في كل واحد بمفرده بواسطة كلمته والروح القدس، كما أنه سيدين جميع الذين يرفضونه لهلاكهم. ما الذي سيقوله لأولئك الذين بالتقليد يبطلون كلمته، وعوض الإيمان بالله يصنعون طقساً ليعطي الحياة كما يزعمون، به يهينون الله ويمجدون أنفسهم ووظيفتهم، كما لو كانوا وسطاء بين الأموات والأحياء؟ هذا هو الادعاء الحقيقي، وليس الإيمان الذي يعطي المجد لله.

إن الحياة الأبدية هي في ابن الله، الإنسان الثاني، هذا هو التعليم الأول لرسالة يوحنا الأولى، وها هو يعود بنا إليه مرة ثانية بعد أن حدثنا عن قيمة الدم والماء الخارجين من المسيح مائتاً على الصليب، وعن عطية الروح القدس الموهوب كنتيجة لخدمة الماء والدم – يعود بنا إلى القضية التي تتميز بها رسالته أي قضية الحياة الأبدية في ابن الله، وإنها في الحقيقة لقضية من أخطر قضايا الكتاب المقدس وأعظمها أهمية للقديسين في يومنا. ولقد تعلمنا بالاختبار مبلغ الضرر الذي يسببه أولئك الذين يحاولون الانتقاص من هذه الحقيقة أو حجبها بستار من الدعوى العريضة بوجود حق جديد طلعوا علينا به فلم يكن في حقيقة أمره سوى أسطورة بالية يحاولون أن يزيحوا عنها تراب القدم: خدعة من الشيطان يكررها من آن لآن لعله يُنفذ بها مآربه الماكرة الخبيثة.

ولكن ماذا يخبرنا الكتاب: "إن كنا نقبل شهادة الناس فشهادة الله أعظم". وهل من شهادة طيبة وحكيمة وأكيدة ومطمئنة كشهادة الله؟ إنه يعرف كل الحق، وكإله كل نعمة أعطانا ابنه لكي يعلن الحق ويؤهلنا لقبوله في حياة جديدة. ثم على أثر الفداء أعطانا روحه القدوس كالقوة الإلهية للتمتع بالحق وإعلانه للآخرين من بني جنسنا. ومن هنا نفهم قيمة القول أن "شهادة الله أعظم"، فهي أعظم من جميع الصعاب.

وهذه الشهادة المثلوثة هي أولاً عن الموت مكتوباً على جميع الجنس البشري بواسطة ذاك الذي شرب الكأس الرهيب حتى الثمالة فأنتج موته لنا حياة بلا خطية وإن كان هو له المجد لم يكن بحاجة للموت. فتلك الحياة الأبدية لم تتطلب أي عمل لنفسها، وإنما حالتنا نحن، حالة الخطية والموت، هي التي اقتضت موته للانتصار على كل شر لمجد الله.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

"لأن هذه هي شهادة الله التي قد شهد بها عن ابنه. من يؤمن بابن الله فعنده الشهادة في نفسه". مرة قال الرب لنيقوديموس: "أنتم لا تقبلون شهادتنا". فلا بد أن يولد الإنسان ثانية، وبدون ذلك لم يمكنه البتة التعلم بحسب الله. والإيمان بكلمة الله هو وحده الذي يقو الإنسان للتعلم من الله. والكنيسة، نظير الرب، كان ينبغي أن تكون شاهداً أميناً صادقاً، غير أن حالتها قد وصلت إلى درجة جعلت شهادتنا غير موثوق بها. فيا لها من تعزية كبرى للمؤمن بصفة خاصة أن تكون له الشهادة، شهادة الله، "في نفسه"!

أما حيث تكون الحاجة ماسة، كما هي الحالة هنا، وحيث تكون لنا بالنعمة "شهادة الله" فمن التبجج والخيانة أن نطالب أحداً وترغمه أن "يسمع من الكنيسة" فإن كلمة الله نفسها هي التي تصور لنا المركز الذي دعيت الكنيسة لأن تشغله في العالم تصور لنا في الوقت نفسه الوقت نفسه وبروح النبوة مبلغ ما ستصل إليه الكنيسة من فوضى وتشويش. ومن العجب أن رسالتي بولس إلى تيموثاوس تصور لنا هذي الوجهين: فالأولى تصور الكنيسة في حالة من الترتيب الإلهي "عمود الحق وقاعدته" في حين تصور الثانية في حالة من التشويش المحزن. ولكن الكنيسة ليست هي الحق الذي من واجب المسيحي أن يستمتع إليه ويقبله، ولو أنها الشاهد الجمعي للحق كما أن المسيحي هو الشاهد الفردي له. والكنيسة والمسيحي مدعوان كلاهما لأن يسمعا كلمة الله وحدها باعتبارها الحق. ففي رسالة تيموثاوس الثانية نتعلم أن الاعتراف المسيحي قد أصبح كبيت مملوء بأواني للكرامة وأخرى للهوان. ولذلك فحين أبيح للخمير أن يدخل ويتغلغل عوض أن يعزل فتطهر الجماعة نفسها منه (١ كو ٥) أصبح لزاماً على كل فرد أن يطهر نفسه من هذه الشرور الخطيرة لكي يكون إناء للكرامة. على أن ذلك ليس للإنفراد والاعتزال بل للاشتراك مع "الذين يدعون الرب من قلب نقي".

ولكن حاشا للكتاب أن يجيز مثل هذا الادعاء الجريء، ادعاء الاستماع لكنيسة باعتبارها الحق، بل هو على عكس ذلك يعلمنا في آخر أسفاره، أي سفر الرؤيا، إن كل نفس أمينة مكلفة بأن تسمع لا إلى ما تقوله الكنيسة بل بالحري إلى "ما يقوله الروح للكنائس" ويتكرر هذا التحريض بنصه في كل رسالة من رسائل الرب للسبع كنائس. فهل من شيء أكثر مناقضة لفكر الرب من هذا الادعاء الخاطئ الذي جعل النصرانية أضحوكة بين الناس!

ولكن مهما تكن حالة النصرانية أو العالم المسيحي. فإن كلمة الله تظل صادقة دائماً أبداً وسارية على كل مسيحي في كل جيل وزمان: "من يؤمن.... فعنده الشهادة في نفسه". فلو وجد المؤمن في أرض لا يستطيع فيها التمتع بشركة القديسين وليست له فرصة ليستمع إلى أي معلم مسيحي، ولا يعرف أخاً واحداً في الرب، فإن ابن الله الذي آمن به يبقى هو هو، وعنده الشهادة في نفسه كما لو كان محاطاً بجميع الامتيازات المسيحية الممكنة على الأرض. فهو لا يعتمد على كائن ما تحت الشمس، بل له الابن. فما أحكم وأكرم هذه الشهادة من جانب الله! لأنه في مثل هذه الحالة ما أكثر الذين يتصايحون: يا له من ادعاء

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

جريء! هذه هي نظرتهم للمؤمن يرمونه للادعاء ولكن الله نفسه يقول: "من يؤمن..... فعنده الشهادة في نفسه". إنما الأدعياء هم الرافضون لشهادة الله، وهم وقحاء ومتجاسرون لأن "من لا يصدق الله فقد جعله كاذباً لأنه لم يؤمن بالشهادة التي قد شهد بها الله عن ابنه" وهل هناك أشر من ذلك؟ إنه يكفي أن يكذب الإنسان فيما يتعلق بنفسه فيقول نظير البرهمي أنه لم يخطئ ولو أنه بذلك يكذب الكلمة. ولكن أقبح من ذلك أن نجعل الله كاذباً. وهذا عين ما يفعله – سلباً وإيجابياً – كل رافضٍ لشهادة الله عن المسيح ابنه.

"وهذه هي الشهادة أن الله أعطانا حياة أبدية وهذه الحياة هي في ابنه". (ع ١١) هل من قول أكثر جلاء ودقة؟ "أن الله أعطانا" – أي أعطى كل مسيحي – "حياة أبدية. وهذه الحياة هي في ابنه". حتى الكافر، بقلبه القاسي لا يسعه حين يسمع هذه اللغة الهادئة إلا أن يتأثر لما تنطوي عليه من اليقين الهادئ العميق السعيد الذي يبعثه الإيمان في النفس، فهو يدرك تعاسته وشقاءه إذ ما فكر في حالته على الإطلاق، في حين يتوقف سلام المؤمن في جملته على امتلاكه ابن الله وامتلاك الحياة الأبدية فيه. ومن الأسف أن قام البعض مؤخرً واستخلصوا من قول الرسول هذا مبدأ خطيراً للغاية زاعمين أنه ما دامت "هذه الحياة هي في ابنه". فهي ليست فينا. ويبدو أنهم سروا للفكرة إذ استنتجوا منها النتيجة التي توافق تعليمهم وهي أن المسيحي ليس له حياة أبدية دائمة. ولست أدري لماذا يسرون بها إلا أن يكون العدو قد أعمى بقوته عيونهم. كذلك لست أنسى – وهذا ما يملأه النفس حزناً وأسى. إن سرورهم كان يوماً بالحق الذي له الآن يتنكرون. أليس هو أمراً مرعباً أن نحرف فصلاً من الكتاب لنجعله مناقضاً لفصل آخر؟ إننا نقرأ هنا "أن هذه الحياة هي في ابنه" – وذلك لأن الروح القدس يقصد بهذا أن يفرح المؤمن بضمان تلك الحياة وكفالتها في شخص الابن العزيز بالاستقلال عن المؤمن ذاته وعن أي مخلوق آخر. فهذه الحياة في الابن حيث لا يمكن أن يقرب شر وحيث لا يمكن أن يدنو خطر. ومن بهجة المؤمن وسروره أن يعلم أن حياته، الحياة الأبدية، هي في ذاك الذي ليس فقط منبعها الدائم، بل أيضاً حافظها وضامنها الإلهي ضد جميع مكائد الشيطان. وأكثر من ذلك، إنه في شركة مع الله الآب وأنه موضوع محبته وتكريمه أكثر من ذي قبل منذ الفداء.

على أن (يو ٥: ٢٤) يؤكد كذلك أن لنا هذه الحياة وأن الله أعطانا إياها ونحن هنا على الأرض، كما أن هناك شواهد كتابية أخرى كثيرة تبين أن الفداء جعل الحياة الأبدية من نصيبنا باعتبارها الحياة الوحيدة التي يمكن للروح القدس أن يتعامل معها ويعمل بها. ولنأخذ مثالاً عن الحياة الطبيعية لإيضاح ذلك. فالحياة كما هو معلوم تعمل من الرأس إلى أطراف أصابع اليدين والقدمين. ولكن هذه الأصابع ليست مقر أو مركز الحياة، لا حتى الذراع أو الساق، التي يمكن استئصالها دون إلحاق أي ضرر بمركز الحياة. مع الفارق أنه في المسيح لا يوجد مثل هذا الاستئصال فيما يتعلق بالحياة التي لنا فيه، والتي تسمو كثيراً

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

على الحياة الطبيعية. إن المسيح هو مركز الحياة الأبدية، ولكن حتى الأطفال في المسيح يملكون هذه الحياة كما يملكها الأحداث والآباء ولن يهلك واحد منهم. إن غبطتنا وسرورنا هما اليقين بأن حياتنا هي في ابن الله. وهذا ضمانها وهذا مبعث الثقة والسلام الأبدي لدى كل مؤمن. أما أن يأتي قوم فيحرفون الحق ويتخذون من هذا العدد بالذات دليلاً على أن المؤمن ليس الآن الحياة الأبدية، فأمر أقل ما يقال فيه أنه يدل ليس فقط على عدم الإيمان بل على سوء استعمال لكلمة الله.

"من له الابن فله الحياة". نعم، إن الحياة ليست منفصلة عن الابن. ولن يتسنى لأحد أن تكون له الحياة ما لم يكون له الابن الذي هو الطريق والحق والحياة. وهو يهب الحياة ليس فقط باعتباره الله، بل أيضاً كالممجد لله، ابن الإنسان الذي هو أيضاً ابن الله. والله يشهد بهذا عنه وليس عن سواه. والمؤمن يكرم الابن حين يؤمن فينال الحياة الأبدية. وغير المؤمن يهينه ويرفض هبة الحياة والنتيجة هلاك نفسه، ولكنه في يوم قادم سيجثو غضباً عنه حينما يقام للدينونة. ثم لو إن الحياة فصلت عن ابن الله بحيث تكون فينا فقط وليست في الابن، لكان من المحقق أن تصاب بالأذى والانحلال، ولكن بما أنها في الابن فهي باقية إلى الأبد، مقدسة وخالدة. وهي لنا بهذه الصورة، ونعلم أنه لنا على أساس كلمته. وكل عمل صالح، وكل عاطفة كريمة، وكل خدمة صادقة، وكل سجود مقبول – منبعها جميعاً الحياة الأبدية في قوة الروح. وغير ممكن للمسيحي أن يرضي الله وأبا ربنا يسوع بغير عمل الحياة الأبدية، فإذا قد جاءت الآن هذه الحياة في شخص ابن الله، فإن سرور الآب أيضاً أن يراها فينا ولن يرضى بغيرها بديلاً. ذلك لأن الحياة تجد فرحها وبهجتها في معرفة وخدمة وعبادة الآب والابن بقيادة الروح القدس.

ولكن لا يفوتن أحداً الجانب الآخر الخطير: "ومن ليس له ابن الله فليس له الحياة". إن كنت يا من تقرأ هذه الأقوال غير مؤمن، فإني أتوسل إليك أن تحذر، لماذا تهلك هلاكاً أبدياً. لماذا ترفض محبة الله التي أعطت وأرسلت ابنه المحبوب؟ ولماذا ترفض ذاك الذي لأجلك ذاق الموت؟ ومع ذلك فهو لم يفعل لك شيئاً سوى الخير، في حين أنك لم تظهِر نحو اسمه سوى الإهمال والاحتقار والكراهة بقدر ما استطعت. إني أستعطفك أن تصدق ما يقوله الله لك عن ابنه، إن آمنت به فهو يكون لك. ومن المستحيل أن يكون لك ابن الله ولا تكون الحياة الأبدية. ولكن "من ليس له ابن الله فليست له الحياة"، إنها حقيقة صادقة بقدر ما هي مرعبة، إن عديم الإيمان "لن يرى حياة" – "الآب يحب الابن وقد دفع كل شيء في يده. الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية. والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله" (يو ٣: ٣٥ و ٣٦).

وقبل الختام أود أن أشير إلى أمرين عظيمي الأهمية والخطورة. أولهما حرص الوحي ودقته البالغة في تقدم الحياة الأبدية موضوعياً في كلمة الحياة، ابن الله، في الإصحاح

 All rights reserved © 2008-2018

الأول. لقد أفاض الرسول في الكلام عن الرب يفي الإنجيل كواهب الحياة الأبدية للمؤمن في الإصحاحات ٣، ٥، ٦،، ١٠، أما هنا فهو يبدأ بتقديم الكلمة نفسه باعتباره تلك الحياة دون أ، يشير إشارة واحدة إلى حقيقة توصيلها لنا. غير أن هذه الحقيقة كانت معروفة ومألوفة قبل كتابة الرسالة. إذن فقد كان أمام الروح القدس غرض إلهي مبارك في عدم قوله كلمة واحدة في الإصحاح الأول عن نوالنا الحياة ولو أن الكاتب والقديسين كانوا يعرفون ذلك جيداً. ومن هذا يبدو أن غاية الروح القدس في ذلك الاستهلال البارع هو تقديم الرب كالغرض الموضوع أمامنا لكي نجد مسرة نفوسنا فيه باعتباره الحياة الأبدية التي كانت في جوهره الإلهي عند الآب وظهرت في كمالها بظهوره هنا على الأرض كإنسان بين الناس. فكم كانت تكون الخسارة لو لم يكن هناك بالفعل هذا الظهور الموضوعي للحياة الأبدية التي يتميز بها إنجيل يوحنا ويطالعنا بجمالها الرائع في كل صفحة من صفحاته. كذلك كم كانت تكون الخسارة التعليمية في هذه الرسالة لو لم يكن المسيح نقطة ابتدائها وأساسها، وإنما غاية التدرج يأتي بنا الرسول إلى الكلام الصريح عن طريقة نوالنا الحياة الأبدية، والواقع أنه لم يعالجها بصراحة إلا في الإصحاح الخامس الذي هو ختام تعليمها كما أن الحديث عنها موضوعياً في المسيح هو بداءته.

والأمر الآخر لا يقل أهمية وخطراً. فإنه إذا كان بين أسفار الكتاب سفر يمتاز عن بقية الأسفار في التفرد بإظهار الحياة الأبدية في المسيح وفي خاصته الذين هم له بالنعمة فإنما هو إنجيل يوحنا ورسالة يوحنا الأولى. ومع ذلك فقد اختفت في كلتيهما المعمودية المسيحية كما اختفى عشاء الرب. إن موضوعها الحياة الأبدية بكل ملئها وقوتها في يسوع ابن الله أكثر من سائر الأناجيل والرسائل. وهما كذلك يعينان أكثر من سواهما بالشهادة عن توصيلها للمؤمن. ومع ذلك فلا الإنجيل ولا الرسالة يشيران إلى تلك الفريضة المسيحية التي إليها تعزو بعض الطوائف منح الحياة الأبدية.

فإذا كانت المعمودية المسيحي – ما ينادي التقليديون – هي وسيلة إحياء النفوس، فكيف بهذين السفرين الحافلين بالكلام عن الحياة الأبدية وعن منح الحياة، يغفلانها إطلاقاً ويوسعان في الكلام عن الحياة الأبدية باعتبارها عمل إلهي مباشر يجريه الروح القدس باستخدام الكلمة لإعلان المسيح للمؤمن؟ والواقع أنه من الخطأ الفاحش حشر المعمودية في "ماء"نه م (يوحنا ٣: ٥) أو "الماء" في (يو ٥: ٦ و ٨)، فإن الرسول يترك الفرائض تركاً مطلقاً ليتحدث عن حق جوهري ذي أثر أبدي، ولو أنه أشار مرة إشارة عابرة وفي سياق الحديث إلى معمودية التلاميذ أيام خدمة سيدنا (يو ٤: ١ و ٢) وحتى في هذه الإشارة احتاط للأمر فأخبرنا أن الرب نفسه لم يكن يعمد مع أنه هو محيي الأموات. ثم أن المعمودية السابقة لموته وقيامته كانت بمعمودية يوحنا عادوا فتعمدوا بالمعمودية المسيحية بواسطة الرسول العظيم (أع ١٩: ٥) الذي شكر الله لأنه لم يعمد في كورنثوس سوى نفر قليل،

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA
All rights reserved © 2008-2018
info@arabicbible.com

معلناً أن المسيح لم يرسله ليعمد بل ليبشر (١ كو ١: ١٤ و ١٧) وأنه (هو) قد ولدهم في المسيح يسوع بالإنجيل. فالمعمودية المسيحية هي في الحقيقة معمودية لموت المسيح كما نتعلم بوضوح من رسالة رومية (الإصحاح السادس) إذا كنا نصدق كلمة الله. إنها معمودية لموته ولا شأن لها بمنح الحياة للنفس الميتة في خطاياها.

الرسالة الأولى: الخطاب الثامن عشر

١ يو ٥: ١٣ – ٢١

"كتبت هذا إليكم أنتم المؤمنين باسم ابن الله لكي تعلموا أن لكم حياة أبدية ولكي تؤمنوا باسم ابن الله. وهذه هي الثقة التي لنا عنده إنه إن طلبنا شيئاً حسب مشيئته يسمع لنا. وإن كنا نعلم أنه مهما طلبنا يسمع لنا نعلم أن لنا الطلبات التي طلبناها منه. إن رأى أحد أخاه يخطئ خطية ليست للموت يطلب فيعطيه حياة للذين يخطئون ليس للموت. توجد خطية للموت ليس لأجل هذه أقول أن يطلب كل إثم هو خطية وتوجد خطية ليست للموت.

نعلم أن كل من ولد من الله لا يخطئ بل المولود من الله يحفظ نفسه والشرير لا يمسه. نعلم أننا نحن من الله والعالم قد وضع في الشرير. ونعلم أن ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرة لنعرف الحق ونحن في الحق مع ابنه يسوع المسيح. هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية. أيها الأولاد احفظوا أنفسكم من الأصنام".

يُلاحظ أن روح الله يشدد دائماً على أن المؤمنين ليس فقط لديهم لهم حياة أبدية بل يجب أن يعلموا أن لهم حياة أبدية، ذلك أنه من المحتمل – كما كان الأمر قبل المسيح – أن يكون لإنسان حياة أبدية ولكنه لا يعلم أن له هذه الحياة، بل حتى الآن هناك بعض المؤمنين ممن تظهر منهم علامات واضحة جلية تنبئ عن وجود تلك الحياة فيهم مع أنهم يجهلون حقيقة امتلاكهم إياها. ومع هذا ذلك فإن فقدان التمييز لمعطلات هذه الحياة ن شأنها أن يعرض صاحبها الذي يجهل ها الامتياز ليس فقط لفقدان سعادته الشخصي قدام الله أو تعطيلها، بل لانخفاض مستوى سلوكه الذي هو النتيجة العملية لهذا الجهل. كيف لشخص مثل هذا، ليس

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لديه اليقين الهادئ بالحصول على الحياة الأبدية، أن يتجنب القلق حينما يهيب الضمير بالقلب أن يفحص ويرى هل هو مسيحي أم لا، وذلك على أثر فشله في تصرفاته أو اشتباكه في صراع دائم مع المجرب الذي يحاول باستمرار إيقاعه فيما يهين الرب، ثم يخلق في نفسه عدم الثقة بنعمة الله؟.

سبب آخر لأجله يشدد روح الله بقوة على أن يكون لدينا ليس مجرد العلم بل العلم الشعوري الباطني بأن لنا حياة أبدية، كما يفعل هنا. وهذا السبب هو أنه في أيام الرسول ومنذ ذلك التاريخ وحتى اليوم وجد خصوم للحق يرتابون في إمكانية العلم بالحياة الأبدية، بحيث يجعلونها شيئاً غامضاً غير مؤكد البتة، وهذا هو دائمً الطريق الذي يسلكه عدم الإيمان في كل العصور والأجيال إذ يحاول أن يحجب اليقين بحجة جهلنا وعدم استحقاقنا وتعرضنا للوقوع في الخطأ، وهي أمور حقيقية لا يسعنا إنكارها، ولكن هذه ليست المسألة بل السؤال كله هو هذا: هل أعلن المسيح إعلاناً كاملاً واضحاً خبر هبة الحياة الأبدية للمؤمنين الآن أم لا؟ ومن الخطأ والضلال بطبيعة الحال أن يقال أن هذا الامتياز المبارك وقف على فريق معين ممتاز روحياً من أفراد عائلة الله، فإن العهد الجديد يعلن مراراً وتكراراً ويؤكد لكل من له أذن للسمع أن من حق جميع الذين يؤمنون بابن الله أن يعلوا أن لهم الحياة الأبدية.

من المحقق أن محبة الله موجهة لكل واحد من أولاده. ولذلك كانت كلمة الله واضحة وجلية في إعلان هذا الامتياز ليكون معلوماً علماً باطنياً لكل واحد من أفراد عائلة الله، وليكون موضع تمتع وممارسة كل مسيحي في شركته الشخصية وسجوده مهما كانت درجة بلوغه الروحي، كما أن الحياة الأخرى المُعبر عنها بالجسد والمبغوضة لدى الله قد صارت بفضل المسيح وروح الله المعطى لنا مبغوضة أيضاً لدى القديس. ومن هنا صار على المسيحي أن ينكر ويطرح جانباً الحياة الجسدية الساقطة ويسلك الإيمان بحسب قدوة المسيح الكاملة، في طبيعته الجديدة المسماة هنا وفي إنجيل يوحنا "الحياة الأبدية". إنها حياة المسيح، وقد صارت بالنعمة "حياتنا".

لقد كنا من نصيب الرسول يوحنا أن يعلن لا عمل المخلص الفدائي – ولو أنه تكلم عن الفداء فيما له علاقة بالمجد السماوي وغرض الله العظيم فيما يتعلق بمستقبل المسكونة أو بمشوراته – بل لكي يتكلم بالأحرى عن جلال ومجد ونعمة ذاك الذي أضفى من مجده وعظمته على الحياة التي يمنحها كما على عمله الفدائي. لقد كان من حق الله وطبقاً لبره وكل صفاته له المجد أن يجد لذته في تلك المشورات التي ستتم، ولذلك فقد انهار كل أساس للكلام عن استحقاقنا الشخصي أو مد استحقاقنا، ولم يعد للإنسان الأول أي شأن في الموضوع بل الشأن كله للإنسان الثاني، المسيح الرب. إن أساسنا هو المسيح وعمله كمن أعطانا إياه الله، وماذا يطلب المسيح وعمله من الله الذي يقدره حق التقدير؟ ولمن يطلب؟

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ليس يطلب لأجل نفسه بكل يقين، فهو لم يكن ولم يكون بحاجة إلى شيء لأنه كالابن واحد مع الآب، موضوع حبة الله منذ الأزل. ولكنه جاء وبذل نفسه ليمجد الله ويظهر محبته الكاملة رداً على أكذوبة الشيطان الذي إذ ترد هو نفسه على الله سعى جهده ليوقع الإنسان تحت طائلة غضب الله وقد نجح بحسب الظاهر في مسعاه. ولكن مشورات الله لن تخيب بل سيتممها الله جميعها على أساس الفداء. فإن الفداء لم يكن فكرة طارئة أو عارضة جاءت في عرض الزمان، كما لم تكن المشورات الإلهية مترتبة على فشل في شيء مما رسمه الله أو أوجده.. صحيح إنها أعلنت لنا نحن المؤمنين بعد ظهوره فشل الإنسان فشلاً تاماً، لكن مشورات الله شأنها شأن محبة الله كانت قبل كل خليقة كما يرينا الرسول بولس في (أف ١: ٣ – ١٤، كو ١: ٢٦، ٢ تي ١: ٩، تي ١: ٢).

لقد أعطى ليوحنا بصفة خاصة أن يتعمق في طبيعة الله وأن يتحدث بالتبعية عن شخصية سيدنا الأزلية كما عن تجسده وذلك لكي يثبت القلب ويسمو المؤمن فوق حالة الكنيسة الاسمية المحزنة التي انحرفت في شهادتها فأصابها التشويش والخراب وأصبحت تنتظر قضاء الله الذي بدأ من بيته. على أن ازدياد فشل المسيحية الاسمية لا يمكن أن يكون سبباً في زعزعة ثقتنا في المسيح ذرة واحدة. فكيف إذن يعمل روح الله على تقوية القلب وتعضيده؟ يقود أفكارنا إلى الحياة الأبدية التي كانت عند الآب قبل أن يوجد مخلوق وقبل أن يتنازل الله في صورة إنسان حقيقي في شخص الرب يسوع لكي تكون الحياة الأبدية نصيبنا المعلوم لنا اليوم بما لا يقل عن علمنا بها في يوم المجد. صحيح أنها لنا الآن فيه بالإيمان، ولكنه تعليم غريب أن يقال إنها كشيء "حاضر" ليس ملكاً لنا الآن بالإيمان، بقدر لنا ما هي ملك لنا كشيء "مستقبل" نتوقعه (١ كو : ٢٢). ولكن مما يزيد في متانة القضية أن الحياة هي في المسيح الذي هو لنا، وهي من هذا الوجه فوق كل شيء أو ريب.

ولكن ما أوضح أقوال سيدنا في (يو٥: ٢٤) وأقوال الرسول في (ع ١٢) من إصحاحنا.فقد يمكن أن يكون لنا العلم العقلي بشيء نتوقع الحصول عليه ولكن لا يمكن أن يكون لنا العلم الواعي الباطني بشيء لا نملكه فعلاً. فحينما يقول يوحنا "لكي تعلموا أن لكم حياة أبدية" فهو يفترض أصلاً أننا فعلاً حاصلون عليها وإنما يعوزنا فقط أن نعلم ذلك علماً واعياً باطنياً. ولم يوجد قط حتى بين أتباع بيلاجيوس[٦] من ذهب إلى حد إنكار إمكان الحصول المسيحي على الحياة الأبدية الآن وإن كانوا قد فسروها بما يجعلها خارج حدود الإمكان. ولكن يخيل لنا أن مهمة إنكار هذه الحقيقة المباركة إنكاراً كاملاً ومحاولة القضاء عليها قضاءاً مبرماً كان محتفظاً به لجماعة حديثة أرادت أن تحي الهرطقة الأغنوسية التي تحطمها رسالتنا تحطيماً، فما من جماعة مستقيمة الرأي سمحت لهذه الضلالة أن تعيش بينها لحظة واحدة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ولكن الضلالة القاتلة أبشع اليوم مما كانت في أي يوم مضى لأن عدم الإيمان في يومنا لا يعرف الخجل. ولسنا بحاجة لأن نصدع رأس القارئ بالحديث عن تلك الجماعة التي تزعم إنها طائفة مسيحية مع أنها تحاول بمعول الشك أن تهدم المسيحية في أبرك وأقدس حقائقها. وإلى أين المصير؟ طبعاً إلى الارتداد، إلى إنسان الخطية، إلى سر الإثم، بابل العظيمة، أم الزواني ورجاسات الأرض.

ولكن دعنا منهم وتعال إلى أقوال الرسول الختامية. "كتبت هذا إليكم أ،تم المؤمنون باسم ابن الله لكي تعلموا أن لكم حياة أبدية". إن النعمة لن تجد فينا سوى الخطية والموت، ولكنها مع ذلك تعطينا أفضل ما استطاع الله يهبه، وذلك بالإيمان بالرب يسوع المسيح ابنه. وهل من شيء كان يناسبنا وكنا بحاجة ملحة إليه مثل الحياة الأبدية، تلك الطبيعة الإلهية التي تحب الله وابنه.وكل ما هو جليل ومقدس، وتكره الخطية وتحب البر بحسب ناموس الحرية الكامل. إذ تطيع الله ليس كما كان يفعل اليهودي بحسب ناموس الناهي والتهديد بل كما كان يفعل سيدنا بباعث البنوة. حقاً ما أشأم تلك المبادئ التي يتنكر أصحابها لمعتقداتهم القديمة ليستبدلوا بها آراء حديثة طائشة فلا يكتفون بأن يجاهروا بأنك لا تستطيع أن تعلم أن لك حياة أبدية بل أن أحداً لا يستطيع أن ينالها من الآن! وقد فاتهم أن الحياة الأبدية هي الأساس الصالح الذي لابد منه لما يسميه رسول آخر "أعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكي نسلك فيها".

وها هو الرسول لا يترك مجالاً وعذراً للمتشككين أو الذين يرفضون أن يؤمنوا فلا يختم الرسالة كما بدأها دون أو يؤكد بلغة العلم واليقين كل ما من شأنه تثبيت المؤمنين في المسيح ضد كل من يحاول تضليلهم. فقد أبان عظمة وملء تلك الحياة في المسيح كغرض إيمان النفوس ومحبتها في البداية، وها هو الآن في الإصحاح الأخير يؤكد امتلاك المؤمن لهذه الحياة، وعلمه اليقيني بامتلاكها. وأليس هذا ما يجب أن يكون؟ إنه لأمر جدير بالابن، وهو مسرة الآب، ومن شأنه أن يزيد في عظمة وجلال الهبة في نظر المؤمن فإذا كانت الحياة الأبدية هي أول هبات النعمة للنفوس من الآن، وإذا كانت هي التي عليها وفيها يعمل الروح القدس المعزي بقوة في كل لحظة واعية من لحظات حياتنا المسيحية، فما أعظم الخسارة وما أشنع الضلالة التي تحيط بأولئك الذين تعاطوا السم وبجميع الذين لسبب أو آخر استهانوا بالأمر ولم يبرئوا أنفسهم منه.

نأتي بعد ذلك نقطة في غاية الأهمية والخطورة خاصة بثقة القلب في علاقتنا بالله كأولاده. فبدون العلم اليقيني بامتلاك الحياة الأبدية وانتسابها لله كأولاد لن تتوفر لنا هذه الثقة. ولا عجب أن نرى أولئك الذين لا يؤمنون بأياً من هذين الامتيازين كشيء تمتلكه النفس فعلاً في الوقت الحاضر ينكرون ثقة كهذه بدعوة إنها جراءة غير لائقة. ولكن كيف يمكنهم أن يقرأوا هذه الأقوال قراءة جدية، وأقوال أخرى مثلها كثيرة تؤيد نفس الحقيقة، ويفوتهم بعد

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ذلك أن يتعلموا أن الله ينتظر من أولاده هذه الثقة، وأنه كتب هذه الأقوال وأمثالها ليشجعهم عليها وليدينوا أنفسهم إذا ما سمحوا لأي عائق أن يعترض سبيلهم؟ إنها المبدأ الأساسي المنشط للصلاة المسيحية، والطابع الذي يجب أن تطبع كل طلبة من طلباتنا. ليس معنى بطبيعة الحال أنه إذا ضعفت الثقة لدى أي مسيحي فعليه أن يكف عن الصلاة. كلا فإن الرب في المثل المشهور الوارد في (لو ١٨: ١ - ٨) يوصي تلاميذه أن يصلوا ولا يملوا. على أنه من واجب المسيحي أن يربي في نفسه روح الثقة المقدسة وأن يطلب من الله باستمرار أن يزيل عنه روح الارتياب أو الخوف وما أثقلها! إن نوالنا الحياة الإلهية والفداء وحصولنا على أقرب نسبة ممكنة لله وسط عالم عديم الإيمان ولا نصيب له في واحد من هذه الامتيازات – من شأنه أن يخلق لنا مجموعة مستمرة من المخاطر والمتاعب والحاجات لنا ولإخوتنا ورجعنا الصلاة التي يشجعنا الله عليها حتى ولو لم تكن دائماً صلاة الإيمان بل في أغلب الأحيان صلاة الحيرة والارتباك. إنه جدير بنا إذا كانت أعيننا بسيطة أن نصلي دائماً بأكثر حيرة في الروح القدس، ولكن مهما كان الحال فإنه لنا كل حين أن نشجع أنفسنا حينما نصرخ إليه كأبينا الذي أحبنا يوم لم يكن فينا شيء يُحَب، والذي يحبنا الآن كأولاده الذين ألبسهم الحلة الأولى كما هو حال جميع المسيحيين الحقيقيين هنا على الأرض. وهل يا ترى، لو أن الأمر ترك لنا لنختار أقوى الأدلة على محبته لنا، كنا نستطيع أن نختار شيئاً يمكن أن مقارنته بما أعطاه لنا في المسيح مما تؤكده لنا كلمته؟

إذن ونحن ثابتون في المحبة لنثبت في الله والله فينا. وهذا من شأنه بمعونة نعمته أن يرفع العراقيل صغيرة كانت أم كبيرة ويخلق فينا الثقة بواسطة المحبة التي لا تتغير أبداً في وسط كله تغيير. إن الله يسر بهذه الثقة التي تعتمد على عنايته بنا وسط تجاربنا وضعفاتنا وحاجاتنا وأحزان المرض والظروف المرة القاسية، وفي كل الطرق التي نجتازها لامتحان إيماننا يوماً فيوماً، فما هو شعورنا وإحساسنا وسط تجاربنا؟ هل لنا ثقة الإيمان في علاقتنا الحاضرة بالله واعتمادنا عليه بالنعمة التي أنقذتنا من الموت والخطايا وأعطتنا الحياة والروح القدس؟ أم هل نحن نفزع ونرتاب في ضيقات هذه الحياة الصغيرة؟ أليس هذا أمراً غير لائق وتناقضاً غريباً؟ ليكن لنا، ونحن متمتعون بثقة الإيمان بالبركات السامية العظمى، ثقة بما هو دونها من أمور هذه الحياة الفانية. ولنتأكد أن ذاك الذي يحبنا يتداخل في كل ما يسمح به علينا أو يرسله لامتحاننا. "وهذه هي الثقة التي لنا عنده أنه إن طلبنا شيئاً حسب مشيئته يسمع لنا". لاشك أنه مما يخجلنا أن نطلب شيئاً ليس حسب مشيئته، فإن لنا في كلمته ما يعرفنا مشيئته، ولكن هناك ما هو أكثر من ذلك فإننا "إن كنا نعلم أنه مهما طلبنا يسمع لنا نعلم أن لنا الطلبات التي طلبناها منه" (ع ١٤. آه، ليتنا لا نتشكك فيه ي هذه التجارب الصغيرة نسبياً بعد إذ اختبرنا محبته السامية اللانهائية في أعمق الأعواز وأشدها! ويا له من دليل في الإصحاح الرابع على أنه لا يوجد شيء أكبر من متناول الإنسان في المسيح، كما في هذه الأعداد من الإصحاح الخامس لا يوجد شيء أصغر من متناول محبة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الله، وما أيسر ما ننسى أن نأتي إليه بالصلاة في اللحظة التي قد تكون مهيأة لإجابته ثم نأتي بعد ذلك بالطلبات بعد فوات الأوان. إن الصلاة من حق إلهنا علينا كما هي بركة غنية لنفوسنا وللآخرين ولكنها ليست كما يجب إن لم تكن مقترنة بالثقة التي تكرم محبة الله لنا.

وإذا نعلم أننا الله ولنا الحياة والفداء، فلنحكم على كل معطل. فإننا بالرغم من الخطية والشيطان قد صار لنا من الآن هذه الامتيازات العمى التي هي طلائع المجد الأبدي، وأفضل منها جميعاً، لنا الابن والآب والروح القدس. فنحن مباركون مع المبارك. إن أولئك المؤمنين الذين يؤجلون هذه البركة إلى يوم المجد قد يكونون على حق فيما يتعلق بأنفسهم في ذلك اليوم إلا أنهم مخطئون كل الخطأ في تأجيل أفراحهم الخاصة إلى ذلك اليوم. فالآن هو الوقت الذي نحتاج فيه لهذه البركات، وهي تعوزن بالأكثر في اليوم الشرير لمجد الله وخير أولاده. فعندما يجيء يوم المجد لا تكون هناك حاجة لمثل هذا التحريض على الثقة في الصلاة لأن الكل سيكون تسبيحاً. أما الحاجة الملحة لمثل هذه الصلاة الواثقة فهي الآن في هذا العالم بصعابه ومخاطره، ولو أنه اليوم للتمتع بأغنى البركات حينما نعلم أن المسيح في الآب ونحن فيه وهو فينا. فهو الوقت المناسب لممارسة هذه الثقة العملية في التقدم بالصلاة لنطلب من إلهنا أي شيء وكل شيء بحسب مشيئته. أما أي شيء بخلاف ذلك فلا نطلبه ولا نجرؤ على طلبه. ونحن نعلم أنه يسمع لنا. ويا له من خطأ أن نرتاب! ألم يبرهن الله على محبته الكاملة المستمرة من نحونا؟ إنه قد يرى نافعاً أن يمتحنا بتجربة قاسية. قد يسمح لمسيحي (لاهتمامه بالمال) أن يفقد كل مليم في عالم فيه نافع، حتى لقد يصل به العوز إلى القوت الضروري. لكن هل له أن يرتاب في الله بعد كل ما عرف عن صلاحه وحكمته، وكل ما عرفه عن نفسه من جهالة وغباوة؟ إن واجبه في هذه الحالة أن يطلب إلى الله أن يفعل حسب مشيئته واثقاً أنه يسمع له وأن لنا الطلبات التي طلبناها منه.

أذكر أنني منذ نصف قرن تقريباً التقيت بشخص مسيحي تقي كان يوماً من الأيام من رجال الإكليروس وإذا بصديق يسأله ونحن على قارعة الطريق كيف يعيش هو وأسرته. فكان جوابه أنه لا يعرف كيف، ولكنهم مع ذلك يعيشون بنعمة الله. قال هذا وإذا بساعي البريد يُقبل لا بكلام بل بحوالة مالية قدمها خادم الرب التقى لصديقه قائلاً: "لعلك ترى من هذه الورقة كيف أعيش". إن إلهنا حي ويجيب الإيمان بما يراه صالحاً مهما كانت الظروف. إن التجربة الثقيلة شرف للمسيحي الآن كما كانت لإبراهيم قديماً، قد يكون هناك من يجربهم الرب قليلاً لأنهم ضعاف في الإيمان ولا يستطيعون أن يحتملوا. أما المؤمن القوي في الرب فمن المحقق أنه يجرب، وذلك للبركة، فإن الرب "لا يحول عينيه عن البار". ومع ذلك فنحن محاطون بألوان من العوز والشقاء والحزن، ومن واجبنا ألا ننشغل بتجارنا الخاصة ونتغاضى عن الآخرين. هناك آخرون مشتركون معنا في نفس علاقة النعمة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يقاسمون آلاماً من نوع أو آآخر. أفلست أطلب لأجلهم بقلبي من الله كما أطلب لنفسي، وأتصرف إزاءهم كما يليق بأخ في المسيح؟

غير أن الثقة الجريئة في الله بحسب محبته هي لكل واحد وللجميع. ومن هذا نتعلم ألا نثق في مشيئتنا بل أن نطلب فقط ما نعلم أنه يتفق مع مشيئته. وماذا تكون النتيجة؟ "يسمع لنا". فإذا لنا الامتياز بل المسؤولية أن نطلب بثقة ن ذاك الذي يحبنا ويعلم كل شيء، فعلينا أن ننتظر جواب نعمته على سؤالنا ونعتمد عليه. وإن كنا نعلم (ليس علماً موضوعياً بل علماً باطنياً شعورياً)، إنه مهما طلبنا يسمع لنا، نعلم (نفس العلم الباطني) أن لنا الطلبات التي طلبناها منه. وهل من شيء يستطيع أن يشجع المؤمن ويملأه بالثقة أكثر من هذه الأقوال؟ قد لا تكون الإجابة بحسب أفكارنا ولكنها دائماً بحسب حكمته الأعمق وطريقته الأكمل.

والكل مؤسس على محبة الله الذي بذل المسيح لأجلنا كخطاة وأعطاه لنا كقديسين، كما أعطانا الروح القدس ليحقق هذه المحبة في قلوبنا وفي سلوكنا ولئن كان الله يشجعنا على أن نطلب بثقة فإننا معرضون لآن ننسى الشق الآخر وهو أنه لا يمكننا أن نطلب بحسب مشيئته ما لم ننم في معرفة كلمته. وهنا نتجلى القيمة العملية لتربية نفوسنا وتدريبنا على التفهم الروحي العميق للكتاب المقدس. إن الله قد عظم كلمته فوق كل اسمه، وهكذا فعل الرب والرسل، هكذا يجب أن نفعل نحن وفي الحق أن يكون رداً تعيساً من جانبنا على محبته ووفرة الحق المعلن لنا في كتابه وعطية الروح القدس الذي أوحى الكتاب أن نقف عند حد خلاصنا الشخصي ونسلم أنفسنا للجوع الروحي متعامين عن غنى النعمة المعلن لنا بلا حد.

وفي العددين ١٦ و ١٧ يتناول الرسول القضية الشائكة التي لنا فيها أن نطلب أو لا نطلب من الله. "إن رأى أحد أخاه يخطئ خطية ليست للموت يطلب فيعطيه حياة للذين يخطئون ليس للموت. توجد خطية للموت. ليس لأجل هذه أقول أن يطلب كل إثم هو خطية وتوجد خطية ليست للموت".

لقد طالما كانت هذه الفقرة مثاراً لصعوبات لدى الذين يتناولونها بأفكار هي ولية تجاهلهم لسياسة الله الأدبية التي تسري على المؤمنين في كل العصور والأجيال إنها السياسة التي يدور حولها سفر أيوب والتي فشل أصحابه الثلاثة عن فهمها فشلاً ذريعاً. وهي السياسة التي أوضحها العهد الجديد إيضاحاً كاملاً في أماكن كثيرة نذكر من بينها (يو ١٥: ١ – ١٠، ١ كو ١١: ٢٧ – ٣٢، عب ١٢: ٥ – ١١، ا بط ١: ١٧)، ثم إصحاحنا هذا. فالنقطة التي تدور حول محورها هذه الفصول جميعاً ليست الموت الثاني بل قطع قديس وانتزاعه من هذا العالم بسبب خطية لها من الصفة أو الظروف ما يجعل الله يؤدب عليها بالموت. فقد يكون، كما نرى في العهد القديم، باستبعاد قديسين كانوا قبلاً كانوا قبلاً يشغلون مركز

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

سامية، كموسى وهرون اللذين أغاظا الرب في قادش (سفر العدد ٢٠) أو قد تكون بتوقيع الحكم فوراً كما في حالة حنانيا وسفيره (أع ٥) على أن الرسول بولس شرح هذا المبدأ للقديسين في كورنثوس الذين كان كثيرون منهم ليسوا فقط ضعفاء ومرضى بل كثيرون يرقدون، فقال لهم "لأننا لو كنا حكمنا على أنفسنا لما حكم علينا و لكن إذ قد حكم علينا نؤدب من الرب لكي لا ندان مع العالم". هذه إذن كانت خطية للموت أدب الرب من أجلها القديسين الذين فعلوها و ذلك بصريح اللفظ لكي لا يدانوا بالموت الثاني مع العالم.

ولذلك فإننا نخطئ فكر الرب إذا نحن طلبنا من أجل إطالة حياة أخ أخطأ خطية من هذا النوع بحيث يقصد الرب إنهاء حياته على الأرض تحت التأديب. إن العالم الذي لا يفعل سوى الخطية ويرفض المخلص محفوظ لذلك الموت الثاني الرهيب الذي هو الدينونة الأبدية. فاقتحام فكرة الموت الثاني في الأعداد التي أمامنا ليس هو إلا تشويش للفهم الروحي. ولكنها من الجهة الأخرى أعداد كريمة ترينا بأسلوب آخر حرص إلهنا و تنازله العجيب لحفظ ثقتنا سليمة وغير مقيدة حتى لتتأثر بما قد تلاقيه من عدم الإجابة في هذه الحالة، وإنما هو فقط يحذرنا من الوقوع في خطأ نحن معرضون للوقوع فيه لولا هذه النصيحة.

إن الكذب خطية كبيرة وبخاصة من المسيحي. ولكن كم من خطايا كذب وقعت دون أن يترتب عليه الموت. أما في بكور تاريخ الكنيسة يوم أعطي الروح القدس في البداية وكانت نعمة عظيمة على الجميع وقوة ملحوظة في كل مكان – هذا كله أعطى خطية الكذب في ذلك اليوم صفاتها الشريرة الخاصة. ومما زاد الطين بلة إن رياء ذينك الزوجين واتفاقهما العمد وإنكار كل منهما للاتهام الخطير الذي وجهه إليهما بطرس مما طبع خطيتهما بطابع خاص وجعلهما خطية للموت. ذلك لأنها كانت أكذوبة زاد في شناعتها تلك البركة العجيبة التي كان الله يجريها تكريماً لابنه المحبوب. فكم هو بغيض والحالة هذه الادعاء بدرجة من التكريس الذي لا أصل له على الإطلاق! وهكذا كان في كورنثوس لأنهم بسوء سلوكهم كانوا يدنسون مائدة الرب.

وهذا يذكرني بحادثة شاهدتها منذ بضع سنوات. ففي يوم من الأيام سمعت أن أخاً كان بحسب الظاهر قوى الصحة والبدن مرض مرضاً مفاجئاً فذهبت لزيارته ولما كان ذلك الأخ طبيباً فإنه على الأرجح كان أفضل من غيره لمعرفة مرضه. لكنه أخبرني في هدوء وتأثر أنه سيموت. وكانت نغمة كلامه جادة وخطيرة كما كان إحساسه. ولم يكن يبدو عليه مظهر للمرض، ولم يستطيع هو أن يعرف مرضه، ولكنه كان متأكداً أن آخرته على الأرض قد جاءت، ثم قال لي: " لقد أخطأت خطية الموت" ثم كشف لي عن تلك الخطية. لم تكن له رغبة في أن يعيش، فلم يصل من أجل نفسه ولا طلب مني أن أصلي من أجله، وإنما استسلم لتأديب الرب ولم يؤلمه سوى أن خطيته كانت السبب في ذلك التأديب. على أنه كان

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مسروراً للغاية أن ينطق ويكون مع الرب. فعلاً رقد، لقد أدرك يد الرب العادلة ومات أن يخامره شك من جهة قبوله.

هذه إحدى طرق الرب الخطيرة، وإنها في الحق لخطيرة. ولكن لا سبيل إلى قصرها على عهد أو زمن معين.

فما هو الفرق العظيم إذاً؟ الفرق ليس في جسامة الخطية وكبرها بل في وقوعها في ظروف تجعلها فظيعة وهائلة وهي كذلك محل إدراك روحي من القديس ذاته الذي لا يرغب في الصلاة من أجله بعد ذلك ولا في أن يعيش يوماً واحداً على الأرض. وفي الحادثة التي ذكرتها عرف الأخ أنه من الخطأ الصلاة لأجله، ولست أذكر أن أحداً صلى من أجله، والواقع أنه مات سريعاً. وفي الأحوال العادية من واجبنا بل نحن مطالبون أن نصلي فإن عواطفنا تتجه بقوة نحو إخوتنا المرضى ويسرنا أن نراهم بيننا مدة أطول وأن نسمع عن سلوكهم المسيحي وعن امتحان وتزكية إيمانهم بطريقة أو أخرى وعن صبرهم وهم يجتازون هذه التجارب، فنحن وإياهم في حاجة للتقويم.

يقول الرسول "توجد خطية * للموت" ثم "كل إثم هو خطية". ومعنى ذلك أن عمل يناقض نسبتنا الجديدة هو خطية، فنحن قد تركنا على الأرض لكي نصنع مشيئة الله، ولكن وقوع مثل هذا العمل الخاطئ في ظروف خاصة مهينة لله سراً أو علناً يضاعف من شناعة هذا العمل ويجعله خطية للموت. أما في الظروف العادية فهي لا تحسب هكذا.

ثم نأتي إلى الأعداد ١٨ – ٢١ وهي خاتمة جديرة بالرسالة. ففي تلك الأيام الأولى يوم كان بعض المعترفين يركضون حسناً مع سائر المؤمنين ولكنه سرعان ما تقاعسوا وأظهروا خلوهم من الإيمان والحياة بتركهم المسيح وأتباعهم علماً كاذب الاسم انتهى بهم على عداء مكشوف للآب والابن، نرى الرسول يأخذ مكانه مع المؤمنين الذين يستطيعون بالنعمة أن يقولوا "(نحن) نعلم". وعلمهم هذا كما تدل عليه الكلمة الأصلية كان عملاً باطنياً ولو أنهم في بادئ الأمر تعلموه من مصدر خارجي. أما الذين لم يولدوا من الله فلم يصبح العلم في يوم من الأيام ممتزجاً بأرواحهم ولكن هذا هو امتياز كل واحد من أولاد الله الذين لم يكن في نفسهم أية رغبة أو قيمة لذلك العلم الخارجي الذي يخدع الإنسان الطبيعي ويفتنه. أما غير المؤمنين الذين تنكروا للحق فلم يكونوا سرى (أغنوسطيين) يفخرون بما هو في الحقيقة عار وشنار، من الخرافات والفلسفات التي ميزت ليس فقط أضداد المسيح بل حتى بعض الآباء الأولين نظير إكليمندس الاسكندري ومن على شاكلته. ولكن ليس هكذا التلاميذ الحقيقيون الذين يجدون في المسيح سواء على الأرض (أو في السماء حيث يتجلى "السر" كما في رسائل بولس) كل كنوز العلم والحكمة الإلهية التي كانت مخبوءة سابقاً. وهم في تتبعهم لهذا العلم ونموهم فيه يقودهم الروح القدس ويرشدهم إلى كل الحق، ذلك الحق القديم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الجديد على الدوام والذي هو دائماً حي بخلاف أي علم أرضي، لأن الروح القدس يأخذ مما للمسيح ويخبرنا، وكما هو مدون الآن في الكلمة المكتوبة.

"نعلم أن كل من ولد من الله لا يخطئ بل المولود من الله يحفظ نفسه والشرير لا يمسه". العلم هنا كما قلنا علم باطني إلهي من نصيب كل فرد، وهو أمر في غاية الأهمية لقلب المسيحي لكي تظل نفسه لامعة مبتهجة على الدوام. فمن حيث الشكل، يحدثنا هذا العدد عن حقيقة عامة لا تقبل تبديلاً أو تعديلاً، مهما اختلفت وجهات النظر في تفسيرها وتطبيقها. وإنما نلاحظ أن هناك ظلاً من الاختلاف بين لفظتي "من ولد" في الجزء الأول من العدد ولفظة "المولود" في الجزء الثاني، ولو أن كلا الوصفين ينطبقان على الشخص الواحد أي المسيحي، فإن أولهما يعني به الأثر الدائم للولادة بينما الآخر يعنى به حقيقة الولادة في ذاتها بغض النظر عن دوام أثرها. فإذا كانت الخطية أمراً تافهاً أو عملاً هيناً في نظر الأغنوسطيين يتجاهلونه أو يقبلونه كشر لابد منه (لأن هؤلاء كانوا مختلفين فيما بينهم) فإنها على العكس كانت شيئاً خطيراً في تقدير أولاد الله كما هي كذلك في تقدير الله. وأنه لأمر مبهج وفي الوقت نفسه منذر للمولود من الله أن يقال له بصورة خطيرة أنه باعتباره مولوداً من الله لا يخطئ والشرير لا يمسه. لأن كلمة الله حية وفعالة بخلاف أية كلمة أخرى، والروح القدس ماكث في كل مسيحي ليهب الكلمة قوة وفاعلية. ومن أجل ذلك فإن الشركة والسلوك والخدمة والسجود تملأ حياة المؤمن هنا على الأرض.

"نعلم أننا نحن من الله والعالم كله قد وضع في الشرير". حقيقة مجددة خالية من كل إبهام أو غموض، وتفرقة حازمة قاطعة بيننا كعائلة الله من جانب وبين العالم في خضوعه المرعب للشرير من الجانب الآخر، فبنفس العلم الباطني الواحد كان جميع المسيحيين يعلمون أن كيانهم الجديد مشتق من الله نفسه وأن العالم كله واقع في قبضة الشرير. وهل من فاصل بين الجانبين أشد من هذا وأقوى؟ الله مصدر الجميع من الجانب الواحد، وخضوع مطلق للشيطان من الجانب الآخر. ولاحظ أن الكلام هنا ليس عن الكنيسة بالمقابلة مع اليهود أو الأمم، بل عن إدراكنا الواعي بحقيقة كوننا "من الله" بالمقابلة مع العالم كله واقعاً وهو لا يدري تحت سلطان الشرير. ومن خصائص الحياة الجديدة أن ندرك هذا وبالإيمان نستمتع بالبركات العظيمة بحسب مشيئة الله.

"ونعلم أن ابن الله قد جاء وأعطى بصيرة لنعرف الحق (أو الذي هو الحق) ونحن في الحق في ابنه يسوع المسيح. هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية". إن العلم اليقيني الباطني بموضوع الإيمان، كمن قد جاء في الجسد له من الأهمية ما للطبيعة الجديدة نفسها إذ هو مصدرها الإلهي. وها هو الوحي يخبرنا أن هذا العلم هو أيضاً من نصيبنا بكل معنى الكلمة. فنحن "نعلم أن ابن الله قد جاء" بالمباينة مع اليهود الذين يتوقعون مسيحاً آخر هو دون المسيح الحقيقي من كل الوجوه، وبالمباينة مع اليهود الذين يتوقعون مسيحاً آخر هو

 All rights reserved © 2008-2018

دون المسيح الحقيقي من كل الوجوه، وبالمباينة أيضاً مع الأمم الذين لا يعرفون الله ويعبدون الشياطين هم أكثر جهلاً إن جاز التعبير. ولكن ابن الله، الذي به كل شيء كان، صار في المحبة إنساناً لكي يعطينا ليس فقط حياة أبدية بل يعطينا نفسه كفارة عن خطايانا كما تشهد بذلك كلمة الله. ولئن كان شيئاً عظيماً أن يخلق العالمين من لا شيء، فقد كان أعظم أن يصنع الفداء بموته. لكن يقال هنا أنه جاء ليعطينا بصيرة ليعرف الحق، أي الإله الحقيقي، لأنه وحده الذي كان في مقدوره أن يكون صورة الله غير المنظور في عالم من الظلمة والعار والضلال، تدفعهم من خلف قوات الشر الخفية لزخرفة الباطل وتشجيع أناس عميان لمقاومة الحق. فهي ليست مجرد نظرية غالية وعزيزة على المخادعين المضللين بل شخص إلهي حقيقي، أو بالحري الحياة الأبدية كحقيقة حية، يقوم على أساسها الحق العميق السامي الذي نعرفه في المسيح، والذي تشهد له الكنيسة باعتبارها شاهده الجماعي المسئول – ولو إنها فشلت في هذه الشهادة وهي الآن أكثر فشلاً. لكن للإيمان مورده في اليوم المظلم، بل في أشد الأيام ظلاماً، وها هي ذي رسالة يوحنا تقوم بدورها العظيم في الكشف عن ذلك المورد، مع سلطان إلهي في يسوع المسيح الذي هو أمساً واليوم هو إله الأبد – للمؤمن وفي ذاته.

هذا الامتياز الأبدي الذي لا يتغير ولا يتبدل معبر عنه هنا بإيجاز وقوة "ونحن في الحق في ابنه يسوع المسيح". وهكذا يوضح لنا أن سبيلنا للاحتماء في ضمان الإله الحقيقي هو وجودنا في ابنه، كما يخبرنا هو نفسه له المجد في (يوحنا ١٤: ٢٠) "في ذلك اليوم تعلمون إني أنا في أبي وأنتم فيّ وأنا فيكم" فلسنا فقط فيه، بل نعلم أننا فيه مع سائر الحقائق الأخرى المجيدة المذكورة هنا. ولنلاحظ أن "ذلك اليوم" هو الآن هذا اليوم الذي نعيش فيه والذي بدأ من قيامته وصعوده. وهل هناك ما كان يمكن عمله أعظم من منحنا الطبيعة الإلهية في المسيح، مع الثبوت في الله بروحه الماكث فينا؟ تلك الحقائق العجيبة وبالأكثر لأن أولئك الذين يكتفون أو لا يكتفون بالمسيحية الاسمية يبدون وكأنهم ليس لديهم حتى مجرد الفكر من أنهم من حق كل ابن أن يدرك هذه الامتيازات ويعيش فيها. وما أعمق وأبرك الكلمات الختامية في هذا الفصل "هذا (يسوع المسيح ابنه) هو الإله الحق والحياة الأبدية" هذه عبارة مليئة بالمعنى والبركة فذاك الذي نحن منه وفيه هو الإله الحق، بالمقابلة مع كل الآلهة الكاذبة أو مع ما يعرفون الله. ولكن الله كحقيقة لا يمكن أن يعرف إلا في ابنه يسوع المسيح، لأنه فيه وحده سيعرف، في ذاك الذي تخلى عن كل شيء في سبيل إتمام المهمة وفي سبيل تأهيلنا للوجود فيه بواسطة منحنا طبيعته. هو الإله الحق، وهو أيضاً الحياة الأبدية، التي بدونها ما كنا نستطيع أن نعرف لا الآب ولا ذاك الذي أرسله. وفي المسيح المقام لنا تلك الحياة في كامل صفاتها لنفوسنا الآن، كما أننا سننالها لأجسادنا في القيامة أو التغيير عند مجيئه إلينا.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وأخيراً، بجانب الحق والنعمة موضحون بهذه القوة العجيبة المؤثرة، يقدم الرسول تحذيراً قصيراً خطيراً "أيها الأولاد احفظوا أنفسكم من الأصنام". إن كل غرض خارج عن المسيح، كل ما يتعلق به القلب، يجعل الشيطان منه صنماً قد لا تكون الأصنام في الوقت الحاضر من ذهب أو فضة من حجر أو خشب، بل من طبيعة أدهى وأمكر. ومع ذلك فسيأتي اليوم الذي فيه يعود اليهود إلى خطتهم القديمة مهما ظنوا أن ذلك قليل الاحتمال، وكذلك النصرانية حتى حيث فاخروا بتعاليمهم وبغضهم الشديد للوثنية الرومانية. فإنهما سيتحدان في الارتداد العتيد إذ سيعبدان إنسان الخطية، ضد المسيح، حينما يجلس في هيكل الله مظهراً نفسه إنه إله، ولكنه سيلقى في الهلاك مع حليفه السياسي العظيم، وحش روما في ذلك اليوم. الرب قريب. آمين.

الرسالة الثانية: الخطاب التاسع عشر

٢ يو ١ ــ ١٣

"الشيخ إلى كيرية* المختارة وإلى أولادها الذين أنا أحبهم بالحق لست أنا فقط بل أيضاً جميع الذين عرفوا الحق من أجل الحق الذي يثبت فينا وسيكون معنا إلى الأبد. تكون معكم نعمة ورحمة وسلام من الله الآب ومن الرب يسوع المسيح ابن الآب بالحق والمحبة."

"فرحت جداً لأني وجدت من أولادك بعضاً سالكين في الحق كما أخذنا وصية من الآب. والآن أطلب منك يا كيرية لا كأني أكتب إليك وصية جديدة بل التي كانت عندنا من البدء أن يحب بعضنا بعضاً. وهذه المحبة أن نسلك بحسب وصاياه. هذه هي الوصية كما سمعتم من البدء أن تسلكوا فيه. لأنه قد دخل إلى العالم مضلون كثيرون لا يعترفون بيسوع المسيح آتياً في الجسد. هذا هو المضل والضد للمسيح. انظروا إلى أنفسكم لئلا نضيع ما عملناه بل ننال أجراً تاماً. كل من تعدى ولم يثبت في تعليم المسيح فليس له الله. ومن يثبت في تعليم المسيح فهذا له الآب والابن جميعاً إن كان أحد يأتيكم ولا يجيء بهذا التعليم فلا تقبلوه في البيت ولا تقولوا له سلام لأن من يسلم عليه يشترك في أعماله الشريرة."

"إذا كان لي كثير لأكتب لم أرد أن يكون بورق وحبر لأني أرجو أن آتي إليكم وأتكلم فماً لفم لكي يكون فرحنا كاملاً. يسلم عليك أولاد أختك المختارة".

إنه لأمر عجيب ولا شك أن نجد في الكتاب المقدس رسالة موجهة من رسول إلى سيدة وأولادها. فإذا وضعنا في بالنا ما امتاز به الرسل من تحفظ، ورأينا اختلاف هذا الخطاب

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عن المألوف في كل الرسائل فإننا لا نملك إلا أن نتساءل لماذا قصد الروح القدس هنا أن يخرج عن مألوف عادته سيما وأن رسالة يوحنا الأولى قد جاءت عامة وشاملة وموجهة لكل عائلة الله. إن الرسالة الأولى لا تتناول جماعة ملية ولا تتعرض لمسائل شخصية تتعلق بأفراد معينين بل تتناول كل عضو من أعضاء عائلة الله أينما كانوا أكثر مما تفعل أية رسالة أخرى إذا استثنينا رسالة يهوذا. ومع ذلك فإن هذا الرسول نفسه وبعد كتابة رسالته الأولى، قد قاضه الروح القدس لأنه يخاطب فرداً واحداً، وهذا الفرد ليس رجلاً بل امرأة مع أولادها. لقد كتب بعد ذلك رسالته الثالثة لرجل، ومن اليسير علينا أن ندرك ما في هذا من لياقة سواء من جهة الشكل أو الموضوع، أي من جهة كون المخاطب رجلاً أو من جهة القضية التي تناولها في خطابه إليه لخيره ولخيرنا. ولذلك فقد ذكر اسمه. أما في الرسالة الثانية التي أمامنا فالخطاب موجه إلى السيدة بصفتها هذه دون ذكر اسمها، الأمر الذي نلمس فيه كياسة الرسول ولياقته. ومع أن الرسول قد سدد ولا شك حاجة السيدة، إلا أنه بهذا التصرف الحكيم قد أعفاها من بعض الألم ومن إعلان اسمهما بغير موجب، في حين أن الرسالة الموجهة إْليها بالروح القدس رسالة خطيرة وعظيمة القيمة ويقصد بها جميع القديسين يومئذ وفي كل زمان.

على كل حال هذه هي الحقائق، ومن حقنا أن نخلص بالرأي الذي ليس من لضروري أن يقبله أحد ممن لا يقتنعون به. وإنما المهم هو أنه أمامنا رسالة موجزة، ولكنها من أخطر رسائل العهد الجديد وتضمن من الحقائق الجوهرية الأساسية ما يفوق الرسالة التعليمية الشائقة التي كتبت إلى غايس فيما بعد. ومع ذلك فهي مكتوبة لسيدة وأولادها. ولاشك أن أسباباً خطيرة تسمو على الاعتبارات العادية هي التي من أجلها رأى الروح القدس أن يخرج عن مألوف عادته ويبعث برسالة خطيرة كهذه إلى السيدة المختارة وأولادها. جاعلاً إياهم مسئولين مسئولية مباشرة وإلى أقصى حد للتصرف وفقاً للحق المعلن لهم فيها.

مسيح حق أو مسيح زائف هو محور ارتكاز هذه الرسالة. وهل في كل الكتاب المقدس موضوع أخطر من هذا وأهم منه وبخاصة بعد ظهور المسيح؟ قبل ظهوره كانت غاية الشيطان أن يشغل أذهان المؤمنين بأغراض حاضرة وثانوية. أما الآن فقد جاء المسيح الحقيقي طبقاً للوعد، الآن قد شهد لابن الله بشهادة لا تنقد، الآن قد جاء بيننا مملوءاً بالنعمة والحق أعطانا بصيرة لنعرف الحق الذي هو شخصه العزيز المبارك معلناً بأنه "الإله الحق والحياة الأبدية". فمن الجرأة بل من الوقاحة أن يجيء الشيطان بعد ذلك وهو يعرف هذه الأمور جيداً فيشغل المعترفين بالمسيحية بتزييف الحق المتعلق بالمسيح ليقيم صنماً ضد المسيح كما أقام قديماً صنماً ضد الرب-الكائن يوم كان له المجد يتعامل مع إسرائيل بحسب الجسد تحت الناموس. نعم، لقد كانت حيلة من أمكر حيل العدو، وقد جاء ابن اله بالنعمة والحق. أن يقوم بمحاولة خطيرة قوامها المناداة بأن الحق الذي وصلنا إنما هو حق أولى،

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يعوزه شيء من النمو والتطور، وهكذا يقدم مسيحياً زائفاً قاصداً بذلك أن ينجس منبع كل بركة ويهلك نفوس الذين ينقادون إلى المسيح الزائف بدلاً من انقيادهم إلى ابن الله الذي ليس هو فقط المسيح الحقيقي بل الحق.

هذا بالضبط ما كان الشيطان ولا زال يحاول أن يفعله بواسطة أضداد المسح الكثيرين، ومن هنا ندرك علة كتابة هذه الرسالة وما انطوت عليه من نداء غير عادي.

يستهلها الرسول بالقول "الشيخ" وبهذا يتنازل عن أسمى مركز في كنيسة الله، ذلك المركز الذي كان من حقه أن يملأه، ولكن المحبة تسلك بالغريزة الطريق الأفضل، وهنا نرى الروح القدس يوحي بهذا المسلك نظراً للظرف الخاص. هكذا كان يفعل الرسول بولس أحياناً، وهكذا فعل رسولنا في كل رسائله. وهكذا يعلمنا الله، حتى بواسطة أصغر تغيير في أسلوب التحية الكتابية، بل بواسطة كل شيء لم يقل، دروساً نافعة قيمة بطريقة أكمل من أية طريقة أخرى. ولذلك فإنه لا يخامرنا أدنى شك في أنه كانت هناك حكمة خاصة وسبب وجيه للغاية حدا بالرسول يوحنا لأن يقدم نفسه تحت لقب "شيخ" بدلاً من رسول للسيدة المختارة كما للحبيب غايس.

نقطة أخرى يجدر بنا أن نلاحظها، وهي أنه لا يخاطب السيدة بالقول "…. إلى السيدة المحبوبة". إن بعض المسيحيين ملعونون باستعمال التعبيرات العاطفية الحارة مع الأفراد بغير حساب. وهذه عادة ليست حسنة وبخاصة حينما يكون الأمر متعلقاً بسيدة. أما إذا كان المخاطب رجلاً فلا حرج من الكتابة إليه بهذا الأسلوب. إننا إذا علمنا طبائع البشر من رجال ونساء وما يجري بينهم من قيل وقال لأدركنا حكمة الله في أن هذا "الشيخ" – وهو فعلاً شيخ متقدم في الأيام – يتجنب هذه التعبيرات في مخاطبته للسيدة مقدماً مثالاً طيباً للآخرين في هذا السبيل. فلو أنه استخدم تحية أخرى وبأسلوب مقدس طبعاً لكان كثيرون يقلدونه. أما الآن فكل شيء مرتب بحكمة، جدير بنا أن نتعلم مما نقرأ هنا.

"الشيخ إلى السيدة المختارة". يحرص الرسول أن يكتب باحترام ولكن في غير مداهنة. فلا هو يمتدح نفسه ولا يطلب ما لنفسه. وهو يفضل أن يتهم ببرود العواطف من أن يتهم بالمجاملة في التعبير، فيكتفي بالقول "الشيخ إلى السيدة المختارة". إنه لم يستخف بمركزها أو يحط من مكانتها، ولكن الشيء الذي كان موضع تقديره هو اللقب الذي خلعته عليها النعمة الإلهية لا المركز الاجتماعي الذي تدين به للعناية. لقد كانت مختارة من الله، مختارة في المسيح بالله ولله. وهل من اعتبار أكرم وأعز من هذا لدى القلب المطهر بالإيمان؟ هنا نرى الرسول منقاداً لأن يستخدم التعبير الذي يعترف بعمل الله المطلق. لقد اختارها الله من وسط جميع روابطها الطبيعية، وقد وجد الرسول لذة وبهجة في الاعتراف بمركزها الجديد وإنها وحتى وهي على الأرض قد دخلت في دائرة جديدة من الروابط الإلهية. وما

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أبرك أن نعلم أن هذا هو للآن نصيب كل مسيحي حقيقي! على أننا حتى من خلال هذه الكلمات الافتتاحية نرى كيف أن أسلوب كل رسالة يتفق مع غرض الله منها. فالهدف هنا هو صيانة السيدة المختارة وأولادها من شراك ضد المسيح المغررة، في يحن أن هدف الرسالة إلى غايس تشجيعه في وجه الصعاب والعراقيل على مواصلة السير في طريق النعمة كما بدأ. ولذلك فإن لقب "المختارة" يستحضر الله أمام نفس السيدة، كما أن لقب "الحبيب" يشجع غايس حتى لا يكترث بتهديدات ديوتريفس، فإن الإنسان عرضة لأن يكل في صنع الخير حينما يرى نفسه وقد خدعه أولئك الذين طالما خدمهم بالمحبة، وإنه موضع مضايقة وإزعاج أولئك الذين من عادتهم الانتقاد والمقاومة دون أن يمدوا أيديهم للمساعدة في أوقات الشدة. مثل هذه الألغاز محيرة ولا شك ولكن المسيح يعيننا على حلها.

"الشيخ إلى السيدة المختارة وإلى أولادها". من ذا الذي يشك في أن الرسول يوحنا حينما كانت تقع عيناه في الظروف العادية على هؤلاء الأولاد كان يحتفي بهم ويحييهم بتحية المحبة الحارة، وإنهم كانوا يعرفون رقيق شعوره من نحوهم. غير أنه كان يكتب عن موضوع خطير للغاية تتضاءل أمامه سيدة وأولادها مهما كانوا في حد ذواتهم ولا يبقى لهم أي اعتبار لولا لم يكن من اجل اسم الرب ومن أجل اللقب أو الحق المعطى لهم بالنعمة.وهنا يضع الرسول أمامهم بأقوى أسلوب مسئوليتهم الخطيرة للحرص والغيرة على مجد المسيح، لأن الأمر لم يكن يحتمل المساومة أو التوفيق، إن محاولة الشيطان هدم حقيقة المسيح كانت تسير على قدم وساق في ذلك الحين. وقد كانوا في خطر. وقد عرف الرسول هذا الخطر المحدق بهم فكتب يحذرهم، وهنا يتضاءل كل شيء أمام مجد الله. لقد كانت القصة متعلقة بمسيح حقيقي أو مسيح كاذب، وكان يوحنا يخشى عليهم خطر الوقوع فيما يهين مجد المسيح، ولذلك فقد كانت كلماته قليلة ونشيطة ومحددة، وهكذا وصل بهم بسرعة إلى النقطة التي أردأها متكلماً بأسلوب لا يمكن أن يسيء فهمه أي مسيحي. ومع ذلك فهو يؤكد له محبته بالحق، لأن هذه المحبة الحقيقية لا تكون حيث لا يكون المسيح، لذلك هو يحييهم قائلاً "الذين أحبهم بالحق" (أو في الحق). ويا لها من عبارة خطيرة فاحصة! فهو لم يكن يحبهم بسبب صفات أو مميزات شخصية فيهم. قد يكون لمس فيهم حلاوة الخلاق وأفضل الصفات ولكنه لا يقول شيئاً عن هذا وإنما هو يذكر فقط المحبة والحق، أي المحبة الصادقة التي بحسب الحق.

وقد أحس الرسول وسط النفاق الذي راح ينشر ذيوله في كل مكان بسبب التهاون في الحق أنه من المهم أن يؤكد لهم صدق محبته بحسب الحق الإلهي. وحيث أنهم كانوا أشخاصاً قد أتى بهم الله إلى نفسه بواسطة الحق. فإنه يقول لهم "ولست أنا فقط بل أيضاً جميع الذين قد عرفوا الحق". ويا له من شيء عجيب أن نستطيع الاعتماد على المحبة التي من الله في عالم كهذا كله مظاهر ونفاق! أي نعم، إن يوحنا يستطيع أن يكفل محبة كل مسيحي بلا أدنى

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

تحفظ. فحيث أن المسيح هو حياتهم فإنه يستطيع بكل يقين أن يستوثق، إن كل مسيحي يحب هذه السيدة المختارة وأولادها كما كان هو يحبهم. إن سلطانه الرسولي لم يقف حائلاً بينه وبين محبته لهؤلاء الأولاد مع أمهم، لأنهم أود الله ليسوا فقط أولادها. وقد استطاع أن يقول أنه ليس فقط الذي كان يحبهم بل أيضاً جميع الذين قد عرفوا الحق. أليست هذه ربطاً وعلاقة جديرة بحرصنا وتقديرنا أيها الإخوة الأحباء؟ إن الرسول كان يثق حينئذ أن جميع الذين يعرفون الحق يحبون هذه السيدة وأولادها بالحق. وهذا لم يكن ممكناً بدون الحياة في المسيح والروح القدس المعطى لنا بعد الفداء لممارسة هذه المحبة رغم كل الموانع والعراقيل. لقد ظهرت المحبة في كمالها في المسيح وهي الآن تتمثل في كل مسيحي.

"ومن أجل الحق الذي يثبت فينا وسيكون معنا إلى الأبد". هذا الأسلوب في الكلام عن الحق يلفت النظر ويدعو إلى التأمل والتفكير. فالرسول هنا يشخص الحق كما شخص بولس الإنجيل في (فيلبي ١) فقد كان بولس خادم الإنجيل أيضاً، ومع انه كتب عن لكنيسة بشكل تفرد به عن سواه، فإنه كرز بالإنجيل أيضاً بصورة ميزته عمن عداه. كان يسر بالعكس خدم الاثنين في عمق النعمة وسمو المجد. وكان إحساسه نفس إحساس يوحنا حين يقول هنا "من اجل الحق يثبت فينا وسيكون معنا إلى الأبد". فلا الرسول بولس ولا الرسول يوحنا كان يمكنه أن يقول مثل هذا القول عن أية فريضة مسيحية مهما يكن قدرها، إن للفريضة مكانها الذي لا يستطيع أحد أن يزدريه أو يتجاهله بغير خسارة لنفسه، ولكن ما الفريضة بالمقارنة مع "الحق"؟ إن الفريضة هي فقط لوقت قصير، وفي لحظة قد ينتهي أمرها إلى الأبد. أما الحق فإنه يثبت فينا وسيكون معنا إلى الأبد. والمفروض أن يكون له سلطان متزايد على القلب طالما نحن على الأرض، وسيكون لنا أن نتمتع به كاملاً في السماء وفي كل الأبدية.

تأتي بعد ذلك تحيته المناسبة للمقام. "تكون معكم نعمة ورحمة وسلام". "النعمة" ينبوع المحبة الإلهية من نحو الخطاة، و "السلام" ثمرة عمل المسيح للمؤمنين – وكلاهما (النعمة والسلام) يطلبان عادة للقديسين بصفة عامة. أما "الرحمة" فلازمة لمواجهة الحاجة الفردية في الضعف والتجربة – وهي هنا لازمة للسيدة المختارة وأولادها.

ونحن نستطيع أن نرى تمام مناسبتها هنا، لأن نفس الكتابة إليها وإلى أولادها هو في ذاته رحمة. فنحن عندما نفكر في أنفسنا كأفراد نشعر بالحاجة إلى رحمة الله ولكن حينما نتكلم عن الكنيسة وامتيازاتها وسمو المجد الذي ستكون فيه مع المسيح، وفي المسيح فإنه الحاجة تبتلع في مجد نعمة الله، فالنعمة والسلام هما للكنيسة كمجموع حال وجودها هنا على الأرض. أما الفرد فله أعوازنا وحاجات لا زالت تستدعي "الرحمة" بصور بارزة طوال الطريق.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

"تكون معكم نعمة ورحمة وسلام من الله الآب ومن الرب يسوع المسيح ابن الآب" لاشك أن السيدة وأولادها وجدوا عزاء خاصاً وتشجيعاً كبيراً في هذه العبارة لأنها ليست مجرد رغبة أو أمنية بل هي حقيقة مصاغة في قالب يقين محقق. وهنا نقرأ عن "ابن الآب"، ولماذا؟ لقد وقف الرسول موقف الدفاع ضد نكران مجد الابن. وهنا نرى روح الله يلوح في وجه الشيطان بالراية المجيدة ليشجع هذه الأسرة المسيحية المدعوة لأن تثبت بإخلاص. "ابن الآب"! يا له من لقب مجيد! إن المسيحيين يدعون أبناء أو أولاداً، ولكن سيدنا وحده هو الذي يسمى "ابن الآب". وكل شيء مضمون لتلك العائلة في الحق والمحبة، والمسيح وحده هو الضامن، وبدونه ما كان ممكناً لنا أن ننتقل من الظلمة إلى نور الله العجيب. كما أننا مدينون له بمعرفة الآب ومعرفة شخصه. فهو كامل الحق والمحبة، وبنعمته وعمله قد أعطانا أن نعرف هذا كله ونمتلكه ونتمتع به في نفوسنا.

"فرحت جداً لأني وجدت من أولادك بعضاً" هو لا يقول "وجدت أولادك" ولماذا؟ لأنه ربما كان واحداً أو أكثر من أولادها لم يتعرف بعد بالمخلص والرب. وربما انزلق واحد أو أكثر تحت تأثير المضلين السيئ. فلسبب قوي يكتفي بالقول "بعضاً سالكين في الحق". وهذه هي النقطة الهامة والتحذير الخطير لأن هذا البعض ليس فقط يعرف الحق بل يسلك في الحق أو كما يقول يوحنا نفسه في الإنجيل "يفعل الحق" (يو ٣: ٢١). لكنه يواصل كلامه فيقول "كما أخذنا وصية من الآب". إن بعض المسيحيين معرضون لأن يفسروا الوصايا بأنها لابد وأن تكون ناموسية ولذلك فإنه يجدر بهم أمام هذه الأقوال أن يقلعوا عن خطأهم هذا. فما من أحد تكلم عن الوصايا أكثر من الرب وذلك في إنجيل يوحنا ويردد الرسول نفس الكلمة مراراً في رسائله الثلاث التي تتجاوز الناموس إطلاقاً ولا تشير إليه ولو إشارة واحدة. ففي كتابات يوحنا كلها نرى ابن الله الكريم لامعاً بصورة لا تراها في أي موضوع آخر، ومع ذلك فإن ابن الله نفسه هو الذي كان يحب أن يتكلم عن الوصايا سواء فيما يتعلق بشخصه الكريم أو بنا ولكن على أسس ومبادئه كما في (يو ١٠: ١٨، ١٢: ٤٩، ١٣: ٣٤، ٤: ١٥و ٢١ ــ ٣١، ١٥: ١٠).

ولماذا؟ ذلك لأنه يومئذ يشغل مكان الإنسان، أي مكان الاتكال المطلق والطاعة الكاملة فمع أنه ابن الآب لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس. وإذ وجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه "وأطاع حتى الموت موت الصليب". وليس معنى ذلك أنه تخلى أو كان في مقدوره أن يتخلى عن اللاهوت، حاشا وكلا. وإنما هو تنازل عن المجد الخاص بكرامته الشخصية لكي يستطيع أن يبرر الله ويبارك الإنسان. ولكي يتمم هذا العمل تقبل كل شيء من الله أبيه كالعبد الكامل والإنسان المتوكل. ومن هنا جاء قوله بالنبوة "أذني فتحت" (مز ٤٠) وذلك بتجسده. بل هناك ما هو أكثر من ذلك، فقد كانت أذنه مفتوحة كل يوم، كل صباح، كما جاء في (إش ٥٠)، لكي يصغي إلى كل ما كان يقوله الآب له. وأخيراً، كالعبد

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

العبراني الحقيقي (خر ٢١) لم يرد أن ينطلق حراً بل بالأحرى بقي عبداً إلى الأبد، الأمر الذي كانت تدل عليه علامة ثقب الأذن على مشهد من القضاة في حالة العبد الإسرائيلي، والعلامة الأعمق – الموت – في حالة سيدنا. من هذه الوجوه، وبصفاته هذه، كان سيدنا وحيداً لا مثيل له ولكننا نحن، الذين كنا يوماً خطاة هالكين، قد نلنا بالإيمان حياة المسيح وكذلك مسحة الروح القدس، فصرنا نحب وصاياه كما أحب هو وصايا أبيه وهكذا نحن مدعوون لأن نخبر بفضائله. وإلا فلأي شيء نحن متروكون هنا؟ لقد كان الرب يسوع مرتبطاً دائماً بوصية أبيه. فيه كانت المحبة والطاعة كاملتين كمالاً مطلقاً وسبيلنا أن نتبعه، ولكن ما أقصر خطواتنا!!

إن ربنا يسوع تعلم الطاعة مما تألم به. أما نحن فنتعلمها إذ نحكم على قصور خطواتنا وإحجامنا على متابعة سيدنا. هو تعلم الطاعة لأنها كانت جديدة عليه كالله أما نحن فنتعلمها لأن العصيان طبيعتنا، وما أبعد الفرق بين الأمرين. وبالنعمة أصبحنا نحب الكلمة من أعماق قلوبنا نكرم الله الذي أحبنا ونتقبل وصايا الآب بخالص الشكر.وهل من شيء صالح غير مؤسس على سلطان إلهي؟ إن إغفال السلطان الإلهي خسارة لا تعوض. لا شك أن هناك ما هو أكثر من السلطان، هناك المحبة الإلهية، ولكن بينما كانت المحبة دائماً أبداً في الله وأظهرت لنا ونحن فجار وأشرار، فإننا عندما نتجدد نبدأ دائماً بالسلطان الإلهي وخضوع القلب مقشعرين من روح العصيان والتمرد التي كنا مستعبدين لها قبلاً. ففي التجدد يخضع الإنسان خضوعاً حقيقياً لله لأول مرة في حياته وذلك بالخضوع للرب يسوع.

"والآن أطلب منك ياكيرية (أو أيتها السيدة) لا كأني أكتب إليك وصية جديدة بل التي كانت عندنا من البدء، أن يحب بعضنا بعضاً" (ع ٥). لعل الأمر لا يدعو إلى كلام كثير عن هذا العدد لأننا كثيراً ما تحدثنا فيما سبق عن المحبة، غير أننا نفعل حسناً إذ نذكر أنفسنا دائماً بأن المحبة ليست فقط المميز الأكبر للطبيعة الجديدة والتعليم الإلهي بل بكونها غير منفصلة عن الطاعة التي هي مميز عظيم آخر للولادة من الله كما نرى في العدد السادس "وهذه هي المحبة أن نسلك بحسب وصاياه" فهما متحدثان معاً ولا يفصلهما عن بعضهما سوى الإرادة الذاتية الشريرة عن الإنسان الساقط، فإننا نلاحظ فضلاً عن كونهما وصيتي الله، ووصيتي المسيح كما هو حق أيضاً، فهما غي منفصلتين عن الحياة التي لنا في المسيح كما تبين من اقترانهما معاً في العدد الذي أمامنا. بل إنك لتراهما مرتبطتين معا في النصف الآخر من العدد فيما سبق أن أوصى به الرب تلاميذه "هذه هي الوصية كما سمعتم من البدء أن تسلكوا فيها". وقد حرص الروح القدس أن يورد عبارة "سمعتم من البدء" لكي يذكر الجميع بأن الوصية ليست جديدة بل يرجع عهدها إلى وقت ظهور المسيح على الأرض.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لقد كان آدم بداية الجنس البشري على الأرض. أما المسيح فهو البداية بالنسبة للمسيحي، فمع المسيح جاءت النعمة والحق، كما جاء نبع الطاعة المسيحية والمحبة المتبادلة. ولكن قبل مجيء المسيح وظهوره على الأرض كيف كان يمكن لإنسان على الأرض أن يعرف الحق المتعلق بالمسيح؟ لا شك أن المؤمنين كانوا يتوقعون مجيئه لبركة الإنسان والأرض، ولكن ما أقل ما كان يدركه إيمانهم إدراكاً محدداً دقيقاً. فقد كان التمييز الكامل محفوظاً للمستقبل. فالذين كانوا يهتمون بالأرضيات لم يفكروا في الرب إلا فيما يتعلق بمطامعهم الأرضية وآمالهم البشرية. أما المولودون من الله فكانوا يجدون رجاء إيمانهم في إعلان الله. ومع ذلك فإنه حتى القديسين كانت آمالهم وانتظارا تهم قبل مجيء المسيح غامضة. ولكن حينما ظهر ابن الله في الجسد بحسب النبوات، جاءت فيه النعمة والحق وظهر النور الحقيقي فأدان كل شيء متناقض مع طبيعة الله، كما أظهر الحق كل شيء وكل إنسان على حقيقته. "هذه هي الوصية كما سمعتم من البدء أن تسلكوا فيها".

ولكن أفظع الشرور كانت تضغط من كل جانب. فالشيطان الذي لم يكفه عمل الفساد، راح الآن ينكر الحق بواسطة أولئك الذين كانوا يعترفون به يوماً من الأيام. ومن هنا كان النداء العاجل لتوكيد الحق بوضوح والسلوك بموجبه بأمانة أكثر من ذي قبل. "لأنه قد خرج* إلى العالم مضلون كثيرون". فقد كان هؤلاء المضلون في الكنيسة ذات يوم ثم خرجوا ليواصلوا عملهم الشرير في تحدي كلمة الله وإنكار الابن. تركوا الاعتراف المسيحي حين غرر بهم الشيطان ليتنكروا لحق المسيح. فيوصفهم الوحي بالمضلين الذين "لا يعترفون بيسوع المسيح آتياً في الجسد" – "هذا هو المضل والضد للمسيح". في رسالة يهوذا كان هذا الشر القتال صادراً من أناس مضلين لا زالوا داخل الكنيسة ولو أنهم كانوا هناك معتزلين بأنفسهم. أما رسائل يوحنا فتتناول يوماً تالياً أو "ساعة أخيرة" حينما خرج أولئك القوم للمقاومة كخصوم علنيين. ومن أسف أن الشخص الذي يدخل كنيسة الله ويأخذ مكانه فيها بعض الوقت كمسيحي يخرج منها شراً مما دخل. فهو بعد خروجه يبغض الحق والذين يتمسكون به ويصبح شغله الشاغل تضليل القديسين والافتراء على الحق وإنكار المسيح.

هنا خرج إلى العالم أولئك الذين "لا يعترفون بيسوع المسيح آتياً في الجسد". وهنا نجد مجيء المسيح معبراً عنه بصيغة الحاضر المجرد وليس بصيغة الحاضر التام كما في (١ يو ٤: ٢) (أي النتيجة الحاضرة لفعل مضى). ولا فرق بين التعبيرين من جهة الحق فالمقصود في الحالتين هو الاعتراف بشخصه كمن جاء في الجسد. فحقيقة شخصه هي التي كان ينكرها هؤلاء المضلون أي أنهم لا يعترفون به. ليس بالضرورة أنهم كانوا ينكرون الحقيقة العظمى العجيبة هي أن ذاك الذي هو ابن اله منذ الأزل قد جاء إلى العالم متجسداً. وهذا هو اعتراف كل من لهم حياة ومسحوا بروح الله. فقد كان يمكن للرب أن يأتي في الجسد. وهذا ما كان يقاومه المضلون. إنه الاعتراف ليس هو كل ما تعنيه المسيحية، ولكنه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أساسها الذي بدونه يستحيل الفداء. فكل من لا يعترف بالرب يسوع آتياً أو كمن جاء في الجسد فهو المضل والضد للمسيح.

"انظروا إلى أنفسكم لئلا نضيع ما عملناه بل ننال أجراً تاماً" (ع ٨). وهذا ليس تحذيراً خطيراً فقط بل نداء حار للمحبة الكاملة بأسلوب الرسول الجميل كما في (١ يو ٢: ٢٨). فهو استنهاض مؤثر لمحبتهم. فكما استنهض كل عائلة الله في (١ يو ٢: ٢٨) ها هو هنا يستنهض السيدة المختارة وأولادها بنفس الأسلوب الواثق في محبتهم المتبادلة.

"كل من تعدى ولم يثبت في تعليم المسيح". من الواضح أن كلمة تعدى هنا معناها "تجاوز" إذ لا شأن للناموس بهذا الموضوع فالمقصود هو "كل من تجاوز" حق المسيح. وهذه ضربة أخرى يصوبها الرسول نحو أولئك المفتونين بالتقدم والتطور كما لو كان الحق الإلهي المعلن شبيهاً بالعلم البشري القابل للتطور. بل على العكس، فإن الشخص الذي لا يقنع بالحق الذي أعطاه الله في المسيح ومن أجل ذلك يتعدى أو يتجاوز ذلك الحق، إنما في الواقع يترك الحق يفقده ثمناً لأوهام وخيالات من صنع الذهن البشري. "كل من تعد (أو تجاوز) ولم يثبت في تعليم المسيح فليس له الله. ومن يثبت في تعليم المسيح فهذا له الآب والابن جميعاً". فمهما يكن ادعاء الإنسان بحق أو نور أسمى، ومهما تكن ثقته في هذه النظريات المستحدثة، فإن الذي يتجاوز الكلمة الموحى بها ويخرج عن نطاقها إلى نطاق أفكاره الخاصة أو تصورات الآخرين "فليس له الله". ليست له أية علاقة حاضرة بالله. أما "من يثبت في تعليم المسيح فهذا له الآب والابن جميعاً". وهذا هو أسمى وأعمق إعلان للاهوت.

"إن كان أحد يأتيكم ولا يجيء بهذا التعليم فلا تقبلوه في البيت ولا تقولوا له سلام لأنه من يسلم عليه يشترك في أعماله الشريرة". هنا نجد واجباً من أشق الواجبات التي وضعت أو يمكن أن توضع على مسيحي. ونراه هنا يوضع على عاتق السيدة وأولادها بصورة الأمر.

فمتى كان تعليم المسيح في خطر فإن واجبنا ألا نقف موقف التردد والتخاذل لأن محاولة التوفيق في هذا الظرف خيانة لرب. وإذا لم نكن مخلصين للمسيح فلن نكون مخلصين لأي شيء أعلنه لنا الله. إن كرامة الله متركزة في ذاك الذي به جاءت إلينا النعمة والحق. فإن أتى واحد ليس معه هذا التعليم، حتى ولو كان فيما سلف أعز صديق مسيحي على الأرض، فإن هذه السيدة وأولادها كانوا تحت أخطر وأشد التزام أن يتجاهلوه من أجل خاطر المسيح، فها هنا دعوة الله الحاضرة. إن لم يجيء بتعليم المسيح، اقفل الباب، ولا يكن لك أية معاملة مع واحد هو ضد المسيح قد يبدو هذا التصرف قاسياً في نظر الذين لا يعنيهم اسم المسيح وأقل شيء أو لا شيء. وحتى المسيحيون بالاسم لهم ما يقولونه في هذا، يقولون "إننا نشفق على الوحدة من أن تتأثر بهذه المسائل. أليس غايتهم الكبرى وواجبهم الأول أن نتماسك معاً

 All rights reserved © 2008-2018

وأن نجنب وحدتنا التمزيق الذي هو الشر المريع. وفوق هذا فإن صاحبنا أخ لطيف عزيز، وقد يرى التنازل عن فكرته الصغيرة هذه إذا أنت لم تضخمها وتكبر الموضوع". هذه لهجة المحايدين، وهم أكبر خطراً من المضلين المخدوعين.

ولكن كلا يا إخوتي. فنحن مدينون بكل ما حصلنا ليه بالنعمة لابن الله، والآب الذي أرسله وبذله. وإذا كنا مدعوين كمسيحيين لأن نقف من أمر موقف الحزم وعدم التخاذل مهما كلفنا الأمر، فذلك حينما يكون مجد المسيح وحقه عرضة للهدم والتقويض.

وأخيراُ يختتم "الشيخ" خطابه بالعددين (١٢ و ١٣) الذين ينطويان على شهادة لطيفة للمحبة المقدسة القلبية التي كانت تؤلف بين القديسين الأوائل وتربطهم معاً، كما نرى هنا بين الرسول الشيخ وبين هذه الأسرة المسيحية. "إذا كان لي كثير لأكتب إليكم لم أرد أ، يكون بورق وحبر لأني أرجو أن آتي إليكم وأتكلم فماً لفم لكي يكون فرحنا كاملاً، يسلم عليك أولاد أختك المختارة".

فنستطيع أن نستخلص من أمل الرسول في زيارتهم ومن تحيته لهم مبلغ ثقته فيهم بأنهم سيضعون على قلوبهم المهمة التي أوصاه بها وأنهم سينفذونها إلى التمام آلا وهي استبعاد وطرد كل شخص ليس مخلصاً للمسيح ممن خرجوا يجولون لإيقاع الآخرين في شراكم الشريرة مع الإحاطة بأنه لا يهددهم بشيء من العواقب أكثر من التحذير بأن التساهل في هذه الحالة معناه مشاركة المضل في أعماله الشريرة. كلا ولا هو يحاول أن يبني تنفيذهم للوصية على سلطان مركزه أ، على ما كانوا يكنون له من الصداقة الوثيقة والمودة الخالصة حتى الآن، بل هو يبني كل شيء على ما أوجدته النعمة فينا من شعور بما يليق بالمسيح. فقد نرى الأحداث يقفون موقف الحم وعدم التردد بينما الذين لسبب طول الزمان كان ينبغي أن يزداد إحساسهم نراهم يعبثون بالشرور الصغيرة وهكذا يقل إحساسهم بقيمة المسيح غبر المحدودة فيقفون موقف الظرفاء اللطفاء في الوقت الذي يكون أشد الحزم هو التصرف الجدير باسمه الكريم. ذلك لأن المسألة في حقيقتها بين ابن الله والشيطان.
أنستطيع أن نلمس مبلغ ثقة الرسول في أمانة أولئك القديسين وإخلاصهم للمسيح من قوله أنه حينما يزورهم سيكون فرحهم كاملاً – الأمر الذي ما كان له أن يرجوه له أنه كان يرتاب في أمانتهم.

ولعله من الخير أن نضيف هنا أنه ليس من روح الله في شيء أن نطبق في الاختلافات الصغيرة الشدة التأديبية التي هي واجبنا المحتوم حينما يكون الأمر متعلقاً بالمسيح. فإن مثل هذه الغلطة يحولها العدو الكبير فيمزق بها شمل أولئك الذين مات المسيح لكي يجمعهم إلى واحد. فإنه حتى الخطأ في التعليم ليس سبباً كتابياً للإتباع مثل هذا التصرف الشديد ما لم يكن متعلقاً بالحقائق الأساسية. ولا هو يجوز تطبيقه على الاختلاف حول الفرائض

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المسيحية، سواء فريضة المعمودية أو فريضة عشاء الرب. أما تعليم المسيح فهو جدير بولاء كل قديس، وكل من يهين شخصه الكريم يجب طرده ليس فقط منم اجتماعاتنا العمة بل من دوائرنا لخاصة، مهما كلفنا الأمر.

الرسالة الثالثة: الخطاب الخطاب العشرون

"الشيخ إلى غايس الحبيب الذي أنا أحبه بالحق. أيها الحبيب في كل شيء أروم أن تكون ناجحاً وصحيحاً كما أن نفسك ناجحة. لأني فرحت جداً إذ حضر إخوة وشهدوا بالحق الذي فيك كما أنك تسلك بالحق. ليس لي فرح أعظم من هذا أن أسمع عن أولادي أنهم يسلكون بالحق. أيها الحبيب أنت تفعل بالأمانة كل ما تصنعه إلى الإخوة وإلى الغرباء. الذين شهدوا بمحبتك أمام الكنيسة الذين تفعل حسناً إذا شيعتهم كما يحق لله، لأنهم من أجل اسمه خرجوا وهم لا يأخذون شيئاً من الأمم فنحن ينبغي لنا أن نقبل أمثال هؤلاء لكي نكون عاملين معهم بالحق، كتبت إلى الكنيسة ولكن ديوتريفس الذي يحب أن يكون الأول بينهم لا يقبلنا".

يصعب أن نتصور رسالة بها من المفارقات مع رسالة يوحنا الثانية ما هو أقوى من الرسالة التي أمامنا الآن، ومع ذلك فكلاهما نابتتان من أصل واحد مشترك وإنما يتخذ ثمرة الرسالة الثالثة لوناً مختلفاً بسبب اختلاف حاجات المسيحيين الموجهة إليهم، ففي المسيح لا توجد مفارقات حقيقية وإنما توجد مطابقات لا حد لها لمختلف حاجاتنا وإعوازنا، ومع ذلك فإن هدف كل من الرسالتين يختلف عن هدف الأخرى اختلافاً ظاهراً. فالرسالة الثانية تحمل أخطر إنذار يمكن أن يوجه إلى المسيحيين، ومما يزيد في خطورتها ويجعل لها صبغة عامة أنها ليست موجهة إلى أسقف أو ناظر ولا حتى إلى رجل من أمثال تيموثاوس

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وتيطس الذين كانا في نطاق محدود لسبب خاص يمثلان الرسول فيما له علاقة بما يجاوز دائرة مهمتهما المحلية، بل إلى سيدة مسيحية بغير اسم للعين والذي نراه في هذه الرسالة الثانية هو أن سيدة مختارة وأولادها مدعوون للقيام بالواجب الملقى على عاتقهم، ولم يكن الأمر متعلقاً لعمل جماعي أو كنسي بل بالأمانة الفردية للمسيح، وكان الأمر هكذا مشدداً حتى أنه كانوا ممنوعين من قبول المعلم الكاذب في البيت أو من التسليم عليه سلاماً عادياً لأنه كان ضداً للمسيح.

أما الرسالة الثالثة فتحمل أقوى وأعمق العواطف المسيحية باعتبارها موجهة إلى رجل مسيحي معروف بمحبته ولاسيما في العناية بالذين يعملون في كرم الرب غذ كان قلبه معهم في خدمتهم لامتداد العمل وتشجيعهم بكل ما لديه من قوة حتى عن كلمة "اقبل" هي طابع الرسالة الثالثة في حين "لا تقبل" هي طابع الرسالة الثانية، وقد يبدو هذا الأمر تعسفياً متناقضاً لدى الإنسان الطبيعي، ولكن ماذا يعنينا من الإنسان الطبيعي؟ إن الإنسان لا يقبل ا لروح الله لأنه عنده جهالة (١ كو ٢: ١٤). فهنا التوجيه عكسي على خط مستقيم ولكنه في الواقع في تمام الانسجام ومبعث هذا الانسجام هو المسيح. لقد كانت هناك ولا تزال نفوس ربطت نفسها بحق المسيح هنا على الأرض، والكلمة في الرسالة الثالثة هي أن "نقبل" أمثال هؤلاء إذ يكفي أنهم يأتون بتعليم المسيح مع الافتراض بطبيعة الحال أنهم دائماً يسلكون بحسب المسيح ولا عبرة هنا بالوظيفة الدينية، فالكنيسة في تلك لأيام لم تكن قد وصلت بعد إلى حد الزعم بأن لها حق التدخل في حقوق سيدها ورأسها المجيد وحرية الروح القدس التي كان ينادي بها الرسل كانت ولا تزال محترمة. ومقياس الموهبة ونوعها في تلك الأيام، حينما لم تكن حدود الأبرشية قد اخترعت بعد، كان يختلف باختلاف الأشخاص. فقد يكون هناك من لا يستطيع أن يرى المسيح في كل جزء من أجزاء الكتاب، وقد يكون هناك من يرى ذلك بجلاء ووضوح. وقد يكون هناك آخرون ممن يسيرون وراء مجرد العاطفة والشعور ولو أنهم بعيدون عن المسيحية الحقيقة ولا همّ لهم إلا التفنن في الكلام وقوة التعبير. أما الإيمان والمحبة فهما شيئان يختلفان عن هذا كله كل الاختلاف، وهما الشيئان اللذان كانا يعملان في هؤلاء الخدام المحبوبين ويتجليان في إنكار ذواتهم وتعب خدمتهم، وهو ما كان يقدره غايس تمام التقدير من أجل الرب.

إن رسالة يوحنا الأولى التي تسمو فوق الشخصيات وتربط معاً في الإيمان والمحبة جميع القديسين في نظرتهم لشخص المسيح وفي شركتهم مع الآب وابنه الرب يسوع. وليست هناك رسالة تتناول كل عائلة الله بصورة كاملة شاملة كرسالة يوحنا الأولى. وليس هناك رسالة أقل منها ارتباطاً بزمن معين. ولكن الرسالة الثانية معنونة إلى سيدة مختارة وأولادها، والثالثة إلى الحبيب غايس ومن هذا الوجه تختلف هاتان الرسالتان عن الرسالة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الأولى ومع ذلك فكلاهما ليستا إلا تطبيقاً خاصاً فردياً لنفس الحق والمحبة في المسيح الموضحين في الرسالة الأولى.

ففي الرسالة الثالثة نرى اتساع القلب بعمل الله هو الموضوع الخاص و "المحبة بالحق" هي مركز الدائرة فيها كما في كل الرسائل الثلاث، فإن غايس يرفض أن يتهاون في حق المسيح سواء بتأثير التملق أو التخويف. لقد قام شخص من ذوي القلوب الضيقة متخذاً لنفسه مكان الزعامة في الكنيسة حيث كان يوجد غايس وراح بسلطان مزعوم ينتقد الحق والمحبة ويحاول تدبير الأمور ليس بحسب المكتوب بل بحسب طريقته الخاصة، وقد حذا حذوه الكثيرون من ذلك الوقت فالخلافة مع الأسف ليست معدومة في هذه الناحية. لقد تمم الرسل والأنبياء عملهم ومضوا تاركين شهادتهم الموحى بهم والتي لا تقبل جدلاً أو مناقشة، ولكن الناس من ذوي الإرادة الذاتية موجودون في كل زمان ومكان ولا خلو منهم عصر ن العصور. وعلى ذلك فلنا في الكتاب أدق التعليمات كيف نعامل هؤلاء الناس وكيف نتصرف إزاءهم. ومن بين دروس هذه الرسالة أننا لا نبالي بهم بل نمضي في طريقنا ناظرين إلى المسيح، وسوف يأتي الوقت الذي فيه يذكر الرب بطريقته الخاصة أمثال هؤلاء المتزعمين المسيطرين بأعمالهم الخالية من المحبة وأقوالهم الخبيثة، ويكشف بالتوبيخ المناسب فراغهم الذي يحتقر السلطان الرسولي ويقاوم شهادة الإنجيل الناشط ويطرد من الكنيسة الذين يقفون ضد أمثال هذه التصرفات الخبيثة فنحن نفعل حسناً بعدم المشغولية أكثر من اللازم بما نشاهده في الآخرين من نقائص ولا بالسماح لتصرفاتهم بأن تكون باعثاً لنا على التحول عن طريق التكريس الحقيقي للمسيح، وعلينا أن لا نخاف من الكلمات الكبيرة التي يتفوه بها أناس يحاولون أن يرفعوا أنفسهم وحزبهم بدلاً من إتباعهم للمسيح، إن العلق بالمسيح والتمسك به بعزم القلب هو الطريق الوحيد للتخلص من الذات فهناك الطريقة المتكبرة وهي احتقار أمثال ديوتريفس بدون ولو مجرد الشفقة على نفسه، ولكن الشعور هكذا ليس من المسيح الذي يدعون بأن نتمثل ليس بالشر ل بل بالخير.

والمبدأ الجوهري العظيم، سواء أكان الأمر متعلقاً بالكنيسة كمجموع أو بالمسيحي كفرد، إنما هو الطاعة، وبصفة خاصة حيث لا يوجد الادعاء بالقوة فالخضوع للكلمة هو من الرب. هنا الاتضاع كما هنا أيضاً الثبات. إن الخضوع للكلمة يهب النفس الشجاعة كما يهبها في الوقت نفسه التواضع مع الاتكال الكلي على ذاك الذي نؤمن به والذي له الأذنان المصغيتان والذي يحامى عن كلمته ويبررها. إن الحق لا يمكن الاستغناء عنه ولكنه ليس كل شيء. فالحق وحده لم ولن يصنع مؤمناً متواضعاً محباً إذ يتمسك به الإنسان عادة بطريقة جافة قاسية ناموسية. ولكن لا يمكننا أبداً أن نستغني عن شخص المسيح الحي وهو مستعد دائماً وبابه مفتوح وفي كل لحظة لقبول وتعضيد جميع من يأتون إليه،وقد أعطانا الله أن نجد جميع موارد المسيح في محبته باعتبارنا في يده كما أننا في يد الآب.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

"الشيخ غايس الحبيب" هنا يفصح الرسول عن مكنون قلبه ويأخذ حريته في التعبير خلافاً لما فعله حين كان يخاطب السيدة. وهذه حكمة إلهية في لغة الكتاب. فلكل شيء مقامه ولكل شيء مقاله. فإن عبارة "السيدة المختارة" تذكرنا فوراً بالله صاحب الاختيار في حين تستطيع العاطفة أن تفيض لغايس في أمن وسلام وفي أبسط صورة. لذلك قد قاد الروح القدس يوحنا لأن يختار الكلمة المناسبة وهي "المختارة". فإذا كان الله قد اختارها فذلك ليس للتسليم لإبليس بل لمقاومة إبليس الذي لابد وأن يهرب حينئذ. لاشك أن التجربة التي أحاطت بهذه السيدة كانت تجربة قاسية وصعبة للغاية. فالسيدات ينفرنا بالغريزة من عمل أي شيء لا يتفق مع لطفهن كسيدات. فكم كان قاسياً أن تمنع من الدخول في بيتها شخصاً ربما كان صديقاً قديماً من أصدقاء الأسرة، وتمتنع حتى عن مجرد تحيته التحية العادية! لاشك أن هذا التصرف يبدو شيئاً قاسياً في نظر الذين لا يحبون ربنا. مع ذلك ذات الشيء الذي يأمر به روح الله. وكيف يمكن أن يكون الأمر غير ذلك حيث شخص المسيح موضع الهجوم ونحن مدعوون لأن نكون جنوده؟

إن "السيدة المختارة" مرتبطة بمجد المسيح وكرامته ككل من مات من أجلهم وقام. وما من مسيحي يستطيع أن يتحلل من هذا الواجب. وعلى كل حال، فهذا كل ارتآه روح الله صالاً في الأيام الأولى. والسؤال الآن هو ماذا نحن عاملون وبماذا نُعَلِّم؟ ربما كان هذا الشخص الواسطة في تجديد هذه السيدة أو تجديد أولادها ومن الجحود وإنكار الجميل أن يقاطعوه بهذه الصورة. ولكن الظروف قد تغيرت إذ أصبح الآن عدواً للمسيح بدلاً من كارز حقيقي به. ولعل الرجل لم يكن يقاوم تعليم المسيح مقاومة علنية إذ يجب أن نحمل في بالنا أن أمثال هؤلاء الخادعين قد يكونون هم أنفسهم مخدوعين يقودهم الشيطان لن يظنوا أنفسهم محبين للمسيح أكثر من المسيحيين الحقيقيين وأن تعليمهم هو التعليم الصحيح الذي يأتي بحق أسمى وجديد.

هذا في الرسالة الثانية أما في الرسالة الثالثة فالواجب من نوع آخر. فلو اقتصر الأمر على الرسالة الثانية ربما أدى ذلك بنا إلى أم مصبح متعصبين قساة متشككين ولكن الرسالة الثالثة تحرضنا بأن نفتح صدورنا وأن نقبل بكل قلوبنا بعد أن تُعَرِفنا من نقبل. فإذا كان هناك أناس خطرون يجولون محاولين الدخول بين صفوف القديسين فهناك أيضاً رجال صادقون يجولون جادين في نشر تعليم المسيح وحقه الصادق الصحيح وكان على السيدة المختارة أن تحذر الرجال الخبثاء مهما كانوا بحسب الظاهر، كما كان على الأخ المحبوب أن يثابر على المحبة القلبية للصالحين الصادقين. يحدث أحياناً أن يصدم مثل هذا الأخ إذ يلاقي خيبة أمل مرة أو مرتين، وهو لا يرضى لنفسه بأن يخدع أو يؤخذ بالحيلة على هذه الصورة، وقد تعثره حالة مثل هذه فيصمم على التزام الشدة حتى لا تتكرر المأساة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وعلى كل حال يكتب الرسول مشجعاً غايس في طريق المحبة. فليس يكفي أن يبدأ الإنسان حسناً بل الأعظم والأهم هو النمو في المحبة وعدم الكلل في عمل الخير ومن أجل ذلك يقول الرسول عن غايس "الذي أنا أحبه بالحق" هذا هو الأساس المشترك في الرسالتين. المحبة بالحق. فمهما يكن الفرق في التطبيق والهدف فإن المحبة بالحق هي العلامة البارزة في كل منهما، "أيها الحبيب، في كل شيء أروم أن تكن ناجحاً وصحيحاً كما أن نفسك ناجحة (عدد ٢). يا لها من أمنية بسيطة عظيمة فائضة بالعطف والحنان!

أي نعم،، فلا عجلة هناك للدخول فوراً في صميم الموضوع. وهذه في الواقع إحدى مميزات الكتاب الجميلة. فهناك القلب الفائض بالحب والتقدير من نحو أحدنا الآخر بصفة عامة ويجب أم يكون لعواطف القلب مكانها الأول ما لم يكن هناك خطر جسيم يتطلب سرعة التنبيه والإنذار كما هو الحال في الرسالة إلى القديسين الغلاطيين. ولكن بما أنه لا يوجد مثل هذا الخطر هنا فللرسول أن يعطي لقلبه مجاله ويؤكد لغايس قبل كل شيء مبلغ اهتمامه الشخصي به وبأحواله. فهو يروم أن يكون غايس ناجحاً في كل شيء. ولاحظ القول "في كل شيء" ليس "فوق كل شيء" فالعبارة الثانية قد تسمعها من أولئك الذين يغالون في الروحنة فيقولون أنه مهما كانت شئوننا فاشلة ومهما كانت صحتنا رديئة فالأمر الوحيد المهم هو أن تكون النفس ناجحة. ولكن الرسول الذي يكتب بالوحي لا يذهب هذا المذهب ولا يقر هذا التحمس الذي لا يبالي بنجاح الأخ من عدمه. كلا، إنه عن شعوره الأخوي الصحيح الذي يود للأخ كل نجاح وإنما يحرص على إعطاء المكان الأول كشيء طبيعي لنجاح النفس. فإذا اهتممنا بهذا وكان أمراً حقيقياً فإننا نستطيع بصفة عامة أن نعتمد على اهتمام الرب بشئوننا أو أشغالنا كما بصحة أجسادنا. إن إلهنا المنعم الجواد، إذ كانت نفوسنا ناجحة، يُسَر بأن يرانا أصحاء في أبداننا وناجحين في كل أعمالنا. إن شعور رؤوسنا جميعها محصاة عنده. فإذا كان عصفور واحد لا يسقط إلى الأرض إلا بإذنه، وإذا كان يهتم بالغربان وزنابق الحقل، فكم لنا فيه من آب يهتم بكل أمورنا اليومية وبكل شأن من شئوننا.

نحن نعلم أنه إن نقض بيت خيمتنا الأرضي فلنا من الله بناء أمجد، وإن كان إنساننا الخارج يفني فالداخل يتجدد يوماً فيوماً. هذا هو أسمى حق يجب أن يكون له الاعتبار الأول. ومع ذلك فها هنا هذا الأخ الصالح الذي برهن على محبته ورقيق عواطفه بالعناية بالآخرين ولا سيما الذين تركوا كل شيء ليخدموا الرب يسوع وها هنا الرسول يشتاق، وقد رآه ناجحاً في نفسه، أن يراه أيضاً ناجحاً في كل أموره وأن يكون كل حين في صحة جيدة ليكون مبتهجاً وخالياً من كل همٍّ وغير معوق بشيء.

وأحياناً لكي يتسنى للنفس أن تكون ناجحة، يسمح الله بأن يحطم مشاريعنا التي ابتلعتنا وملكت علينا تفكيرنا وإذا لم يكن هذا، فإنه يؤدبنا بالمرض الجسدي. وهكذا يأخذ الرب

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الصنم ويحطمه تحطماً. وهذا من نعمته وجوده. قد يكون الأمر مؤلماً بطبيعة الحال، ولكن قلوبنا ترضى بما يعمله الرب ليزيل شركاً من طريقنا ويرد نفوسنا إلى مكان إكرامه والتمتع به. وأحياناً قد يركن الله خادماً غيوراً لكي يعلمه أن الله يستطيع أن يعمل عمله بدونه. فقد انصب في التعليم والكرازة للآخرين وانزلق إلى قلة الاهتمام بحالة نفسه وشركتها مع الله. والرب في صلاحه ومحبته يتداخل بالتقويم ويحول مرضاً بسيطاً إلى خير عميم. ولكن هنا، حيث كانت نفس غايس ناجحة، فإن الرسول يروم نجاحه في كل شيء آخر كما يتمنى له الصحة في بدنه أيضاً.

"لأني فرحت جداً إذ حضر إخوة وشهدوا بالحق الذي فيك كما أنت تسلك بالحق" (ع ٣).إن الحق كان يبهج قلب الرسول. وغايس كان يسلك بالحق. وهذا كان دليلاً على أن نفسه كانت ناجحة. فالعطف على الإخوة والتفكير في صالح الآخرين، والنجاح في شئونه وفي صحته – ماذا كان هذا كله بالمقابلة مع الحق الذي فيه وسلوكه بحسب الحق؟ وتلك كانت شهادة الإخوة عنه الأمر الذي كان مبعث سرور عظيم لقلب الرسول. كان غايس يطلب أولاً ملكوت الله وبره، وكل ماعدا ذلك كان يزاد له. لم يكن قلبه موضوعاً على شئونه الخاصة. لم يكن يحيد قيد شعرة عن حق المسيح، ولم يكن الحق عنده شيئاً ثانوياً بل كان دستوره وقاعدة سلوكه. وكان الأمر موضوع شهادة صريحة من الآخرين إذ "حضر إخوة وشهدوا بالحق الذي فيك". لو أن غايس هو الذي كان يتكلم عن هذا لجاز أن يكون في الأمر قولان. ذلك لأنك لن تجد أحداً ممن يحبون الحق ويسلكون فيه ويتصايح بالكلام عن أمانته وخدمته. فعلى قدر ما يحب الإنسان الحق ويتمسك به على قدر ما يحكم على تقصيره في خدمته وحياته اليومية.

"ليس لي فرح أعظم من هذا أن أسمع عن أولادي أنهم يسلكون بالحق" (ع ٤). ليس الأمر فيما بعد خاصاً بأولاد السيدة المختارة كما في الرسالة الثانية بل "أولادي" – أي أولئك الذين كانوا مرتبطين بالرسول رابطة روحية والذين كان غايس واحداً منهم وكانوا لهذا السبب أعزاء على قلب الرسول. إن غايس لم يبدأ حسناً فقط بل استمر يسير حسناً في مواجهة الشر. ومع ذلك كانت هناك الحاجة لتشجيعه، وها هو التشجيع يأتيه بصورة رقيقة وحكيمة "أيها الحبيب أنت تفعل بالأمانة كل ما تصنع إلى الإخوة وإلى الغرباء الذين شهدوا بمحبتك أمام الكنيسة الذين تفعل حسناً إذا شيعتهم كما يحق لله" (عد ٥ و ٦).

لعل الكلمات التي كان يستخدمها معظم المسيحيين في وصف هذا التصرف من جانب غايس هي كلمات فعل الخير أو البر أو الإحسان أو التقدير أو الكرم أو السخاء أو المحبة. ولكن كلا. ولا واحدة من هذه الكلمات تصور مسلك غايس التصوير الصحيح. فإن مسلكه كان مبعثه الأول الأمانة أمام الله. ولاحظ أن كلمة "بالأمانة" هنا معناها "بالإيمان" أو بفعل الإيمان،. أي نعم، فإن الإيمان دائماً يستحضر الله بطريقة معينة كما يستحضر المحبة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بطريقة أخرى. الإيمان يستحضر كلمة الحق ويسير في نورها كما أن المحبة هي نشاط المحبة الإلهية العالمة بالعطف والإنعام.

والشق الأخير من العدد الخامس يعني في الأصل "إلى الإخوة الغرباء" أو "إلى الإخوة وهذا إلى الغرباء" بحسب أدق الترجمات. فالنقطة هنا هي أن غايس كان يظهر المحبة للإخوة ليس باعتبارهم أصدقاء قدماء بل حينما يكونون غرباء. والكتاب الصحيح في التعبير عن الأهمية التي يعلقها الله على المحبة من نحو الغرباء ولو أنهم يمتازون هنا برابطة إضافية هب كونهم إخوة. إن أولاد الله أقرب إلى الله من الملائكة. ولهذا السبب يمكننا القول أنه يجب أن يكون أهم في نظرنا أن نكرم إخوتنا - إخوتنا الغرباء – من أن نكرم ملائكة. ولكن ما أبعد ما قلبت الخرافة الحق وما أكثر ما شوهت الطبيعة علاقتنا بالله.

إن كثيرين من القديسين يميلون بالحب نحو خدام الرب الذين يعرفونهم ويعجبون بهم ولكنهم يتحفظون من الإخوة الغرباء الذين لم يسمعوا عنهم. أما محبة غايس للإخوة الغرباء فقد حظيت باستحسان الرسول وموافقته الصريحة. "شهدوا بمحبتك" أمام الكنيسة. إن "الإحسان" أو "البر والإحسان" وما شاكل ذلك من التعبيرات لها معان أخرى لا مكان لها في قاموس الكتاب، لا تمت بأية صلة للحالة التي نحن بصددها، كما إنها دون المقياس الإلهي المطروح أمامنا. المحبة هي أساس السلوك الإلهي. لقد أخذ روح الله هذه الكلمة التي كانت على لسان الوثني ذات قوة جسدانية توجيهاً طاهراً مباركاً وجعلها كلمة مسيحية وهكذا قدسها إلى الأبد.

ولكن الرسول يطالب المحبة بالمزيد كما هو شأنها دائماً "الذين تفعل حسناً إذ شيعتهم كما يحق لله". حتى ولو أن محبة غايس قد أساء البعض استعمالها فإن الرسول لا يريد لها التوقف. فهؤلاء الإخوة كانوا مسافرين إلى مكان آخر والكلمة لغايس هي "الذين تفعل حسناً إذ شيعتهم كما يحق لله" ليس بحسب فكر الإنسان أو تقواه بل كما يحق لله، لأن الله محبة والمحبة من الله. قد يكون الأمر متعلقاً بشيء صغير هنا على الأرض، ولكنه يربط نفس الإنسان بالإيمان والمحبة بما هو غير منظور وأبدي، بالله الذي يبارك إلى الأبد.

ومع ذلك فالرسول إذ يقترح هذا لا يزيد على قوله "تفعل حسناً". إنها البساطة من نحو المسيح، المشغولية به وحده كغرض القلب، هذه الحيطة في لغة الروح القدس التي تتحاشى كل ما يشتم منه الضغط أو المغالاة، واو أن الأمر كان هاماً في نظر الرسول وقريباً جداً من قلبه. إن هذا ليذكرنا بشيء مماثل له في عبرانيين ١٣ حيث يتكلم الرسول عن نوعين من الذبائح "فلنقدم به في كل حين لله بذبائح التسبيح أي ثمر شفاه معترفة باسمه" – "ولكن لا تنسوا فعل الخير والتوزيع لأنه بذبائح مثل هذه يسر الله". فالنوع الأول من الذبائح له أهميته وقيمته التي لا تقارن، ثم يليه في الأهمية النوع الثاني من فعل الخير والتوزيع هنا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

على الأرض ولكنه نابع من نفس الإيمان والمحبة "لأنه بذبائح مثل هذه يسر الله". فالذبائح الروحية لذة الله، والذبائح التي تتناول الجانب الإنساني موضع سروره ورضاه.

"لأنهم من أجل اسمه خرجوا وهم لا يأخذون شيئاً من الأمم". هذا ما يجعل هؤلاء الخدام أعزاء على قلب الرسول. حفظوا أنفسهم متحررين كل الحرية من الاستفادة بموارد العالم. ورغم ما قد يكونون عليه من حاجة وعوز فإنهم حافظوا على كرامة الإنجيل السماوي وبرهنوا على أنهم لا يطلبون سوى أعظم الخير للأمم وليس ما لهم. وأي شيء يحط من قدر الإنجيل أكثر من جعل خدامه أو الكنيسة يصبحون شحاذين من العالم؟ وأي شيء ينطوي على الإنكار الصريح للإيمان بعناية الرب بعمله؟ وأي شيء أكثر إنعاشاً للنفس من أن ترى إنساناً يتسامى فوق كل قلق من جهة نفسه في طريق التكريس للرب؟ وإن ما ربط قلب غايس بهم "أنهم من أجل الاسم خرجوا". فهم لم يرسلوا من إنسان. أي نعم، فليس للكنيسة سلطان لاختيار وتعيين وإرسال خدام الرب. وإنها لغلطة غير لائقة وادعاء شنيع أن تختلس الكنيسة أو الخدام مكان المسيح بهذه الصورة. إن المسيح هو الرأس وهو مصدر ومرسل مواهبه للخدمة ولا أحد غيره. أما الوظائف المحلية فكانت شيئاً آخر.

وعلى الكنيسة مع ذلك أن تسر بالاعتراف بمن يرسلهم الرب. نجد هنا في أنطاكيا (أع ١٤: ٢) حينما رجع بولس وبرنابا من إرسالية كان الروح القدس قد أرسلهما إليها. إن الإخوة "أطلقوهما" ولكنهما "أرسلا" من الروح القدس (ع ١٣: ٣ و ٤). والرب نفسه "أرسل" الاثني عشر والسبعين (لو ٩: ٢، ١٠: ١) حينما كان هنا له المجد. والآن هو في الأعالي فإنه هو، بروح الله، يعطي ويرسل أولئك الذين أعطاهم حياة أبدية وأهلهم لعمله مهما كان نوعه. فهو لم ينكر حقوقه ولم يتنازل عنها للكنيسة أو لأي أفراد فيها. ومع ذلك فإننا نقرأ في سفر الأعمال ١٣: ٣ أن الزملاء الخدام كانت لهم شركة مع مبعوثي الروح القدس المشار إليهما ودللوا على ذلك بوضع أيديهم عليهما كعلامة على هذه الشركة كما يبدو أنهم كرروا هذا العمل بعد ذلك ليس لبرنابا بل لبولس حينما خرج للسفر مرة أخرى (أع ١٥: ٤٠) ولا علاقة لهذا إطلاقاً بما يسمونه رسامة وإنما كان مجرد استيداع خطير لنعمة اله خال من كل ادعاء. ولكن ليس لفكرة سلطان الكنيسة أي أثر في هذه الأمور. فالإرسال كالموهبة من شأن الرب وحده. وهو لازال إلى الآن، الأمر الذي نسيته النصرانية. والروح الحاضر نفس مظاهر القوة التي تطالعنا المرة بعد المرة في أعمال الرسول، ولكن الله يعرف كيف يحقق نفس المبدأ بطرق تلائم حالة الكنيسة الحاضرة التي تدعو للتذلل من جانبنا. ولكنه من الخيانة أن نستبدل طريقة الله باختراع إنساني لا سند له من الكتاب.

"فنحن ينبغي لنا أن نقبل أمثال هؤلاء" ما أكرم هذا وما أحكمه! فهو لا يدعو غايس والقديسين فقط أن يقبلوا أو يرحبوا بأمثال هؤلاء، بل يقول نحن ينبغي نا أن نقبل أمثال هؤلاء. ويا له من جمال أدبي في هذه الكلمات! كان يكفي أن يقول الرسول "فأنتم اقبلوا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أمثال هؤلاء" لكنه يوسع الدائرة فيقول "نحن" إن الرسول لم يعتبر نفسه أسمى من الباقين، وبذلك هو يزكي ويشجع أولئك الذين خرجوا للعمل متواضعين مع أنه لم يوجد من كان يشغل مركزاً يقارن بمركزه في الكنيسة – وهو تصرف مكن جانب الرسول تتجلى فيه نعمة المسيح ويوبخ الروح الإكليريكية التي ولدت في ذلك الوقت وراحت تحتقر أولئك الخدام الأمناء الغيورين، كما أنه يبين للجميع كم كان هؤلاء الخدام يتمتعون برضاء الرسول ومحبته.

ولا يكتفي الرسول بذلك بل يذهب إلى أبعد منه فيقول "لكي نكون عاملين معهم بالحق (أو مع الحق)". هل تسمحوا لي أن أستودع هذه الكلمات بحرارة لعنايتكم وتأملكم أيها الإخوة الأحباء. يا له من شرف! إن الحق هنا يشار إليه كشخص مبغوض من الشيطان والعالم – ذلك العالم الذي بواسطته يعمل الشيطان بألف طريقة وطريقة لمقاومة المسيح وكل ما يتعلق بالشهادة له. ديوتريفوس كان يفعل هذا ولو أن الكتاب لا يخبرنا أنه كان شريك ضد المسيح أو الهرطوقي بصورة ما، فإن شره كان من نوع آخر. إن حالته كانت تعيسة وشنيعة بحيث نفعل حسناً إن لم نقل عنها شيئاً أكثر من هذا. ولكن الأجمل من هذا والأهم هو إن الباب مفتوح لجميع المسيحيين لأن يكونوا عاملين مع الحق. فالبعض منا لا يستطيعون الكرازة بالكلام ولكننا نستطيع بل ينبغي لنا جميعاً أن نشاطر العاملين مشاطرة حقيقية عملية. هل نحن نصلي من أجلهم باستمرار؟ هل نهتم بأن نخدمهم بأية طريقة في مقدورنا؟ إن كان الأمر كذلك فنحن "عاملون" ليس فقط معهم بل "مع الحق". إنه ليس أمراً صعباً على أي قديس أن يكون عاملاً مع الحق. لقد ظهرت محبة غايس وعملت مع الحق. والدعوة لازالت موجهة للمحبة لكل من يحيا حياة الإخلاص والجد أمام الله " لأنه إن كان النشاط موجوداً فهو مقبول على حسب ما للإنسان لا على حسب ما ليس له" ففي استطاعة الجميع أن يقدموا خدمة مقبولة بأية طريقة تجعلهم بفضل نعمته في عداد العاملين مع الحق.

"كتبت إلى الكنيسة". من هذه العبارة نرى إنه من الخطأ الزعم بأن الرسل لم يكتبوا رسائل غير التي بين أيدينا. لقد كتبوا رسائل أخرى ولكن الله قد عني بالمحافظة على تلك التي قصد بها أن تكون لبركة المؤمن الدائمة فلم تفقد منها واحدة. فإذا كان قد أوحى بها للخدمة المستمرة فإنه سهر عليها تتميماً لمشيئته هذه. وقد كان أن وضع الله بين أيدينا كتاباً كاملاً فيه جميع الرسائل التي قصد أن تبقى مع الكنيسة طوال مدة تغربها في هذا العالم. وإنما هذا لا يجيز لنا أن نتصور أن الرسل لم يكتبوا قط غير هذه الرسائل. لماذا نتصور هذا؟ إننا بدون الإفاضة في الموضوع نقول إنه لا يمكن إنكار الحقيقة أن هناك من رجال الوحي من كتبوا رسائل لم يكن المقصود بها أن تكون جزءاً من الكتاب المقدس. نجد هذا أيضاً في العهد القديم كالأسفار والأناشيد التي كتبها سليمان وآخرون. أما كل الأسفار التي أوحى بها

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الله للاستخدام الدائم فقد حافظ عليها جميعاً وأعطى أنبياءه القدرة والكفاءة للتمييز بينهما. وبمجرد أن توقف الوحي في العهد القديم أو الجديد وقف أيضاً ظهور الأنبياء.

وهذه المجموعة المنتخبة تدعو للإعجاب بدلاً من أن تكون مثاراً للصعاب. فلو أن جميع الكتب التي كان يمكن أن تكتب فعلاً فإن العالم ما كان يستطيع أن يسعها كما يقول رسولنا في مكان آخر، إن أقوال وأعمال سيدنا وحده، لو أنها كتبت كما تستحق، لملأت العالم وزيادة. فكم هو ثمين هذا الانتخاب الحكيم الذي يتميز به الوحي! إن الله كان القاضي والحكم الوحيد لتقدير ما هو أبقى وأدوم وأنفع. بل ماذا يقول – إنه حتى الكتاب، بحجمه الراهن، ليس معروفاً كما يجب من أولئك الذين هو لديهم أعز من الحياة! ليت كل واحد من أولاد الله كان يعرف الكتاب معرفة كاملة. فلو أنك قرأت الكتاب المقدس مرات كل يوم في حياتك فإنك لن تصل إلى أعماقه بحال من الأحوال. وهو دائماً فوق متناول أعظم المعلمين. فماذا نقول لو أن الكتاب كان أكثر من ذلك وأضخم.

إذن فلنسجد أمام حكمة الله المتجلية في اختيار كل ما كان لازماً للانتفاع الدائم في حدود ونطاق حيز الكتب ومحيطه الصغير كما هو بين أيدينا – لا أكثر ولا أقل من المطلوب بحسب المعرفة الإلهية، وبحسب ما رأى الله في كامل حكمته ملائماً لمجده ومحققاً لبركتنا. ولقد كان من الأهمية بمكان أن تجيء كلمته مختصرة ما أمكن بحيث لا تقل ولا تزيد عن ملء الحق المعلن. "كتبت (شيئاً) إلى الكنيسة ولكن ديوتريفس الذي يحب أن يكون الأول بينهم ولا يقبلنا". (عدد ٩). فليس من العسير إذاً أن نفهم لماذا لم تصلنا الرسالة التي كتبها يوحنا والتي يشير إليها هنا إذ يتضح أن ديوتريفس قد دلل على روحه الردية بحجز هذه الرسالة عن الكنيسة وأنه بهذه الطريقة لم يقبل الرسول.

"من أجل ذلك إذا جئت فسأذكره بأعماله التي يعملها هاذراً علينا بأقوال خبيثة. وإذا هو غير مكتف بهذه لا يقبل الإخوة ويمنع أيضاً الذين يريدون ويطردهم من الكنيسة" ومهما كان نوع التعليم الذي كان ينادي به هذا الشخص فإن أعماله كانت شريرة "من أجل ذلك إذا جئت فسأذكره بأعماله". فإن نفس الروح التي أظهرها ديوتريفس في رفض ما كتبه الرسول – إن كان هذا هو المعنى المقصود من عدم قبوله الرسول – قد كشفت عن نفسها في احتقاره للإخوة الذين كانوا يجولون مبشرين ولعله كان يقول: أي شأن لهؤلاء حتى يأتوا إلى هنا؟ "أنا هنا. وأنا المسئول عن رعاية الحق ولم أفكر قط في طلب معونتهم، سيما وأنهم غرباء يأتون دون أن يطلبهم أحد أو يرسلهم أحد. إنهم دخلاء متطفلون". وهذا شعور ليس مستبعداً، وإن كان البعض لا يعبرون عنه صراحة فما أكثر ما يجول في خاطرهم. إنه شعور ملك على هذا الرجل روحه وسلوكه حتى إنه لفرط إعجابه بنفسه فقد كل حاسة من إحساسات الاحترام نحو الرسل. فمن ذا الذي يدهش لعداوته نحو الإخوة الودعاء المتضعين الذين كرسوا أنفسهم للكرازة في كل مكان. لا شك أنه كان يراه شيئاً أفضل إن هم استمروا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يمارسون أعمالهم يكسبون منها رزقهم الحلال بدلاً من الذهاب إلى حيث هو على الأقل في غنى عنهم. "أيها الحبيب. لا تتمثل بالشر بل بالخير". إن ديوتريفس كان قطعاً يعمل عملاً شريراً. وكان على غايس أن يحذر من التمثل بالشر لأن الشر معد. بل يتمسك بالخير. "من يصنع الخير هو من الله، ومن يصنع الشر فلم يبصر الله" (عد ١١). ليس لنا أن نؤكد أن ديوتريفس كان متورطاً كل التورط في هذه الصفة الشنيعة (صنع الشر) ولكن مسلكه كان يبرز هذا الخوف بشدة. إن لغة الرسول هنا ذات طابع عام فهو يضع المبدأ ليس إلا وهو أن صنع الشر ليس من الله وإن كل من يصنع الشر أي كل من يفعله كعادته حياته لم يبصر الله. ولكن ما أبهج الجانب الآخر! كل من يصنع الخير هو من الله. أي نعم، إن رؤيتك لله تترك أثرها على نفسك إلى الأبد. لا يمكن لإنسان رأى الله أن يكون صانع شر. ومن أسف أن الشر كان لاصقاً بديوتريفس إلى حد كبير. أما إن كان هو صفته المميزة له أم لا فالأمر لنا أن نقطع به.

"ديمتريوس مشهود له من الجميع ومن الحق نفسه ونحن أيضاً نشهد وأنتم تعلمون أن شهادتنا هي صادقة" (عد ١٢). هنا شخصية جميلة لم نسمع عنها من قبل. الحق نفسه، وكذلك الجميع، يشهدون لديمتريوس، ونحن أيضاً نشهد – الشهادة التي كان غايس يعلم في قرارة نفسه إنها شهادة صحيحة صادقة. "نحن أيضاً نشهد". وفي استطاعة غايس أن يكون له أكمل شركة مع ديمتريوس. ولا شك أن أقوى الأسباب التي جعلت روح الله يطالعنا باسم ديمتريوس في هذا الشأن هو أن يبين لنا أنه حتى في يومنا الشرير نستطيع أن نتطلع إلى آخرين يدعون باسم الرب من قلب طاهر. وهكذا هنا، فإن كان هناك ديوتريفس واحد، فهناك اثنان يستحقان المديح، غايس وديمتريوس، إن لم نقل شيئاً عن الإخوة الأمناء وإن كانوا غرباء ممن لم يكن لدى ديوتريفس شيء صالح يقوله عنهم. فإن غرض الرسول هو أن يجعلنا لا نغتم فوق الحد لوجود الشر أو المتكلمين بالشر بل بالحري تتشجع قلوبنا بالحق والمحبة.

"وكان لي كثير لأكتبه لكنني لست أريد أن أكتب بحبر وورق. ولكنني أرجو أن أراك عن قريب فنتكلم فماً لفم. سلام لك. يسلم عليك الأحباء. سلم على الأحباء بأسمائهم" (عدد ١٣ و ١٤). ليس لنا أن نفشل تحت غمامة الشر. فهناك دائماً الخطر أن يستسلم الإنسان لليأس والقنوط ويظن أن كل شيء قد انتهى وضاع. فكر كهذا هو وليد عدم الإيمان ومن العار أن يتسرب منه شيء إلى نفوسنا. مهما كان الشر الذي يحيط بنا. بل أن انتشار الشر أشنع الشر. وسقوط الكثيرين ممن ظهروا يوماً بمظهر الأمناء، يجب أن يقودنا أكثر إلى عدم الثقة بذواتنا، وإلى ثباتنا في الرب بعزم القلب. ولنذكر كل حين أن الروح القدس ماكث فينا ومعنا إلى الأبد ليجمع إلى اسم الرب أكثر مما يجدد من خطاة ولو أنه يفعل الأمرين معاً.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وما أبسط وأصدق الكلمات الختامية في الرسالة الثالثة كما في الرسالة الثانية؟ إن كثيرين من عباقرة الرسامين وعظماء الفنانين طالما رسموا ليس الرب فقط بل الرسل والقديسين وحول رؤوسهم هالة من المجد. أما الكتاب فيتحدث عن الجميع ببساطة غير مفتعلة: فالرب وأكثر الناس وداعة وتواضعاً. والرسل لا يختلفون عن الإخوة الآخرين سوى أنهم يفوقونهم في إنكار الذات والشعور الحي بثباتهم في الله الأمر الذي هو امتياز نعمته. وهنا من ذا الذي يفوته أن يلاحظ الشعور العميق بتلك الكرامة السماوية التي كان يجدها الرسل في كونهم لا يزيدون كل واحد منهم عن "عبد يسوع: كما كان يحلو لأكبرهم أن يدعو نفسه؟" لقد أعطاهم الروح القدس القوة لعمل الآيات والعجائب والمعجزات ولكنهم كانوا يعملونها كأنهم ليسوا شيئاً في ذواتهم. لقد كان لدى رجل الوحي أشياء كثير ليكتبها بحبر وورق ولكنه كان يرجو أن يرى غايس المحبوب قريباً "فنتكلم فماً لفم" كان يفضل الشركة الحية العملية وكان يرجو له سلاماً. حتى يحين وقت اللقاء. ثم الأحباء يسلمون على بعضهم ليس بطريقة غامضة بل "بأسمائهم" كما هو الحال ي الرسالة الثانية حيث التحية العائلية "يسلم عليك أولاد أختك المختارة".

انتهى

---

[١] أريبوس: إله ما بين الأرض والهاوية – ونكس: آلهة الليل, عند قدماء اليونان.

[٢] يذكر القارئ أن البيورتان هم جماعة المتطهرين الذين نزحوا من بلاد الإنكليز واستوطنوا أمريكا هرباً من الاضطهاد الديني في القرون الوسطى.

[٣] بيلاجيوس راهب بريطاني ظهر في القرن الرابع وكان ينكر الخطية الأصلية.

[٤] يشير هنا إلى ترجمة King James وجاءت فيها "الخطية هي تعدي الناموس" أما ترجمتنا البيروتية العربية فجاءت صحيحة ويمكن قراءتها "الخطية هي التمرد" (الناشر).

[٥] سبق أن شرحنا بإفاضة أن التعدي هنا ليس تعدي الناموس (Lowlessness) وهي كلمة تعني في الحقيقة عدم التقيد بأي ناموس أي فعل الإرادة الذاتية باستقلال عن الله.

* يريد الكاتب أن يقول أنه كما كان الكلمة الحي هو اله في صورة إنسان كذلك الكلمة المكتوبة هي إلهية في صورة إنسانية - المعرب

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

* يرد الشارح ترجمة هذا العدد هكذا "وكل روح لا يعترف بيسوع فليس من الله" مع الإحاطة أن اسم سيدنا "يسوع" مسبوق في الأصل اليوناني في هذا العدد بأداة التعريف "ال" ومعناها اليسوع السابق وصفه في عدد ٢.

* دليل آخر مستمد من الكتاب نفسه على عدم قانونية هذه الفقرة أننا لا نقرأ لأي واحد من كتبه الوحي عن "الآب والكلمة" كلفظتين متناظرتين, ففي الكتاب يرتبط دائماً "الله" مع "الكلمة" و "الآب" مع " الابن".

[٦] راهب بريطاني عاش في القرن الرابع ومن مبادئه نكران الخطية إطلاقاً.

* "a sin" وليس "There is sin unto death".

* لقد اختلفت وجهات النظر منذ القرون الأولى إلى يومنا هذا فيما يتعلق بماهية هذا الخطاب. فالبعض يقولون أن الرسالة موجهة إلى "أكلسكتا" (باعتباره اسم سيدة معناه مختارة) وآخرون يقولون إلى كيرية (وهو اسم معناه سيدة), وفريق ثالث يقول إلى "الكنيسة" إن لم نقل شيئاً عمن يزعمون أنه إلى "العذراء مريم". والذي يبدو لي هو أن أختاً في المسيح كانت عائشة في ذلك الوقت هي التي قصد الروح القدس أن يوجه إليها هذه الرسالة دون أن يذكر اسمها, وإن الإشارة إلى "أختك المختارة" الواردة في العدد الأخير (١٣) تعزز هذا الرأي بقوة وتستبعد إطلاقاً فكرة "الكنيسة" التي مال إليها جيروم ومن حذا حذوه. أما الشارح فيعتقد مع أكثر المفسرين المحققين أن الرسالة موجهة إلى "سيدة مختارة" أو إلى "السيدة المختارة" دون ذكر اسم معين وذلك لحكمة سنراها في سياق التفسير.

* وليس "دخل" كما في بعض الترجمات went forth.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل هي هيئة إرسالية شغفها نشر كلمة الله في العالم العربي عبر الإنترنت وعبر وسائل إلكترونية أخرى. وتقوم بتوزيع الكتاب المقدس مجاناً للجالية العربية في أميركا الشمالية والقطر العربي وبلدان العالم. بالإضافة إلى مجموعة من الأقراص المضغوطة التي تحتوي على كتب روحية، عظات، تراتيل والكتاب المقدس.
لمزيد من المعلومات الرجاء الإتصال بنا.

يحفظكم الله ويملأ حياتكم بالصحة والسعادة والسلام.

أسرة الخدمة العربية للكرزة بالإنجيل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com